

المملكة العربية السعودية

وزارة المعـــارف

وكـالة الآثـار والمتـاحـف



ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية
حمايتها والمحافظة عليها

الرياض ١٥ ـ ١٨ (رجب) ١٤٢٠هـ / ٢٤ ـ ٢٧ (أكتوبر) ١٩٩٩م

البحوث والدراسات

المجلد الثاني

١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

ⓒ وزارة المعارف ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعودية ، وزارة المعارف ، وكالة الآثار والمتاحف

ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية : حمايتها والمحافظة عليها

(الرياض ١٥ ـ ١٨ رجب ١٤٢٠هـ / ٢٤ ـ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٩م) ـ الرياض

٤٨٠ صفحة ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٦ ـ ٦٠٤ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)

٢ ـ ٦٠٦ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (ج ٢)

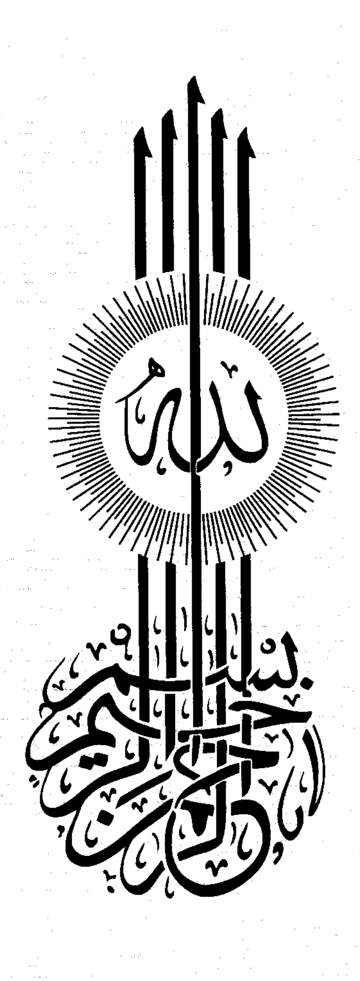
١ ـ السعودية ـ آثار ـ ندوات أ ـ العنوان

ديوي ٩١٥,٣١ ٢٢ / ٤٢٨٦

رقم الإيداع : ٢٢ / ٤٢٨٦

ردمك : ٦ ـ ٦٠٤ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)

٢ ـ ٦٠٦ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (ج ٢)


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية

حمايتها والمحافظة عليها

الأبحاث التي قدمت للندوة خلال الفترة

من ١٥ ـ ١٨ (رجب) ١٤٢٠هـ / ٢٤ ـ ٢٧ (أكتوبر) ١٩٩٩م

إشراف

الأستاذ الدكتور / سعد بن عبدالعزيز الراشد

هيئة التحرير :

أ ـ خالد بن محمد أسكوبي

أ ـ فهد بن سليمان المزيني

أ ـ خالد بن عبدالله النمي

المحتويات

العنوان	الصفحة

تابع الأبحاث :

العنـــوان	الصفحة

عودة الآثار إلى أوطانها : حالة المملكة العربية السعودية

د. عباس سيد أحمد محمد علي (*)

مع أفول نجم الاستعمار وإشراقة حركة التحرر الوطني التفتت شعوب العالم الثالث إلى إرثها الثقافي تسترشد من خلاله مسيرتها وتثبت وجودها ومقدرتها على النمو والتطور . عندها لاحظت أن جزءاً من تلك الثروة الثقافية قد وجد طريقه إلى خارج حدودها حيث يقبع في متاحف بعيدة أو ضمن مجموعات خاصة في دول الغرب . وقتها برزت ضرورة المطالبة باستعادة تلك الممتلكات الثقافية إلى أوطانها. ورغم أن جذور هذه القضية قد تذهب إلى أبعد من ذلك ، إلا أنها تبلورت بشكل واضح خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر . فبعد قيام الثورة الفرنسية ووصول نابليون للحكم في فرنسا ، اندلعت الحروب النابليونية في أوربا في عام ١٨٠٤م ، واكتسحت الجيوش الفرنسية معظم دول أوربا ومن بعدها بعض دول الشرق . وخلال سنوات الحرب (١٨٠٤- ١٨١٥م) درجت الجيوش الفرنسية على توقيع اتفاقيات مع الدول المنهزمة ، مثل بلجيكا وإيطاليا ، تمنحها الحق في الاستيلاء على أملاك تلك الدول بما فيها الممتلكات الثقافية . وبالفعل وصلت إلى المتاحف وصالات العرض في فرنسا الكثير من الآثار والقطع التراثية والمخطوطات وخلافها. وبعد هزائم نابليون وتقهقر الجيوش الفرنسية بعد معركة "وترلو" اضطرت فرنسا إلى توقيع معاهدة فينا عام ١٨١٥م التي وافقت بمقتضاها – ضمن أمور أخرى – على رد الممتلكات التي أخذتها إبان الحرب إلى بلدانها الأصلية . ولعل من أهم ما جاء في تلك الاتفاقية إعتبار الاتفاقيات السابقة بين فرنسا والدول المنهزمة التي سبق أن أعطت فرنسا الحق في أخذ ممتلكات تلك الدول ، اتفاقيات لاغية بحكم أنها وقعت بين طرفين غير متكافئين أرغم فيها أحدهما على التوقيع .

ورغم أن الاتفاقية اختصرت الأمر بالطبع على الدول ذات العلاقة المباشرة بجذور تلك الحرب ، إلا أنها وضعت أول أساس قانوني لاسترداد الآثار إلى أوطانها .

وفي عام ١٨٦٣م طرح ما يعرف "بقانون ليبر" ، حيث قدمت أول مسودة قانون لحماية

(*) عضو هيئة التدريس – جامعة الملك سعود – قسم الآثار والمتاحف .

الممتلكات التراثية في حالات الحرب واحتلال أراضي الغير . وجاءت الخطوة التالية في هذا الاتجاه حين دعا الاسكندر الثاني ، قيصر روسيا ، (١٨١٨-١٨٨١م) لعقد مؤتمر لإبرام اتفاقية لحماية الممتلكات الثقافية . وعقد المؤتمر في بروكسل ، وأعد مسودة قانون استندت على مسودة "قانون ليبر" ، غير أنها لم تخضع للتنفيذ.

وفي عام ١٨٦٦م قبيل توحيد ألمانيا أبرمت اتفاقية تلزم مقاطعة هيس الألمانية بإعادة مكتبة كولونيا التي كان قد تم ترحيلها إلى مقاطعة هيس في عام ١٧٩٤م (١) وفي تلك السنة وقعت معاهدة فينا الثانية التي تضمنت نصاً يطالب النمسا بإعادة القطع الأثرية واللوحات الفنية التي استولت عليها من مدينة البندقية خلال احتلال النمسا لإيطاليا.

إثر ذلك وقعت اتفاقيتا لاهاي الأولى لعام ١٨٩٩م الخاصة بقوانين الحرب البرية ، واتفاقية لاهاي الثانية لعام ١٩٠٧م الخاصة بالقصف من البحر اللتان استندتا بدورهما على مسودة بروكسل وقانون ليبر . وقد هدفت هاتان الاتفاقيتان إلى تحديد حقوق الدول المتحاربة بالنسبة للممتلكات الثقافية حيث نصتا على نقل ملكية الممتلكات الثقافية أو مصادرتها أو تخريبها (٢) .

ومع بداية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) نشطت مرة أخرى ظاهرة نهب التراث الثقافي حيث استولت الجيوش الألمانية الغازية على قطع تراثية وأثرية من بعض الدول الأوربية.

وجاءت معاهدة فرساي لتنص صراحة في مادتها رقم ٢٤٥ على حق فرنسا في استرجاع القطع الأثرية التي استولت عليها ألمانيا ، وألزمت تلك المعاهدة الحكومة الألمانية بأن تعيد إلى المملكة مصحفاً عثمانياً كانت السلطات التركية قد انتزعته من المدينة المنورة وقدمته هدية للامبراطور غليون الثاني . وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى وقعت الأطراف المتحاربة في أوربا في عام ١٩١٩م اتفاقية سان جرمان التي ألزمت في أحد بنودها حكومة النمسا بإعادة كل القطع التراثية والفنية التي أخذتها من إيطاليا عقب هزيمة عام ١٧١٨م (٣) .

---

(١) اليونسكو ، ١٩٧٨م ، إعادة التراث الثقافي إلى أصحابه الشرعيين ، البحرين ، ص ٣ .

(٢) حمدان ، هشام ، ١٩٨٨م ، "مسألة الحماية الدولية للآثار" ، الفكر العربي ، العدد ٥٢ ، ص ١٨ .

(٣) الدارجي ، عتيقة ، ١٩٩١م ، ص٥٣ ، اليونسكو ، ١٩٧٨م ، ص٣ .

وفي عام ١٩٣٥م وقعت مجموعة الدول الأمريكية على ميثاق واشنطن الذي يقضي بضرورة حماية المؤسسات الفنية والعلمية والمباني التاريخية ، في أوقات الحرب وعدم استخدام المباني التاريخية في أوقات الحرب لأغراض عسكرية (١) .

ومع ظهور بواكير الوعي بضرورة المحافظة على الممتلكات الثقافية والالتزام بحفظها ، وقعت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) التي شكلت نكسة حقيقية للمجهودات السابقة الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية ، بل تجاوزتها إلى تدمير الكثير منها حيث قصفت الكثير من المباني التاريخية ودور العبادة وجرفت الأسلحة الثقيلة والموانع الترابية مواقع أثرية ونهبت وسرقت قطع أثرية وتراثية بشكل منظم وعشوائي .

وبحكم عمليات السطو والنهب المنظم وغير المنظم راجت تجارة القطع الأثرية المنقولة خلال سنوات الحرب وكثر عرضها في الأسواق . وحين أخذت تلك الظاهرة شكلا استرعى الانتباه ، أصدر اجتماع للحلفاء في عام ١٩٤٣م توجيهاً ، فيما عرف بإعلان لندن ، ببطلان نقل وتداول الممتلكات الثقافية خلال سنوات الحرب وطالبوا الدول المحايدة بعدم شراء أي أعمال تراثية أو فنية أو أثرية تكون الدول المتحالفة مع ألمانيا قد استولت عليها خلال سنوات الحرب . وفي تلك الأثناء كانت بوادر هزيمة ألمانيا وحلفائها قد لاحت في الأفق .

وإدراكاً لما نجم من فقدان الدول المستعمرة لبعض من ممتلكاتها الثقافية فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٥١٤ باحترام الملكية الثقافية . ثم جاءت المادة "١" في الفقرة "٢" من لائحة تأسيس اليونسكو في عام ١٩٤٦م تنادي بحماية التراث الثقافي العالمي والمحافظة عليه .

وفي عام ١٩٥٤م وقعت ٨٧ دولة عضواً في منظمة اليونسكو ، من بينها المملكة العربية السعودية ، على اتفاقية لاهاي التي ضمت لائحة تنفيذية وبروتوكولاً لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح والحروب والاحتلال . وقد ارتكزت هذه الاتفاقية على اتفاقيتي لاهاي لعام ١٨٩٩م وعام ١٩٠٧م وعلى ميثاق واشنطن لعام ١٩٣٥م .

فُسرت اتفاقية عام ١٩٥٤م الممتلكات الثقافية لتعنى الممتلكات الثابتة والمنقولة من مبانٍ

(١) حمدان ، هشام ، مسألة الحماية الدولية ، ١٩٨٨م ، ص ٣٨ .

تاريخية مدنية ودينية والمواقع الأثرية والتحف والقطع الأثرية والمخطوطات ، إلى جانب المباني التي تحوي هذه الممتلكات كالمتاحف ، والمستودعات ، ودور حفظ الوثائق ، والمراكز الأكاديمية [١] . وتمنع الاتفاقية – ضمن أمور أخرى – الأطراف المتنازعة من تعريض تلك الممتلكات للخطر ، كما تمنع الطرف المنتصر من الاستيلاء عليها أو نقلها إلى أراضيه [٢] . وفي حالة تعرض تلك الممتلكات لأخطار تهدد وجودها في أماكنها الأصلية فإن المادة "١٣" من الاتفاقية والمواد "١٧" و"١٨" من اللائحة ، تحدد الحالات التي يمكن بمقتضاها نقل الممتلكات وحفظها بعيداً عن أماكنها . وهناك تكون الممتلكات أمانة لدى الدولة المسيطرة ، ولا يجوز التصرف فيها بأي شكل كان [٣] . كذلك يلزم البروتوكول كل الدول بإعادة تلك الممتلكات إلى بلدانها بمجرد نهاية الاحتلال ولا يجوز حجزها أو اعتبارها ضمن تعويضات الحرب [٤] .

وفي عام ١٩٥٦م أصدرت اليونسكو في دورتها التاسعة في نيودلهي توصية بشأن المبادئ الدولية للتنقيبات الآثارية ، تضمنت قرارات تمنع تصدير القطع الأثرية وتركز على ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة بعدم اقتناء المتاحف لأي قطع أثرية تفد إليها بطرق غير مشروعة . كما يجب عليها أن تعمل على تسهيل إرجاع القطع التي وصلت إليها بطرق غير مشروعة إلى بلدانها الأصلية [٥] ، تاركة لكل دولة أمر تعريف وتحديد ممتلكاتها الثقافية .

رغم كل تلك الاتفاقيات فإن الالتزام بها كان دون الحد المطلوب . واستمرت ظاهرة تسرب الآثار من بلدانها ، وأدت الحاجة والفقر في بعض بلدان أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا إلى رواج تجارة الآثار والقطع التراثية مما قاد حكومات بعض تلك الدول إلى مناشدة الأمم المتحدة لاتخاذ إجراءات للحد من تلك الظاهرة . فأصدرت اليونسكو توصيات في عام ١٩٦٤م و ١٩٦٨م تدعو إلى مكافحة التهريب ونقل الممتلكات وحمايتها من أخطار المنشاءات العمرانية والصناعية [٦] . ثم أبرمت اليونسكو إتفاقية عام ١٩٧٠م "بشأن التدابير الواجب اتخاذها

(١) اليونسكو ، ١٩٥٤م ، اتفاقية حماية الملكية الثقافية في حالة النزاع المسلح ، لاهاي ، مادة "١" .

(٢) المرجع السابق ، المواد ٤ – ٧ .

(٣) المرجع السابق ، المواد ١٣ و ١٧ ، ١٨ .

(٤) بروتوكول الاتفاقية أعلاها ، بند ١ ، فقرة ٣ .

(٥) اليونسكو ، ١٩٥٦م ، توصية بشأن المبادئ الدولية للتنقيبات الآثارية ، نيودلهي ، البنود ٢٩–٣١ .

(٦) حمدان ، مسألة الحماية ، ١٩٨٨ ، ص ص ٢٥ – ٢٧ .

لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة" . حوت تلك الاتفاقية ٢٦ مادة ووقعتها ٧٨دولة ، من بينها المملكة العربية السعودية ، تعهدت من خلالها الدول الموقعة على القيام بحملة دولية لحماية الممتلكات الثقافية . وقد حملت الاتفاقية الدول المصدرة والمستوردة معاً مسئولية تهريب الممتلكات الثقافية . ونادت بضرورة إنشاء إدارات وطنية لحماية التراث الثقافي والقيام بجرد كل القطع التراثية ووضع سجل لها ، وحماية المواقع الأثرية ومراقبة الحفريات ونشر الوعي بأهمية التراث [١].

نصت الاتفاقية كذلك على منع تصدير أي قطع أثرية أو تراثية ونادت بعدم قبول أي ممتلكات ثقافية تصل إلى أي بلد بطريقة غير مشروعة [٢]. كما حظرت نقل الملكية نتيجة الاحتلال [٣] . ونادت بعودة تلك الممتلكات إلى بلدانها [٤].

وتوالت توصيات اليونسكو التي شملت في بعض بنودها جوانب منع الاتجار في الآثار ومحاربة التهريب وعودة الممتلكات . ففي عام ١٩٧٢م تبنت معاهدة تنادي بحماية التراث الثقافي والطبيعي[٥] ، كانت المملكة العربية السعودية أحد الدول الموقعة عليها . وفي عام ١٩٧٦م أصدرت توصية خاصة بالتبادل الدولي للممتلكات الثقافية [٦] .

عقد المؤتمر العشرون لليونسكو في نوفمبر ١٩٧٨م ، فأصدر قراراً بتشكيل لجنة من بعض الدول الأعضاء للبحث في قضية عودة الممتلكات إلى بلدانها الأصلية . وبعد نحو عامين عقدت تلك اللجنة أول اجتماع لها في مايو ١٩٨٠م لتحديد الكيفية التي يمكن أن يتم التعامل من خلالها مع تلك الممتلكات[٧] . ولكي تبرز أهميتها وتبرر استعادتها ، انتهت إلى صيغة تقول: "يقصد بالممتلكات الثقافية تلك التي تكون تعبيراً عن الإبداع البشري أو عن تطور الطبيعة والتي تكون لها قيمة أو أهمية أثرية أو تاريخية أو فنية أو علمية أو تقنية".

(١) اليونسكو ، ١٩٧٠م ، اتفاقية بشأن التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة ، باريس ، مادة "٥" ، الفقرات أ – ز .
(٢) المرجع السابق مادة "١١" .
(٣) المرجع السابق مادة ٦ ، ٧ .
(٤) المرجع السابق مادة "١٣" .
(٥) اليونسكو ، ١٩٧٢م ، توصية بشأن الحماية الدولية للتراث الثقافي والطبيعي ، باريس ، مادة ١ ، ٢ .
(٦)اليونسكو ، ١٩٧٦م ، توصية بشأن التبادل الدولي للممتلكات الثقافية ، نيروبي .
(٧) اليونسكو ، ١٩٧٨م ، ص ٨ .

كان نصيب هذه التوصية شأن التوصيات السابقة ، غير أن سلسلة المحاولات لم تتوقف. فعقدت اليونسكو مؤتمرها العام في مدينة المكسيك في عام ١٩٨٢م ليقر إعلان المكسيك الذي أكد ما نادت به مؤتمرات سابقة في هذا الشأن [١].

وعلى المستوى الإقليمي تمخضت قرارات بعض مؤتمرات الآثاريين العرب والدورة السابعة لمؤتمر وزراء الثقافة العرب المنعقد في الرباط في عام ١٩٨٩م عن الدعوة إلى عقد دورة استثنائية في سبتمبر ١٩٩٠م في بغداد لتناول قضية استرداد ممتلكات الوطن العربي الثقافية . غير أن أحداث حرب الخليج الثانية حالت دون ذلك ، فأصدرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مجموعة أبحاث حول الموضوع في إحدى نشراتها تحت عنوان" التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي" [٢].

وعلى الجانب الأفريقي نادى المؤتمر الدولي للسياسات الثقافية في أفريقيا ، المنعقد في غانا في عام ١٩٧٥م ، كما نادت منظمة المتاحف والآثار والمواقع الأفريقية (أومسا) في اجتماعها في نيروبي عام ١٩٧٨م بضرورة صون ممتلكاتها الثقافية واستعادة ما تسرب منها [٣] .

كذلك أشار الإعلان الصادر عن المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز في اجتماعهم في الجزائر عام ١٩٧٣م والمؤتمر الثالث للرابطة الدولية للفنون في اجتماعها في زائير عام ١٩٧٣م ، إلى حماية الملكية الثقافية واتخاذ التدابير اللازمة لذلك .

وفي عام ١٩٦٩م تبنى المجلس الأوربي معاهدة لحماية التراث الأثري ، ونادت بحماية المواقع والحد من التنقيبات غير الشرعية وامتناع المتاحف عن عرض أو قبول أي آثار مشتبهة المصدر [٤]. كذلك وقعت كتلة دول أوربا الشرقية ومجموعة الدول الأمريكية اتفاقيات مشابهة خلال الأعوام ١٩٧٠م و ١٩٨٦م .

لقد أدت هذه الاتفاقيات والنداءات المتصلة ، في حدود ضيقة ومحدودة ، إلى إعادة بعض

(١) اليونسكو ، ١٩٧٨م ، ص ٥ .
(٢) اليونكسو ، ١٩٩١م ، التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي ، تونس .
(٣) اليونسكو ، ١٩٧٤م ، سجلات المؤتمر العام .
(٤) حمدان ، مسألة الحماية ، ١٩٨٨م ، ص ٣٢ .

الممتلكات إلى بلدانها ، فعلى سبيل المثال: أعادت المملكة المتحدة آثاراً إلى كينيا ، وأعادت هولندا آثاراً إلى إندونيسيا ، وأستراليا إلى نيوزيلندا ، والولايات المتحدة إلى العراق ، وإيطاليا إلى الإكوادور ، والدانمارك إلى الكويت ، كما تمكنت سلطات الإمارات المتحدة من كشف عملية تهريب لآثار يمنية ، وأعادت الأردن آثاراً عراقية كانت في طريقها إلى أوربا.

غير أنه لابد لنا من وقفة عند الأسباب التي أعاقت تنفيذ تلك التوصيات والقرارات ، والتي يمكن تلخيص أهمها في ما يلي :

١- لا تزال الفواصل القانونية واهية بين الممتلكات التي خرجت بطريق مشروع وتلك التي تسربت بطريق غير مشروع .

٢- لا تملك الدول صاحبة الحق سجلات دقيقة لممتلكاتها الثقافية المتسربة للخارج . ولا علم لها ، في الكثير من الحالات ، عن تلك الممتلكات أو أماكن وجودها ، لكي يتم التبليغ عنها.

٣- الدول التي توجد تلك الممتلكات على أراضيها لا تتحكم بشكل مباشر في الجهات التي تحتفظ بتلك الممتلكات ، إذ يوجد بعضها لدى أفراد أو في متاحف خاصة أو جامعات خاصة أو غير ذلك ، مما لا يحق للدولة نزع الملكية عنها.

٤- لم توقع الكثير من الدول على تلك الاتفاقيات . وبالتالى تصبح تلك الاتفاقيات غير ملزمة لها.

كيف تسربت آثار المملكة إلى الخارج ؟ :

هل هناك آثار تخص المملكة العربية السعودية بالخارج ؟

أجل . ولكننا لا ندري تحديداً كيف تسربت تلك الآثار إلى الخارج ، كما لانعلم يقيناً الكم الذي تسرب . فوثائق الوكالة العامة للآثار والمتاحف لاتشير إلى إعطاء تراخيص لإخراج آثار من المملكة ، لا في الماضي ولا في الوقت الحالي ، لأي جهة كانت وربما أنها قد تسربت ، في غالبها على الأقل ، عبر طرق :

أ - الرحـــالة :

زار المملكة خـلال قـرن ونصـف من الزمـان الماضي ، نحـواً من ١٥رحـالاً من المهـتـمين بالآثار(١) ، ربما استغل بعضهم الظروف السائدة وقتها وانشغال المسؤولين بأمور أخرى ، فخرجوا ببعض الآثار ، ورغم ورود بعض الإشارات إلا أنه ينقصنا في الكثير من الحالات التوثيق والدليل المباشر على أماكن تواجدها. على أن هنالك حالات لا لبس فيها. فالرحالة يوليـوس أويتنج الذى زار المملكة خـلال الأعـوام ١٨٨٣ - ١٨٨٤م ضـمن مناطق أخـرى من الشرق الأدنى ، ذكر في مذكراته المنشورة محاولاته المتصلة والناجحة في قطع الحجارة التي تحوي نقوشاً نبطية ولحيانية وشراء الكثير منها من المواطنين وترحيلها إلى ألمانيا . يقول مثلاً " . . . وفي المساء أحضر إلى في المنزل ذلك المذبح الصغير الذي يعلوه نقش لحياني والذى حاولت اقتناءه يوم أمس . نعم لقد كنت راضياً تمام الرضا على اقتنائي إياه ، كيف لا وقد أصبح خلال فترة طويلة بمثابة الدرة بين كافة مجموعاتي . إنه الآن موجود في مكتبة جامعة شتراسبرج (٢) ، ويقول في مكان آخر " . . . وصل اليوم مجموع ما حصلت عليه من نقوش في بلدة العلا إلى خمسين نقشاً . . . " (٣). والمذكرات حافلة بمثل هذه الأمثلة (٤).

ب - موظفو الشركات الأجنبية :

درج بعض هؤلاء على جمع بعض الملتقطات السطحية ، وربما غيرها ، من المواقع التي صادفتهم في أثناء إجراء المسوحات الجيولوجية والاحتفاظ بها ضمن مجموعاتهم الخاصة في بلدانهم . وكمثال لهذا تورد صحيفة " الرياض" خبراً يقول " في منطقة قروية وسط الولايات المتحدة . . . يقع متحف ومكتبة نانس المتخصص في كل ما يتعلق بتراث وحاضر المملكة العربية السعودية . . . أسس المتحف باول نانس الذي عمل إدارياً في شركة أرامكو بالمنطقة الشرقية منذ الخمسينات الميلادية وحتي تقاعده عام ١٩٨٣ م . . . تبرع (بمقتنيات المتحف) أكثر من ٧٠ شخصاً أغلبهم من الأمريكيين الذي عملوا في المملكة خلال الفترة الماضية واهتموا بجمع القطع التراثية (٥) .

---

(١) Winnett, F . and Reed, W, Ancient Records From North Arabia, of Toronto, 1970, PP viix.

(٢) أويتنج ، يوليوس ، ١٤١٩هـ ، (ترجمة السعيد ، سعيد) رحلة داخل الجزيرة العربية ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ص ٢١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٤ . (٤) المرجع السابق ، ص ص ١٨٧ - ٢٢٤

(٥) صحيفة الرياض ، العدد ١١٣٤٣ ، ١٥ / ٧ / ١٩٩٩م ، جوليوس أوتينج .

ج - الدبلوماسيون :

اعتاد بعض الدبلوماسيين ، في الماضي ، من هواة جمع الآثار والتحف الفنية والتراثية في بعض البلدان على شراء بعض تلك الممتلكات وتهريبها إلى بلدانهم (١) . ولن يكون مستبعداً أن يحدث ذلك بالنسبة لممتلكات ثقافية من المملكة .

د - التجارة :

على الرغم من أن نظام الآثار السعودي ينظم تجارة الآثار ، إلا أن المملكة لم تعرف شيوع تجارة الآثار والتحف الفنية . غير أن بعض الممتلكات الثقافية ربما تسربت من بعض الدول المجاورة (٢).

الآثار السعودية في الخارج :

تبقى المملكة العربية السعودية إحدى أقل الدول تضرراً فيما يتعلق بتسرب آثارها إلى الخارج . غير أنها كشأن غيرها من مختلف بلاد العالم لابد وأن تكون بعض آثارها قد وجدت طريقها إلى الخارج عبر واحدة أو أكثر من الطرق السابق ذكرها . نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

١- مسلة تيماء التي نزعت من موقع تيماء وتوجد الآن في متحف اللوفر في فرنسا .

٢- نقوش نبطية ولحيانية موزعة على بعض المتاحف في ألمانيا .

٣- نقوش بخط المسند ، وهي مجموعة ألواح حجرية عليها كتابات عربية قديمة بخط المسند موزعة في عدد من المتاحف الأوربية .

٤- آثار من المنطقة الشرقية في بعض المتاحف الأمريكية .

٥- آثار من نجران في المتحف البريطاني .

٦- مجموعات اسلامية كان قد أخذها العثمانيون من الحجاز ، مجهولة المكان .

٧- أدوات حجرية مجهولة المصدر بالمتحف الجامعي بمدينة كيمبردج ببريطانيا - وهناك

---

(١) محمد على ، عباس ، ١٩٨٧م " علم الآثار : المولد والنشأة " ، المنهل ، العدد ٤٥٤ ، ص ص ١٢ - ٢١ .

(٢) نظام الآثار السعودي ، ١٣٩٩هـ ، الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٢٦/م بتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ مطابع الحكومة ، الرياض .

عدة أسباب – منها ما هو تاريخي وجغرافي وأمني وخلافه ، ساعدت من حسن الطالع إلى تشكيل هذا الوضع :

١- بقيت المملكة خارج نطاق السيطرة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر حين قادت الهيمنة الاستعمارية وفلسفة تبرير الاحتلال – ضمن عوامل أخرى ، إلى بلورة النشاطات الآثارية ، ونقل بعض آثار إلى الخارج .

٢- قلة المواقع مثار اهتمام علم الآثار التوراتي ، مما وضع المملكة على هامش اهتمام باحثي الآثار التوراتية .

٣- رسم صورة آثارية مفادها أن المملكة تقع خارج إطار الحضارات العليا وأن بيئاتها الصحراوية حالت دون قيام حضارات عريقة فيها ، مما يعني لدى جامعي التحف ضعف احتمال العثور على آثار ذات قيمة فنية أو تاريخية.

٤- الحماية الطبيعية في الجزء الغالب من حدود المملكة ومحدودية المنافذ إضافة إلى نظامها الأمني الصارم .

٥- البيئة الصحراوية السائدة حالياً في بعض أجزاء المملكة حالت دون اقتحام الرحالة والمستكشفين لها بالشكل الذي شهدته مناطق أخرى .

٦- النسيج الاجتماعي القبلي والحس المحلي والارتباط الجهوي (وليس الوعي الأثري) لدى المواطن حال دون المساهمة في ظاهرة التهريب .

هذه العوامل مجتمعة ومتفرقة ساعدت في عدم تفشي ظاهرة تسرب آثار المملكة بالشكل الذي حدثت به في بلدان أخرى . غير أنه تجدر الملاحظة أن هذه العوامل التي لعبت دورها الإيجابي في الماضي آخذ بعضها في التحول . نذكر مثلا :

١- تشهد جريمة تهريب الآثار تطوراً مذهلا للحد الذي أصبح فيه حجم تجارة الآثار والتحف الفنية ، كتجارة غير مشروعة ، يحتل المرتبة الثانية بعد تجارة المخدرات . وارتفع الإغراء المادي لتداول الآثار . وهذا أمر يصعب أن تنجو منه دولة .

٢- لاشك أن الأعمال الآثارية من مسح وتنقيب آخذة في الزيادة . وسواء قامت بتلك الأعمال

بعثات محلية أو أجنبية فإن كما هائلا من المادة الأثرية المخفية في المواقع سيخرج إلى السطح .

٣- الدور الحضاري والتاريخي للمملكة ومساهماتها أخذ في التبلور ، الأمر الذي سيزيل الصورة السابقة عن كونها منطقة ركود واستقبال حضاري أكثر منها منطقة مساهمة وإبداع .

٤- لم تعد الصحراء والتضاريس مانعاً أمام الوصول إلى أي منطقة في المملكة في ظل شبكة الطرق الحالية وتطور وسائل النقل والمواصلات .

٥- بروز ظاهرة تحول المجتمع القبلي إلى مجتمع مدني . ومع ارتفاع الحس الوطني يضعف الارتباط الجهوي القبلي .

هذه العوامل تستدعي عدم الركون إلى الوضع المطمئن السابق ، وبالتالي ضرورة التركيز على جوانب الحماية جميعها محلياً وإقليمياً ودولياً (١) .

يبقى أمامنا سؤال جوهري : ماذا عن تلك الآثار ، على قلتها ، التي تخص المملكة ، التي وجدت طريقها للخارج ؟ وماذا إن كشفت التحريات مستقبلا عن آثار أخرى تسربت إلى بلدان أخرى ؟

هنا نجد أنفسنا جزءاً من قضية كبرى ، لا تخص المملكة وحدها ، هي محل جدل طويل ومعقد ، يحكمها تياران :

أ) تيار ينادي بضرورة عودة الآثار إلى بلدانها الأصلية .

ب) تيار ينادي ببقاء تلك الآثار في أماكنها الحالية .

ونقف هنا بإيجاز عند وجهتي النظر :

أ - تيـار العـودة:

هذا التيار ، وهو الأقوى بين أصحاب تلك الممتلكات ، يرى من الأسباب ما يبرر الدعوة لإعادة الممتلكات الثقافية إلى أوطانها ، ويبرز من تلك الأسباب :

(١) الربيعان ، أحمد على ، ١٤١٨هـ ، « حماية الآثار في المملكة العربية السعودية » ، رسالة ماجستير قدمت لقسم الآثار بجامعة الملك سعود .

١- إن تلك الممتلكات هي جزء من ممتلكات شعوب ، سلبها الاستعمار فيما سلب من خيرات وثروات ، من بلدان مغلوبة ودون وجه حق . أو أنها أخذت بطرق أخرى ، أيّاً كانت . وبالتالي ، ودون الدخول في أي تفاصيل ، تصبح عودتها إلى أوطانها أمراً لا يحتاج إلى مبرر .

٢- إن هذه الممتلكات هي نتاج تكيف مجتمع ما في مكان محدد وزمان معين ، أي أنها نتيجة تفاعل جماعة بشرية مع بيئة ما ، وهي بالتالي ملك لذلك الظرف المكاني- الزماني وليس لأي ظرف آخر .

٣- إن الهوية الثقافية للشعوب والبحث عن الذات ، أمور ترتكز على التراث الثقافي الذي يحوى كل ما خلفه تاريخ تلك الشعوب من آثار نتيجة تكيفها وتأقلمها على أرضها . وبالتالي فإن ذلك التراث بشقيه المادي والمعنوي ، جزء لا ينفصل عن حاضر الشعوب ومستقبلها .

٤- يتميز الجنس البشري دون غيره من كائنات بتوارث تجاربه والاستفادة من تجارب الأجيال السابقة بتطوير منجزاتهم وتجنب عثراتهم . والآثار بحكم كونها تعكس تلك التجارب والخبرات فهي بمثابة المرجعية لمجابهة تحديات الحاضر والمستقبل . والضرورة تحتم بقاءها في أوطانها .

٥- إن نقل تلك الآثار ووضعها في بيئات بعيدة عن بيئاتها وخارج إطارها الطبيعي ، حيث تبقى في ظروف مغايرة لطبيعتها ؛ يعجل بتلفها .

ب - تيار البقاء :

يجد هذا التيار تأييد ودعم الجهات المالكة لتلك الممتلكات . وهي بدورها ترى بعض المبررات التي تدعم بقاء الآثار في أماكنها الحالية بعيداً عن بلدانها ، نذكر من تلك المبررات :

١- إن الآثار ليس لها وطن . فالتجربة الإنسانية واحدة ، والتراث الثقافي في أي بلد هو جزء من التراث العالمي. والإنجازات الحضارية للإنسان من الماضي يجب ألا تخضع للحدود السياسية الحديثة . وليس أدل على ذلك من مساهمة كل دول العالم في إنقاذ الآثار أيّاً كان موقعها. وإلا لما تكفل دافع الضرائب الأمريكي أو الأوروبي ، عبر اليونسكو ، بإنقاذ

آثار وتمويل البعثات الأثرية وصيانة المواقع في الشرق الأدنى وأفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية .

٢- أن الآثار المطلوب استعادتها قد نقلت ضمن حق مكتسب للاستعمار في الأراضي التي احتلها أو للجهات التي تمتلكها ، أو انقضى وقت المطالبة بها بفعل التقادم .

٣- أن الظروف البيئية والأمنية السائدة اليوم في معظم البلدان النامية تهدد الآثار ولا تشجع على إعادتها ، مما يحتم نقلها إلى ظروف أفضل . والآثار اليوم في المتاحف الأوربية أحسن حالاً مقارنة بمثيلاتها في بلدانها الأصلية .

٤- إن الآثار في بلدانها الأصلية تبقى بعيدة عن الزوار والباحثين وبالتالي تصعب مشاهدتها أو دراستها وتتعذر معرفة حضارات تلك البلدان ومنجزات شعوبها ، والآثار في البلد الواحد كثيراً ما تنقل من مواقعها الحقيقية إلى حواضر ذلك البلد .

٥- تأتي عوامل "لوجستية" أخرى ، كغياب الوسائل العلمية والتقنيات اللازمة للمحافظة على الآثار في بلدانها الأصلية ، إلى جانب ضعف الرقابة وضعف الكوادر وغياب الوعي ، كعوامل مساعدة على إتلاف الآثار وضياعها .

إمكانية الإستعادة :

إزاء هذه المواقف المتناقضة لابد من أن ننظر إلى الأمر ، على الأقل ، بشيء من الواقعية وشيء من الإنصاف . هذا بالطبع إذا تجاوزنا الرأي القائل بعالمية الآثار ووقفنا عند الرأي القائل بجدوى عودتها .

عند الحديث عن استعادة الممتلكات الثقافية تواجهنا مشكلة التمييز بين الخروج المشروع وغير المشروع للممتلكات الثقافية ، بمعنى أنه لابد لنا أولاً أن نميز بين تلك الممتلكات التي خرجت بطرق مشروعة وتلك التي خرجت بطرق غير مشروعة ، إذ لكل منهما طريقة في المعالجة .

في رأينا ، دون الدخول في أي جوانب قانونية ، إن الممتلكات التي خرجت بطرق مشروعة هي :

١- القطع الأثرية التي نتجت عن حفريات آثارية علمية تمت بموافقة الجهات الرسمية في البلد المعني وسمحت تلك الجهات بخروجها إما مناصفةً أو بغرض الدراسة أو خلافه .

٢- المعثورات الأثرية التي وهبتها جهات رسمية معترف بها (كرؤساء الدول) في البلد المعني إلى جهات أخرى من قبل الإهداء .

٣- المعثورات الأثرية التي تجاوزت فترة التقادم التي حددتها اليونسكو .

٤- المعثورات الأثرية التي تم التصرف فيها بالبيع أو الحيازة في الفترة التي سبقت وضع نظم وقوانين إدارات الآثار في البلد المعني .

وماعدا ذلك يدخل في حكم الطرق غير المشروعة وبالتالي :

١- في حالة الآثار التي خرجت بطرق مشروعة فإن الحق القانوني قد يسقط في حالة المطالبة بها . وعليه يمكن إبرام اتفاقيات ثنائية بين الجهات التي تحتفظ بها بالتراضي ، خاصة حين يتعلق الأمر بالقطع النادرة أو تلك التي تشكل جزءاً من قطعة واحدة أو ضم قطعة إلى مجموعة ، ونحو ذلك . ويمكن أن يتم ذلك بالشراء أو السماح للجهة المالكة بصنع نسخ جصية أو خلافه .

٢- في حالة الآثار التى خرجت بطرق غير مشروعة فهذه تجب استعادتها وذلك بالتعاون مع المنظمات الإقليمية والدولية والتنسيق بين الأجهزة الحكومية المعنية في كل بلد ، رغم ما يجابه ذلك من عوائق وصعوبات .

٣- لعله من حسن الطالع أن ما تسرب من آثار المملكة إلى الخارج ، أو المعروف منها على الأقل ، لا يشكل مشكلة كبرى ، لكنه يعتبر مؤشراً لما يمكن أن يؤول إليه الحال . وعليه لابد أن تؤخذ في الاعتبار كل جوانب الحماية التي تتناولها هذه الندوة .

التوصـيات

طالما بقيت قضية تهريب الآثار وإمكانية استعادتها تتداخل فيها عوامل محلية ، وإقليمية ، ودولية ، فإن أي توصيات لابد وأن تأخذ في الاعتبار تلك العوامل مجتمعة :

أ - محليـاً :

١- مراجعة نظام الآثار وسد كل الثغرات القانونية التي يمكن أن ينفذ من خلالها المهربون ، مثل الفقرات التي تسمح بالتجارة في الآثار ومن ثم تشديد العقوبات .

٢- تفعيل المسح الآثاري وكشف المواقع غير المعروفة واختبارها وتسوير وحراسة ما يستدعي التسوير والحراسة منها ، للحد من ظاهرة نبش المواقع البعيدة عن الرقابة .

٣- إمداد المتاحف الإقليمية بأجهزة الحماية والإنذار اللازمة وجرد مستودعاتها .

٤- إنشاء جهاز أمني قادر على منع السرقة والتهريب من المواقع والمتاحف أو عبر الموانئ الجوية والبرية والبحرية .

٥- تنمية الوعي الجماهيري فيما يتعلق بهذه القضية .

٦- تشجيع جمعيات الآثار والتاريخ والتراث للقيام بدورها حيال هذه القضية .

٧- مراجعة كل المؤلفات التي تناولت آثار المملكة لتحديد أماكن القطع الأثرية والتراثية التى شكلت مادة تلك المؤلفات .

ب - إقليمـياً :

١- العمل على تفعيل الاتفاقيات الثقافية والأمنية للحد من ظاهرة تهريب الآثار .

٢- إنشاء قاعدة معلومات إقليمية خاصة بالممتلكات الثقافية وتبادل تلك المعلومات .

٣- التنسيق بين وكالات الآثار والجهات ذات الصلة على المستوى الإقليمي .

ج - دوليـاً :

١- تفعيل دور المنظمات الدولية بالتوقيع على كافة الاتفاقيات والتوصيات الخاصة بالقضية

مثار البحث ، والمساهمة الفعلية في سير تلك المنظمات وتوجيهاتها .

٢- التعاون مع الشرطة الدولية (الانتربول) عبر مكتبها الإقليمي فيما يتعلق بعمليات التهريب .

٣- مناشدة المجلس الدولي للمتاحف (ICOM) والمجلس العالمي للمعالم والمتاحف (ICOMOS) بإمداد المملكة بالمعلومات التي تخص آثارها في حوزة تلك المتاحف .

سرقة الآثار وتهريبها

د. طه بن عبدالرحمن الفراء (*)

مقدمة :

كان سطح الأرض قبل أن تطأه أقدام كل من آدم وزوجه حواء - عليهما السلام - خلواً من كل ظاهرة بشرية . وبعد أن هبط الزوجان إلى الأرض بدأت آثارهما في الظهور وأخذت تتطور يوماً بعد يوم كمّاً ونوعاً إلى أن بلغت شأناً عظيماً من الإتقان والإبداع في أيامنا الحاضرة . ومن الواضح أن بني البشر يعتزون ويفخرون كثيراً بكل منجز أو ابتكار حديث تتمخض عنه عقول علمائهم وحكمائهم وتصنعه أيديهم ، ولكننا نجدهم في الوقت نفسه يعتزون ويفاخرون بما صنعت أيدي آبائهم وأجدادهم الأولين وإضافاتهم العلمية والعملية إلى رحاب العلوم وركب الحضارة وسجلات التاريخ التي لم تترك شاردة ولا واردة إلاّ واختزنتها في بطونها .

وتعد الأشياء التي صنعتها أيدي الأقدمين فرادى ومجتمعين ، عبر العصور ، بمثابة آثار لهم تعكس مدى ما أسهموا به من تقدم ورقي أثري وحضاري وعلمي في قائمة مقدرات البشرية ومبتكراتها . تلك المصنوعات صغيرها ، والذي قد يتمثل في سكين صغير صنع من شظية صوان ، أو كبيرها الذي جاء على هيئة هرم أو مسلة أو مبنى ، نحت في صخر أو بني من لبن أو جلاميد ، أو نقوش ، حفرت على حافات صخرية أو سفوح جبلية ، وحدائق معلقة ، كلها تعد آثاراً للأمم التي جاءت بها إلى حيز الوجود في الماضي.

ونظرًا لأن الآثار ، في كل زمان ومكان ، شأنها شأن الأشياء الأخرى موزعة توزيعاً جغرافياً عشوائياً على سطح الأرض فإن من حق المرء أن يتساءل :

- ترى هل كل ما خلفت تلك الأمم من آثار لا تزال ماثلة حتى يومنا هذا ، أم أن عوادي الطبيعة والدهر قد عاثت بها فساداً ؟.

(*) المرشد الأكاديمي وعضو هيئة التدريس - أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .

- ترى هل كانت أيادي البشر في الماضي ولا تزال في الحاضر هي الحانية على ما خلفه لهم آباؤهم وأجدادهم الأولون من آثار ، تقديرًا لأهميتها كسجلات تاريخ للأولين ونبراس علم ومادة علمية للدارسين لها بقصد الاستفادة منها أو محاكاتها أنّى شاؤوا أو قدروا .
- أم أن تلك الأيادي عبثت بها ونقلتها من أماكنها بل وتقاذفتها جهلاً بأهميتها أو طمعًا في كسب مادي أو معنوي من ورائها ؟.
- ثم ماذا عن التلف والعطب والخراب الذي تتعرض له الآثار الموجودة في العراء نتيجة لقساوة عناصر الطقس والمناخ عليها أو حتى تلك المدفونة تحت الثرى ؟ وماذا يحدث للآثار من جراء العوامل الجغرافية الباطنية والخارجية التي تصيب سطح الأرض مثل الزلازل والبراكين والفيضانات والسيول والنحت والتعرية والإرساب ؟.

هذه المسائل وغيرها من المسائل الأخرى سوف يتناولها هذا البحث بالدراسة والتحليل بصورة عامة ، مع التركيز على مناقشة الأضرار التي تلحق بالآثار نتيجة لتعرضها للسرقة والتهريب والتداول بصورة غير مشروعة والنتائج السلبية التي تنعكس على الدول التي تقع تلك الآثار في أنطقة سيادتها .

الإجراءات المنهجية :

من أجل أن يأخذ هذا البحث الصبغة الموضوعية فقد وضعت له إجراءات منهجية بذل الباحث قصارى جهده للالتزام بها والسير في بحثه قدمًا على ضوئها والاستفادة منها ، أملاً في إثراء البحث بالمعلومات والحقائق اللازمة وإبراز النقاط التي سيتم التركيز على معالجتها خلال مسيرة البحث.

وأهم هذه الإجراءات ما يلي :

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأغراض التالية :

١ - استقصاء العوامل الجغرافية ، الطبيعية منها والبشرية ، التي تهدد سلامة الآثار وتعرقل أسباب المحافظة عليها.

٢ - التعرف على الظروف الجغرافية التي يستغلها لصوص الآثار ومهربوها عند قيامهم

بممارسة أعمال السرقة والتهريب .

٣ - محاولة التعرف على الدوافع الكامنة خلف قيام بعض الأفراد والعصابات بسرقة الآثار وتهريبها .

٤ - العمل على إبراز بعض النتائج السلبية التي تُمنى بها الأوطان والدول نتيجة لسرقة آثارها وتهريبها .

٥ - تقديم بعض الاقتراحات التي يمكن أن تحد من عمليات سرقة الآثار وتهريبها .

تساؤلات البحث :

من أجل تحقيق أهداف هذا البحث فقد تمت صياغة التساؤلات التالية :

- ما هي العوامل الجغرافية التي تسهم في طمس الملامح والمعالم الأثرية أو اندثارها وفقدانها ؟.
- ما هي الظروف الجغرافية التي يستغلها لصوص الآثار ومهربوها عندما يمارسون عمليات السرقة والتهريب ؟.
- لماذا يلجأ لصوص الآثار ومهربوها إلى ممارسة أعمالهم التي لا تقرها القوانين والأعراف ؟.
- ما هي الأضرار التي تحيق بالحكومات والشعوب نتيجة لأعمال السطو والتهريب لآثارها الموجودة في نطاق أقاليمهما السياسية ؟.
- كيف يمكن أن تحد الجهات المعنية والغيورين على الآثار وكل مواطن صالح آخر ، في كل دولة ، من عمليات السطو والتهريب التي تتعرض لها آثار آبائهم وأجدادهم ، وذلك على مستوى الدولة والوطن والإقليم والعالم أجمع ؟.

منهج البحث :

حرصاً من الباحث على الوصول إلى إجابات موضوعية للتساؤلات السالفة الذكر ، فإنه قد تم إجراء هذه الدراسة تبعاً للمنهج الموضوعي التحليلي للمعلومات التي حصل عليها الباحث من مادة علمية مكتوبة أمكن الحصول عليها ، وحصاد مقابلات مع عدد من علماء الآثار والتربية واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والمختصين والمهتمين بها .

مجال البحث :

تعني "السرقة" لغة : أخذ الشيء خفية . أما "التهريب" فهو عبارة عن نقل بضاعة أو سلعة ممنوعة من بلد إلى آخر بصور غير شرعية عبر المعابر الأرضية أو المطارات والموانئ أو عبر مناطق حدودية في غفلة من حراستها . ويعني تعبير "الآثار" ومفرده "أثر" بقية الشيء أو ما بقي من رسمه . على ذلك فإن هذا البحث يصبح محصوراً في مجال سرقة الآثار وتهريبها والآثار السلبية التي تنعكس على الأمم والشعوب التي تفقد آثارها .

وبناء على ذلك فإن مجال هذا البحث والذي عنوانه "سرقة الآثار وتهريبها" يعنى : الآثار السلبية والأضرار التي تمنى بها الأمم نتيجة لسطو عفوي أو متعمد من قبل آخرين على ما تركه الأولون من قطع أثرية ورسوم ونقوش وغيرها ونقلها بطرق غير شرعية عبر الحدود الدولية إلى الخارج دون موافقة أو علم الدولة المعنية .

أصناف الآثار :

انطلاقاً من الحقيقة التي مفادها بأن هذا البحث يقع في مجال سرقة الآثار وتهريبها فإنه لا بد من تصنيف الآثار بالنسبة إلى سهولة تحريكها ومن ثم نقلها من مكان لآخر . وبناء على ذلك فإنه يمكن تصنيف الآثار إلى ما يلي :

الآثار المنقولة:

الآثار المنقولة هي : "... أنواع من الآثار التي يمكن نقلها بسهولة ويسر أو بشيء من العناء ، وهي كثيرة جداً مثل المسكوكات التي عرفت أهميتها التاريخية منذ القدم وهي عبارة عن عملات أو ميداليات ، والذهب المشغول من خواتم وخلاخيل وحلقان ، والشواهد التأسيسية والقبورية والتماثيل الصغيرة والكؤوس الزجاجية..." (الأنصاري : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ويشمل هذا النوع من الآثار الأشياء القديمة التي صنعها الإنسان بنفسه من أجل الاستفادة منها في قضاء حاجاته اليومية أو للزينة أو للتعبير عن مشاعره أو تجسيده لإنسان أو حيوان أو غير ذلك . ومن أمثلة ذلك أواني وأدوات الطعام والشراب والملابس والمسكوكات والأسلحة والملابس والغروب والرشاء ... وقد يشمل هذا النوع الآثار العقارية إذا تم نقلها من

موقع اكتشافها إلى موقع آخر... كما هو الحال بالنسبة إلى معبد "أبي سمبل" الذي نقل من موقعه الأصلي إلى مكان آخر أعلى منسوباً كنتورياً من سابقه حتى لا تغمره مياه بحيرة ناصر التي جاءت إلى حيز الوجود بعد إنشاء السد العالي على نهر النيل إلى الجنوب من مدينة أسوان بجمهورية مصر العربية في ستينيات القرن العشرين (أمين ، ١٤١٢هـ ، ١٣٩).

الآثار الثابتة :

يشمل هذا الصنف من الآثار كل الآثار التي يصعب على المرء نقلها من مكان لآخر بصورة جزئية أو كلية دون شطرها . ومن ضمن هذه الآثار المنشئات المعمارية الضخمة مثل مدائن صالح بالملكة العربية السعودية وأهرامات مصر والملاعب والجسور والطرق المهدة أو المرصوفة والأهرامات والحصون والأسوار والقلاع "... وبقايا المدن والقرى والمباني الدينية والمدنية والحربية والمقابر ... والسدود والآبار والبرك ... والقنوات والمحاجر..." (الراشد : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ٧) . وتوجد بالمملكة آثار من هذا الطراز كثيرة ومن أمثلتها الكتابات والرسومات المنحوتة في الصخور في كل من ياطب وجانّين في منطقة حائل .

الآثار الثقافية:

ويقصد بالآثار الثقافية الكتابات والنقوش والصور التي دونها الإنسان أو خطها "... على الواجهات الصخرية والأحجار والأدوات وعلى الأواني بأشكالها وأنواعها ووظائفها المختلفة وما يتبعها من أدوات الكتابة أو الحفر" (الراشد: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، ٨) .

أهمية الآثار :

في العادة لا يعرف المرء أهمية الشيء بالنسبة له إلا إذا عرف قيمته المادية أو المعنوية ، ومدى إسهامه في تحقيق أمنه وسلامته وتقدمه ورغد عيشه ، أو أن له أدنى مساس بحياته اليومية . لذلك فإننا نرى جل الناس ، إن لم يكونوا كلهم ، يحاولون الحصول على كل ما له قيمة مادية أو معنوية من أجل الاستفادة منه خلال سني حياتهم . وفي الوقت نفسه نجد أناساً يستحوذون على أشياء قد لا تعود عليهم بالنفع أو الفائدة من الناحيتين المادية أو المعنوية ولكنهم يقتنونها من أجل الزينة أو إشباع غريزة حب التملك أو لهوى في نفوسهم قد يفصحون عنه أو لا يفصحون .

ويرى كثيرون أن من يأخذ أية قطعة أثرية بقصد الاقتناء فإنه يمثل خدمة للآثار وحماية لها من الضياع وهو بذلك لا يوضع في قائمة لصوص الآثار ومهربيها (غنيم : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) . في الحقيقة إن ما يراه هؤلاء قد يكون صحيحاً ، حيث لا يمكن وضع محب اقتناء الآثار عن طريق التقاطها من مواقعها أو شرائها في هذا الوصف ، ولكنه من الأفضل أن يتبرع بها إلى متاحف مقابل أن يذكر اسمه إلى جانبها بأنها هدية منه . وفي حالة أنه يرى أن لا بد من الاحتفاظ بها فإن عليه أن يوثقها بحيث لا يأتي فيما بعد من لا يعرف موطنها فيضيع سحرها . ومما يذكر أن بعض العاملين في شركات الزيت والمشاريع العمرانية الأخرى الذين زاروا المملكة في أوقات مبكرة وجل أراضيها بكر ، لم تطأها أقدام غرباء من قبل ، وآثارها متناثرة هنا وهناك ، قد حملوا من تلك الآثار ما استطاعوا. بعض هؤلاء كانوا على قدر عال من الأمانة فحافظوا عليها أو أوصلوها إلى حيث تحفظ في متاحف أو غيرها في حين أن البعض الآخر لم يسلك هذا المسلك فضاعت الآثار وفقدت هويتها ولم يعد بالإمكان للباحثين أو غيرهم الحصول عليها ، وحتى في حالة تمكنهم من ذلك لم يستطيعوا الربط بينها وبين أماكن مستقرها السابق . والجدير بالذكر أن سيدة أمريكية واسمها Mrs . Rhea كانت في أرامكو بالمنطقة الشرقية تمكنت من جمع بعض الآثار من قريناتها ومن هنا وهناك وقدمت بعضها إلى وكالة الآثار والمتاحف حيث سجلت باسمها. ولكن جزءاً كبيراً من هذه الآثار مجهولة الهوية من حيث الرقعة الجغرافية التي وجدت فيها (غبان : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ومن الأشياء التي تجلب النظر أن طلاب الآثار والباحثين عنها والطامعين في حيازتها كثيرون . بعضهم يبحث عن القطع الأثرية أو ينقب ويحفر ويكتشف مواقع أثرية من أجل المحافظة عليها في أماكنها أو بنقلها إلى متاحف حيث تلقى كل رعاية ويستفاد منها في دراسة التاريخ واستنباط أخبار الأمم الدارسة وأعمالها ونشاطاتها . وعلى النقيض من هؤلاء يوجد أناس يغشون مواقع الآثار ويسطون على كل قطعة أثرية تصل إليها أيديهم بطرق غير مشروعة ويهربونها إلى الخارج طمعاً في الحصول على المال وهنا يكمن الخطر .

وهناك خطر آخر يهدد الآثار نفسها نتيجة للتنقيب العشوائي الذي لا يستند إلى طرق

علمية من قبل لصوص الآثار أنفسهم . ويرجع السبب في ذلك أن عملاً قبل هذا قد يدمر الأثر نفسه ، وأن الاكتشاف لا يسجل بعد العثور على الأثر مباشرة ثم يتبع بالتصنيف والتحليل والتفسير (U. S. National Park , 1998 - 1999) .

ويمكن تصنيف أهمية الآثار بالنسبة إلى أصحابها إلى :

- الأهمية المادية :

الآثار عبارة عن سلع كغيرها من السلع تشترى وتباع . بعض القطع الأثرية نادرة ولا تقدر بثمن في حين أنه توجد قطع أثرية من الكثرة بمكان بحيث تكون أثمانها عادية أو دون ذلك . ولكن على الرغم من ذلك فإن الآثار بوجه عام تعد بمثابة ثروة وطنية يمكن أن تدر ريعاً على أصحابها إذا ما أحسن استغلالها وخاصة في المجالات السياحية . ويقبع خلف سرقة الآثار سببان ؛ هما كثرة الطلب عليها في الأسواق وحنين الإنسان إلى ؟ أو نشاط اقتصادي مارسه في حياته والذي يتمثل في الجمع والالتقاط (Corpus Christi: Caller Times Interactive, 98) .

بالنسبة إلى لصوص الآثار فإن حرصهم على الحصول على الآثار عن طريق السرقة وقيامهم بتهريبها إلى الخارج على الرغم من المخاطرة التي تحف بهم وهم يعرفون ذلك جيداً . ولكنهم في الوقت نفسه يخوضون غمار المخاطر طمعاً في الحصول على المادة . إن ما يقترف بحق الآثار من قبل هؤلاء اللصوص من سرقة وتهريب يعد ضرباً من ضروب الاستهتار والإهدار لثروة وطنية لو بقيت في الدول التي وجدت في رحابها لأدرّت على تلك الدول الكثير من الأموال على مر السنين . وضياع هذه الآثار لا يحرم الأجيال الحالية من تلك الثروات فحسب ، ولكنه كذلك يحرم الأجيال اللاحقة من الفوائد المادية التي تفقدها إلى الأبد . ولكن على الرغم من ذلك فإنه يوجد في كل بلد أناس شرفاء ومواطنون صالحون وعلماء أجلاء ومثقفون وغيرهم يهمهم أمر الآثار ويدركون أهميتها ونجدهم في غاية من الحماس والغيرة على آثار بلادهم ، ولا يترددون في مطالبة المسؤولين بإلحاح ، إذا لزم الأمر ، بإصدار القوانين الصارمة الخاصة بحماية الآثار والضرب بأيد من حديد على أيدي كل من تسول لهم أنفسهم بالسطو على الآثار في بلادهم على أساس أنها "... من الأموال العامة ولا يجوز تملكها أو

حيازتها أو التصرف فيها إلا في الأحوال التي حددتها التشريعات الصادرة في هذا الشأن" (أمين: ١٤١٢هـ ، ١٣٨) .

ومما يبرز أهمية الآثار أنها تساعد في تحديد تسلسل الحضارات ، على الرغم من أن هذه الطريق يشوبها شيء من القصور وتنقصها الدقة البالغة نظراً لأن بعض الأماكن الأثرية تختلط فيها القطع الأثرية بصورة تجعل أمر التخصيص صعباً. أضف إلى ذلك مساورة الباحثين الشك ، إذا ما عرفوا أن عوامل جغرافية متعددة مثل السيول والرياح وما ينجم عنها من أعمال نحت وحمل وإرساب ؛ تجعل من الصعوبة بمكان الجزم بصحة انتماء كل ما يوجد في الموقع الأثري من آثار إليه . (بدين وكباوي : ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ١٣) .

الأهمية المعنوية :

كثيراً ما تغلي الدماء في عروق الغيورين على مصالح أوطانهم وبني جلدتهم عندما يشاهدون أياً من قطعهم الأثرية التي تعد جزءاً من تراثهم الوطني تباع في الأسواق خارج بلادهم أو ضمن مقتنيات هواة أو متاحف أجنبية . صحيح أن هؤلاء ومن خلفهم جحافل المواطنين المخلصين في طول البلاد وعرضها يدركون مدى الخسارة المادية التي تمنى بها دولهم من جراء فقدانها لتلك القطع الأثرية ، ولكنهم في الوقت نفسه يشعرون بالأسى والحزن نتيجة للخسارة المعنوية التي تتعرض لها أوطانهم وشعوبهم . ومما يزيد من شدة الأسى والحزن لدى هؤلاء جميعاً أن بعض تلك الآثار تفقد هويتها ويصبح شأنها شأن اللقطاء الذين لا يعرفون إلى من ينتمون . ومن الأشياء التي لا تدخل الراحة إلى النفوس أن بعض القطع الأثرية التي أخذها بعض المغامرين من المستشرقين من بلاد مصر والشام والجزيرة العربية وغيرها في الماضي " لا تعرف الأماكن التي أخذوها منها ، وقد تكون معروفة وكلها موجودة في مستودعات المتاحف العالمية ، وبعضها لم يوثق توثيقًا جيدًا ، وبعضها ضاعت سجلاته وأصبحت مجهولة مكان النشأة... ولعل خير مثال على ذلك ما رأيت مؤخرًا في جامعة توبنغن Tuebingen في ألمانيا خلال ندوة حول الرحالة الألماني يوليوس أوتينغ الذي زار شمال غرب المملكة العربية السعودية في عام ١٨٨٣ - ١٨٨٤م وجدنا هناك بالصدفة قطعة من الحجر يبدو أنها جزء من مجمرة كانت تستخدم في المعابد . أخذها أوتينغ ولم يعرفوا من أين أتى بها ولا شيء عن أمرها... فلما عرضوها علينا وجدنا عليها كتابات عربية قديمة كتبت بالخط

اللحياني... ويبدو أن هذه القطعة قد جاءت من "الخريبة" شمالي مدينة العلا" (غبان ، مقابلة شخصية ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

ومن الأشياء الأثرية التي شاهدها صاحب هذا البحث بنفسه في بداية التسعينيات في متحف بريطاني بلندن مدفع تركي ضخم صنعه الترك في الماضي لكي يستخدموه في فتح الهند ، وقد كتبت عليه باللغة العربية عبارة "اللهم صلِ على" . كان المدفع بعد هزيمة الترك في الحرب العالمية الأولى في ميناء عدن ونقله البريطانيون بعد احتلالهم لذلك الميناء إلى بريطانيا . ومما يؤسف إليه أن هذه القطعة الأثرية التي لا تقدر بثمن موضوعة في العراء يعلوها الصدأ وتملأ بعض تجويفاتها مياه المطر أو الثلج أو الجليد ، في حين أن مدافع غيره أقل شأناً منه توجد داخل مبنى المتحف المذكور .

مما سبق يتضح أنه بالإضافة إلى القيمة المادية للآثار فإنها لها قيمة معنوية كبيرة ، من حيث إنها تؤكد روح الشعور بالانتماء إلى أرض الوطن من جهة وتساعد على معرفة التاريخ وتمحيص بعض من أحداثه ، ويزكي في الوقت نفسه الإحساس التاريخي لدى الأفراد والمجتمعات ، ومن المعروف أن هذا الضرب من الوعي لدى أمة ما مع مرور الزمن فإن الارتباط بينها وبين تراثها وأرضها يصاب بالفتور ، وبالتالي يضعف الشعور بالانتماء للوطن لدى أبناء الدولة الواحدة . (فضل الله : مقابلة شخصية ، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .

العوامل الجغرافية التي تهدد سلامة الآثار :

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] . وإنطلاقاً من هذه الآية ونتيجة للتجارب التي مر بها الأولون الذين أدلوا بدلائهم في هذا المضمار وسطروا لنا نطقًا مفاده "دوام الحال من المحال" . فإنه يمكن القول بأن الآثار شأنها شأن أي شيء آخر من مخلوقات الله أو صنعه الإنسان مآلها إلى زوال طال الأمد عليها أم قصر . بالطبع كل شيء يتم بإرادة الله ، ولكن هناك عوامل جغرافية معلومة هي بعينها تعدو على الآثار ليل نهار وتودي بحياتها بسرعة فائقة أو ببطء شديد أو بين هذا وذاك . (الراشد : مقابلة شخصية ، الرياض ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

ويوضح الشكل رقم (١) هذه العوامل .

ونظراً لأن ما يهمنا هنا هو سرقة الآثار وتهريبها ؛ فإن كلاً من العوامل الأخرى التي تهدد سلامة الآثار لا مجال إلى مناقشتها في هذا المقام وهي على كل حال يمكن أن تصلح كموضوع لبحث أو رسالة علمية . ولكن قبل أن نواصل الحديث عن فقرات البحث التالية لا بد من القول بأن أخطار العوامل الجغرافية على الآثار يمكن التقليل من أهوالها وآثارها إذا ما نوى الإنسان التصدي لها بما لديه من إمكانات مادية تتمثل في ضروب التقنيات والمعدات الحديثة وعزيمة صادقة على العمل الدؤوب من أجل حماية الآثار وصيانتها ، خدمة للعلم والحقيقة والتاريخ والمسيرة الحضارية . أما بالنسبة للعوامل البشرية فإنه هنا يكمن الخطر . ومما يضيف إلى صحة هذه المقولة ما كتب عند مخرج حديقة للحيوانات بالقرب من كوّة صغيرة على هيئة عبارة تقول : "هنا يوجد أخطر حيوان في العالم" . وعندما تقود غريزة حب الاستطلاع الخارجين لرؤية ذلك الحيوان لا يرى أي منهم شيئًا سوى صورة وجهه وقد انعكست على صفحة مرآة داخل الكوة ، فيضحك ويقهقه ملأ شدقيه كما فعل من سبقوه (*) .



(*) حديقة الحيوانات التي يعنيها الباحث والتي زارها بنفسه في نهاية الستينات كانت بولاية أريزونا أو مدينة بتسبرغ بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .

العوامل الجغرافية التي تساعد على سرقة الآثار وتهريبها:

لو وجدت الأمانة عند كل الناس لما جاء إلى حيز الوجود أي من التعبيرين "السرقة" أو "التهريب" ... ولكن هذه هي حكمة الله ، خلق الإنسان وهداه النجدين ، ومن ثم جاءت الأضداد إلى حيز الوجود مثل الحلال والحرام ، والصدق والكذب ، والظلم والعدل وهكذا دواليك . ومن الملاحظ أن لكل من هذه الأضداد عوامل تؤثر على المرء عند اختيار أي منها .

بالنسبة للسرقات البشرية "... فهي ليست حديثة العهد حيث نجد على مدى التاريخ أن الإنسان مغرم بشيء اسمه الذهب – الأصفر الرنان – كما يقولون . وكثيرًا ما نشعر عندما نقوم بأعمال تنقيب في مقابر أو بيوت أو مواقع أثرية بأن هناك من سبقونا بالتنقيب في تلك الأماكن وأخذوا منها الشيء الكثير مما خف وزنه وغلا ثمنه... وقلّ أن نجد دفنة لم تعبث بها الأيدي . قد يكون العبث تم في فترة سابقة وخاصة مقابر فترة ما قبل الإسلام ، عندما كان الناس يوصون بدفن ما يحرصون عليه من مستلزماتهم من أجل الاستفادة منها بعد البعث كما كانوا يعتقدون ، وقد يكون التنقيب حدث في فترات لاحقة طمعاً في الحصول على ذهب أو صيغة أو حجارة كريمة..." (الأنصاري : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

وهناك عوامل جغرافية تساعد على أن يرتكب إنسان ما السرقة بوجه عام أو سرقة الآثار بوجه خاص ومن أهم هذه العوامل ما يلي :

- اتساع الرقعة الجغرافية للدولة:

تتباين الدول من حيث مساحاتها تبايناً ملحوظاً ولقد صنّف الجغرافي السياسي والمؤرخ نورمان باوندز الدول من حيث المساحة إلى ثمان فئات ، أعطى لكل منها مسماه الخاص به كما يوضح ذلك الجدول رقم (١) وقام الباحث بإعطاء أمثلة من الدول لكل منها .

جدول رقم (١)

فئات الدول مصنفة تبعاً للمساحة

الرقم المتسلسل	مسمى الفئة	المساحة بالكيلو متر المربع	نماذج من الدول لكل فئة
١	دول عملاقة	أكثر من ٦٠٠٠٠٠٠	روسيا ، كندا ، الصين
٢	دول أكبر مما ينبغي	من ٦٠٠٠٠٠٠ – ٢٥٠٠٠٠٠	الهند ، الأرجنتين ، السودان
٣	دول كبيرة جداً	من ٢٥٠٠٠٠٠ – ١٢٥٠٠٠٠	المملكة العربية السعودية ، ليبيا ، المكسيك ، الجزائر
٤	دول كبيرة	من ١٢٥٠٠٠٠ – ٦٥٠٠٠٠	جنوب افريقيا ، مالي ، كولومبيا ، مصر
٥	دول متوسطة	من ٦٥٠٠٠٠ – ٢٥٠٠٠٠	أفغانستان ، العراق ، اليابان
٦	دول صغيرة	من ٢٥٠٠٠٠ – ١٢٥٠٠٠	النرويج ، المملكة المتحدة ، اليونان
٧	دول صغيرة جداً	من ١٢٥٠٠٠ – ٢٥٠٠٠	كوريا الجنوبية ، سيريلانكا ، بوتان
٨	دول قزمية	أقل من ٢٥٠٠٠	سلفادور ، مالطة ، جاميكا

(المرجع : Pounds, 1963, 27 والأمثلة مختارة من : World Almanac, 1998)

يبدو أن من أهم الظواهر الجغرافية التي تساعد على سرقة الآثار وتهريبها اتساع الرقعة الجغرافية للدولة . ويرجع السبب في ذلك أن المواقع والقطع الأثرية تكون منتشرة في رقعة واسعة من الأرض يصعب على الدولة مراقبتها والمحافظة عليها ضد من يرومون سرقتها وتهريبها ، في هذه الحالة يكون من السهل على لصوص الآثار ، سواء دخلوا البلاد بصورة شرعية أو غير شرعية ، الوصول مباشرة إلى مواقع أثرية والتقاط ما يستطيعون حمله من آثار ثم يهربونها إلى خارج البلاد . وفي بعض الأحيان تهرب قطع أثرية في الحقائب الدبلوماسية أو داخل طرود العفش أو حقائب المسافرين خاصة إذا لم تفتش هذه الحقائب في مطارات أو موانئ المغادرة أو المعابر الحدودية .

ويساعد اتساع مساحة الدولة وصعوبة مراقبة أراضيها من قبل الجهات الأمنية ، لذا فإننا نجد بعض لصوص الآثار يصلون من دول مجاورة ومعهم سيارات مزودة بروافع تستطيع رفع حجر كبير له قيمة أثرية ، ثم يتسللون إلى خارج البلاد حيث يبيعونها داخل الدولة نفسها أو في أسواق دول مجاورة . ومما يزيد من التأثير السلبي على سلامة الآثار في

هـذه الحـالة تواطؤ بعض النـاس أو الحـراس ضـعـاف النفـوس مع لصـوص الآثـار مـقـابل مبالغ زهيدة من المال أو أن أولئك الحراس لا تتوافر لديهم الأسلحة والذخائر اللازمة للتعامل مع اللصـوص الذين يكونون مدجـجين بالسـلاح (عـبدالله : مـقـابلة شـخـصـيـة ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

وكثيـراً مـا ينجم عن اتسـاع رقعة الدولة عدم قدرة الدولة على السيطرة على مواقعها لدرجة أن هذه المواقع يعتدي لصوص محترفون على حرماتها ويعيثون فساداً فيها . "تصور أنني رأيت بأم عيني موميات مصرية معروضة للبيع في الخارج !!! يجب علينا أن نقف الآن وقفة محاسبة لأنفسنا ونفكر كيف نحافظ على تراثنا وإلا فلا نلومنّ إلا أنفسنا !"(الأنصاري : مقابلة شخصية ، الرياض ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

- زيـادة أطـوال الحـدود :

الزيادة الملموسة في أطوال الحدود الدولية البرية منها والبحرية وارتفاع عدد الدول المجاورة لها بالنسبة لأية دولة تعني ازدياد حالات سرقة الآثار وتهريبها . ومما يزيد الأمر سوءاً أن تكون المناطق الحدودية متضرسة ، تكثر بها الأودية والخوانق والمنحدرات والغابات لأن كل هذه الأشياء تساعد المهربين على التسلل بما يحملون من مهربات دون أن ترصدهم قوات الدولة المكلفة بحراسة الحدود (عبدالله: مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ومما يؤكد هذه الحقيقة ما شاهده الباحث بنفسه في سنوات سابقة من عمليات تهريب تتم في وضح النهار عبر حدود دولية في أمريكا اللاتينية ، وبعض من دول الشرق الأوسط حيث استخدم المهربون البغال والحمير في نقل مهرباتهم ، والتي يتركونها تمشي وحدها على أحد جانبي واد في حين أنهم يسيرون بمحاذاتها على الجانب الآخر للوادي نفسه . ويرجع السبب في ذلك أن رجال الأمن في حالة تمكنهم الإمساك بحيوانات الحمل وما تحمل من مهربات ؛ فإنه ليس من السهل عليهم إدانة أصحابها لأنها لم تكن في حوزتهم ساعة المداهمة .

- طبيعة المادة التي تصنع منها الآثار :

القطع الأثرية صغيرها وكبيرها غالبًا ما تصنع من الصخور ، بعض تلك الصخور صماء

وفي غاية من الصلابة ولا يسهل تقسيم الكبير منها إلى أجزاء يسهل حملها أو نقلها (*) .

وانطلاقاً من الحقيقة السالفة الذكر ، حيث يمكن تجزئة بعض القطع والمنشئات الأثرية ونقلها من مكان لآخر بواسطة الرافعات الحديثة والسيارات ؛ فإن لصوص الآثار لا يعمدون لسرقة أي من القطع الأثرية الزائدة من حيث الحجم والوزن إذا كانت مصنوعة من الصخور النارية الشديدة الصلابة مثل الجرانيت ، لقد نقلوا المسلات المصرية وهي من جرانيت ، ولكنهم على العكس من ذلك يميلون إلى سرقة الآثار المصنوعة من الصخور الرسوبية اللينة مثل الحجر الرملي والحجر الجيري لأنه يسهل عليهم نشرها ونقلها وإعادة تركيبها ، بل ولحمها بمادة لاصقة تمزج مع مسحوق من الحجر المصنوعة منه القطعة الأثرية ذاتها (عبدالله : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

(*) أنواع الصخور الرئيسية ثلاثة هي :

الصخور النارية :

إن معظم صخور القشرة الأرضية نارية الأصل والنشأة حيث كانت عبارة عن مواد منصهرة واندفعت باتجاه سطح الأرض ولم يستطع جزء منها أن يعلو ذلك السطح فبردت بالتدريج وتخلصت من الغازات الحبيسة التي في جوفها ببطء ، وعرفت باسم الصخور البلوطونية . أما الجزء الآخر من المواد المنصهرة فقد استطاع أن يصل إلى سطح الأرض وينتشر أعلاه فبرد بسرعة وبقيت فقاعات الهواء حبيسة بداخلها ونتج عن ذلك وجود فراغات بها ، وتعرف هذه الصخور باسم الصخور البركانية . ومن أهم أنواع الصخور البلوطونية الغرانيت . أما الصخور البركانية فإن من أهم أنواعها البازلت ، والصخور النارية بنوعيها شديدة الصلابة يصعب نشرها أو خدشها .

الصخور الرسوبية :

على الرغم من أن الصخور الرسوبية تشكل حوالي ٥٪ من حجم القشرة الأرضية إلا أنها تغطي ما يزيد على ٧٠٪ من مساحة سطح الأرض . لذا فإنها متوافرة في جهات الدنيا الأربع ولقد تعامل الإنسان معها واستفاد منها في قضاء حاجات شتى كانت لازمة لها .

وتتكون الصخور الرسوبية من طبقات نظراً لأنها تنشأ نتيجة لإرسابات مائية أو هوائية وتنقسم إلى أربع مجموعات هي :

- مجموعة الصخور الرملية ومن أهم أنواعها الحجر الرملي .
- مجموعة الصخور الطينية ومنها الطين والصلصال والطفل .
- مجموعة الصخور الجيرية : وتعد أفراد هذه المجموعة من أهم الصخور الرسوبية وتتكون في العادة من المحارات البحرية والبقايا الحيوانية و النباتية أو نتيجة لترسب الجير المذاب في قيعان المسطحات المائية .
- مجموعة الصخور الكربونية : ومن أهمها الفحم الجيري وهي عبارة عن بقايا نباتية وحيوانية تعرضت لضغط وحرارة شديدين وتكربنت .

الصخور المتحولة :

عندما تتعرض بعض الصخور الرسوبية أو النارية لضغط شديد ودرجة حرارة عالية تتحول إلى أنواع جديدة من الصخور أشد صلابة من سابقتها أطلق عليها الصخور المتحولة . ومن أمثلة الصخور المتحولة ذات الأصل الرسوبي الرخام الذي تحول عن الحجر الجيري والنيس الذي قد يكون تحول عن الجرانيت .

- **التضاريس :**

التضاريس خنجر ذو حدين عندما يصل الأمر إلى قيام خارجين عن القانون بعمليات قطع الحدود وتهريب سلع مسروقة عبرها ، أو ممنوعة من دولة إلى أخرى . وعلى سبيل المثال فإن الأودية التي تحف بها الأشجار من كل جانب كثيراً تستخدم من قبل المهربين عندما يقومون بنشاطاتهم غير المشروعة عبر الحدود الدولية ، ولكن هذه الأودية وما يعترضها من خوانق تمثل أماكن مثلى لإقامة نقاط حرس الحدود ومراكز الجمارك والجوازات وبذلك يبطلون على المهربين خططهم ويفسدون عليهم نشاطاتهم . ولكن المهربين يقومون بدراسة المناطق الحدودية التي يزمعون المرور عبرها ومعهم ما ينوون تهريبه وبذلك يستغلون السفوح والممرات الجبلية الصعبة والأماكن البعيدة عن مرأى ومسمع حراس الحدود ويعبرون خلالها .

وفي بعض الأحيان يقوم المهربون بتخزين مهرباتهم في أماكن متضرسة أو كهوف أو في جزر قريبة من الشواطئ ثم يقومون بتهريبها في أثناء فترات غفلة أو غياب حراس الحدود . وكثيراً ما يقوم حراس الحدود بوضع موانع اصطناعية لكي يحدّوا من حركة تهريب السلع عبر حدودهم التي يقومون بحراستها .

أما بالنسبة للغابات فإن المهربين يستغلونها بشكل ملموس في تهريب بضائعهم على أساس أنها تستخدم كساتر يحجبهم عن أنظار حراس الحدود أو كل من يحاول رصد تحركاتهم .

- **الرياح الشديدة والأمطار الغزيرة والبرد الشديد والظلام الدامس :**

لا شك بأن كل هذه الظواهر الجغرافية تحد ، بشكل أو بآخر ، من فاعلية نشاطات دوريات حراس الحدود وقيامهم بعمليات رصد مكثف لحدودهم . ولا عجب والحالة كهذه أن نرى بعض المهربين بوجه عام ومهربي الآثار بوجه خاص يستغلون هذه الظواهر كلما سنحت الفرصة لهم بذلك .

- **الحروب والاحتلال :**

من الأشياء التي تأتي على الآثار الحروب والاحتلال الأجنبي لأراضي الغير . ويرجع السبب في ذلك إلى أن المنتصر أو المحتل يعد نفسه القوة الوحيدة في الأماكن التي يسيطر

عليها والتي لها مطلق التصرف في كيان الشعب المحتل ومقدراته وتراثه ، على الرغم من أن القانون الدولي لا يقر ذلك . وعلى سبيل المثال فإن قوات الدولة العبرية عندما اجتاحت صحراء سيناء في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م بسطت عليها سلطانها وأقامت خط بارليف على الشاطئ الشرقي لقناة السويس وحالت دون أصحاب البلاد الشرعيين وأرضهم ، وقاموا بعمليات تنقيب واسعة واستولوا على أعداد هائلة من قطع أثرية ذات أهمية بالغة للمصريين ، جزءاً منها اعترف الإسرائيليون بحيازته فيما بعد وأعادوه إلى جمهورية مصر العربية بعد أخذ ورد ومفاوضات مضنية . بالإضافة إلى ذلك ما سمعناه "... عن نهب قطع أثرية مهمة ، نهبت نهباً كاملاً من متحف العاصمة الأفغانية كابل ، بحيث أصبحت أفغانستان بلا تاريخ ؛ لأنها فقدت في هذه الحرب الطويلة المدمرة معظم تراثها وأعز قطعها الأثرية" (الأنصاري : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

بالنسبة إلى الآثار المصرية التي عثر عليها علماء الآثار الإسرائيليون نتيجةً لعمليات التنقيب التي قاموا بها في سيناء إبان احتلال القوات الإسرائيلية لها في شهر حزيران سنة ١٩٦٧م إلى أن خرجوا منها سنة ١٩٨٢م بمقتضى اتفاقية كامب ديفيد ؛ فإنها لا تقدر بثمن . لقد اعتبرت العشرون قطعة الأثرية التي أخذها الإسرائيليون من سيناء ، وكانت في عداد الأراضي المحتلة ، ثم أعادوها نتيجة لمفاوضات شاقة إلى مصر "... كنزاً لا يقل أهمية عن تلك المساحات الواسعة من رمال سيناء التي احتضنته بداخلها آلاف السنين... يضم في مجمله آثاراً تنتمي لعصور عديدة فهناك آثار لعصور ما قبل التاريخ ، وهناك آثار فرعونية وأخرى يونانية ورومانية وأخرى إسلامية وأخرى مسيحية..." (الأهرام : ٣١/ ١٢/ ١٩٩٤م) .

وعلى الرغم من أن الإسرائيليين عندما سمحوا لأنفسهم بالتنقيب عن الآثار في سيناء لم تكن الشرعية الدولية في صفهم مطلقاً . وعلى كل حال فإنهم عند قيامهم بمثل هذا العمل كانوا يطمعون في "... ربط تاريخ سيناء بهم ، بشكل أو بآخر ، إلا أنه وبرغم اكتشافاتهم لأشياء لها صلة مباشرة بتاريخهم إلا أن مكان وجودها نفى صلتهم بسيناء..." (الأهرام : ٣١/ ١٢/ ١٩٩٤م) .

الآثار السلبية التي تنعكس على الدول والمجتمعات من جراء فقدانها لآثارها :

ينجم عن فقدان وضياع الآثار عند أية أمة آثار سلبية في غاية الخطورة خاصة وأن أي قطعة أثرية إذا ما ذهبت فإنه لا يمكن أن تعوض ونادراً ما تسترجع إذا كانت في عداد المسروقات والمهربات . كثيراً ما يصاب المرء بالأسى والحزن عندما يرى بعض القطع الأثرية في حوزة أناس لا تربطهم بها أية رابطة سوى غريزة حب التملك . ومن الأشياء التي لا يرتاح إليها الإنسان عندما يجد آثاراً لدى إنسان ما وعندما يسأله عن مصادرها أو مكان نشأتها أو إلى أي من الحضارات الغابرة انتماؤها فإنه يصاب بالوجوم وينعقد لسانه . ومن أهم الآثار السلبية المترتبة على فقدان دولة ما لأي من آثارها ما يلي :

- حرمان عالم السياحة من جزء مهم من القطع الأثرية التي تساعد في تنشيط السياحة في ربوع الدولة التي يؤمها السائحون . ولقد تنبهت كثير من الشعوب إلى أهمية آثارها وتأثيراتها الإيجابية على تنشيط الحركة السياحية في بلادهم "... خاصة ونحن نعيش إرهاصات أوج اهتمام الدول بتسويق تراثها والاستفادة منه في مجال السياحة الداخلية والخارجية التي تعتمد على التراث القديم وعيادة المناظر الطبيعية والتاريخية والأثرية " (غبان : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- الحد من الاستفادة من الآثار في مجالات البحوث والدراسات التي تثري كُلاً من الحياة العلمية والثقافية في الدولة صاحبة الشأن .
- عرقلة عملية التوعية بانتماء الأفراد والجماعات والمجتمعات إلى الوطن أرضاً وشعباً ، وإذكاء الشعور بالانتماء للوطن والأمة والتراث والتاريخ المشترك أمر في غاية من الأهمية بالنسبة للحكومات والشعوب على حد سواء . إن هذا الشعور يعزز روح الترابط والتكاتف بين أفراد الشعب الواحد ، ويساعد على الأمن والاستقرار وسيادة القانون في ربوع الدولة. "هذا الشعور بالانتماء لدى الأفراد والجماعات لا بد للدول العربية من تعزيزه وتأكيد أهميته حيث إننا ننتمي إلى أمة عربية إسلامية واحدة . وهذا في حد ذاته كفيل بربطنا بتراثنا وتاريخنا وما فعله أباؤنا وأجدادنا وما خلفوا لنا من آثار وتاريخ وسجل حافل بالابتكارات والبطولات لا بد من إبرازه لأنه يمثل صفحات مشرقة من تاريخ أمتنا المجيدة .

ولكن مما يؤسف إليه بأنه على الرغم مما تبذله إدارات الآثار في البلاد العربية من أجل المحافظة على الآثار فإن الأيدي التي تعبث بالآثار وتقوم بسرقتها وتهريبها لم تصفد بعد . (الأنصاري : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

- مساعدة الأعداء على تزييف الحقائق التاريخية الثابتة ، وعلى سبيل المثال هناك دول معينة تستولي على بعض آثار لدول غيرها وتدعيها لنفسها بعد إجراء بعض التعديلات أو حفر بعض النقوش عليها بصورة لا يسهل اكتشافها . إن مثل هذه الأعمال عند نشرها وتعميمها في المحافل العلمية تشكك الكثيرين في تاريخ الأمم أصحاب الآثار الأصليين . لابد وأن هناك عصابات متخصصة على مستوى عالمي تقوم بسرقة الآثار وتهريبها تدربهم جهات معينة وتوجههم هنا وهناك وتغريهم بشتى الوسائل لكي يقوموا بهذه الأعمال كما تريد لها تلك الجهات . (الأنصاري : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- عرقلة مسيرة العملية التعليمية في الدولة صاحبة الشأن بحيث تضعف الشعور بالتواصل والارتباط بين الناشئة والوطن أرضاً وشعباً وثقافةً وتاريخاً . " ومن الأشياء التي تهتم بها التربية الحديثة ونظريات التعليم التركيز على ضرورة تفاعل المتعلم مع المحتوى التعليمي والعناية باستخدام المصادر والوسائل التعليمية حسب مستوياتها المتباينة بدءًا بالعينات الحقيقية ثم النماذج الحية والمجسمة ثم الصور وهلم جرا... ومن هنا تتضح أهمية الآثار في دعم العملية التعليمية وتعلم الناشئة بأسلوب أكثر فاعلية إذا ما تحقق لهم التعرف على آثارهم الموجودة في بيئتهم وعلى صعيد وطنهم . ومما يثلج الصدر أن المملكة تعج بالآثار التي يمكن أن يستفاد منها في تدريس كثير من المقررات في كل المراحل التعليمية " (الكثيري : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

إن أملنا في الله سبحانه وتعالى ثم في قادتنا وكل المسؤولين عن مسيرة العلم والثقافة في بلادنا الطيبة أن يجعلوا من الآثار ركيزة أساسية ودعامة من دعائم العملية التعليمية والاستفادة منها وسائل للإيضاح عند دراسة العلوم المختلفة من تاريخ وجغرافيا ولغة وثقافة إسلامية وغيرها . هذه الآثار تساعد الناشئة بوجه خاص وطلاب العلم بوجه عام بتاريخهم الضارب في القدم وما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من رفعة وتقدم وعلم . ومن خلال تدريس

المناهج المختلفة للطلاب في مراحل التعليم المختلفة يمكن أن نشربهم معرفة الآثار ونشر الوعي بأهميتها وكيفية الحفاظ عليها .

- إصابة الغيورين على سمعة شعوبهم وأوطانهم وتراثهم بالحزن والأسى من عدم الثقة في قدرة من يقومون بحراسة حدودهم والإشراف على مطاراتهم وموانئهم ومعابرهم الأرضية ، عندما يرون آثارهم تتقاذفها أيدي السماسرة والمغامرين والمرتزقة في الخارج يتصرفون فيها كيفما شاؤوا .
- فقدان بعض النصوص والرسومات ذات العلاقة باللغات واللهجات القديمة التي كانت سائدة في منطقة ما خاصة وأن اللغة العربية التي نستخدمها اليوم عبارة عن إنجاب تراثي للغات ولهجات عربية قديمة . ولا شك أن فقدان النقوش والكتابات والرسومات المختلفة عن طريق السرقة أو التهريب أو الإهمال له عواقب وخيمة على الأمة (الفريح : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

"في الحقيقة إن الأضرار التي تمنى بها الدولة من جراء فقدانها لآثارها وخيمة ويكفي شعور المرء بالأسى عندما يشاهد آثار بلاده معروضة في متاحف أو تباع في الأسواق والمزادات العلنية في دول أخرى دون سند شرعي . هذه المتاحف تربح من وراء تلك الآثار أموالاً طائلة نحن أولى منها بها ؛ لأننا نحن أصحابها الشرعيون . "إن هذه الآثار ترمز إلى أصالة حضارتنا وغزارة إسهاماتها وأصالة نوعيتها . إن فقدانها عبر السرقة والتهريب يعني حرمان مواطني البلد من الوقوف على أمجاد أسلافهم والاعتزاز بها وإهدار قيمتها التاريخية والاقتصادية والعلمية" (عيد : مقابلة شخصية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

الخاتمة

الآثار ثروة وطنية والطامعون في حيازتها بصورة شرعية أو غير شرعية كُثُر ، وقليل منهم يفكر في المصلحة العامة قبل مصلحته الخاصة . والفوائد التي تجنيها كل دولة من وراء المحافظة على آثارها كثيرة جداً وهي مادية ومعنوية ، لذلك فإن الدول قد حرصت على الاهتمام بسلامة آثارها ضد الأضرار التي تأتي بها البيئة من آن لآخر . وهذه الآثار تهم علماء الآثار بقدر ما تهمهم كذلك الأضرار التي تصيب الآثار من جراء سلوك بعض الناس ، الذي ينجم عنه العبث بها أو سرقتها وتهريبها . ولسرقة الآثار وتهريبها آثار بالغة السلبية على الأوطان والشعوب يجب على الجميع التصدي لها من أجل وضع حد لها لكي لا تضيع ثروة تركها الآباء والأجداد يمكن تسخيرها فيما ينفع الفرد والدولة والعالم بأسره .

التوصيات

بناءاً على ما توافر للباحث من معلومات في مجال سرقة الآثار وتهريبها ، وأهم الأسباب التي تدفع بمن يمارسون هذا العمل بقصد أو دون قصد مع سبق الإصرار ، وذلك عن طريق المادة العلمية المكتوبة والمسموعة ، وما تفضل به زملاء أكاديميون مختصون يعد كل منهم مرجعاً في مجاله من معلومات وآراء ونتاج تجارب وأبحاث ورحلات ميدانية وتوصيات لها وزنها في هذا المضمار فإنه قد تم تقديم التوصيات على أمل أن تسهم في الحد من ضياع الآثار من أضرار سرقتها وتهريبها . وهذه التوصيات هي كما يلي :

١ - العمل على توعية العامة والخاصة بأهمية الآثار وضرورة الحفاظ عليها والتعرض لكل من يحاول التعرض لها بأي عمل من شأنه إصابتها بأي سوء أو نقلها من مكانها طمعاً في حيازتها أو سرقتها أو تهريبها . ويجب أن تكون التوعية عبر كل الوسائل المكنة بدءاً بالخطب ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد ومروراً بكل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمشاهدة الكاريكاتورية .

٢ - بث الحرص وتنمية الشعور بالاهتمام بالآثار والمحافظة عليها لدى الدارسين ذكوراً وإناثاً في مراحل التعليم المختلفة وذلك عبر المقررات المختلفة وإبراز أهميتها وضرورة المحافظة عليها لما في ذلك من فوائد تعود بالنفع والخير العميم على الأفراد والمجتمعات والبشرية .

٣ - قيام كل دولة حسب استطاعتها ، بحصر المواقع الأثرية الموجودة في أقليمها الجغرافي مع تسويرها أو وضع سياج حول كل منها وتوفير الحماية لها . ويستحسن أن تكون لدى من يقوم بأمر حماية الآثار الصفة الرسمية ، بحيث توفر لهم أسلحة لاستخدامها عند اللزوم نظراً لأن بعض من يسطون على الآثار بقصد السرقة والتهريب يكونون مسلحين . ومن المناسب لو سعت كل دولة بأن يكون لديها شرطة أمنية مختصة بحماية الآثار ، وأن تكون رواتبهم مجزية .

٤ - استخدام الأجهزة الحديثة في المطارات والموانئ والمعابر الأرضية للكشف عن الآثار التي يحملها هواة أو مهربون في أثناء مغادرتهم البلاد . بالإضافة إلى تخصيص الجهات المسؤولة عن الآثار في الدولة بعض المكافآت والجوائز التقديرية المادية أو المعنوية لكل من

يضبط أو يعاون في كشف الآثار المهربة للخارج .

٥ - ضرورة التنسيق والتعاون بين الدول وخاصة الدول المتجاورة على الإمساك بتلابيب لصوص الآثار ومهربيها وسد الطرق أمامهم بقدر المستطاع لكي لا يبلغوا مآربهم ويوقعوا الضرر بتراث الأمم .

٦ - التعاون الكامل بين أجهزة الأمن المختلفة وكذلك الجهات الرسمية الأخرى في الدولة نفسها من أجل حماية الآثار ضد عبث العابثين واللصوص والمهربين .

٧ - محاولة قيام كل دولة باسترجاع ما لها من آثار مسروقة أو مهربة للخارج بالطرق الحضارية الممكنة أو حتى بشرائها ممن هي في حوزتهم وإعادتها إلى مواطنها الأولى أو متاحف البلد نفسه .

والله من وراء القصد ، ، ،

أهم مراجع البحث

أ - المقابلات الشخصية :

- الأنصاري ، عبدالرحمن الطيب (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .
- الراشد ، سعد عبدالعزيز (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- عبدالله ، عبدالقادر محمود (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- عيد ، محمد فتحي (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- غبان ، علي إبراهيم (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- الفريح ، عثمان بن صالح (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- فضل الله ، فضل الله علي (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .
- الكثيري ، راشد بن حمد (الرياض : مقابلة شخصية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

ب - المراجع العربية :

- آل سعود ، محمد بن سعد بن محمد ، دور الإدارة في تحقيق أمن المتاحف – دراسة ميدانية مقارنة بين متحفين ومبنيين أثريين ، رسالة ماجستير غير مطبوعة (الرياض : المعهد العالي للعلوم الأمنية ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) .
- أمين ، أحمد حلمي ، "حماية الآثار" (الرياض ، الأمن والحياة ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، العدد ١٩٤ ، رجب ١٤١٩هـ/ أكتوبر – نوفمبر ١٩٩٨م) .
- "الوسائل الأمنية لحماية الآثار والأعمال الفنية" (الرياض : المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، حماية الآثار والأعمال الفنية ، ١٤١٢هـ" .
- الأهرام ، عشرون ألف قطعة أثرية تعود لمصر من إسرائيل ١٩٩٤/١٢/٣١م ، ص٧ .
- بدين ، محمد أحمد ، كباوي ، آثار المملكة العربية السعودية ، ج١ (الرياض : المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، ٧٨ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م) .
- الراشد ، سعد عبدالعزيز ، "آثارنا والوعي – دور الدولة – دور المواطن" ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

- صدقي ، محمد كمال ، معجم المصطلحات الأثرية (الرياض : قسم الآثار والمتاحف ، كلية الآداب ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

- المجلس الدولي للمتاحف والمعهد الوطني للتراث في تونس بالتعاون مع اليونسكو ، ورشة العمل حول حماية التراث ومحاربة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية في البلدان العربية (تونس – الحمامات : ٢-٤ حزيران – يونيو ١٩٩٨م) .

- موسى ، محمد كامل ، "أمن المتاحف" (الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، مكافحة جرائم السياحة ، ١٤١٢هـ) .

ج - المراجع الأجنبية :

- Al- Rashid, Saad A ., Darb Zubaydah - The Pilgrim Road from Kufa to mecca (Riyadh: Riyadh University Libraries, 1980) .

- Pound, Norman, J . G ., Political Geography, (New York : Mc Graw - HillBook Company, INC ., 1963) .

- http:arch . culture .mining co .com /library /weekly /aa082898htm. US.National Park Service .

- http://www. callertimes .com/news 98news 20741 .
Html . Corpus Christi Caller Times Interactive .

الحياة الفطرية في البادية كما وردت في الشعر العربي الفصيح

د. حسن مصطفى حسن (*)

ماهية البادية :

لقد تغيرت البادية عبر الأزمان حتى تكاد تحس بهجرة أهلها صوب المدنية والحضارة ! كان ما يقدر ب ١٠٪ من سكان العالم يقطنون المدن خلال القرن التاسع عشر الميلادي . فصار ٥٠٪ من سكان العالم من ساكني المدن خلال القرن العشرين الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ويقدر المختصون بأن ٧٥٪ من سكان العالم سيكونون من أهل المدن في القرن الحادي والعشرين !! .

والسؤال المرافق هو أن عدد هؤلاء السكان في نفورهم من بادية الأرياف يتضاعف مع الأيام وتتراكب ضغوط حوائجهم الضرورية والكمالية وتتعقد علاقاتهم الاجتماعية ويقعون في أسر قيود يصعب الفكاك منها . فيما بينهم من جهة وفيما بين دولهم من جهة أخرى .

والسؤال اللاحق لهذا هو ماذا حلّ بالبادية ؟ بلا شك هي متقلصة الأبعاد لتغول المدن عليها ومحاصرتها بالمشاريع الزراعية والتقنيات الصناعية وتمديدات الطرق والمطارات وإقامة السدود واعتماد وسائل مواصلات لا يقف أمامها مانع واقتناء أسلحة للدمار لا حدود لها . والنتيجة : تغيرات في البيئة وفي الحياة الفطرية تحت شعار الأمن للإنسان بكل أبعاده !

يقول سنكري (١) في هذا :

١- انتهى أمر البادية بعد وقت طويل إلى رعي جائر واحتطاب متزايد ، وفلاحات بساتين ، وزراعة محاصيل (قمح . شعير) .

٢- قاد كل ذلك إلى تغيير البيئة الصغرى وخفض التغطية النباتية .

٣- تبع ذلك زيادة في جفافية الموقع وتسريع لانجراف التربة ومن ثم تصحير أجزاء عديدة من الوطن العربي .

(*) الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها .

٤- انقراض بعض أنواع النباتات والحيوانات من بوادي الوطن العربي .

ولعلنا نلاحظ عدم الإشارة إلى العوامل التي تغلغلت إلى البادية وأزاحت معالمها الفطرية ، ربما بحكم أننا من أهل المدن وقد ألفنا هذه العوامل الحضارية ومنها السيارات والكهرباء ووسائل الإعلام المختلفة بما في ذلك الفضائيات والهواتف .

وكلها متوافرة بشكل أو آخر في البادية خاصة بادية اليوم . كما نلاحظ أن خيوط التعليم بدأت تقيد من حركة الأهالي في بادية الأمس . فنراهم ينتجعون مواقع حول المدن ليؤمّنوا لأبنائهم فرصة التعليم النظامي .. ولهذا النظام التعليمي قيود وأزمان محددة مما دفع أهل البادية إلى استمرارية المكوث في المواقع حتى نهاية العام الدراسي أو الفصل الدراسي مستعينين بالأعلاف وبالمياه التي تنقل إلى الموقع على ظهور السيارات وهذا ساعد على تدمير موقع الانتجاع ! .

البادية في صدر الإسلام :

نجد صورة لحياة البادية قبل وخلال وبعد الفترة الأولى من ظهور الإسلام لدى هيكل (٢) الذي صور لنا أحوالها وخصائصها ونأخذ منها النقاط التالية :

١- كانت شبه الجزيرة العربية تموج بطرق القوافل وكان منها طريقان رئيسيان أحدهما يتاخم الخليج العربي ويتاخم دجلة ويقتحم بادية الشام إلى فلسطين ويصح أن يسمى طريق الشرق . أما الآخر فيتاخم البحر الأحمر ويسمى طريق الغرب . وكانت هذه الطرق تجبي إلى البادية أسباب الرخاء والرفاهية .

٢- كانت حياة البادية في كل العصور خارجة على كل نظام عرفه الحضر. ودفع العدوان بالعدوان واغتيال الضعيف ما لم يجد من يجيره .

٣- أساس حياة البادية ، حيث وجدت في بقاع الأرض ، إنما هو القبيلة .

٤- تنتظم حياة رجل البادية ما ينتظم سائر الخلق من حب البقاء والحرص عليه والدفاع عنه على أن يكون ذلك كله متفقاً مع قواعد الشرف التي تمليها عليه حياة البادية الحرة .

٥- لذلك نجمت في كثير من هذه القبائل خلال الكرم والشجاعة والنجدة وحماية الجار والعفو

عند المقدرة وما إلى هذه من خلال تقوى في النفس كلما قاربت حياة البادية . وتضعف وتضمحل فيها كلما أوغلت في أسباب الحضارة .

٦- كان من عادة أشراف مكة أن يبعثوا أبناءهم إلى البادية في اليوم الثامن من مولدهم ثم لا يعودون إلى الحضر [حضر الأمس !] حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة وذلك للنهل من جو الصحراء الطلق ولتعلم لغة العرب مصفاة أحسن التصفية . وتعدد السيدة كنجدوم (Kigdom) (٣) بعضاً من خصائص جزيرة العرب .

وتقول عن التاريخ المسجل إن النبات والحيوانات والأرض نفسها إلى جانب السماء المكشوفة غير الممطرة كل هذا يحكى عن أزمان أخرى :

١- يلاحظ وجود شواطئ لمجاري مياه هي مخلفات أنهر جميلة .

٢- تلاحظ الترب المرجانية على قمم الجبال في البحرين وشرق الجزيرة العربية (وأيضاً في فرسان- المؤلف) منعزلة تحكى أنها كانت تحت سطح البحر ذات مرة .

٣- يلاحظ وجود بقايا حيوانات قديمة ونباتات قديمة تحولت إلى نفط " أحفوري" .

٤- احتلت جزيرة العرب عائلة حيوان الوبر (الزلم) في وقت كان فيه البحر الأحمر مجرد واحد من الأودية العظيمة في الكتلة الأفريقية لعشرات الملايين من السنين .

٥- لجأت بعض النباتات والحيوانات خلال العصر الجليدي مثل الزغبة (من القوارض الشبيهة بالسنجاب) إلى شبه الجزيرة العربية قبل ١٠,٠٠٠ سنة (العصر الجليدي) وتخلف حيوان الزغبة في موقعه الذي لجأ إليه في جبال غرب الجزيرة العربية.. لوجود المناخ المعتدل المناسب له .

٦- تبع فترة الحفظ البارد قحط حار بدأ منذ ٦٠٠٠سنة .

٧- يعتقد بعض علماء الآثار أن التردّي في المناخ دفع الإنسان إلى زراعة النباتات واستئناس الحيوانات منذ ذلك الحين .

أساليب الحماية للحياة الفطرية :

١- نظام الحمى : نورد بإيجاز ما ذكره سنكري (٤) :

أ – اتفاق العرب القدامى قبل الإسلام وخلال حروبهم على اقتسام مناطق الرعي بينهم إلى ما يعرف بالديار. حيث يوجد فيها مصدر واحد أو أكثر للماء .

ب – كانت حدود الديار متغيرة تبعاً لتغير موازين القوى والتحالفات .

ج – جاء الدين الإسلامي ووضع حداً للخلاف القبلي محولاً البدو من الولاء القبلى إلى الولاء العقائدي .

د – أمم الدين الإسلامي المصادر الطبيعية المتجددة تبعاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار" .

هـ – كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من أصدر تشريعاً لحماية البيئة إذ أ مر بحماية النقيع وعضاه المدينة – أي تكوين الثرى الذي تسوده أشجار الطلح [أ] والسمر [ب] والسيال [ج] – كما حمى أشجار السدر [د] والتنضب [هـ] والشبهان [و] والإيداع [ز] . ومنع الصيد عبر الحمى . وحدد مناطق محمية أخرى . جاعلاً الحمى بصفة عامة لله ورسوله .

الحنين إلى حياة البادية :

إن هذا الدفق الخالص الذي نقرأه عن الحنين ليس هو ناحية باديتنا كما هي اليوم بل كما كانت قبل مئات السنين بل ألوفها .

نستمع إلى المتنبي يقول قبل ألف عام [٥] موضحاً انحيازه لباديته :

ما أوجه الحضر المستحسـنات — كأوجه البدويات الرعـابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطـرية — وفي البـداوة حسـن غير مجلوب

أين المعـيز مـن الآرام ناظـرة — وغير ناظـرة في الحسـن والطيب

أفدي ظباء فـلاة ما عـرفن بهـا — مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

(أ) Acacia gerrardii

(ب) A : tortilis

(ج) A : seyal

(د) Zizpihus spina-Christi

(هـ) Capparis decidua

(و) Prosopis sp.

(ز) Draecena sp.

يصف البدويات الفارعات القامة ذوات الجمال الطبيعي والحديث الواضح البين.

وهذه ميسون البجدلية قبل أكثرمن ثلاثة عشر قرناً تزهو ببداديتها (٥ أ) :

وأكـل كُسـيرة في كسـر بيتـي أحـب إلى مـن أكـل الرغـيف

وكلـب ينبـح الطـرّاق دونـي أحـب إلـيّ من قـط ألـوف

وبصـمـات البـادية تبقى نبـعاً ينبـثق في الوقت المناسب نستمع إلى نضلة السلمي (٦) ، وكان دميما عند أهله خلقةً وكان ذا نجدة ومروءة . فازدروه لدمامته حتى قال في ذلك :

رأوه فـازدروه وهـو حـر ويـدفـع أهـلـه الـرجـلُ الـقـبيح

ولـم يـخـشـوا مصـالـته عليـهـم وتحت الـرغـوة الـلـبـنُ الـصـريح

المصـالة هي الصـولة . نلاحظ المثل الذي ضـربه عن نفسـه لأهلـه . وتحت الرغـوة اللبن الصـريح : والفـرق واضـح لذي عقل بين الرغـوة واللبن السـائغ تحـتـهـا ، فقبحـه تمثله الرغوة وجوده يمثله اللبن تحتها . إنها صورة من صميم رحم البادية .

هذه الغيرة على أخلاقيات البادية وقيمها تتكرر كثيراً . قال محبوب بن أبي العشنط النهشلي (٧) : يحكى نفوره من حضر بغداد وحنينه لقريته :

لَروضة من رياض الحزن ، أو طـرف من القـرية ، جـرد غيـر مـجروث

للـنّور فـيه ، إذا مـج الـنـدى ، أرج يشفي الصـداع ، وينقى كلَّ ممفوث

أحلَى وأشـهى لعـيني إن مررتُ بـه من كَرْخ بغـدادَ ذي الرمـان والثوث

إن هذا الشـاعر يبدو مُدركـاً لأسـرار الطب النفسي ؛ فإشـارته إلى الهـواء النقي وشـفـاء أوجـاع الرأس ؛ تدل على وعي بالتلوث واهتمـام بالبيئة ولعلنا أيضـاً نحس صـراع الجديد مع القديم . فالرمان والتوت أشجار فواكه وحدائق وقصور. يفاضل بينها وبين نباتات برية كساها الندى .

وهذا أعرابي : يحكي عن حنينه للبادية . كما فعلت ميسونة من قبل فيقول (٨) :

لضـأن ترتعـي الدكـداك حـولي أحـب إلى مـن بقـر عكـوف

وكلـب ينبـح الأضـيـاف ليـلاً أحـب إلـى مـن ديـك هتـوف

أُلاحظ هذا إشارة إلى نظام إدارة المراعي في الحضر" البقر العكوف" وكأن الشاعر يريد

أن يقول إن الحضر سلب الحرية حتى عن الأبقار. ويربط ذلك بحرية الضأن ترعى حوله في باديته ؛ أما " الديك الهتوف" فقد استعصى عليّ حل لغزها فالديكة معروف عنها صياحها في بادية كان أم في حضر! .

وصورة أخرى من صور النفور من الحضر نجدها عند أبي النهدي (٨أ) الذي أمرضه طعام المدن :

أكلت الضباب فما عفتها وإني لأهوى قديد الغنم

فأما الشهطُوحيتانكم فما زلت منها كثير السقم

لم يعجبه إدام احتوى على الأرز (الثهط) ولم تعجبه الأسماك لعله نفر من رائحتها . انتهى به الأمر إلى المرض المستديم حتى بعد عودته للبادية وشواء لحوم الغنم والضباب ! .

وآخر ينفر من السلطان الذي يمثله أهل الحضر ! ويهدأ باله في باديته (٩) :

أرض عن الخير والسلطان نائية فالأطيبان بها الطرثوث والصرب

والطرثوث والصرب : نباتان تؤكل بعض أجزائهما .

الوعي البيئي وأهمية الحفاظ على النبات والحيوان :

ولعل الوعي البيئي كان محسوساً في العصر الجاهلي . حتى أن الأشجار يراها الشاعر تكره من يؤذيها ! يقول قيس بن زهير (١٠) في حديثه عن شرور الحرب :

لحى الله قوما أرّشوا الحرب بيننا سقونا بها مراً من الشِرْب آجنا

فقد جعلت أكبادنا تجتويهم كما يجتوي سوقُ العضاه الكرازنا

يجتوي أي يكره ، فأولادهم يكرهون الحرب ومن أشعلها كما تكره أشجار العضاه من يؤذيها بالفؤوس (الكرازن) . ويصف الشماخ (١١) قاطع الأشجار بلا سبب بسوء الأخلاق ! .

فأنحى عليها ذات حد غرابها عدُو ، لأوساط العضاه مشاذر

غراب الفأس حده القاطع والمشاذر السيئ الخلق ! .

ليس بالأمر الغريب أن يسجل لنا بعض الشعراء ما يفيد الاهتمام بالحيوان البري ليس فقط من الزاوية الجمالية . يقول لنا علقمة الفحل (١٢) أن الجواري في القصور والبيوتات

الكبيرة كن يقمن على تربية الغزلان بل وتزيين أعناقها بالحلي :

ليـالي لا تبـــالي النصـيحة بيـنا ليـالي حلَوا بالسَــنَار فَغـرّب

مبتلـة كـــأن أنضـــاء حلــيـها على شــادن مـن صاحـة متريب

ويحكي لنا عن ذكريات جبل (سَنَار) بالحجاز وعن "غريب" وهو موقع آخر بها وكيف أن ملهمته ضامرة الخصر (مبتلة) الجيد كأنها شادن (غزال) على ربوة (صاحة) مرتفعة شامخة . قد أشرف على تربيته الجواري ! الصورة هذه نفسها نجدها عند امرئ القيس [١٣] :

ومـا ذا عليـه أن ذكــرت أوانسـا كغـزلان رمـل في محاريب أقيـال

أنه يسترجع ذكريات اللائي كن يطرينه بحديثهن (الأوانس) وهن في صدر المنزل (المحراب) كأنهن الغزلان التي يربيها الملوك (الأقيال) في القصور ! ويؤكد علقمة الفحل ذلك[١٤] :

من ذكر سلمى وما ذكرى الأوان لهـا إلا السفاه وظـن الغيـب ترجيـمُ

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبـة كأنـهـا رشـأ في البيـت مـلـزوم

يقول إن ذكراه لسلمى الآن . وقد استحال مزارها . من الجهل المطبق والسفاهة ، ولكن برغم هذا اليقين إلى حسن الظن بها وحفظها لعهده معها (وظن الغيب ترجيم) ويقول عنها إنها مكتنزة (ملء الدرع) والدرع هو القميص. ناعمة (خرعبة) كأنها الظبي المدلل الذي تربيه الجواري في البيوت لا يفارقنه ويلزمنه أعجاباً به (ملزوم) . هذا وسنعود لهذا الموضوع في وقت لاحق .

٢ - الجهـد الفـردي :

وذلك بأن يتكفل المرء بحماية نبات أو حيوان أو قطعة أرض بعينها مثال ذلك ما ورد عن شقائق النعمان (Anemone Sp.) جاء عنها [١٥] شقائق النعمان : [أ] نبت شبيه بشقيقة البرق. مثل واحده وجمعه سواء . وإنما أضيفت إلى النعمان لأنه حمى أرضا فكثر فيها ذلك . (المؤلف : نلاحظ هنا أن النبات ظهر بعد أن تم حجز الأرض وحمايتها وهذا هو أحد أهداف الحماية) [ب] قال غيره : نور أحمر يسمى شقائق النعمان وإنما سمي بذلك وأضيف إلى النعمان لأن النعمان بن المنذر نزل على شقائق رمل قد أنبتت الشقر الأحمر فاستحسنها وأقر

أن تحمي فقيل للشقر: شقائق النعمان (المؤلف نلاحظ هنا أن سبب الحماية يعود لوجود النبات أصلاً. ولعله كان حينذاك نادراً مما لفت اهتمام النعمان به وهذا أحد أهداف الحماية) (ج) قيل : النعمان اسم الدم ، وشقائقه قطعه ، فشبهت حمرتها بحمرة الدم وسميت هذه الزهرة شقائق النعمان وغلب اسم الشقائق عليها . نلاحظ الزاوية الجمالية اللافتة للأنظار .

ومن صور الحمى الشخصي ما فعله مجنون بني عامر (١٦) :

رأيت غـزالاً يرتعـي وسـط روضـة	**فقلت أرى لَيْلَى تراءت لنا ظهرا**
فيا ظبي كل رغـداً هنيئـاً ولا تخـف	**فإنك لي جار ولا ترهب الدهـرا**

الوعي البيئي :

كمال الحماية هو ما جاء به الإسلام وما تميز به الحرم حتى قبل الإسلام فالحمى الحرم لا يصاد صيده ولا يقطع نبته . قال إبراهيم الموصلي (١٧) في سياق مدحه هارون الرشيد (العصر العباسي) .

بهـارون اسـتقـام العـدل فيـنا	**وغاض الجور وانفسح الرجـاء**
رأيت النـاس قـد سـكنوا إليـه	**كما سكنت إلى الحـرم الظبـاء**

واختتم موضوع الحماية بالإشارة إلى هذا النشاط المسئول المحمود الذي تبديه بعض الدول نحو كنوزها وتراثها من الحياة الفطرية نباتها وحيوانها والسعي الجاد للحفاظ عليها وإنمائها .

جوانب من الحياة الفطرية في بادية الأمس :

إن أقصر الطرق لهذه الجوانب هو أن نسمع عنها ولا نراها كما أشار إلى ذلك سنكري ولعله يأتي اليوم الذي نعجز فيه عن الاستماع لأصدائها وذلك لانصرافنا المتوقع عن القراءة .. حيث توجد الإشارات إلى هذه الزوايا الفطرية التي كانت تعج بها بادية الأمس ! والانصراف عن القراءة هو اغتيال للخيال .. وهذا يعني أننا سنفقد القدرة على تصور ما كانت عليه هذه الحياة الفطرية في بادية الأمس .. كما أن دورة الزمن في أيامنا هذا أصبحت ذات وتيرة سريعة متلاحقة قد لا تسمح بالتوقف المتأني لمراجعة الأضرار التي لحقت ليست بالبادية فقط بل بالبيئة الذاتية العامة للإنسان المعاصر ... والواضح أن عالم اليوم قد تزين بما تمخض به

القرن المنصرم هذا.. والزينة أكثر ما هي صناعة وخلو من الروح .. وقد كانت الزينة في بادية الأمس دفقاً فطرياً غير أنه جف ولا أخال صناعة اليوم بالأمر الثابت كما لح لذلك المتنبي . فما هي العناصر التي افتقدناها اليوم وكيف كانت حينذاك .

ما الذي فعله الشعراء ؟

نلاحظ مما يلي وما سبق من أبيات للشعر الفصيح أن الشعراء انجذبوا نحو الجمال ونفروا عن القبح . لذلك نجد القليل القليل من الشعر يكون موضوعه مادة فطرية غارقة في القبح !! وإن حدث هذا فمجاله الهجاء وليس عمقه في الشعر كعمق اللمسات الجمالية الرقيقة الراقية الشفافة . وعليه فإن ما وصلنا من صور شعرية هو انحياز واضح نحو الجمال وإذا بالشاعر يكون أكثر ما يكون قرباً لهذا الحيوان الجميل الرشيق ... ثم يحس أن هذا الجمال الفطري بدأ ينزلق نحو الضياع والخفوت .. فاقترب أكثر منه.. وصوّرة فأحسن وأجاد .. ويمضي نهر الأيام في انسيابه فتختفي هذه الحيوانات الجميلة . ويبقى ما خلده لنا الشعراء منها .. ولعلنا لا نفرط حتى في هذا ومن الجمال ما قتل ، وصرعى العشق والوله والحب تزخر بهم أنفاس الأيام ، ومحور الصراع هو الجمال حتى في عالم الحشرات ، ونطرق مداخل بعض هذه الحيوانات في الصفحات التالية :

النعامة العربية :

أشارت Vinecett [(١٨)] إلى الآتي :

١- انقرض هذا الطائر من البيئة الفطرية العربية .

٢- كان متوافراً حتى نهاية القرن التاسع عشر عند أطراف الربع الخالي .

٣- كان يشاهد عند بداية القرن العشرين في شمال المملكة حول الجوف وفي النفود .

٤- أفاد بعض الرحالة ومنهم Carruthers (عام ١٩٠٩م) وفرة النعام وبيضه حول الجوف .

٥- أفاد Doughty (لم يحدد تاريخ) أنه أفطر بمقلي بيض النعام وكان يسمع أصوات فراخ النعام في مدائن صالح .

٦- أرسل الملك عبد العزيز نعامتين إلى المندوب البريطاني السامي في العراق Percy cox عام ١٩٢٢م .

٧- أشار Burckkadart و Wallin في رسالتهما إلى أن أهل البادية كانوا يقومون بصيد النعام في الحجاز وفي النفوذ حتى نهاية القرن التاسع عشر .

٨- أشار Cheeseman (١٩٢٠م) إلى وفرة النعام حول الجوف .

٩- أفاد Thesiger بأنه تحصل على بقايا بيض قديم للنعام في الربع الخالي خلال الأربعينات من القرن العشرين .

١٠- أفاد Thesiger أن آخر نعامة تم قتلها رمياً بالرصاص قبل نهاية الحرب العالمية الثانية في السهول الشمالية بالقرب من العراق .

١١- دعا الملك خالد عليه رحمة الله إلى العناية بهذا الطائر انطلاقاً من تكاثره في الأسر .

وفرة النعام في العصور الماضية :

ليس أدل على هذه الوفرة من ما سجله لنا بعض الشعراء إلى جانب ما قد قرأناه في المثل السائر والمدهش أن ابن سيده المتوفى عام ٤٥٨هـ لم يذكر طائر النعام صراحة بين طيور اليابسة برغم تكرار الإشارة للنعام كثيراً . لننظر لبعض اللوحات :

يقول الشاعر :

عفتها الرياح الرامسات مع البلى — بأذيالها والرائح المتعبق
بكل شآبيب من الماء خلفها — شآبيب ماء مزنها متألق
فأصبح يرمي بالرباب كأنما — بأرجله منه نعام معلق

إنه إعصار دافن للآثار (الرامسات) معه مطر مندفع (رائح متعبق) ولعل سرعة حركة الرياح وسرعة حركة السحب التي شبهها بالنعام المعلق تدل على وفرة النعام إلى مثل هذه الدرجة من التخيل ! ونعرف أن القليل من الحيوانات ينام وهو معلق من أرجله (أو الصواب أيديه الجناحية) كما في الخفاش !!

وقد يرى الشاعر حتى في السراب نعاماً معلقا بالأرجل ! يقول السكب المازني [١٩] :

كأن السراب دوين السحاب — نعام يعلق بالأرجل !

ولعل وفرة بيض النعام كانت أمراً مألوفاً يقول ذو الرمة يصف حر يوم بالغ الشدة .

وحتى أتى يوم يكاد من اللظى　　　به النُّـوم في أ فحوصة يتصيح !

والنُّوم هو بيض النعام والأفحوص هو الموضع الذي يكون فيه البيض [٢٠] :

هذا وقد اشتهرت بيضة النعامة وتميزت فأسموها : بيضة البلد وهي النومة تتركها النعامة في الأدحي أو السقي ويقال لها البلدية وذات البلد [٢١] .

وبعد أن يفقس البيض الذي وصفه ذو الرمة بأنه يكاد يصيح من شدة حرارة الشمس يخرج الفرخ يقول الشاعر :

وغادر الفرخ في المثوى تريكته　　　وحان من حاضني الدَّخلين تصعيد

والتريكة والتركة هي البيض إذا خرج الفرخ منها فذهب وتركها [٢٢] .

ورغم أن النعام يضرب به المثل في الإجفال والنفور والغباوة . إلا أن الشاعر أفادنا بأن للنعام أو قل لزوج النعام ذاكرة تعيد لهما أحوال البيض والحنين إلى العش وهذا ينفي القول السائر أن النعامة لا تذكر موقع عشها متى غادرته فتضع بيضها أو تشارك أو تحضن بيض غيرها ! .

يقول الشاعر :

فتذكـــرا ثقـلاً رئيداً بعـدما　　　ألقـت ذكـــاء يمينها في كافـــر

والضمير في تذكر يعود للظليم وأنثاه . والثقل هو البيض والرئيد المرصوص وأشار الشاعر إلى غروب الشمس بقوله ألقت ذكاء يمينها في كافر . والكافر هو الليل لأنه يواري كل شيء [٢٣] .

مراتع النعام : الآء : التنوم . الشري (الحنظل)

يقول زهير بن أبي سلمى [٢٤] .

(أ) **كأن الرحل منها فوق صعل　　　من الظلمـان جؤجـؤه هـواء**

(ب) **أصك ، مصـــلم الأذنين　　　أجنـي لـه بالـسي تـنـوم وآء**

ويقول علقمة الفحل في وصفه ناقته أيضاً [٢٥] .

(أ) الصعل : الصغير الرأس . الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام ، جؤجؤ : صدر . هواء : فارغ .

(ب) أصك : متقارب العرقوبين. مصلم : مقطوع الأذنين من أصولهما.السي : إسم أرض. أجني : أدرك وحان أن يجنى.

(أ) كأنــها خـــاضب زعـــر قوائمه أجنــى له باللـوى شـري وتنـوم

(ب) يظل في الحنظل الخطـبان ينقفـه وما استطف من التنــوم مخــذوم

كلا الشاعرين قد اختار الظليم وهو الذكر من النعام لسرعته يجاري بها سرعة ناقتيهما وللسرعة ضوابط واتزان . أما ناقة زهير فهي كالظليم المعتوه من شدة النشاط والحركة وأما ناقة علقمة فهي هادئه الحركة كأنها الظليم الذي ارتعى ما طاب له حتى احمرت قوائمه وأطراف ريشه .

والخاضب هو ما احمرت قوائمه وأطراف ريشه وليس رقبته ! وهذا يهز الاعتقاد القائم بأن النعام العربي أحمر العنق !! وتصحيح ذلك أن يكون الأحمر هو لون الجلد بصفة عامة وهنا تدخل الرقبة كأوضح ما تكون .

ولدى العامة أن النعام يأكل الحجارة والجمر والمسامير ! .

أورد الدميري (٢٦) في باب العنكبوت أبياتاً في وصف السمندل وهو حيوان من الضفدعيات المذّنبة . زعم القدماء أنه يدخل النار ولا يحترق :

وبقاء السّمندل في لهب النار مَريل فصيله الياقوت

وكذلك النعام يلتقم الجمر وما الجمر للنعام بقوتِ

ثانياً : الحبارى :

طائر جميل رحل العربي من أنواعه حين استطالت يد الإنسان القابضة على السلاح ومقود السيارة نستمع إلى الوصف الذي أورده ابن سيده قبل تسعمائة وواحد وستين عاماً (٢٧) .

وهي "الغط" طائر بعظم الديك العظيم ، كثير الريش ، ومنها بيضاء وكدراء وحمراء مشربة الحمرة كدرة ، لا طويلة الرجلين ولا قصيرتهما ، طويلة العنق والذنب ، تبيض بيضاً من نحو بيض الدجاجة في العظم ، وهي دجاجة البر تأكل كل شيء زعموا حتى الخنافس .

(أ) الخاضب : الظليم أحمرت قوائمه وأطراف ريشه. زعر القوائم : قليلة الريش. اللوى : اسم موضع. التنوم : نبات القنب.

(ب) يضل : الضمير يعود لذكر النعام . الخطبان : الذي فيه خطوط صفراء أو حمراء وهو الأشد مرارة . ينفقه : يكسره ليستخرج حبة ليأكله . استطف : ارتفع . مخذوم : مقطوع . مهم : الخاضب تعود إلى الأرجل وليس إلى الرقبة .

يدهشنا الإشارة إلى الألوان المختلفة لهذا الطائر الذي اختفى كما يدهشنا استغراب ابن سيده أن يأكل الطائر الخنافس .

أجمل ما يكون هذا الطائر حين يصيبه الفزع أو حين يتأهب لقتال إذ يرتفع ريش الطائر فيستدير في عنقه خاصة الذكر . نستمع للشاعر يصف الخرب في هذه اللوحة :

فلا يـزال خـرب مقنـع   برائـلاه والجنـاح يلمـع

والبرائل هي ما ارتفع من ريش الطائر كما أوردنا يقال برأل الحبارى أي نشر برائله لفزع أو قتال .

توصف الحبارى بالبلاهة كما جرى الوصف على النعامة كذلك ! ونلاحظ زاوية جديدة طرقها دريد بن الصمة يضع نفسه موضع الخرب المسن بعد أن تقدم به العمر وتوقف ذووه من اللجوء إليه واستشارته . يقول :

كأني خـرب قصت قوادمـه   أوحتة من بغاث في يدي خصر

يمضون أمرهم دوني وما فقدوا   مني عزيمـة أمرٍ ما خلا كبري

إنه يشكوهم ويفيدهم أنه لم يفقد بعد المقدرة على المشاركة الفكرية والمعنوية ويعترف بتقدمه في السن وبأنه مثل ذكر الحبارى الذي نزعت عنه الريشات التي تتقدم الجناح (القوادم) وأنهم ينظرون إليه كحطام التبن المحصود (حتة) تمسك بها يد تكاد تتجمد من البرد ولعل الإشارة هنا إلى تلك الاهتزازات والرجفات الملاحقة اللاشعورية لدي المعمرين في السن!.

أما ما جاء به المتنبي فهو عكس الطبيعة ، إذ المعروف أن الصقور تصطاد الحبارى إلا أنه يؤمن بأن الليالي يلدن كل عجيب فيقول :

فلا تنلك الليالي أيديهـا   إذا ضربن كسرن الرتم بالغرب

ولا يعن عدواً أنت ظاهـره   فإنهن يصدن الصقر بالخرب

والغرب شجر رخو ضعيف ! والخرب طائر أضعف ! ومبالغة المتنبي ليست بالبعيدة عن الحقيقة برغم ما يبدو في قوله من استحالة .

ثالثاً : الوعـل :

كان قريباً من الناس فهرب عنهم إلى أعالي الجبال ولعلهم يطاردونه هناك فلا يجد وسيلة للهروب إلا السقوط من الأعالي وإنهاء الملاحقة وهو ضرب من الانتحار ! .

ينسحب الاسم على الشاة الجبلي وينادى بتيس الجبل واسمه مشتق من بيئته فالاستيعال هو صعود الجبال .. فإذا استوعلت الوعول فقد ذهبت في الجبال .. والتيس الجبلي هو أيضاً الأيل .. ويطلق على الذكر من الوعول اسم القرمود والقرميد وإذا أسن وتقدم به السن هو الثيتل والتيتل لغة فيه وهو أيضاً البدن .

أما أنثاه هي الأورية وقد يطلق الاسم على الذكر أيضاً وهي العنز وهي النعجة . أما ولده فهو الغفر أو الفرهود .

وصعد الوعل إلى الأعالي وقد طوقته في أثناء اقترابه من الإنسان العديد من الأوصاف الجميلة فهو "أعصم" إذا كان سائرة أسود أو أحمر غير بياض في ذراعيه أو إحداهما .

وهو "الموقف" وهو الذي يخالف لون يديه لون سائر جسده وقيل هو الذي عليه خطوط سواد في بياض أو العكس . وتوصف أنثاه إذا كنت بيضاء "الوظيف" وسائرها أسود بأنها "خدماء" . أو هي التي في ساقها عند الرسغ بياض في سواد أو العكس .

وأميز ما في الوعل قرناه فإذا اعوجا وانعطفا على ظهره فهو "أوفى" وهو كذلك إذا طال قرناه واقتربا من أذنيه من خلفه أو امتدا حتى كادا يبلغان قاعدة ذيله . وإذا طال القرنان حتى نخسا الحيوان هو "ناخس" أو "نخوس" وإذا كان الوعل في فورة شبابه فهو "الصدع" ، وإذا أسن فهو "الجهيل" وإذا ضخم وعظم جسمه هو "القنعار" .

يقف استخدامنا الفعلي لهذه الأوصاف . نظل نتداولها كلما سنحت لنا فرصة القراءة وجس نبضات الماضي .. حتى تتلاحق الأجيال القارئة وتنقطع الصلة وتدخل الألفاظ باب الهجر الواسع المتسع .

يقول لبيد بن ربيعة (٢٨) :

لو كان شيء خالداً لتـــواعلت	**عصماء (أ) مولعة ضواحي مأسـل**
بظلوفها ورق البشام ودونهـــا	**صعب تزل سـراته بالأجـــدل (ب)**

السجل هذا للوعول التي انقرضت في عصرنا وكيف أن الشاعر لمح أنثى الوعل على قمم الجبال منعزلة ببيئة يشاركها فيه الصقر . بعيدة عن ضجيج الحياة . ومع ذلك يدركها الموت . وأفادنا الشاعر أن الحيوان يرتعي البشام وهو من شجر الجبال .

جاء في اللسان (٢٩) :

البشـام :

شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

قال مرة : البشام ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق الصعتر ولا ثمر له وإذا قطعت ورقته أو قصف غصنه هريق لبناً أبيض واحدته بشامة .

الاسم العلمي هو Commiphora opobalsamum (٣٠) من نبات جبال السراة .

رابعاً : المها العربي (الوضيحي) :

١- كانت تصول وتجول فوق كثبان الرمال في النفود والربع الخالي والدهناء .

٢- كان مدى انتشارها عند بداية القرن العشرين يغطي منطقة النفود من عند الجوف إلى تيماء .

٣- يعتقد الآن أنها موجودة في أطراف الربع الخالي .

٤- أفاد Carruther أنه لاحظ أبعار وروث المها ودروبها في بعض مناطق النفود العام ١٩١٠م وشاهد مجموعة منها وهي ترعى .

رحل المها العربي عنا وقد كان ملء السمع والبصر واحتفظت لنا اللغة بمجالات الحديث عنه مما يوحي بقربه إلى الناس . فالذكر الذي ينسحب لونه ناحية السواد "عوهق" وإذا كانت الخطوط السود على الوجه فقط فهو "أسفع" وإذا حمل الذراع بقعاً سوداً فهو "مذرع" وإذا كانت الخطوط السود في القوائم فهي "رملاء" وإذا كان الثور أبيض وشديد البياض فهو "بهق" وهو "حضار". أما ولد البقرة الوحشية إذا كان أبيض أملس فهو "ماري" ويكون براق اللون .

(أ) العصماء : أنثى الثور الوحشي . تواءلت : كانت من أول الناجين . مأسل : جبل .

(ب) الأجدل : الصقر .

٢ - من مراتع المها العربي (البقر الوحشي) :

١ - الأرطـاة :

يقول امرؤ القيس [٣١] في وصفه الثور الوحشي متخذاً من شجر الأرطى مأوى له مع تقدم الليل وقد أيقظه نباح كلاب الصيد التي أطلقها صائدان مشهوران في عصره هما ابن مر وابن سنبس .

**وبات إلى أرطاة حقف كأنـــها	إذا التقتها غبيـــة بيت معـرس**

**فصبحه عند الشــــروق غدية	كلاب ابن مر أو كلاب ابن سنبس**

جاء في المنجد [٣٢] أن الأرطاة واحدة الأرطي وهو شجر له ثمر كالعناب واسمه العلمي : Calligonum comosum L, Her وقال سنكري [٣٣] أن الأرطى من النباتات الممتازة لتثبيت الكثبان الرملية وهو يستعمل لدباغة جلود الماعز وكوقود . كما تستعمل جذوره طبياً ضد ديدان الأمعاء .

٢ - الزهـر :

قال طرفة بن العبد البكري [٣٤] :

**ولها كشحا مهاة مطـــــفل	" يقتري " بالرمل أفنان الزهر**

**وعلى المتنــين منهـــا وارد	حسن النبت أثيث مســبكـر**

**جابه المدري لا ذو جـــــدة	تنفـض الضال وأفنان السمر**

يسود نبات " الزهر " في رمال الربع الخالي وهو من جنس الحسك Tribulus وينتشر النبات فوق ألوف الكيلومترات المربعة .. غير أن الإسراف في رعيه يقود إلى أوجاع تصيب الحيوانات الراعية له .

وأضاف الشاعر أن المهاة سمينة مترادفة اللحم (المتن) وإنها ذات شعر طويل مسترسل (وارد مسبكر) .

يصف المهاة كما ورد في حديثنا عن رعيها الزهر أعلاه . ولكنه يضيف هنا الضال والسمر وكيف أن المهاة تضرب بقرنيها أغصان هذه الأشجار لإسقاط الأوراق والثمار لتأكلها .

٣ – الحوذان :

يقول ابن مقبل في وصفه بقرة وحشية [٣٥] سال لعابها وهي تمضغ الحوذان الذي كان يذبحها (يسحطها) :

كاد اللعاع من الحوذان يسحطها ورجرج بين لحييه خناطيل

الحوذان : جاء في اللسان [٣٦] :

(١) الحوذان نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء في أصلها صُفرة وورقته مدورة . والحافر يسمن عليه . وهو من نبات السهل حلو طيب الطعم .

(٢) الحوذان نبات مثل الهندباء ، ينبت مسطحاً في جلد الأرض وليانها لازقاً بها وقلما ينبت في السهل وله زهرة صفراء .

(٣) الحوذان نبت له ورق وقصب ونور أصفر .

أفاد مجاهد [٣٧] وسنكري [٣٨] أن الحوذان من جنس picris من الفصيلة المركبة compositae وخصصا نوعين منه هما :

- P. abyssinica Sch Bip.
- P. radicata (Forsk.) less.)

كل من النباتين يرتفع قدر الذراع (١٥ – ٢٥ سم) الأول منهما أوراقه رمحية وأزهاره صفراء. والثاني أوراقه مفصصة وأزهاره صفراء .

٤ – الخزامى :

٥ – النتش :

يقول نابغة بني شيبان [٣٩] يشبه محبوبته بالبقرة الوحشية :

ولها عينا مهاة في مها ترتعي نبت خزامى ونتش

المهاة حيوان جميل يكاد ينقرض الآن . نلاحظ اقتراب الشاعر كثيراً من الحيوان لدرجة مكنته من تمييز ما يلتقطه الحيوان من نبات وبخاصة الخزامى والنتش .

جاء في اللسان [٤٠] عن الخزامى أنه نبت طيب الريح واحدته خزاماه. وقال أبو حنيفة :

الخزامى عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق . حمراء الزهرة طيبة الريح . لها نور كنور البنفسج وهي خيري البر .

وأورد مجاهد (٤١) أن الخزامى هو ما يطلق عليه علمياً :

Schouwia thebaica var. microcarpa

ويمكننا استبعاد ما أورده مجاهد على أساس أن النبات ليست له تلك الرائحة الطيبة التي أثبتها اللسان .

أما النبات الثاني الذي ذكره الشاعر في مراتع البقر الوحشي فهو النتش .

ولعل مجاهد (٤٢) حينما ذكر نطاش أراد نتش وقال عنه أن اسمه العلمي هو :

Crotalaria microphylla

وأفادنا المنجد (٢٥١) أن النتش بصفة عامة هو أول ما يبدو من النبات بعد الأمطار يقال : أنتش إذا أخرج رأسه من الأرض قبل أن يعرف . وأنتش الحب أي ابتل فضرب بنتشه في الأرض .

٦ - سيال :

٧ - سلم :

أنشد أبو حنيفة (٤٣) يصف الثور الوحشي :

يأكل من خضب سيال وسلم وجلة لما توطنها قدم

" الجلة " مرعى لم تطأها قدم ، مبالغة في وصف غزارة المرعى بلاشك ، سيان إن كانت تلك القدم لحيوان أو إنسان ! وأغلب الظن أن هذا المرعى هو داخل الحزام الشوكي الذي يتميز بأشجار العضاه الشائكة . وقد أثبت الشاعر ذلك في إشارته للسيال والسلم .

الحلب :

يقول أمرؤ القيس (٤٤) في وصفه لحصانه :

مُكرٍ مُفرٍ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً كتيس ظباء الحلّب الغذوان

الرابط بين الحصان والذكر من الظباء هو السرعة الفائقة . والرابط بين ذكر الظباء

والمرعى هو نبات الحلّب . إلى جانب أن الشاعر يخفى ما هو واضح وهو عنصر الجمال في الظباء ! ليعنى أن حصانه أيضاً جميل . كما أن الإشارة إلى الذكر من الظباء (كما هي الحال مع الذكر من النعام) تعني القطيع . ومرة أخرى تتأكد من وفرة هذا الحيوان الجميل في عصر الشاعر .

جاء في اللسان (٤٥) عن الحلّب أنه :

(١) نبات ينبت في القيظ والقيعان وشطآن الأودية . ولا تأكله الإبل إنما تأكله الشاة والظباء وهي مغزرة مسمنة تختبل عليها الظباء .

(٢) هي بقلة جعدة غبراء في خضرة تنبسط على الأرض ، يسيل منها اللبن ، إذا قطع منها شئ .

(٣) وعن أبي حنيفة : الحلّب نبت ينبسط على الأرض ، وتدوم خضرته ، له ورق صغار ، يدبغ به .

(٤) وعن أبي زياد : من الخلفة الحلّب وهي شجرة تسطح على الأرض ، لازقة بها ، شديدة الخضرة ، وأكثر نباتها حين يشتد الحر .

(٥) وعن الأعراب القدم : الحلّب يستطلح الأرض ، له ورق صغار مر ، وأصل يبعد في الأرض ، وله قضبان صغار .

جاء في اللسان (٤٦) أن السلم :

(١) نوع من العضاه .

(٢) قال أبو حنيفة : السلم سلب العيدان طولاً . يشبه القضبان وليس له خشب وإن عظم ، وله شوك دقاق طوال حاد إذا أصاب الإنسان ، قال : وللسلم برمة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح وفيها شيء من مرارة وتجد بها الظباء وجداً شديداً ، واحدته سلمة بفتح اللام .

(٣) السلم شجر من العضاه وورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم .

أفادنا عيسى (٤٧) أن السلم هو : Acacia ehrenbergiane Hayra وإضافة أنه أيضاً Ziziphus Lotus lam : نوع من السدر غير الشائك وما أظنه أصاب في هذا .

(١٠) الرخامى :

يقول عبيد بن الأبرص [٤٨] يصف ناقته كأنها الحمار الوحشي المختلط سواد لونه ببياض . وقد امتزج كل هذا مع لون الدماء من أثر الجروح العديدة على صفحته من صراع مع حمر أخرى . أو هي كالثور الوحشي تحفر في عنف جذور الرخامي لتأكلها وتدفأ من برد الشتاء القارس (موسوعة الشعر العربي مج ٢ ص) .

(١) كأنها من حمير غاب　　جون لصفحته ندوب

(٢) أو شبيب يحفر الرخامي　　تلفه شمال هبوب

أهم ما سجله لنا الشاعر هنا الحمار الوحشي من جهة والثور الوحشي من جهة أخرى وكلاهما منقرض من شبه الجزيرة الآن ! نلاحظ كثرة الحمر الوحشية . وذلك للجروح (الندوب) التي أصابت أحدها . وهو الذي استشهد به الشاعر . والتي تعزى إلى شجار بينه وبين بني نوعه أكثر من احتمال أن تكون المشاجرة مع حيوان آخر . ولعل هذا الشجار يدور حول الإناث كما هو معهود في العديد من الحيوانات مما يفيد أن الشاعر كان ينظر إلى قطيع كبير أمامه ولعل هذا قد كان في موسم الربيع والتزاوج .

أما الثور الوحشي (الشبيب) فقد سجله لنا الشاعر في موسم الشتاء القارس يبحث عن الطعام فلا يجد إلا جذور الرخامى .

خامساً : الظبي :

أمكن للعلماء تصنيف عدد من الأنواع محدود لهذا الحيوان الرشيق . منها :

١- الإدمي (الغزال العربي أو الغزال الجبلي) ولونه يضرب ناحية الحمرة الداكنة وله علامات واضحة على الوجه وشريط على الجانب . وقرونه ذات حلقات تكاد تكون مستقيمة غير أنها تميل إلى الخلف : يعتقد أنه كان متوافرٌ في الغرب وفي الجنوب الغربي للمملكة .

٢- الريم ... ليست على وجهه علامات واضحة ولا يوجد شريط على الجانب وقرونه متقاربة عند القاعدة حين خروجها من الجمجمة . وهي قيثارية الشكل .

٣- العِفري .. يلاحظ في غرب وجنوب غرب المملكة وأطرافه قصيرة مقارنة مع الإدمي والريم وقرونه أطول من قرنيهما وأكثر استقامة وأذناه أطول من أذنيهما .

أطلقت اللغة على ذكر الظباء "النيزب" و "التيس" وذا أسن الأخير هو "القهلب" . وألحقت اللغة بأنثى الظباء ألفاظاً في رونقها تناقلها الشعراء . ثم رحل عنا الشعراء ورحلت عنا الظباء وبقي الشعر وبقيت المسميات . فهي ظبية مطفل إذا تنقلت في صحبة أولادها وقد " أطلفت " وهي أيضاً " المرشق" . أما ولدها الضعيف الجمال فهو "الرئم" وهو "الطلا" وهو "الخشف" .

اللفظان الأولان له حين مولده والثالث حين تدرجه أول خطوات مشيه . وقد ينسحب لفظ غزال عليه منذ مولده وحتى حين تحركه ومشيه حتى إذا ما قوي فهو " شادن " وحينها فهو من القوة بحيث يستغني عن أمه بعض الوقت . حتى إذا ما صاحبها وتماشى معها في تجوالها فهو "رشأ " . حتى إذا ما اندفع يعدو وينطلق وقد بلغ من العمر نصف العام أو تجاوز ذلك قليلاً فهو " جداية " .

مراتع الظباء :

الشـري :

يقول عبيد بن أيوب العنبري مخاطباً الظباء البرية (٤٩) .

ألا يا ظبـــاء البر لا تشمتن بي وأخفينني إذ كنت فيكن خـافيـا

أكلت عروق الشري معكن فالتوى بحلقي نور الفقـــد حتى ورانيا

هذه لوحة حزينة تعكس أزمان شدة وبلايا ، وهنا نجد تسجيلاً للظباء ترتعي نبات الحنظل رغم مرارته وسميته . وبالتحديد عروقه . ولعل تحديد العروق (الجذور) يفيد امتلاءها بالماء .

وتوحي الصورة بجفافين : جفاف بيئي في الطبيعة ألجأ الظباء للبحث عن الماء . وجفاف حسي عاطفي عند الشاعر . يرى حيرته في حيرتها وبحثه عن الارتواء في بحثها وحزنه على نفسه يقربه منها فيطلب اللجوء والملجأ إليها .

توحي اللوحة بوفرة الظباء في عصر الشاعر . وقربها منه أكثر من قربه من بني البشر ! ومناجاته لها وملاحظاته أنها تحفر عروق الحنظل دون غيره من نبات .

ورد أن الفقد " المشار إليه نبات ولم أجد له تحلية توضحه . أما الشري فهو " الحنظل " (العلقم) وهو سام . ولعل "الفقد" ليس بنبات إنما هو لفظ يعني " الضياع " وبخاصة إذا كان

ما ضاع من الشاعر أمر ثمين .

الشـيح :

يقول أبو الطيب المتنبي (٥٠) :

جللا كما بي فإليك التبريح اغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح ؟

نلاحظ اختيار الشاعر للرشأ وهو ولد الظبية في شهره السادس عبر الشاعر كل مراحل أعمار الظباء ليصل إلى بغيته في تمثيل ملهمته بالرشأالصغير ! والمغزلة من الظباء لا تترك صغيرها طرفة عين إذا فالشاعر يعني أن ملهمته في حماية ذويها مما يحجبها عنه ويبعده عنها هذا من جهة وفي الطبيعة حين تتحرك الظباء في حركة قطعان عادة . وعليه تكون وفرة الحيوان في عصر الشاعر مما نفقده اليوم ! واقتراب الشاعر من القطيع أمكنه من التقاط الصوت الذي يخرج من بين خياشيم الرشأ مع زحمة الأصوات . كل هذا ثم يحدد الشاعر في تساؤل : الظباء عادة ترتعي الشيح إلا هذا الرشأ الذي غذاؤه دماء الشاعر وسكنه قلبه الذي أنهكه الهوى وأحرقه الجوى .

مراتع الظباء :

* الغفـــو .
* الريحان .
* الأيهقان .
* المكنـان .
* الذرقـا .

يقول كعب بن زهير (٥١) يصف تنوع نباتات المرعى بعد المطر وحركة الظباء مع أولادها فيه اختيار أنواع معينة من النباتات يفيد أنها هي التي تفضلها الظباء مما يدل على دراية الشاعر التامة بالبيئة حوله وسلوكيات حيواناتها وبخاصة الظباء في هذه اللوحة . يقول الشاعر فيها إن الغزلان الصغيرة كانت خائفة وقد التوت أعناقها خوفاً .. إنه القرب الشديد بين الشاعر وبينها .

فأنبت الغفو والريحان وأبله والأيـهقان مع المكنان والذرقا

فلم تزل كل غنـاء البغــام به مـن الظباء تراعي عاقداً خرقا

من جانب الحيوان . فاللوحة لقطيع ظباء كما ذكر أعلاه أما جانب النباتات فقد أشار الشاعر إلى :

الغفو : زهر الحناء وجاء في المنجد [٥٢] : الحناء واحدتها حناءة جمع حنات نبات يتخذ ورقة للخضاب الأحمر المعروف وله زهر أبيض كالعناقيد وهو من فصيلة الحنانيات . مهده الأصلي الهند ويزرع في البلدان الحارة .

الاسم العلمي للحناء : Lawsonia inermis

ورد الحناء في الشعر العربي . يدعو للتأمل إذ من المحتمل أن يكون النبات من نباتات المنطقة برغم الاعتقاد أنه مجلوب للزراعة وأن أوراقه المجففة أو المسحوقة مستجلبة من مناطق أخرى .

الأراك :

يقول حسان بن ثابت [٥٣] :

وإذا هي حوراء المدامــع ترتعي بـمـنـدفـع الــوادي أراكـاً مــنـظـما

أقامت به الصيف حتى إذا بدا لها نشاص - اذا هـبـت له الريح أرزما

ركز الشاعر هنا على الأراك مرعى ومأوى للظبية ذات الحور . هذا يدل مرة أخرى على شيوع الظباء من جهة وعلى كثافة الأراك من جهة أخرى . ويفيدنا البيت الثاني أن كُلاً من الشاعر والظبية قد مكث الصيف حتى حلول الخريف في المكان ذاته . مرة أخرى نلاحظ القرب الشديد بين الشاعر والحيوان .

هذا يلاحظ أيضاً في قول طرفة بن العبد البكري [٥٤] :

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن مـظـاهــر سـمـطي لـؤلـؤ وزبرجدِ

خـذول تـراعـي ربـربـاً بخــــميلة تـنـاول أطـراف الـبـريـر وتـرتـدي

يصف محبوبته في القبيلة كأنها ظبي أحور أسود العين . ثم ذكر أوصاف الظبي وبعض أوصاف المحبوبة . فالظبي ينفض المرد بقرنة والمحبوبة ترتدي سمطين أحدهما من لؤلؤ والأخر من زبرجد والمعنى أن هذه الظبية حسنة التلفت والنظرات كأنها مذعورة على ولدها فهي إن رعت مع صواحبها خذلتهن واجتنبتهن ولا تزال ملتفتةً إلى ناحية ولدها وتدخل معه خلال أغصان شجر الأراك فكأنها مرتدية بها .

الأرطى :

يقول عمر بن قميئة (٥٥) :

لها عين حوراء في روضة	**وتقرو مع النبت أرطى طوالا**

يصف الظبية مركزاً على حور عينيها مما يفيد القرب الشديد الذي يؤكده تمييز الشاعر للنبات الذي ترتعيه . هذا هو المسار العام الذي سجله لنا الشعراء حتى الآن وسنلاحظ في الصفحات التالية استمراره.

جاء في المنجد (٥٦) أن الأرطى واحدته أرطاة شجر ثمره كالعناب .

وأفاد مجاهد (٥٧) وسنكري (٥٨) أن الأرطى هو : . Calligonum comosum L'Her من الفصيلة البوليقونية . . Polygonaceae

تحديد الشاعر الأرطى بأنه نبات طويل يكمل حالة الحيوان الذي يرتعيه وذلك الجهد الكبير ليمتد العنق الى مداه ليصل إلى الأفرع الطرية الحديثة ! .

الآلاء :

لقد ورد الآلاء في سياق الحديث عن مراتع النعام وتم استبعاده ولكنه يرد صريحاً في إشارات شعرية للنابغة الذبياني .

يقول الشاعر (٥٩) :

يكعشن الآلاء مزينات	**بغاب ردينة السحم الطوال**
كأن كشوحهن مبطنات	**إلى فوق الكعوب برود خال**

يصور لنا قطيع الظباء وكيف أن قرونها طوال سود كأنها الرماح . وكأن ألوان الصوار

فيهن ثياب زاهية الألوان والخطوط ، يمنية الصنع . هذا الوصف الدقيق إشارة مرة أخرى إلى كثافة قطعان الظباء في عصر الشاعر. وهذا ما نفتقر إليه في وقتنا الحالي . فالظباء على وشك الانقراض لولا جهود حثيثة مشكورة أحست بخطورة أن يفقد أجيال هذه العناصر الجمالية في الحياة .

هذا ما كان من أمر الحيوان الذي استشهد به الشاعر . وقد حدد لنا مكانه وهو غاب ردينة .

الآن يأتي دور الآلاء وقد أخبرنا الشاعر الظباء ترتعيه . ما هي اللحظة التي سجلها لنا الشاعر ؟ قطيع ظباء يأكل . والأكل درجات ! التفات لاختيار الغصن المناسب . زحزحة الغصن بالقرون . امتداد للعنق . انفتاح للفم . التقاط للأوراق أو الأغصان الحديثة. مضغ مؤقت استعداداً لعملية الاجترار في وقت لاحق . إذاً لم يكن الشاعر ينظر لظبية واحدة . بل كان هنالك العديد منهن . هذه هي الوفرة والشيوع مرة أخرى ليس فقط من جهة الحيوان . بل أيضاً من جهة النبات . فكلها كانت ترتعي الآلاء .

الحوذان ، النفل :

يقول الحارث بن كلدة في وصفه صنف الظباء الذي يطلق عليه اسم "الأدماء" وهو اللون الأسمر للظباء [٦٠] .

كأن فيهم غداة البين إذ رحلوا ... أدماء طاع لـها الحوذان والنفل

كل ضروب الظباء أصبح في عصرنا في حكم النادر الذي كاد أن ينقرض كما ذكر أعلاه. وينصب الحديث الآن حول النباتات التي ترتعيها الظباء . أشار الشاعر إلى نباتين هما الحوذان والنفل .

سادساً : النمر العربي :

١- يعتقد بوجوده في غرب وجنوب غرب المملكة .

٢- أفادت Vinecett [٦١] أن آخر أفراد هذا الحيوان النادر قد قتل رمياً بالرصاص خلال التسعينيات من هذا القرن وذلك شمال العلا. وأن فرداً آخر قد تم قتله في مرتفعات أبها في فبراير عام ١٩٨١م .

٣- يتغذى النمر بالطيور وقرود البابون والغزلان غير أنه عند الجوع يهاجم الحيوانات المستأنسة مما دعى الناس إلى مهاجمته وقتله ! .

والنمر ضرب من السباع أصغر من الأسد وهو منقط الجلد نقطاً سوداً وبيضاً وكنيته أبو الأبرد وأبو الأسود وله كنى أخرى [٦٢].

ولعل انقراض النمر قد وقع بسبب ما ورد في التاريخ .. يذكر دريد بن الصمة أن الملوك كانت ترتدي جلود النمر حين تنفيذ حكم الإعدام ! يقول الشاعر الجاهلي [٦٣] .

فإن الرزء يوم وقفت أدعو	فلم أسمع معاوية بن عمر
ولو أسمعته لأتاك يسعى	حثيث السعي أو لأتاك يجري
بشكة حازم لا غمر فيه	إذا لبس الكماة جلود نمر

ويقول عوف بن عطية :

ونلبسُ للعدوِّ جلودَ أُسدٍ	إذا نلقاهُمُ وجلودَ نمْرِ

وقال أبو جندب الهندي :

وتقطع بيننا رحمُ إذا ما	لبسنا للكماةِ جلودَ نمْرِ

والكماة هم الملوك . وقيل الجنود الشجعان .

وهنالك بصيص من الأمل أن النمر العربي لا يزال علي قيد الحياة في بعض مرتفعات السروات .

سابعاً : الحمار البري :

حمل معه في رحلة غيابه عن الحياة الفطرية بعضاً من الألفاظ التي تخلفت عنه خاصة ما يتعلق منها باللون وبقي ملاذه في أفريقيا . فالحمار " أخطب " حين يكون له خط أسود على متنه وهو " أحقب " حين يكون في بطنه بياض . وهو " أقمر " حين يضرب لونه نحو الحمرة وهو " أدخن " حين يكون في لونه غبرة وهو " أدغم " إذا كان أنفه أسود اللون .

مراتع الحمار البري :

* الوسمى .
* البهمى .

يقول الشماخ بن ضرار (٦٤) :

خلا فارتعي الوسمي حتى كأنما يرى بسفا البـهمى أخلة ملـهج (أ)

يسجل لنا الشاعر معرفته بالحمير البرية (التي انقرضت من الجزيرة العربية في عصرنا الحاضر) ويصور مقدم الربيع وهطول الأمطار وظهور النباتات ومن بينها نبات البهمى الذي تجمعت أشواكه على أنف الحمار وفمه ، كأنها العود الذي يثبت على فم الفصيل الرضيع ليمنعه من رضاعة أمه .

حدد لنا الشاعر نبات البهمى .

وإن يبس البهمى يسمى الصفار . وجاء في اللسان (٦٥) :

- البهمى نبت .

- وفي المحكم : البهمى نبت .

(١) قال أبو حنيفة : هي خير أحرار البقول رطباً ويابساً . وهي تنبت أول شيء بارضاً وحين تخرج من الأرض تنبت كما ينبت الحب . ثم يبلغ بها النبت إلى أن تصير مثل الحب ويخرج لها . إذا يبست شوك مثل شوكة السنبل . وإذا وقع (الشوك) في أنوف الغنم والإبل أنفت عنه حتى ينزعه الناس من أفواهها وأنوفها فإذا عظمت البهمى ويبست كانت كلأ يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل .

(٢) قال الليث : البهمى نبت تجد به الغنم وجداً شديداً ما دام أخضر فإذا يبس هرّ شوكه وامتنع .

مراتع الحمار البري : (٣) الجميم (٤) البشرة (٥) الصمعاء :

يقول ذو الرمـة (٦٦) :

رعى بأرض البهمى جميماً وبشرة وصـمـعـاء حتى آنفته نصـالـها (ب)

(أ) خلا : من يخلو لم يترك مكانه . الوسمي : أول مطر الربيع لأنه يسم الأرض بالنبات . سفا البهمى : شوكة . أخلة : جمع الخلال عود يوضع في لسان الفصيل لئلا يرضع . ملهج : من لهج ولاهج الفصيل أمه . أي يتناول ضرعه ليمتصه .

(ب) بأرض البهمى : أول خروجه من الأرض . الجميم : النبت الكثير الذي طال بعض الطول . البشرة : جمع بشر وهو ما ظهر على الأرض من نبات . الصمعاء : جمع صمع : النبت الذي خرج له ثمر ولم يتفتق .

يسجل لنا الشاعر وجود الحمار البري في عصره ويصور لنا مرعاه منذ بداية هطول الأمطار حتى جفاف بعض نباتاته ومن بينها الصمعاء التي لها شوك مثل شوك السنبل ينغرز في أنوف الحيوانات التي ترعاه .

الآن ما هي الصمعاء :

أوردماندافيل (٦٧) أن الصمعاء : Stipa capensia

واتفق معه مجاهد (٦٨) :

واتفق ماندافيل (٦٩) أن النبات ترتعيه الحيوانات في أثناء حداثته ، ولكنه يكون مؤذياً لها وخطراً حين نضجه لأن السفاة تطول وتتحول إلى أشواك تنغرز في أفواه الحيوانات .

ويزيدنا ماندافيل أن وجود النبات بكثافة دليل على قساوة الرعي الجائر.

والصمعاء (أيضاً الصمعة) هو البهمى عند سنكري (٢٧٥) وقد أورد له الاسم العلمي : . Stipa sp

سابعاً : الضب :

في طريقة للانقراض بسبب كثافة صيده لأكله مشوياً ، زاحف من ذوات الدم البارد يصل طوله إلى ٦٠ سم ، وعرضه إلى ٢٠ سم . يبدأ يومه بتعريض جسمه عند مدخل جحره لأشعة الشمس ويكون لونه حينها رمادياً ثم يتحول مع اكتسابه حرارة الشمس تدريجياً نحو اللون الأصفر ، وتتنامى مقدرته على الحركة السريعة بدرجة هذا التحول ، وإذا طال تعرضه لأشعة الشمس الحارة فإنه يموت بضربة الشمس . يتغذى بالنباتات . Vinecett (٧٠) صور لنا أحد الشعراء (٧١) كيف أن الضب يبني جحوره في الصخور فتفنى بذلك أنامله ..

حيث يقول الشاعر :

سقى الله أرضاً يعلم الضب أنها	**بعيد عن الأدواء طيبة البقل**
بنى بيته في رأس نشر وكدية	**وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل**

أحس بأن الشاعر ارتقى بالضب إلى مستوى العقلانية والإدراك وتدخل أنامل الضب في الهجاء يقول الشاعر : (٧٢) .

تقلب رأسـاً لم يكن رأس سيد وكف ككف الضب أو هي أحقر

وفي قوله :

لعمري لضب بالعـنـيزة صائف تـضـحى عـراداً فـهو ينفـخ كالـقرم

أحـب إلـينا أن يـجاور أرضـنـا من السمك البنى والسلجم الوضم

والسمك البني : ضرب من السمك في المياه العذبة من فصيلة الشبابيط .

وهذا أبو الطيب المتنبي يعيدنا إلى البادية في سخرية طاغية بإحدى القبائل البدوية التي تطلعت إلى الملك والسلطان وقيام دولة لهم . فقال فيهم [٧٤] :

أرادت كلاب أن تفـوز بدولـة لـمن تركت رعي الشويهات والإبل

أبى ربها أن يترك الوحش وحدها وأن يؤمن الضب الخبيث من الأكل

يقول عنهم أنه لو قامت لهم دولة ، فمن سيقوم باصطياد الضب وأكله .

أما أساليب صيد الضب في أيامنا هذه فقد دخلت فيها الغازات السامة التي تطلقها عوادم السيارات والرصاص والدهس بالسيارات ومعنى هذا أن الفريسة المسكينة تكون في أغلب الأحيان قد ماتت بهذه الأساليب ، فهل يحل أكلها .

ثامناً : الوشـق :

قال معلوف [٧٥] عنه نقلاً عن الدميري : " حيوان أصغر من الفهد طويل الظهر ، يصيد كل شيء حتى الطير وهو التفة أيضاً "وقال عن التفة " ويسمى عناق الأرض والغنجل وهو نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيده في غاية الجودة والملاحة وربما واثب الإنسان فيعقره ولا يطعم غير اللحوم وقد وصفه الناشئ في أبيات :

حلو الشمائل في أجفـانه وطفٌ صافي الأديم هضيم الكشح ممـود

فيه من البدر أسمـاء توافـقه منهـا له سقـع في وجـهـه سـود

كوجه ذا وجه هذا في تـدوره كأنه منـه في الأجفـان معـدود

له من اللـيث ناباه ومخلـبه ومن غـريب الظباء النحـر والجـيد

ولا أعتقد أن انقراضه بسبب صيده للأكل إبان العهد الإسلامي فهو محرم الأكل لأنه ذو ناب ومخلب ولربما حدث ذلك له خلال العصر الجاهلي ! .

الخاتمة

ماذا سيكون رد الفعل إذا أمكن لنا أن ندعو هؤلاء الشعراء لزيارة عصرنا الحاضر ونحن نتطلع إلى دخول بوابة القرن الحادي والعشرين ؟ وقد أطل علينا عصر الاستنساخ ؟

إن عادوا وتلفتوا يبحثون عن نار القِرى فقد شبت محلها نيران آبار النفط وغازها المشتعل وحينها يدركون أن اكتشاف النفط نقلة عنيفة وتشارك نار الآبار أضواء الأعمدة الكهربائية في كل مكان واكتشاف الكهرباء نقلة سبقت النفط بمراحل فغاب القمر في سمائه .

ولتقليل أثر الصدمة عليهم ندعوهم لزيارة الجنادرية لنريهم أننا لا نزال نحتفظ لهم ببعض الأثر حتى يلم به جيل الغد .

إن عادوا فسيتطلعون إلى رياضتهم المفضلة وهي الصيد والتي تصل إلى أقصى رفاهيتها على صهوة حصان فيصدمهم الأمر الواقع بأن الحصان لم يعد مهماً فقد حلت مكانه السيارات رباعية الدفع ذات الإطارات المصممة للسير فوق الرمال والصخور وسيجدون أن القسي والرماح والسهام أمر قد انتهى وحلت مكانه الطلقات النارية والسلاح المدمر .

إن عادوا فلن يجدوا إلا آثاراً من حيوانات الماضي البرية وقد صوروها شعراً ونثراً وعلى صفحات الصخور ولربما لن يجدوا بعضها حتى داخل حديقة الحيوان .

إن عادوا فلن يجدوا باديتهم بكاملها فقد أصاب وجهها أصباغ الحضارة الحديثة وانكمشت وتقلصت .

إن عادوا فلن يجدوا روابط القبيلة ونظامها فقد ذابت الفوارق ويتنبأ الدكتور/ حمود حناوي القسّام باختفاء القبيلة العربية خلال قرن واحد من الآن (المجلة العدد ١٠١١١ تاريخ ١٩٩٩/٩/٢٧م) ولعل العادات القبلية قد بدأت تختفي .

إن عادوا سينطقون بلغة لا نعرفها نحن ولن يفهموا ما نحكيه لهم فقد عاثت بعض الفضائيات فساداً باللغة وطغت عليها اللهجات ودخلت البيوت غصباً .

إن عادوا فقد يتملكهم الخوف مما نحن فيه فلا يجدون من يجيرهم فكل منا سجين داره بل سجين نفسيته .

إن عـادوا وتطلعـوا إلى نباتات بيئـتهم فستـصـعـقـهم الحـقيقـة المرة أن هناك نبـاتات البلاستيك في الصدارة والنباتات الدخيلة في المقدمة .

إن عادوا وقبل أن يفقدوا عقولهم سنسوقهم إلى تجارب جادة ومساع موجهة لإعادة الحياة الفطرية كما هو حادث الآن في المملكة العربية السعودية (الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها) وفي الأردن (الجمعية الملكية للحفاظ على الحياة الفطرية) وفي سلطنة عمان وفي الإمارات العربية المتحدة وفي الكويت وغيرها من مناشط تهدف إلى تصحيح الخطأ في حق البيئة وقد قيل إن الاعتراف بالخطأ فضيلة .

المراجــع

مصــادر أبيــات الشعر بنــاء على الأرقــام المسلسلة المتضمنة في المــتن :

المصـــــــدر	الــــرقــــم
المتنبي العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج٢ : ٤٨٢	٥
ميسون البجدلية	٥ أ
نضلة السلمي : العقد الفريد ج ٥ : ٢٤٢	٦
أبو العشنط النهشلي : لسان العرب مج ٢ : ١٨ (١٩٨١)	٧
أعرابي : ربيع الأبرار ج١ : ٢٠٨	٨
أبو الهندي : الحيوان ج ٦ : ٨٩	٨ أ
شاعر : لسان العربي ج٥ : ٥٣٣	٩
قيس بن زهير : موسوعة الشعر العربي ج ٣ : ٣٢٩	١٠
الشماخ : لسان العرب مج ٤٢ : ٣٦١	١١
علقمة الفحل : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج١ : ٢٦٤	١٢
امرؤ القيس : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج١ : ٤٩	١٣
علقمة الفحل : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج١ : ١٥١	١٣
شاعر : اللسان مج ١٠ : ١٨١	١٥
مجنون بني عامر : الإنمائي ج٨ : ٧٤	١٦
إبراهيم الموصلي : الإنمائي ج٥:١٨٧	١٧
السكب المازني : ربيع الأبرار ج١ : ١٥٠	١٩
زهير بن أبي سلمى : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج١:٢٢٨	٢٤
علقمة الفحل أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج١ : ١٣٩	٢٥
شــاعر	٢٧ أ
شــاعر	٢٧ ب
لبيد بن ربيعة : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ص ٣٠	٢٨
امرؤ القيس : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ١ : ٨٨	٣١
طرفه بن العبد البكري : لسان العرب ج ٤ : ٤٢	٣٤
ابن مقبل : لسان العرب ج ٣٠ : ٣١٢	٣٥
امرؤ القيس : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ١ : ٧٩	٤٤
عبيد بن الأبرص : موسوعة الشعر العربي مج ٢	٤٨
عبيد بن أيوب : الشعر والشعراء	٤٩
كعب بن زهير : موسوعة الشعر العربي مج ٥	٥١
حسان بن ثابت : موسوعة الشعر العربي مج٢	٥٦
طرفه بن العبد البكري : موسوعة الشعر العربي مج٢	٥٧
عمر بن قميئة : موسوعة الشعر العربي مج٣	٥٨

المصدر	الرقم
شاعر : أشعار الشعراء الستة الجاهليين مج ج ١ : ٢٦١	٥٩
الحارث بن كلدة : الأغاني ج٣ : ٣٢٢	٦٠
دريد بن الصمة : أشعار الشعراء الستة الجاهليين	٦٣
الشماخ بن ضرار : موسوعة الشعر العربي ج ٥	٦٤
ذو الرمة : الأصمعيات	٦٦
شاعر : الحيوان ج ٢ : ٨٧	٧٢
شاعر: البيان والتبيين (١/٥٣)	٧٣
المتنبي شرح الديوان ج١:٣٣٧	٧٥

المراجع العربية كما وردت مسلسلة في المتن

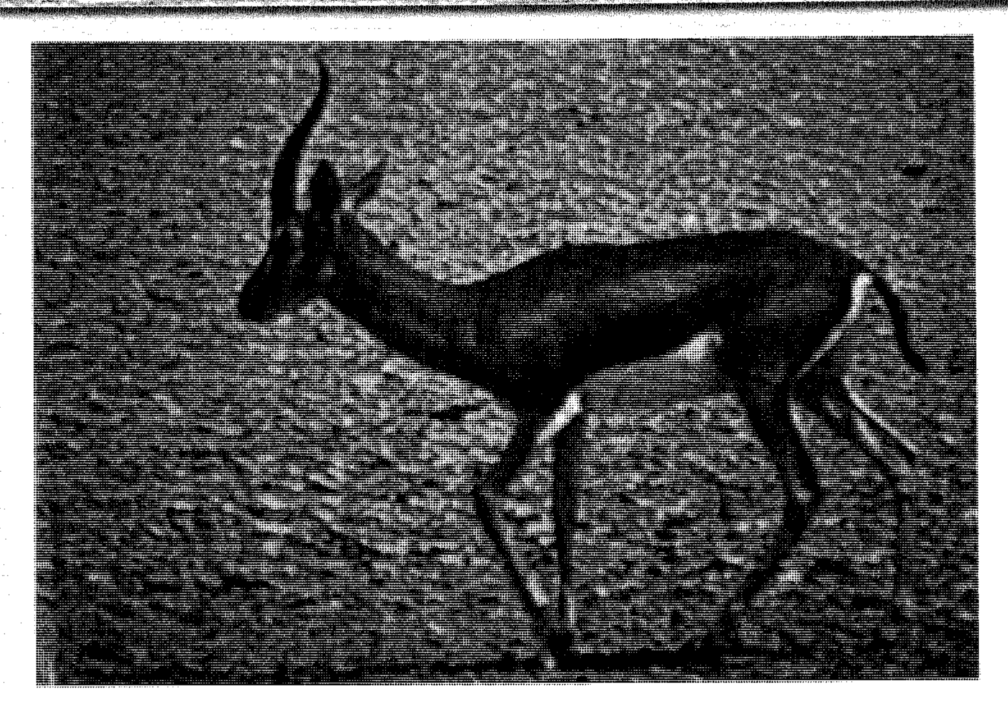
المرجع	الرقم
سنكري ، محمد نذير (١٩٨٠) ، بيئات ونباتات ومراعي المناطق الجافة ، وشديدة الجفاف السورية ط ٣ منشورات جامعة حلب .	١-٤-٣٠-٣٣-٣٤ -٣٨-٤١ -٥٨ -٦٠
هيكل ، محمد حسنين (١٩٦٨) حياة محمد (ص) ط١٣ مكتبة النهضة المصرية : القاهرة .	٢
ابن سيده أبو الحسن علي إسماعيل : المخصص (د . ت) ست أجزاء - لجنة إحياء التراث العربي .	٢٠-٢١-٢٢-٢٣
ابن منظور (١٩٨١) ، لسان العرب	٢٩-٣٦-٤٠-٤٥ -٤٦-٦٥
المنجد في اللغة والإعلام ط ٢٦ ، دار المشرق بيروت توزيع المكتبة الشرقية .	٣٢-٤٢أ-٥٢-٥٦ - ٥٧ - ٦٨

المراجع الأجنبية كما وردت مسلسلة في المتن

المرجع	الرقم
Vinecent, Betty A. Lipscombe (1982) Animal life in Saudi Arabia Garzanti Editore Italy	١٨ - ٦١ - ٧٠
Migahid. A.M. (1978). Flora of Saudi Arabia Ed , 2 . Riyadh University Presss	٣٧ - ٤١ - ٤٢ - ٥٧ - ٦٨
Mandaville. J.P.(1990) Flora of Eastern Saudi Arabia, Regan Paul International London & New York Jointly. With the National. Commission for Wildlife Conservation and Development Riyadh .	٦٧



الوشــق

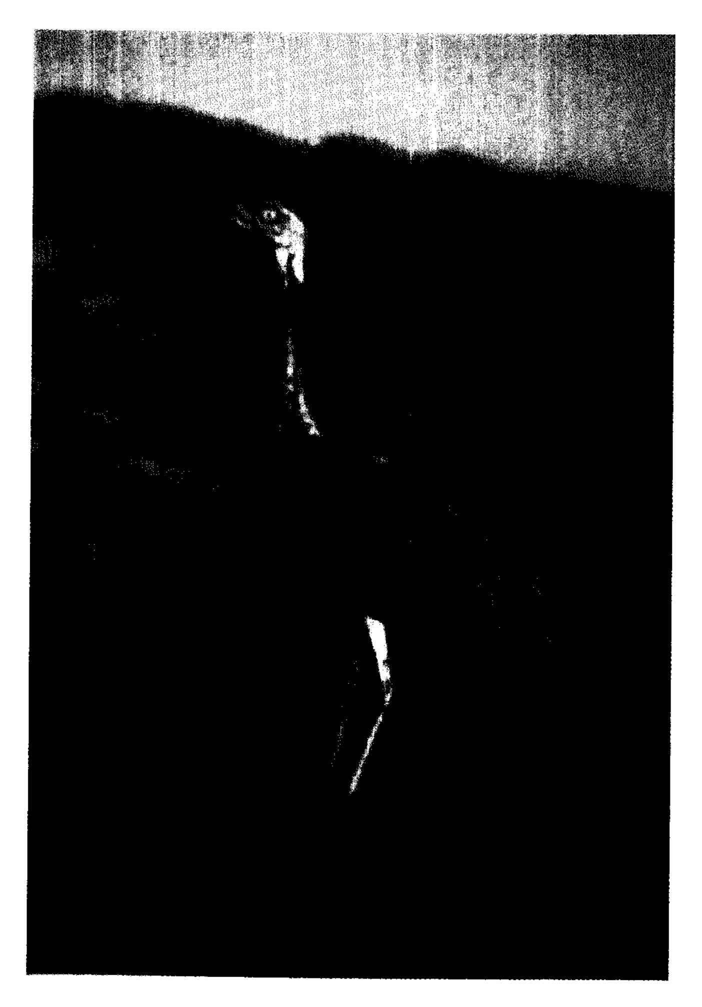


ظبي الريـم

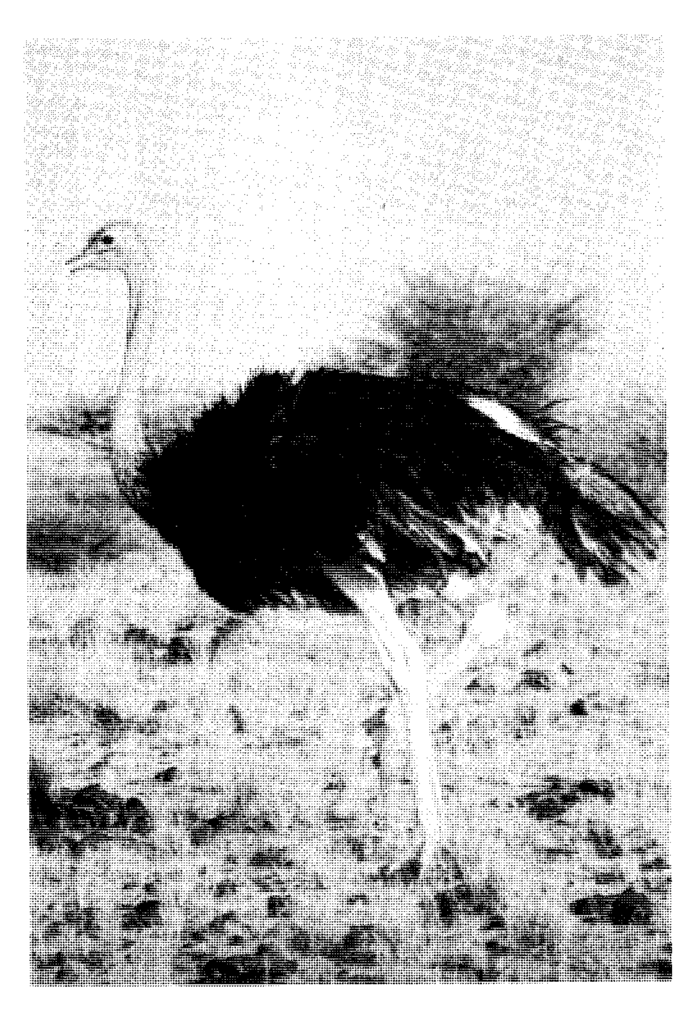


قطيـع ظبــاء





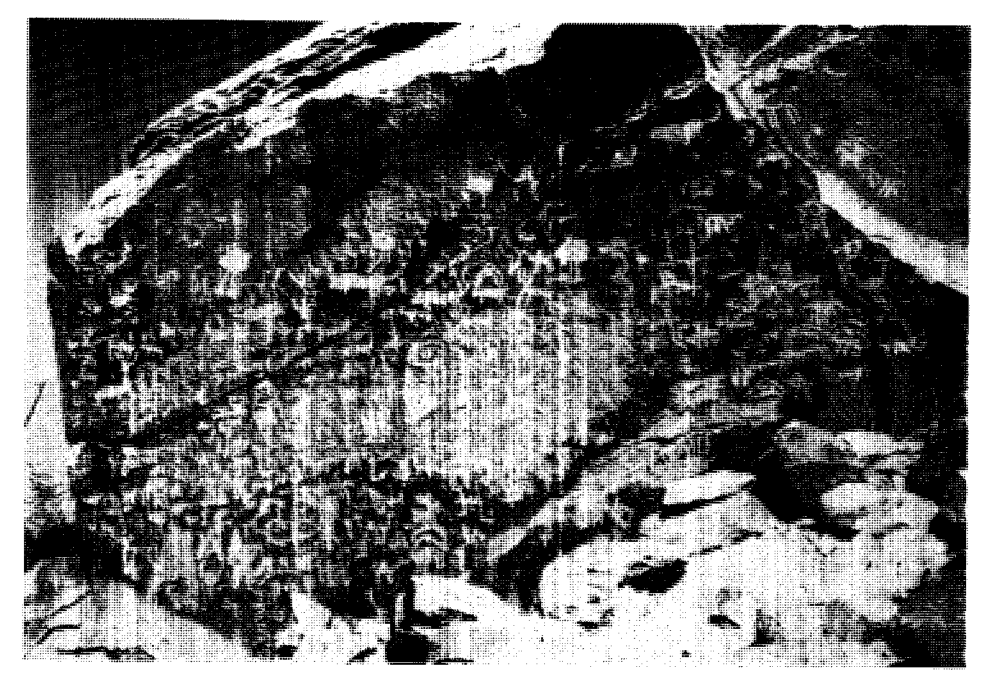
الحبـــارى



أنثى النعـام ـ ريـداء

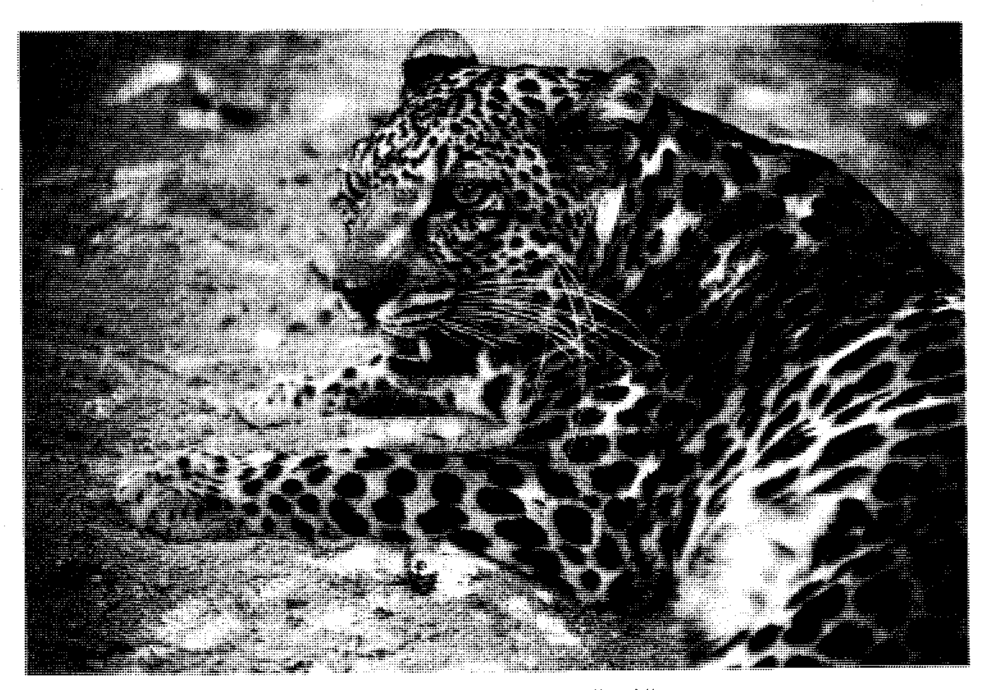


الضـــب



رسـوم صخـرية ـ تبة جنوب مصيقرة ـ طريق الحجاز الجديد





النمر العربي - مركز أبحاث الطائف



مهاة / وضيحي ـ محازه الصيد



رسوم صخرية ـ تبة جنوب مصيقرة ـ طريق الحجاز الجديد



الـوعـل الـنـوبي ـ البـدن ـ ناخـس



جريدة الرياض، العدد ١١٢١٢، السبت ٦ مارس ١٩٩٩م، ص ١٤

حفظ وتوثيق الملابس والمنسوجات كعنصر من عناصر الثقافة المادية

د. ليلى بنت صالح البسام (*)

مقـدمـة :

إن المحافظة على المقتنيات والآثار من المسؤوليات الأساسية لكل من يقوم بجمعها سواء كان متحف أو جمعية أو فرد يهوى جمعها . فهي من المصادر الأساسية لتراث الأمة الذي يجب علينا حفظة ودراسته وصيانته والتوعية والتعريف به للجمهور . ويجب الاهتمام أكثر بعملية الحفظ في الوقت الحاضر لما تعانيه البيئة من ارتفاع في نسبة التلوث ، وحتى نضمن استمرار بقاء تلك المقتنيات للمستقبل ، والتي هي في الغالب فريدة لا يمكن تعويضها بغيرها .

وفي نفس الوقت ، يجب أن يتم تنظيم عملية توثيق كل قطعة ، وجمع كل ما يمكن جمعه من معلومات عنها ، وتسجَيلها بكل دقة ، وإلا فإننا لن نفهمه الفهم الكافي الذي يساعدنا في فهم أنفسنا وفهم العالم الذي نعيش فيه ومراحل تطوره .

ويمكن تلخيص أهم النقاط التي تساعد على ذلك في :

* تحسين الظروف البيئية المحيطة بالمقتنيات .
* جرد وتسجيل القطع في كتلوجات للتمكن من السيطرة على عملية توثيقها .
* التوسع في المعلومات عنها بتشجيع البحث العلمي .
* تنمية الوعي بأهمية تلك المقتنيات والالتزام نحوها بالرعاية المستمرة وحمايتها من التلف والانقراض .
* تأمين الاحتياجات الضرورية لعملية حفظ وإدارة المقتنيات بجميع أنواعها .

أولاً : العنـايـة :

تواجه كثير من مجموعات الملابس والمنسوجات الآن الآثار المترتبة على الضرر الشديد

(*) أستاذ مشارك - كلية التربية للإقتصاد المنزلي والتربية الفنية بالرياض - الرئاسة العامة لتعليم البنات .

الذي أصابها ولا يمكن معالجته ، نتيجة الإهمال وعدم العناية المستمرة .

وفيما يلي توضيح لطرق العناية الوقائية لمجموعات الملابس والمنسوجات :

(أ) الأمور الأساسية التي يجب مراعاتها عند تداول مجموعات الملابس والمنسوجات :

١- الامتناع عن التدخين أو الأكل أو الشرب في المناطق التي توجد فيها .

٢- غسل اليدين وتجفيفهما وعدم دهنهما بالكريم قبل تناول أو لمس أي قطعة منها ، وتجنب لمس الشعر أو الوجه أثناء العمل .

٣- خلع الخواتم أو الحلي التي قد تعلق بها أثناء العمل والامتناع عن صبغ الأظافر أو ارتداء قفازات من القطن الأبيض . ومن الأفضل ارتداء هذا النوع من القفازات دائماً ، عند تداول الملابس والمنسوجات ، إن أمكن ذلك .

٤- ربط الشعر الطويل إلى الخلف ، والامتناع عن المكياج الثقيل .

٥- عدم وضع أكياس أو أغراض شخصية في منطقة العمل .

٦- تجنب وضع اليدين أو الذراعين أو أي أدوات أو أثقال فوقها .

٧- عند الحاجة إلى نقل أي قطعة ، تستخدم كلا اليدين أو توضع على لوح لتوزيع الثقل على جميع الأجزاء .

٨- الامتناع عن استخدام الخشب غير المشمع أو الورق أوالكرتون ، بحالتهم الطبيعية لاحتوائها على الأحماض الضارة بالمنسوجات .

٩- التأكد من نظافة وخلو السطح الذي سوف توضع عليه أثناء العمل .

١٠- استخدام أقل كمية ممكنة من الإضاءة أثناء العمل ، والإبقاء على صالة العرض أو مناطق العمل والتخزين مظلمة ما أمكن ذلك .

(ب) التحكم في ظروف المناخ :

تتكون معظم المنسوجات التاريخية من المصادر الطبيعية مثل الصوف ، والقطن ، والكتان والحرير ، والتي تتصف بخاصية التمدد والانكماش حسب الظروف المناخية حيث تتأثر

بالتـغـيرات الشديدة والسـريعة في درجة الحـرارة والرطوبة مما يضـر بتـركيب الشـعيرات ويفقدها خصائصـها الطبيعية من حيث الليونة والمرونة وقوة ومقاومة الشد .

ولذا فإنه ينصح بالنسبة للمنسوجات عامة أن توضع في بيئة ذات درجة حرارة تتراوح بين ١٨ -٢٤ درجة مئوية (أي ٦٥- ٧٥ فـهرنهيتـية) . ومسـتـوى رطوبة نسـبـية ٤٥ – ٥٥ ٪ ويتـجنب اسـتخدام البدروم للتـخـزين لما يتصف به غالباً من رطوبة ، وكذلك الأماكن العلوية القريبة من حرارة الشمس .

ويمكن استخدام أجهزة الترطيب أو أجـهزة التخلص من الرطوبة أو وحدات تكييف الهواء النقالة وكذلك وحدات التدفئة المشـعة النقالة من أجل توفير ظروف أكثر اسـتقراراً على مدار السنة .

كما يمكن اسـتـخدام مادة السليكا والتي تمتص بـخار الماء الزائد في الهواء . ثم تعمل على إطلاقه عندما تنخفض مستويات الرطوبة (4, 5, 7) .

(ج) الإضـاءة :

الضـوء شكل من أشكال الطاقة التي تتشكل من أشـعة مرئية وغـير مرئية . وهـو أكثر العوامل ضرراً بالمنسوجات ، فإن كل من أشعة الضوء المرئية وفوق البنفسجية يمكنها أن تؤثر على ألوان المنسوجات فتصبح باهته ، كما أنها تحلل خيوط النسيج فتصبح هشة ، مما يؤدي إلى تفتق المنسـوجات وتمزقـها ، وتحدث هذه التفـاعلات بشـكل تدريجي وقبل أن يتم مـلاحظة التدهور الذي لا يمكن علاجه . وتتوقف سرعة التلف على قوة الضـوء طبيعياً أو صناعياً فإن له تأثيره السيئ على المنسـوجات ، لذا فإنه يجب تظليم أماكن العرض أو التخزين في حالة عدم الاسـتخدام ، ومراعاة وضـع ستائر على النوافذ ومرشح لامتصاص الأشعة فوق البنفسجية . كما يستخدم مرشـحات خاصة لترشيح الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من أنوار الفلورسينت أو الأنواع المتطورة منهـا والتي لا يصـدر عنهـا أشـعـة فـوق بنفـسـجـيـة. وتـفـضل الإضـاءة بالفلورسينت وبالذات في المخازن المغلقة لأنها تصدر حرارة أقل من الإضـاءة العادية مما يقلل من الأخطار . أمـا الإضـاءة العادية فيكتفي بها في صـالات العرض من بعيد كأضـواء مسلطة يتم تركيبها في السقف حتى تتوزع الحرارة قبل أن تصل إلى المنسوجات .

ويجب تنظيم عملية تدوير المعروضات بحيث لا تزيد مدة العرض عن ثلاثة إلى أربعة أشهر على مدار السنة (4, 5, 6,11) .

(د) التلوث :

يعتبر الهواء الملوث عدو للنسيج ، فيؤثر غاز ثاني أكسيد الكبريت المنبعث من السيارات والمصانع على بعض الصبغات بالإضافة إلى أنه يجب عدم تثبيت الدبابيس بالمنسوجات والتي تساعد على تحول غاز ثاني أكسيد الكبريت إلى حامض كبريتيك يتلف المنسوجات .

أما الأتربة فهي تعمل عمل السكاكين في تقطيع الشعيرات كلما تعرض النسيج للتمدد والانكماش بسبب التغير الذي يطرأ على درجة الرطوبة النسبية بالإضافة إلى أنها تحتوي على نسبة كبيرة من المعادن وخاصة الحديد ، ومن الضروري تنظيم عمليه فحص المنسوجات وشفط الغبار منها (4, 5, 11) (١) .

(هـ) وقاية المنسوجات من الإصابة بالحشرات :

إن المنسوجات ذات قابلية كبيرة للإصابة بالفطريات وغيرها من الحشرات إذا ما توفرت لها الظروف المناسبة لنموها ، فهي تفضل الظلام والسكون والأجواء الرطبة الدافئة .

ومن الممكن تقليل نمو الحشرات الضارة بالنسيج عند ارتفاع الرطوبة النسبية باستخدام المراوح الهوائية حتى تحرك الهواء . بالإضافة إلى الاهتمام بالفحص الدوري للمنسوجات للتأكد من سلامتها ، وفحص القطع الجديدة قبل إضافتها إلى المجموعات السابقة حتى لا تتعرض إلى العدوى وفيما يلي توضيح لما قد يصيب المنسوجات من فطريات وحشرات :

١- العفن الفطري :

وينتج عن كائنات بسيطة موجودة في الهواء والتربة ، ويستطيع أن ينمو فوق كثير من أسطح النسيج بشرط أن تتوفر له البيئة المناسبة من بخار الماء والرطوبة . وهي تتغذى على السليلوز الموجود في القطن والكتان والرايون ، وتسبب بقعاً ذات لون رمادي أو أسود أو أخضر ، وهي إذا تُركت لا يمكن إزالتها ، كما أنها تؤثر على ألوان النسيج الأصلية فتسبب

(١) هناك نوعان من تلك المرشحات ، الأول : سائل يتم رشه على النوافذ ، الثاني : زجاج UF.3 Plexiglas يتم وضعه في مواجهة النوافذ أو موائد العرض أو التأطير . ويمتد عمرها إلى حوالي سبع سنوات .

لها البهتان ، وتجعل رائحته عفنة .

وأفضل طريقة للتخلص من العفن هي تهوية القطعة المصابة إما بتعريضها لتيار من الهواء الجاف داخل حجرة (١) أو أخذها إلى الخارج إذا كانت الرطوبة النسبية أقل من ٥٠ ٪ مع عدم تعريضها للشمس ، ثم يسحب العفن بواسطة المكنسة الكهربائية ، ومن الأفضل أن تغسل القطعة إذا كانت قابلة للغسل .

وخلاصة القول أن الاحتفاظ بالمنسوجات جافة ونظيفة وفي مكان جيد التهوية ، مع المراقبة الدورية والتحريك يمنع تكوين العفن الفطري .

٢- العثة : (مقاس الحشرة : ٩ ملم ، واليرقة : ٩ ملم) :

وهي حشرة تتغذى يرقتها على بروتين الصوف والفرو والحرير وتحدث ثقوباً في النسيج ، يعرف عن طريقها إصابة النسيج بالعثة ، بالإضافة إلى ما تفرزه من خيوط . كما أنها تترك أثر برازها الحبيبي فوق وحول النسيج إذا كانت الإصابة متقدمة . وتفضل العثة الظلام وتتجنب الضوء .

وعند اكتشاف وجود العثة ، يجب أن تشفط جيداً بواسطة المكنسة الكهربائية من الجهتين مع الاهتمام بمناطق الثنيات والكسرات ، ويمكن التخلص منها بجميع مراحل حياتها بالتنظيف الجاف ، إلا أن هذه الطريقة غالباً غير آمنة في حالة المنسوجات التاريخية . لذا ينصح باستخدام طريقة التجميد .

وبالنظافة المستمرة لأماكن العرض والتخزين ، وكذلك الفحص الدوري وقبل التخزين ، وتركيب شبك على المنافذ يمنع دخول العثة الطائرة ، يمكن منع حدوث الإصابة بالعثة (4 , 5 , 9) .

٣- خنافس السجاد : (مقاس الحشرة : ٤ ملم ، واليرقة : ٨ ملم) :

تتغذى يرقة خنافس السجاد على الصوف والفرو والحرير وعلى الحشرات الميتة . وتترك ثقوباً في النسيج بالإضافة إلى بودرة من نفس لون النسيج . وتنجذب الخنافس إلى الضوء

---

(١) من الممكن استخدام مجفف الشعر بدرجة تشغيل ضعيفة وعلي بعد حوالي ٣٠ سم من قطعة القماش .

مما يجعل في الإمكان القضاء عليها بوضع فخ لزج بالقرب من النوافذ . كما أن بيضها رقيق يمكن القضاء عليه بالتفريش ويمكن معالجة النسيج المصاب بالشفط بالمكنسة الكهربائية أو بالتنظيف الجاف إن كان مناسباً أو بالتجميد .

وبالمحافظة على التفتيش الدوري والنظافة التامة لأماكن العرض والتخزين يمكن الحماية من الإصابة بخنافس السجاد لأنها تتغذى على الأوساخ والحشرات والشعر ، ويلاحظ أنه يمكن دخول خنافس السجاد عن طريق النباتات والأزهار (5,9) .

٤- السمكة الفضية (المقاس التقريبي ١٢,٥ ملم) :

وتتغذى على النشا والسكر والبروتين ، تتميز بفم مثل المبرد ، ولا تستطيع قضم النسيج ، لذا فإنها تترك أثراً غير منتظم على وجه النسيج دون أن تثقبه . وهي غالباً تشكل خطراً على الكتب أكثر من النسيج ، وتختبئ في الأماكن الباردة المظلمة ، ويدل وجودها على أن هناك مشكلة في الرطوبة وأن المكان يحتاج إلى التهوية ، ويمكن حماية صناديق تخزين الملابس من دخول هذا النوع من الحشرات إليها ، بلفها جيداً بشبك من نسيج النايلون ، أما التخلص منها فيحتاج استشارة جهة متخصصة في الحشرات (5,9) .

٥- الفئران والجرذان والقوارض الأخرى :

تتسبب القوارض في ضرر المنسوجات ، لذا يجب منعها من الدخول بسد منافذها ، والمحافظة على النظافة ، واستشارة جهة متخصصة للتخلص منها .

شرح لطريقة التجميد Freezing :

وهي طريقة فعالة وآمنة في إبادة الحشرات . حيث يلف النسيج المصاب أو يطبق ، ويوضع في كيس نايلون نظيف ويغلق جيداً بشريط لاصق من نوع لا يفتح أثناء عملية التجميد(Duct Tape) ومن المهم إزالة الهواء حتى لا يتكثف حول النسيج .

يوضع الكيس داخل جهاز التجميد Chest Freezer لمدة لا تقل عن ٤٨ ساعة ولا يفتح إطلاقاً خلالها حتى لا يحدث أي انخفاض في درجة الحرارة . ولا يصلح التجميد في الثلاجة المنزلية لأنها لا تصل للدرجة المطلوبة (من ١٩ -٢٢ درجة مئوية) . يترك النسيج ليذوب تماماً

قبل إخراجه من الكيس ، وسوف يظهر التكثيف خارج الكيس فقط ، ويفحص النسيج بعناية للتأكد من القضاء على الإصابة ، أو تعاد عمليه التجميد مرة أخرى ، وفي النهاية يتم شفط المخلفات بالمكنسة الكهربائية قبل إعادة القطعة إلى التخزين أو العرض (9) .

ثانياً : الصيانة :

ويقصد بها عمليتي التنظيف والترميم التي تجرى للملابس والمنسوجات حتى لا تبلى بقدر الإمكان ، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أنه مجال صعب ويحتاج إلى متخصصين ، فما يصيب المنسوجات من تغيرات في التركيب الفيزيائي هو نتيجة لتفاعلات كيمائية معقدة ، تحتاج إلى متخصص في الكيمياء ، فقد ينتج عن تنظيف النسيج أضراراً تفوق ما قد يصيبه لو ترك قذراً .

أ - **التنظيف :**

فيما يلي شرح للطرق المختلفة المستخدمة في عملية تنظيف الملابس والمنسوجات التاريخية :

١- **التنظيف السطحي:**

وهي أبسط طرق التنظيف ، وتصلح لمعظم أنواع الملابس والنسيج حتى المطرزة ، حيث يتم شفط الأتربة والأوساخ بالمكنسة الكهربائية بقوة شفط ضعيفة ، أو بفتح ثقوب التهوية بالماكينة ، وتستخدم أجزاء الماكينة الصغيرة الناعمة الجافة ، كما انه يمكن استخدام الماكينة الصغيرة اليدوية . ويفضل في المتاحف النوع البرميلي المحتوي على ماء ومصفى به ما تم شفطه من القطعة ويحفظ لغرض الأبحاث ، وللتقصي عن مصدر القطعة أو غير ذلك من المعلومات .

وتتم عملية الشفط ببطء وحرص وباتجاه الوبر إذا كان للنسيج وبر مع تجنب الدعك ومن كلا الجانبين ، وفي حالة الأقمشة الرقيقة أو المتدهورة تغطى بشبك من ألياف الزجاج أو من قماش النايلون لحمايتها أثناء عملية الشفط .

٢- **التنظيف بالماء :**

وتناسب هذه الطريقة المنسوجات الكتانية والقطنية البيضاء وبالذات المُنَشَأة لأن النشأ

يجعلها تتشقق ، بالإضافة إلى أنه غذاء جيد للحشرات ، أما المنسوجات الملونة فيجب فحص مدى ثبات كل صبغة فيها قبل الغسل ، وذلك بوضع نقطة ماء على جزء محدود من النسيج ثم ضغطها بقماش أبيض أو ورق نشاف ثم يتم الفحص مرة ثانية باستخدام محلول منظف مناسب ، ولا تستخدم هذه الطريقة إذا لوحظ تغير أو تسرب اللون ، ويغسل النسيج إذا كانت صبغاته ثابتة وذلك بمحلول منظف بنسبة ٤ أجزاء في الألف من الماء ، ويراعي استخدام منظف غير أيوني (مثل : Igepal, D.W3000, Orvus WA Paste) أو منظف معتدل مما يستخدم في غسل الصحون (مثل : Ivoryliquid) لأن الصابون العادي يترك ترسبات تتخلل النسيج .

ومن المفضل استخدام الماء المقطر أو العذب ، ويتم الغسيل في حوض من البلاستيك أو الزجاج أو البورسلين أو غيرها من المواد المناسبة ، ويكون كبير بقدر يسمح بفرد القطعة المراد غسلها ، وإذا كانت بعض مناطق النسيج ضعيفة ، فيمكن تثبيت القطعة بين شريحتين من الحرير أو تل النايلون أو ألياف الزجاج ، بخياطتها بها لتحملها بمرونة داخل الحوض ، وتنقع القطعة المراد غسلها لمدة لا تزيد عن ساعة واحدة وفي محلول بدرجة حرارة حوالي ٣٨ درجة مئوية مع عدم التغير المفاجئ في درجة الحرارة ، ولا داعي لفرك النسيج ويمكن إعادة الغسل إذا كان الماء قذراً ، ويجب الاعتناء بعملية الشطف ويفضل الماء المقطر في الشطف الأخير .

ويتم التجفيف على سطح نظيف مسطح أو مخرم في منطقة جيدة التهوية وبعيدة عن الشمس والحرارة ويمكن الضغط بمنشفة قطنية بيضاء للتخلص من الماء الزائد . أما التجعيدات فيتم إزالتها بفردها باليد أو باستخدام لوح زجاج مسطح أو أي سطح آخر غير متفاعل وغير مسامي ، أما المكواة الساخنة فلا يسمح باستخدامها إطلاقاً .

ويجب الانتباه إلى أن السبب الرئيسي للغسيل هو إعادة النسيج إلى حالة نظيفة مستقرة ، دون أي تغيير في المظهر ، لذا فإن هذه الطريقة يوصى بها فقط للمنسوجات التي في حالة جيدة متوازنة (7 , 6 , 5 , 4) .

٣- التنظيف الجاف :

يقصد به استخدام المذيبات في عملية التنظيف ، وهو يتطلب كذلك اختبار الصبغات

للتأكد من عدم تأثيرها بالمذيبات ، وبشكل عام يجب اقتصار التنظيف الجاف على الملابس الحديثة نوعاً ما أو القوية التي تتحمل ذلك . ويستحسن أن تتم بطريقة يدوية وعلى أيد متخصصة في التنظيف الجاف وباستخدام مذيب لم يسبق استخدامه في كل مرة ، مع تجنب الطرق التجارية الشائعة والتي تؤدي إلى إجهاد النسيج وإلحاق الضرر به (7 , 6 , 5) .

٤- التنظيف بالبخار :

ويستخدم في إزالة التجعدات ، ويجب أن تكون قطعة النسيج نظيفة بقدر الإمكان ، وتشفط منه الأتربة قبل التبخير ، مع ملاحظة أن عملية التبخير تثبت البقع والأوساخ في النسيج ، ويلاحظ عدم وضع راس جهاز التبخير مباشرة فوق سطح النسيج لحمايته من الحرارة الزائدة والتكثيف ، ويجب عدم تبخير الأقمشة ذات الثنيات مثل الشيفون والكريب لأنها سوف تفقد شكلها نهائياً (7 , 6 , 5) .

ب - الترميم :

يمكن علاج المنسوجات التالفة إذا لم تصل إلى درجة التحلل الكامل وإذا ما توفرت الخبرة الكافية ، وهو على أية حال لا يعيد القطعة إلى وضعها الأصلي ، بل يحسن من مظهرها ، ومن المهم أن يسجل ما تم عليها من تعديل ، وان تصور قبل التعديل ، ويحتفظ بالمعلومات في ملف خاص ، ويساعد ذلك الدارسين ، كما أنه يساعد في معرفة مدى نجاح أو فشل الطريقة التي استخدمت في المستقبل ، بالإضافة إلى أنه قد تحتاج القطعة إلى تعديلات أخرى فيسترشد بما تم تعديله في الماضي (6, 11) .

ثالثاً : التوثيق :

إن عملية التوثيق المنظم للتراث المادي أمر هام ، يشهد مدى اتساع وعمق حضارة الإنسان ويعكس صورة واضحة عن حياته ، وقد يكون للتوثيق في هذا المجال أهمية توازي أهمية القطعة نفسها ، وتعتبر الصور المرئية جزء هام من التوثيق سواء الفوتوغرافية أو الشرائح أو الأفلام أو الميكروفيلم ، والتي من الممكن أن تقلل من تداول القطع ذاتها ، كما تساعد الكتلوجات في نشر المعلومات وتحقيق الفائدة بعيداً عن مكان القطعة .

أ - التسجيل أو قائمة الجرد:

من المهم أن يتم تسجيل قائمة بجميع القطع ، حيث تعطى كل قطعة رقماً خاصاً Accession Number يساعد في الوصول إلى مكان القطعة بسهولة بالإضافة إلى معلومات يتم التعرف من خلالها على كل قطعة مثل نوع القطعة ، الحالة ، المكان الدائم للتخزين ، مكان العرض أو الإعارة ، المساحة التي تحتاج إليها للتخزين ، ويمكن إضافة معلومات أخرى مثل : تاريخ الحصول على القطعة ، مصدر الحصول عليها ، أسم القطعة ، سعرها ، العصر الذي تنتمي إليه ، عمرها ، أو عمل قوائم ثانوية تخدم أخرى .

ومن الممكن أن ترقم القطع بشكل متسلسل أو أن يحتوي إلى سنة الحصول على القطعة ، ثم الرقم المسلسل للقطعة في تلك السنة يكون رقم أول قطعة تم الحصول عليها في عام ١٩٨٥م هي : (١ - ٨٥) ومن الممكن إضافة حرف يرمز إلى القسم الذي تتبع إليه القطعة (مثل ١٩٨٥- ن) أي أنها تتبع لقسم النسيج . ويجب أن يثبت الرقم في مكان مناسب وواضح أو سهل الوصول إليه ويستخدم في ذلك صغيرة من قماش القطن أو الكتان ، تخيط على القطعة الأصلية ، مع تثبيت نفس الرقم على جميع أجزاء الزي الواحد ، إذا كان يتكون من أجزاء (1 , 2 , 4 , 6) .

ب - المصطلحات **Nomenclature** :

هي عبارة عن قائمة مصطلحات منظمة ومصنفة بطريقة تسهل الفهارس والكتلوجات ، وتساعد المتاحف في تسجيل بياناتها عن مجموعاتها المتنوعة وتجعل المشاركة في البيانات بين أصحاب المجموعات ممكنة . كما تؤمن معياراً هاماً لتنظيم المعلومات ، وتفيد كأداة في أنظمة التسجيل اليدوية أو الآلية . وكان أول ظهور لهذا النظام في مجال المتاحف في ١٩٧٨م ليصبح بسرعة أداة لتنظيم الكتلوجات في معظم المتاحف والمؤسسات التاريخية (3) .

نمـوذج صحيفة من كتـالـوج

الرقم : (acc.)

المصطلح : (Nomenclature)

أسم القطعة ، نوعها جنس المستخدم :

الصانع :

المنطقة أو مكان الصنع :

تاريخ الصنع : المقاسات :

المادة المصنوعة منها :

كيف تم الحصول عليها (بالشراء ، هدية) :

عدد أجزاء القطعة :

هل هي كاملة :

الصنف :

الوصف بالتفصيل :

رابعاً : التخـزيـن :

هناك طرق كثيرة لتخزين الملابس والمنسوجات ، وفيما يلي توضيح لأفضل الطرق التي يمكن استخدامها حسب حالة وحجم كل قطعة ، وبما يتناسب مع ظروف التخزين .

أ - التخزين المسطح :

وهي طريقة تسمح باسترخاء خيوط النسيج وعدم تعرضها للشد ، ومن المفضل عدم طي القطعة بقدر الإمكان ، أما إذا كان لابد من الطي فيستخدم ورق شفاف خالي من الحمض ، يلف على شكل أنبوب على طول الطيات ، ويجب تغيير موقع الطيات بين فترة وأخرى ، كما يستخدم نفس الورق بين طبقات الملابس أو يستبدل بقماش موسلين مغسول وغير مبيض ، مع مراعاة عدم وضع القطع الثقيلة أو الكبيرة في الأسفل وفي حالة وجود خيوط معدنية يجب أن تفصل عن بقية أجزاء الزي بنفس الورق أو القماش السابق ذكره حتى لا تتأثر بعملية الأكسدة .

و يجب تجنيب الخشب الطبيعي كأرفف أو دواليب لحفظ الملابس لما يحتويه من أحماض طبيعية ترشح إلى خارجه وتؤدي إلى تلف النسيج ، لذا يشمع الخشب بورنيش بولي يوريثان أو يبطن بقماش الموسلين (مغسول وغير مبيض) أو ورق ثقيل خالي من الحمض مع ملاحظة أنه يجب تغييرها بعد فترة حتى لا يصل الحمض إلى المنسوجات ، وعند استخدام المعدن الخام للتخزين ، يجب الانتباه إلى أنه قد يصاب بالصدأ ، لذا يجب تبطينه بنفس الطريقة السابقة أو ببلاستيك بولي إيثلين ، كما يمكن التبطين بشرائح الألمنيوم واستخدام معدن غير قابل للصدأ بطلاء غير متفاعل (4 , 5 , 6 , 7) .

ب - التخزين بشكل أسطواني :

وهي طريقة مناسبة لقطع النسيج الكبيرة أو الثقيلة . حيث تستخدم أنابيب الورق المقوى الخالي من الحمض ، وأن لم يتوفر يستخدم الورق العادي ويشمع بمادة بولي يوريثان ويلف بعدة طبقات من قماش الموسلين (مغسول وغير مبيض) ، ويلف بحيث يكون ظهر القماش إلى الداخل مع ملاحظة أن يكون اللف مع اتجاه الوبرة إذا كان النسيج له وبرة ، والمحافظة على انتظام الحواف وأن تكون درجة الشد واحدة مع تجنب الترهل .

ويلف النسيج الرقيق أو المتهالك أو المحتوي على خيوط معدنية على ورق خالي من الحمض . ويستخدم في التثبيت شريط من القطن المضلع ، ويتم الربط في عدة أماكن ثم يغطى بقماش موسلين (مغسول وغير مبيض) ، أو ملاية من القطن أو بالبلاستيك إذا كانت الرطوبة في المستويات المعتمدة ، ويعلق كرت في اللفة لبيان ما بداخلها وتوضع في الغالب على أرفف ، ويراعى عدم الإكثار من القطع فوق بعضها ، ويمكن إدخال عصاة خشبية أو ماسورة داخل أنبوب الورق وتعلق بواسطتها (10 , 7 , 6 , 5 , 4) .

ج - التخزين بالتعليق على شماعات :

وهي إحدى الطرق الخاصة بتخزين الملابس التي تتصف بالتحمل بدرجة تكفي لتعليقها ، ويستخدم نوع من الشماعات المتينة المنحنية بشكل يناسب الأكتاف ، والمصنوعة من بلاستيك أبيض لا يتفاعل مع النسيج ويمكن استخدام شماعات السلك العادية بعد تغليفها بالبوليستر ثم بالموسلين أو أي مواد قطنية أخرى لتأخذ شكل الكتف الطبيعي .

أما الملابس الرقيقة أو المطرزة بالخرز فتخزن بشكل مسطح وتدعم بورق خالي من الحمض ويمكن حفظها في علب من كرتون خالي من الحمض أو على الأرفف (7 , 6 , 5 , 4) .

د - التخزين داخل براويز (أو أطر) :

يحتفظ بالأنسجة المبروزة داخل المخازن بوضع مسطح حتى لا يجهد النسيج ، على الأرفف أو داخل الأدراج ، وأن لم تتوفر الإمكانيات لوضع النسيج بشكل مسطح ، فمن الممكن حفظه بشكل مائل على الأقل مما يسمح له أن يسترخي نوعا ما ويوضع بين البراويز فواصل من ورق مقوى خالي من الحمض وتغطى بأكياس من الموسلين (7 , 6 , 5 , 4) .

خامساً : العرض :

إن اتباع أساليب العرض السليمة للملابس والمنسوجات ، يطيل من عمرها ويوفر فرصة للاستمتاع بها ، ومن أهم الأمور التي يجب مراعاتها معادلة وزن القطعة مع أداة الدعم ، حتى لا يتسبب ذلك بجهد زائد على النسيج ، ويجب الامتناع عن استخدام المسامير ، والشريط اللاصق ، والمعدن الخام ، والخشب غير المشمع ، والابتعاد عن ضوء الشمس المباشر ، ومصادر الحرارة ، وأنابيب التهوية ، ومواسير المياه ، والنباتات .

وهناك عدة طرق أمينة للعرض ، ويعتمد اختيار الطريق في الأساس على حالة النسيج :

أ - التعليق :

يستخدم للمنسوجات القوية والمتينة ، مثل السجاد والبطاطين ، الألحفة المنجدة ، حيث يركب في طرفها العلوي شريط تثبيت (velcro) ، ويزال الشريط عند إعادة النسيج للتخزين ، لما يخلقه من جهد غير متعادل عند لف النسيج .

أما بالنسبة للمنسوجات التي لا تتحمل التعليق من جهة واحدة ، فيستخدم لعرضها برواز من الخشب مشدود عليه قماش من القطن المغسول بخيط النسيج المراد عرضه في القماش المشدود دون تعريضه لأي شد ومن الممكن إضافة دعامة من كرتون خالي من الحمض لبرواز في منتصفه من الخلف لتدعيم النسيج ، ويراعي أن يشمع الخشب المستخدم لمنع تسرب الأحماض منه إلى النسيج ، والتأكد من عدم التصاق النسيج بالخشب حتى لو كان مشمعاً .

ويمكن عرض بعض أنواع الملابس المسطحة بتعليقها على الحائط بواسطة قضيب مبطن يتم إدخاله في فتحات الأكمام (8 , 7 , 6 , 5) .

ب - البروزة :

عند اللجوء إلى هذه الطريقة في العرض ، يجب أن يؤخذ في الاعتبار ما يلي : -

المكان :

إذا كان الضوء طبيعياً فمن الأفضل أن يستخدم في عملية البروزة زجاج يمنع مرور الأشعة فوق البنفسجية لتقليل الضرر بقدر الإمكان (مثل البليكسيجلاس Plexig Ias).

المقاس :

لا يزيد مقاس القطعة عن ١٠ سم × ٢٠ سم وهو المقاس الذي يتوفر به ذلك النوع من الزجاج الحامي .

التحكم في المناخ :

في حالة وجود الغبار أو الدخان ، تفضل طريقة البروزة لحماية النسيج من مخاطر

الاتساخ ومن ثم التنظيف الذي يقلل من عمره .

ومن مميزات البليكسيجلاس (Plexig Ias) الأخرى أنه لا ينكسر بسهولة وبالتالي يقل تعريض النسيج المبروز به للضرر الذي قد يصيبه عند تكسر الزجاج . كما أنه خفيف الوزن إلا انه يجذب خيوط النسيج السائبة إلى سطحه الداخلي ، مما يجعله لا يناسب القطع الأثرية الهشة .

ويجب الانتباه إلى ترك فراغ بين الزجاج وسطح النسيج دائماً ، حتى لا يؤدي ذلك إلى الإصابة بالعفن الفطري ، أو إلى انتقال الأملاح الموجودة في النسيج إلى الزجاج فتمتص الرطوبة وتسبب فساد النسيج .

وهناك حالة واحدة تتطلب أن يكون الزجاج ملاصقاً للنسيج وهي عندما تكون قطعة النسيج رقيقة جداً وتحتاج إلى ضغط الزجاج عليها ، وتكون فترة العرض قصيرة ، مع الأخذ في الاعتبار برأي الخبير في تحديد إذا ما كانت هذه الطريق مناسبة للقطعة أم لا (5 , 6 , 7) .

ج - العرض على المانيكان :

وهو ضروري بالنسبة للملابس ثلاثية الأبعاد ، وهناك خيارات عديدة ، منها أشكال سلكية يمكن تعديلها حسب الحاجة ، وهي مغطاة بطبقات الموسلين ومنيكانات العرض المستخدمة في المحلات التجارية . ويجب الانتباه لمناسبة مقاس المانيكان حتى لا يؤدي ذلك إلى الضغط على الملابس أو تمزيقها ، كما أنه يتعين حماية الزي من أن يتصل بالتمثال وذلك باستخدام قماش الموسلين أو فانيله قطنية (5 , 6) .

ويلاحظ أن الأزياء التاريخية لا يجب ارتدائها أبداً لأي مناسبة أو غرض حتى لا تتعرض للخطر أو لإفرازات الجسم أو الضغط على الأنسجة (5) .

وفي الختام ، يمكننا القول أن الملابس والمنسوجات التاريخية من أكثر عناصر الثقافة المادية حساسية وأسراعها تلفاً . وأننا يجب أن نتعهد أن نعمل على زيادة الوعي للحفاظ عليها وتوثيقها لما لها من أهمية .

الخاتمة

تتطلب عملية المحافظة على المقتنيات والآثار من الملابس والمنسوجات حتى تستمر لأجيال قادمة – كثير من الاهتمام ، والرعاية المستمرة ، لحمايتها من التلف والانقراض .

وقد قسم الحديث في هذا المجال إلى :

العناية ، الصيانة ، التوثيق ، التخزين ، العرض ، وتم التحدث في العناية عن الأمور الأساسية التي يجب مراعاتها عند تداول مجموعات الملابس والمنسوجات ، والتحكم في ظروف المناخ ، والإضاءة ، والتلوث ، ووقاية المنسوجات من الإصابة بالحشرات وحمايتها من القوارض ، أما في مجال الصيانة فتم تناول عملية التنظيف (بأنواعها السطحي ، وبالماء ، والجاف ، وبالبخار) ، وكذلك عملية الترميم . أما التوثيق والذي توازي أهميته أهمية القطع نفسها فيستخدم فيه الصور (سواء الفوتوغرافية أو الشرائح أو الأفلام أو الميكروفيلم) وكذلك التسجيل في الكتلوجات وقوائم الجرد . أما التخزين فله أهمية كبيرة في الاحتفاظ بالمقتنيات ، ليس فقط الزائد منها عن العرض ، بل أن المعروض يجب أن يخزن بعد عرضه لفترة مناسبة لحالته ، لتأمين الراحة الضرورية له و إطالة عمره ، وتعتمد طريقة التخزين على حالة ونوع وحجم القطعة ، ومن تلك الطرق : التخزين المسطح ، التخزين بشكل أسطواني ، التخزين بالتعليق على شماعات ، التخزين بداخل براويز . أما العرض فيحتاج إلى معادلة وزن القطعة مع أداة الدعم حتى لا يتسبب ذلك بجهد زائد على النسيج ويجب الامتناع عن استخدام المسامير والشريط اللاصق والمعدن الخام والخشب غير المشمع والابتعاد عن ضوء الشمس المباشر ومصادر الحرارة وأنابيب التهوية ومواسير المياه والنباتات لأمكانية انتقال الحشرات منها . وتعتمد طريقة العرض على حالة ونوع وحجم القطعة ومن أهم تلك الطرق : التعليق ، البروزة ، العرض على المانيكان ويجب الأخذ في الاعتبار أن الملابس والمنسوجات التاريخية من أكثر عناصر الثقافة المادية حساسية وأسرعها تلفاً .

التوصـيات

في مجال الحفظ :

١- دراسة الوضع الحاضر للمقتنيات ، وتحديد ما تحتاجه من عناية أو علاج حتى تستمر للأجيال القادمة .

٢- التقيد بشروط الأمان لحفظ المقتنيات ، وتوفير المكان المناسب للعرض والتخزين .

٣- المراقبة الدورية للمقتنيات سواء المعروضة أو المخزنة ، والتبديل بينهما على فترات .

٤- إنشاء مراكز للحفظ تخدم المتاحف والمؤسسات الصغيرة في معالجة مقتنياتها ، وفي تدريب العاملين فيها ، بالإضافة إلى أن يكون لها دور فعال في التعليم في الجامعات لهذا المجال الدقيق .

٥- تشجيع البحث العلمي والقيام بالدراسات لتحسين طرق الحفظ .

في مجال التوثيق :

١- الارتقاء بالتوثيق من خلال القوائم الكاملة والكتلوجات .

٢- المحافظة على أمن القوائم بعمل نسخ منها تحفظ في مكان أمين خارج المتحف .

٣- التعمق في البحث وزيادة المعرفة وإضافة المعلومات الجديدة باستمرار إلى القوائم والكتلوجات .

٤- تشجيع التصوير الفوتوغرافي لأهميته كجزء أساسي في عملية التوثيق وكذلك الرسوم التوضيحية .

٥- الاستفادة من الحاسب الآلي في تسجيل البيانات وحفظها وتسهيل عملية تبادلها .

٦- الاطلاع على أحدث المعلومات في هذا لمجال وتوفير الدورات والبرامج التدريبية للعاملين فيه.

توصية عـامة :

تشجيع تقديم المقتنيات الشخصية للجهات المناسبة مثل المتاحف والجمعيات التي لديها الإمكانيات للحفاظ عليها وحتى تتم الاستفادة منها بشكل واسع كان ذلك بالبيع أوالتبرع .

المراجـع

Bibliography

1- American Association of Museums . Caring for Collection: Strategies for Conservation, Maintenance and Documentation . Washington, D.C : American Association of Museums, 1984 p.p. 17-21.

2- American Association Registers on Record . Washington D.C.: American Association of Museums, 1988, p.p. 145 - 150.

3- Blackaby , James R., Patricia Greeno , and the Nomen Clature Committee . The revised Nomenclature for Museum Cataloging . Nashville, Tenn.: AASLH, 1988, p.p. PREFACE, I-L.

4- Dudeley , Dorothy H. Irma B. Wilkinson, Museum Registration Methods . Washington, D.C.: American Association of Museums , 1979, p.p. 65-69, 76 , 87 , 67 , 68 , 72 , 73 , 3 , 4 , 21-27 , 54 , 58 , 59 , 63 , 78 .

5- Mailand, Harold . Consideration for the Care of Textiles and Costumes . Indianapolis : Indianapolis Museum Of Art, 1980, p.p. 3-18.

6- Tarrant , Naomi. Collecting Costume : The Care and Display of Clothes and Accessories. London : George Allen and Unwin, 1983. p.p. 45-70 , 124 , 125 , 108 .

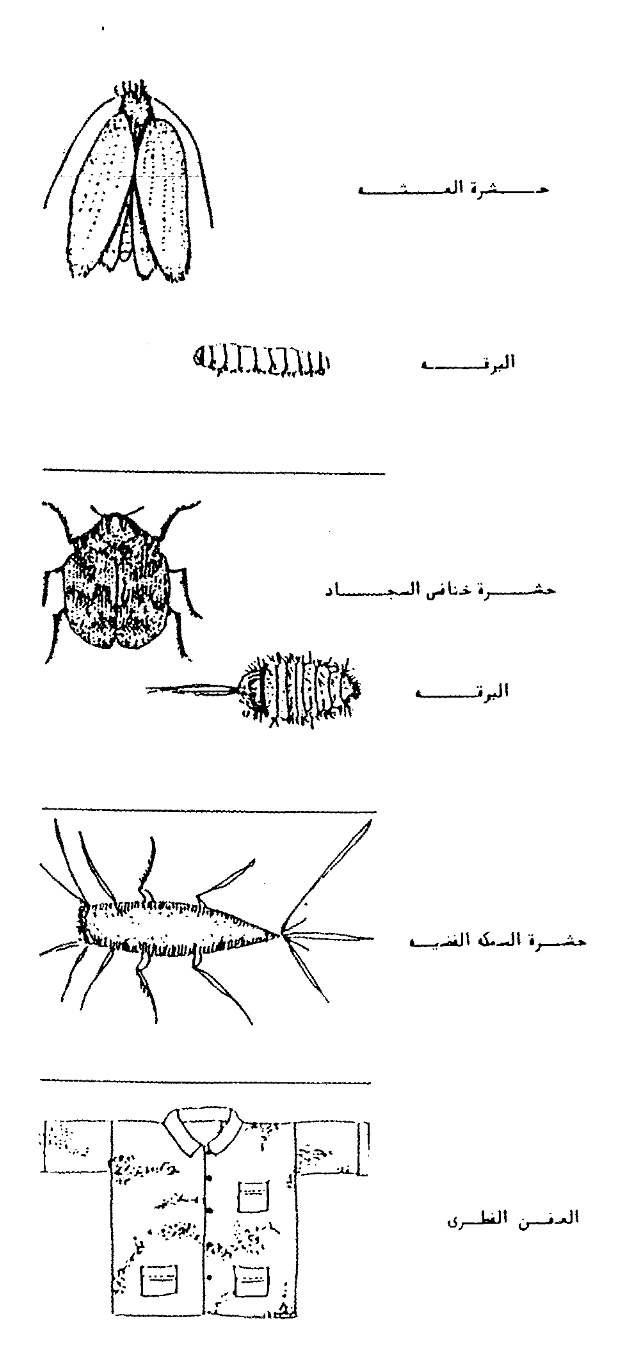
7- The Textile Museum Conservation Department. Guidelines for the Care of Textiles . Washington, D.C.: Conservation Department of the Textile Museum, p.p. 1-4.

8- American Association . Strong Oriental Rugs . Washington, D.C.: Conservation Department of the Textile Museum, p.p. 1-4 .

9- American Association A Velcro Hanging System for Textile in Sturd Condition . Washington, D.C.: Conservation Department of the Textile Museum, 1991, p.p. 1-4.

10- American Association Pest Busters. Washington D.C.: Conservation Department of the Textile Museum, (brochure) .

١١- شاهين ، عبد المعز ، طرق صيانة وترميم الآثار والمقتنيات الفنية . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م ، ص ٧٣ – ٧٥


حـــشرة العـــثـــه
البرقـــــه
حشـــرة خنافس الجـــــاد
البرقـــــه
حشـــرة السمك الفضيـــه
العفـــن الفطـــرى

LIST OF SUPPLIES

قائمــة بالاحتياجــــــات

BUFFERED TISSUE	مانع للصدمات
LARGE ACID-FREE BOXES	صناديق كرتون كبيرة خالية من الحامض
COTTON GLOVES	قفــازات قطــن
COTTON TWILL TAPE	اشرطة من القطن المضلع
ETHAFOAM	
POLYETHYLENE BAGS FOR FREEZING	أكياس بولى أثلين للتجميد
UNBLEACHED MUSLIN	قماشه موسلين غير مبيض
PELLON	
ACID-FREE LABELS/TAGS .	بطاقات من ورق خالى من الحمض
GOLD SAFETY PINS	مشابك ذهبيـــة
SMALL POLYETHYLENE BAGS	أكياس بولى أثلين صغـــيرة
PHOTO ARCHIVE STORAGE PAGES AND ENVELOPES	صفحات البومات والظرف لتخزين الصور
PERMANENT MARKER PENS	أقلام حبر ثابتة اللون
PENCILS	أقلام رصاص
INSECT PINS	دبابيس حشــرات
VACUUM SCREEN	شاشة للكنس بالشفط

THE RAINBOW IS MANUFACTURED BY REXAIR AND SOLD TO ITS AUTHORIZED RAINBOW DISTRIBUTORS FOR RESALE SOLELY THROUGH IN-HOME DEMONSTRATIONS TO ULTIMATE USER-OWNERS. ANY OTHER SALE IS STRICTLY PROHIBITED.

HOLLOWELL, INC.
3408 WEST 95th STREET
EVERGREEN PARK, ILL. 60642
424 - 6772

Dear Rainbow Owner:

Welcome to the evergrowing Rainbow Family!

You have made a wise investment by purchasing your Rainbow product. Rexair, Inc., the manufacturer of the Rainbow, has established a proud heritage of manufacturing a superior product for over 50 years. The Rainbow product is distributed in every one of the United States and over 12 international countries.

Please feel free to call upon your local Rainbow distributor or Rexair, Inc., Troy, Michigan for any assistance.

HOLLOWELL, INC.
3408 WEST 95th STREET
EVERGREEN PARK, ILL. 60642
424 - 6772

ONLY MODEL D4C IS LISTED

UL LISTED

D4B

CSA certified

Consumer Care Number

As part of Rexair's Consumer Care Program, all new Rainbows receive a Consumer Care Serial Number after passing Quality Control testing at the factory. This serial number assists in providing:

1. Ownership identification for you;
2. Warranty identification for your Distributor;
3. Assurance of having cleared quality control;
4. Assurance of new "factory-fresh" condition.

For your protection, check to see that the serial number is on the Rainbow at the location shown on the accompanying diagram. No new Rainbow should be sold without this number. If the number is missing, Rexair makes no claim as to the origin, age, or condition of the unit. If you can not find a serial number on your Rainbow, please call our customer service department at (313) 643-7222.

For your protection record the serial number in the space provided below. Save this information for future reference.

Serial No. ______________________

نوع من انواع المكانس الكهربائية التي تصلح لتنظيف المنسوجـــــــات والملابــــــس

The
Rainbow®
CLEANING SYSTEM
is manufactured by
Rexair, Inc.
Troy, Michigan

HOLLOWELL, INC.
3408 WEST 95th STREET
EVERGREEN PARK, ILL. 60642
424 - 6772

The configuration of the Rainbow® Cleaning System and the words Rainbow® and Rexair® are registered trademarks of Rexair, Inc. Troy, Michigan

...e soft, all-natural bristles ... the Rainbow® dusting ... will not harm even the finest ...e, fixtures, or fabrics. Just ... the dusting brush to the ... wand and move the brush ... over the surface to be ...d

2 The dusting brush is also perfect for previously hard to clean surfaces like louvered blinds.

3 Use it for cleaning dogs and cats. Dust, dirt and loose hair are easily removed by the Rainbow's silent airflow. Frequent grooming cuts down on the need for baths and your pets will enjoy it too.

...nder: Don't forget - for use on delicate objects, reduce ...v by opening the Airflow Control Sleeve. To avoid ...ons to delicate surfaces (such as shades and/or highly ...ed surfaces), remember to remove and clean bristles ...m soapy water. Let dry before replacing.

...clean upholstered furni... ...e use the Rainbow® up... ...tool. The upholstery tool used alone or with the Jet see above illustration). Al... ...pholstery tool to curved ... slight twist as they are together will make them ...curely. Use with full air... ...) remove dirt, move tool ...ezs to be cleaned with ...en strokes. To clean Jet ...whisk with open end of ...side upholstery tool out of ... on top of the brush and warm soapy water.

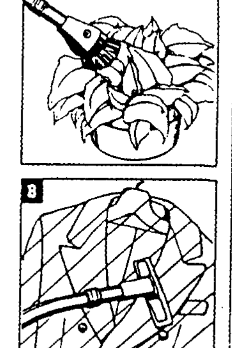
6 To clean stairs, remove Rainbow® from dolly. Allow the Rainbow® to rest solidly on stair above the one being cleaned. Move the Rainbow® up one step at a time and continue cleaning.

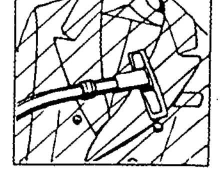
7 To clean rug riser, turn tool one-half turn and use as illustrated.

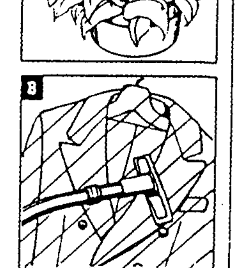
IMPORTANT!
CLEAN SEPARATOR AFTER EACH USE
DO NOT STORE ON PAN

4 Reduce airflow and gently brush over plants to remove dust and dirt which blocks light and hides the natural sheen of the foliage.

Try your Rainbow® dusting brush on • lighting fixtures • lamp shades • stereo and VCR equipment • picture frames • pianos • hats • heat and cold air vents • inside kitchen and bathroom drawers • screens







8 Clean the surface of suits, wool and fur coats, with upholstery tool with the jet brush. For delicate fabrics, reduce airflow.

Use the upholstery tool with jet brush on • sofas • chairs • mattresses • pillows • blankets • drapes and curtains • closet shelves • Help prevent moths by cleaning wool coats and sweaters before storing.

HOLLOWELL, INC.
3408 WEST 95th STREET
EVERGREEN PARK ILL 60642
424 - 6772

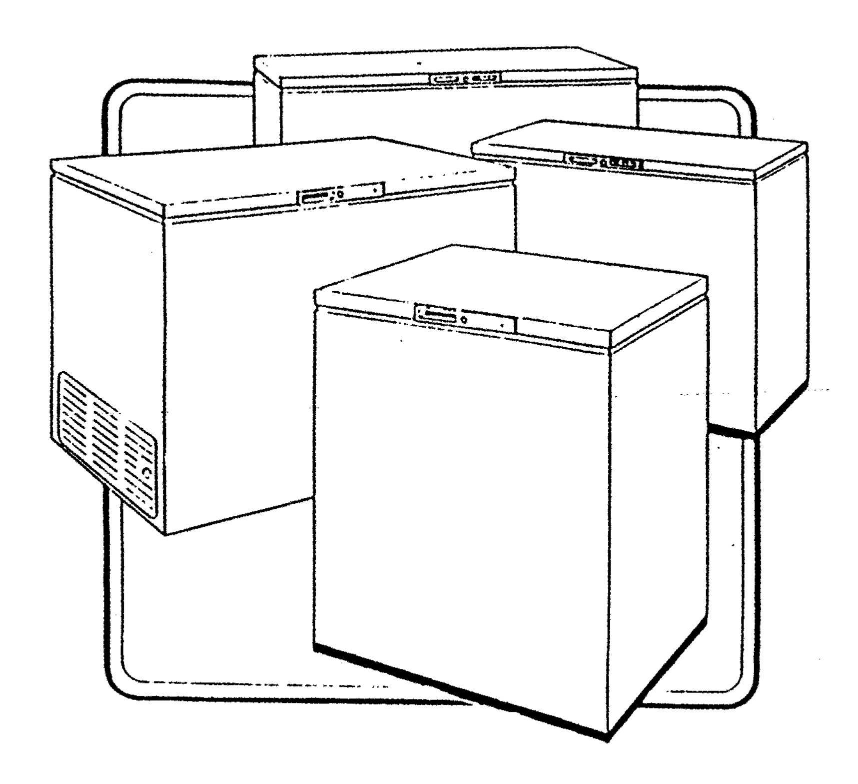
THE RAINBOW IS MANUFACTURED BY REXAIR AND SOLD TO ITS AUTHORIZED RAINBOW DISTRIBUTORS FOR RESALE SOLELY THROUGH IN-HOME DEMONSTRATIONS TO ULTIMATE USER-OWNERS. ANY OTHER SALE IS STRICTLY PROHIBITED.

HOLLOWELL, INC.
3408 WEST 95th STREET
EVERGREEN PARK ILL 60642
424 - 6772

نوع من أنواع المجمدات (الفريزرات) المقترحة لعملية تجميد المنسوجات أو الملابس

Kenmore

FREEZER OWNER'S MANUAL



LIST OF SUPPLIES

قائمة بالاحتياجات

BUFFERED TISSUE	مانع للصدمات
LARGE ACID-FREE BOXES	صناديق كرتون كبيرة خالية من الحامض
COTTON GLOVES	قفازات قطن
COTTON TWILL TAPE	اشرطة من القطن المضلع
POLYETHYLENE BAGS FOR FREEZING	أكياس بولى أثلين للتجميد
UNBLEACHED MUSLIN	قماشه موسلين غير مبيض
ACID-FREE LABELS/TAGS	بطاقات من ورق خالى من الحمض
GOLD SAFETY PINS	مشابك ذهبية
SMALL POLYETHYLENE BAGS	أكياس بولى أثلين صغيرة
PHOTO ARCHIVE STORAGE PAGES AND ENVELOPES	صفحات البومات وظرف لتخزين الصور
PERMANENT MARKER PENS	أقلام حبر ثابتة اللون
PENCILS	أقلام رصاص
INSECT PINS	دبابيس حشرات
VACUUM SCREEN	شاشة للكنس بالشفط

قائمة بأسماء بعض المحلات والعناوين المتخصصة بتأمين الخامات الضرورية لحفظ الملابس والمنسوجات في الولايات المتحدة الأمريكية

SOURCE LIST FOR SUPPLIES

Please note: addresses and telephone numbers are given for specialized items only. Consult these firms directly for ordering or request a list of local representatives or distributors for your area. This is only an aid to find solutions for particular problems and is in no way a complete list or an endorsement for these products or their dealers.

Acid-free Materials

The following companies carry some or all of the following items:
acid-free tissue papers (smooth or textured finish, roll or sheets), acid-free wrapping papers (various weights and colors), acid-free rag board (various weights and colors), acid-free storage boxes (various sizes and construction), acid-free rolling tubes, and acid-free linen tape.

Andrews/Nelson/Whitehead
31-10 48th Avenue
Long Island City, NY 11101
(212) 937-7100

Charles T. Bainbridge's Sons, Inc.
50 Northfield Avenue
Edison, NJ 08817
(201) 225-9100

Conservation Resources, Inc.
1111 North Royal Street
Alexandria, VA 22314
(703) 549-6610

Light Impressions Corporation
131 Gould Street
Rochester, NY 14610
(716) 271-8960

Process Materials Corporation
301 Veterans Boulevard
Rutherford, NJ 07070
(201) 935-2900

Rising Paper Company
Housatonic, MA 01236
(413) 274-3345

Spink & Gabore
32 West 18th Street
New York, NY 10011
(212) 255 8451

Talas
130 Fifth Avenue
New York, NY 10011
(212) 675 0718

University Products, Inc.
P O. Box 101,
Holyoke, MA 01040
(413) 532-4277

B.W. Wilson Paper Company
2501 Britton Hill Road
Richmond, VA 23234
(804) 358-6715

Adhesives

Elvace No. 1874, Jade No. 403, Promacto A-1023:

Talas
130 Fifth Avenue
New York, NY 10011
(212) 675-0718

Cardboard Rolling Tubes

Most paper/container manufacturing firms and most local carpet dealerships

Detergents

D.W. 300
Lever Brothers
Lever House
390 Park Avenue
New York, NY 10022
(212) 688-6000

IGEPAL CA-630
GAF Corporation
140 West 51st Street
New York, NY 10020
(212) 582-7600

Orvus WA Paste
The Procter & Gamble Distributing Co.
P O. Box 599
Cincinnati, OH 45201
(513) 562-1100

Fiberglas Screening

any local hardware store

Foamcore

any well stocked lumber company

Frame Backing Materials

Fluted Mylar (48" x 60" sheets)

تابع : قائمة بأسماء بعض المحلات والعناوين المتخصصة بتأمين الخامات الضرورية لحفظ الملابس والمنسوجات في الولايات المتحدة الأمريكية

Artistic Manufacturing
13821 Progress Parkway
North Royalton, Ohio 44133
(216) 237-8720

Artistic Woodwork Company, Ltd.
991 St. Vital Boulevard
Montreal, Canada, 459 Quebec
(514) 323-3075

Pegboard

Any well-stocked lumber company

Hangers

Long-neck, white moulded plastic hangers in various sizes
Frankel Plastic Corporation
493 Seventh Avenue
New York, NY 10018
(212) 947-0450

Light Filtering Devices

Fluorescent tube filtering sheaths:

Filter Light Corporation
P.O. Box 6292
Greensboro, NC 27405
(919) 852-3089

UF-3 Plexiglas

any Rohm and Haas plastic dealership

Window glass coating:

Transparent Glass Coatings Co., Inc.
1959 South La Cienega Boulevard
Los Angeles, CA 90034
(213) 870-4777

Lining and Support Fabrics and Related Supplies

Crepeline—silk chiffon, natural (off white) or smoky brown:

Talas
130 Fifth Avenue
New York, NY 10011
(212) 675-0718

Cotton thread, linen thread, muslin, nylon tulle, needles, pins (silk or brass), Pellon, twill tape, silk thread, Velcro:

most well-stocked fabric or department stores

Metal Storage Units

The Interior Steel Equipment Co.
2352 East 69th Street
Cleveland, OH 44104
(216) 881-0100

Spacesaver Corporation
1450 Jamesville
Fort Atkinson, WI 53538
(414) 563-6362

Stacor Corporation
285 Emmet Street
Newark, NJ 07114
(201) 242-6600

pH Paper Strips

EM Laboratories, Inc.
500 Executive Boulevard
Elmsford, NY 10523
(914) 592-4660

Gallard-Schlesinger Chemical Mfg. Corp.
584 Mineola Avenue
Carle Place, NY 11514
(516) 333-5600

Talas
130 Fifth Avenue
New York, NY 10011
(212) 675-0718

any well-stocked supply store

Polyethylene Plastic Film

any plastic or hardware store

Polyurethane Varnish

any well-stocked paint store

Plastic Polymer Trays (wet-cleaning)

any well-stocked photography store

Stainless Steel Wet-Cleaning Table

Mouron and Company, Inc.
320 West 16th Place
Indianapolis, IN 46202
(317) 926-5378

most custom-made stainless steel firms

Steamer

Jiffy Steamer Company
Box 869
Highway 51 North
Union City, TN 38261
(901) 885-6690

قصـر الثغـر الأثـري بتبـالة

أ. سياف بن عامر آل خشيل (*)

الموقع وأهميته التاريخية :

يقع قصر الثغر الأثري موضوع البحث ببلدة "تبالة" التي تبعد عن مدينة بيشة (٤٥) كيلاً إلى الغرب ، ويطلق اسم تبالة على الوادي الذي يعدّ أحد فروع وادي بيشة الأربعة ويلتقي به بالقرب من كبري بيشة الكبير ، ويصب في وادي تبالة (٤٦) رافداً ، وتنتشر على ضفتيه قرى تبالة والثنية .

و"تبالة" جزء لا يتجزأ من بيشة من حيث الظواهر الطبيعية ، والإمكانات الاقتصادية ، والتموجات القبلية ، والإعمار السكاني ، ومن حيث تأثرهما بالظروف السياسية منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر ، وتتبادلان الأدوار حسب المتغيرات السياسية التي تجتاح المنطقة بأسرها . وقد ورد ذكرهما في التاريخ والأدب العربي .

ومن المسلم به ونحن نتحدث عن أثر تاريخي بالغ الأهمية أن نلقي الضوء على بعض الصور والمشاهد التاريخية عن "تبالة" التي تحتضن هذا الأثر التاريخي ، لكن استطراد تلك الصور والمشاهد عبر القرون الطويلة يستغرق وقتاً طويلاً ومساحة كبيرة لا يتسع مجال هذا البحث لها ، على أن طرح بعض الومضات عن بعض الحقب التاريخية قد يكون من الضرورة بمكان .

ففي الشعر الجاهلي ورد ذكر "تبالة" كمضرب المثل في شعر امرؤ القيس ، ولبيد بن ربيعة العامري ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن معدي كرب ، والشنفرى وغيرهم من شعراء الجاهلية ، كما ورد ذكر "تبالة" في شعر العصور الإسلامية حتى الوقت الحاضر .

ومن المشاهير الذين ورد ذكرهم في التاريخ وأنجبتهم هذه المنطقة :

١- نفيل بن حبيب الأكلبي :

فارس مشهور ترأس القبائل التي تقطن تبالة وبيشة في مواجهة جيش أبرهة لكنه انهزم

(*) مدير عام التعليم بمنطقة عسير .

أمام هذا الجيش الجرار ، وأخيراً أخذه أبرهه دليلاً له في أرض العرب .

٢- أنس بن مدرك الأكلبي :

شاعر مشهور وبطل مقدام ، وصحابي جليل . بالإضافة إلى غيرهم من شخصيات تاريخية مشهورة لا يتسع المجال لذكرها .

لكن من أهم الشخصيات التاريخية التي عرفها التاريخ ولا يزال ذكرها يتردد على كل لسان وفي كل زمان "الحجاج بن يوسف الثقفي" الذي ولي على "تبالة" في عهد الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" وقد سار إليها ولما قرب منها قال للدليل أين تبالة - وعلى أي سُمْيت هي؟ فقال له الدليل ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة . فقال : لا أراني أميراً على موضع تستره أكمة - أهون بها من ولاية ، وكر راجعاً ولم يدخلها - وقد أصبحت مضرب المثل فيقال (أهون من تبالة على الحجاج) .

أما القبائل العربية العريقة التي قطنت وادي بيشة وفرعة وادي تبالة ، والتموج القبلي الذي عاشته المنطقة عبر القرون الماضية فهو موضوع واسع وكبير - لأن وادي بيشة وفروعه الأربعة تمتاز بخصوبة التربة وتوفر المياه وتنتج الحبوب بأنواعها والتمور والفواكه ، وهذه أهم مصادر المعيشة - لذا فإن الصراع القبلي في المنطقة محتدم على مر العصور والحقب التاريخية .

ومن أهم القبائل العريقة التي عاشت بهذه المنطقة هي قبيلة خثعم ، وبجيلة ، وبني عامر ، والأزد ، ودوس ، وهوازن وبني هلال - أما القبائل في الوقت الحاضر فهي قبيلة أكلب والفزع ، وبالحارث ، والمحلف ، ومعاوية ، وبني سلول ، والرمثين وبني منبه .

ومن الشواهد التاريخية التي خلدت ذكر تبالة وجود صنم " ذو الخلصة " بها والذي هدمه "جرير بن عبد الله البجلي" بأمر من رسول الله صلي الله عليه وسلم (وقد أعادت القبائل بناءه عندما تضعضعت الظروف السياسية داخل الجزيرة العربية وعم الجهل لكنه هدم مرة أخرى في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وذلك سنة ١٢١٣هـ (الدولة السعودية الأولى) واختفت آثاره إلا موقعه الذي يعرف الآن "بعرق الطاغوت" وهو عبارة عن جبل متوسط الارتفاع على حافة وادي تبالة وعلى قمته بعض المباني الحجرية الصغيرة .

كما أن بيشة وتبالة في عين الذاكرة لكل الحكومات والقوى السياسية التي سيطرت على المنطقة خلال الحقب التاريخية الماضية سواء في العصر الجاهلي أو في العصور الإسلامية المتتالية وحتى الوقت الحاضر .

وعندما عرف التاريخ آل سعود أسرة عربية حاكمة في الجزيرة العربية وظهرت الدعوة السلفية في نجد انضوت بيشة وتبالة وما جاورها تحت لواء الدولة السعودية الأولى عام ١٢١٣هـ في عهد الإمام "عبد العزيز بن محمد بن سعود" وقامت الدولة السعودية ببناء قلعتين واحدة في بيشة والثانية في تبالة (قصر ثغر) مجال البحث - ومنذ ذلك التاريخ وخلال الأدوار السعودية الثلاثة ، وأهالي بيشة وما جاورها مرتبطون بآل سعود بولاء صادق وحب عميق وتثبت ذلك المواقف التاريخية المشهودة .

أهميـة الموقـع :

ترجع أهمية موقع تبالة ووجود هذا القصر الأثري بها إلى خمسة عوامل :

العامل الأول :

تقع تبالة عند السفوح الشرقية لسلسلة جبال السروات في منطقة سهلة المسالك تتوفر بها المياه العذبة ، لأن روافد وادي تبالة (٤٦) رافداً تلتقي بالوادي قبل تبالة مما يجعل المياه متوفرة والغيول منسابة معظم أيام السنة .

العامل الثاني :

تقع تبالة على الطريق التجاري الهام الذي يربط جنوب المملكة واليمن بالحجاز ماراً ببيشه . كما أنه طريق الفيل وهو أسهل الطرق للقوافل وأيسرها لأنه سهل المسالك بعيد عن تطرف المناخ فهو ليس كالطريق الذي يخترق سهل تهامة من الجنوب إلى الشمال ، والذي يتميز بالحرارة الشديدة وكثرة الغبار معظم أيام السنة ولا كطريق الحجاز الجبلي الذي يخترق قمم جبال سلسلة السروات من الجنوب إلى الشمال ، والذي يتميز بتطرف مناخه للبرودة والضباب معظم أيام السنة ، وكثرة المرتفعات والمنخفضات والمنعطفات ، مما لايساعد القوافل على اختراقه . كما أنه بعيد عن الصحراء القاحلة . فهذا الطريق التجاري الذي يسير موازياً للسفوح الشرقية لسلسلة جبال السروات من الجنوب إلى الشمال ماراً ببيشة وتبالة

يعتبر من أيسر وأسهل طرق القوافل منذ القدم .

العامل الثالث :

تعتبر "تبالة" محطة على طريق القوافل مما جعل الاستيطان مستمراً بهذا الموقع لتوفر جميع شروط الاستيطان ونتيجة لهذا الاستيطان بهذه المحطة فقد أقامت القبائل في هذه الجهة صنم (ذو الخلصة) الذي عدّ من أصنام الجزيرة العربية .

العامل الرابع :

الموقع الاستراتيجي بين القبائل التي تسكن سلسلة جبال السروات من قبائل خثعم وشمران وعليان وبلقرن وبني عمر وبني شهر وكذلك غامد في الغرب والجنوب الغربي وبين قبائل بيشة التي تسكن إلى الشرق والشمال الشرقي ، وهذا الموقع لتبالة جعلها محط اهتمام الحكومات المتتالية بالجزيرة العربية .

العامل الخامس :

ترجع أهمية تبالة إلى أن المنطقة المحيطة بها منطقة مناجم وهناك منجم العبلاء المعروف وما بين هذا المنجم وتبالة توجد آثار كثيرة في حاجة إلى الدراسة كما اكتشف أخيراً منجم للذهب بجبل المحضار وبكميات اقتصادية .

قصر الثغر الأثري بتبالة وأهميته التاريخية :

خضعت بيشة وتبالة للإمام/ عبد العزيز بن محمد بن سعود (الدولة السعودية الأولى) عام ١٢١٣هـ وبنى قصرين واحد في بيشة والآخر في تبالة والذي عرف (بقصر الثغر بتبالة) وهذه القصور والقلاع التي بنتها الدولة السعودية الأولى في مختلف المناطق والتي يطلق عليها اسم (ثغور) تتسم بطابع معماري واحد ومتشابه ، وهذا القصر عبارة عن مستطيل الشكل مبني من الحجارة النارية يلاصقه من الخارج جدار آخر من الطين للحماية من آثار عوامل التعرية المختلفة على مر العصور ، وتبلغ مساحة القصر (١٠٨٢م) وملحق به من الجهة الجنوبية بئر مدفون يليه مسجد جامع . تبلغ مساحته (٨٣٠,٥٠ م٢) ويتكون القصر من مدخل رئيسي منكسر من الجهة الغربية يؤدي إلى فناء مستطيل مكشوف ، وفي أركان القصر الأربعة أبراج حماية مربعة الشكل مداخلها من داخل القصر ، وترتفع هذه الأبراج والأسوار

من (٣) أمتار إلى (٥) أمتار . وفي القصر ممرات علوية وسفلية وغرف مغطاة بين السور الخارجي وجدار السور الداخلي ، وفي داخل القصر أطلال ودرج يؤدي إلى أعلى السور في الواجهة الشرقية حيث توجد فتحات متتالية للدفاع عن القصر ، كما توجد حصون وحاميات على قمم الجبال المحيطة بالقصر من الجنوب والشمال . وتوجد أطلال إلى الشمال من القصر وهي عبارة عن أسواق . ويوضح ذلك الرسم الكروكي المرفق .

قضية تملك هذا القصر :

بني هذا القصر في عهد الدولة السعودية الأولى بعد أن خضعت بيشة وتبالة لولاية / عبد العزيز بن محمد بن سعود في ١٢١٣هـ . وهدم القصر على يد محمد علي ، حاكم مصر في ١٣ صفر ١٢٣٠هـ وذلك بعد أن انتصر جيش محمد علي حاكم مصر علي جيش (عبد الله بن سعود الكبير) في معركة بسل الشهيرة بقيادة فيصل بن سعود في بداية عام ١٢٣٠هـ حيث توجه محمد علي بجيشه إلى بيشة وعرّج على تبالة واستولى على القصر وقتل كل من كان فيه وفي مقدمتهم (شعلان) .

أما الملابسات التي دارت حول هذا القصر ولمن تعود ملكيته فإنني ألخصها في النقاط التالية :

١- ظل هذا القصر أكثر من مائة وسبعين عاماً أي من عام ١٢٣٠هـ الذي تم فيه الاستيلاء عليه من قبل جيش محمد علي حاكم مصر وقتل كل أفراد الحامية إلى عام ١٣٩٨هـ العام الذي تم فيه تسجيله ضمن آثار محافظة بيشة . ولم يدع أحد ملكيته لا (عوضة بن قبلان) ولا أبوه وجده من قبله ، ولم تمتد أياديهم إليه ، وكان يعرف هذا القصر عند عامة الناس (بقصر الثغر) .

٢- إن (شعلان) الذي يدعي (عوضة بن قبلان الشمراني) أنه من سلالته لم يكن شيخ قبيلة من قبل الحكم السعودي في الدولة السعودية الأولى ولم يكن أحد من أولاده أو أحفاده أو أحفاد أحفاده حتى الوقت الحاضر شيخ قبيلة أو نائب قبيلة ويثبت ذلك خطاب محافظ بيشة رقم ٩٧٥٢ وتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٢هـ المرفقة صورته .

وإنما كان (شعلان) عاملاً (أمير) من عمال/ عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه/

سعود الكبير أي أنه معين من قبلهم كأمير على القصر وحاميته . والمعروف في المنطقة الجنوبية أن شيوخ القبائل والنواب قبل الحكم السعودي وفي أدواره الثلاثة ظلوا متمسكين بهذه المشيخة والنيابة حتى الوقت الحاضر ولم تنتقل المشيخة من أي بيت أو أسرة إلا في حالة انقطاع النسل ، ولم يحدث هذا في قبائل بيشة حتى الوقت الحاضر ، ولو كان (عوضة) ينتمي إلى بيت مشيخة أو نيابة لكان احتفظ به حتى الوقت الحاضر أو أحد من أسرته .

٣- عندما قمنا بتحديد الموقع الأثري ووضع حراسة عليه كان/ عوضة بن قبلان الشمراني متواجداً معنا ، ولم يعترض أو يدعي أنه يملكه بل ظللنا عدة سنوات ونحن نحرس هذا القصر قبل أن يدعي ملكيته . لذا فإنني أعتقد أنه اطلع على رواية لابن بشر في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) والذي ذكر فيها أن (شعلان) أمير الفزع . والفزع هي القبيلة التي تسكن تبالة . لكن (شعلان) أمير من قبل ابن سعود ولذا فإنه يأمر وينهى في هذه القبيلة والقبائل المجاورة وقد كان المؤرخون في السابق يعتمدون على الروايات في تدوين بعض المواد التاريخية حيث لم تتوفر لهم المصادر والمستندات التي يعتمدون عليها في التدوين لاسيما في المناطق الريفية مثل تبالة التي تقع في الجنوب والتي تبعد عن ديار ابن بشر بأكثر من ألف كيل ، ولذا فإنه قد يحدث لبس على المؤرخ لعدم دقة المعلومات التي تنتقل إليه .

٤- إن ضخامة المبنى ووجود المسجد الذي يتسع لأكثر من خمسمائة شخص وكذلك وجود البئر بداخل القصر ووجود الحاميات على قمم الجبال المحيطة بالقصر دلالة واضحة على أن هذا المبنى لم يبنه إلا دولة قوية ، وأنه يخرج عن كونه مبنى لشخص أو مبنى لشيخ قبيلة. فالقبائل العريقة والقوية والكبيرة في محافظة بيشة أو حتى في المنطقة الجنوبية لم يبنِ مشايخها وأمراؤها آنذاك مثل هذه القلاع الضخمة .

٥- أما ما دار من محاكمات حول ملكية هذا القصر ، وما تم من اعتراضات على الحكم فإن ذلك قد تم عن طريق وزارة المعارف حيث تبنّت إدارة الآثار بمقام الوزارة إرسال مندوب من قبلهم لحضور جلسات المحاكمة لدى محكمة بيشة ، وبعد أن صدر الحكم اعترضت الوزارة على الحكم وأرسل الاعتراض لمحكمة التمييز التي أيدت الحكم وصرفت النظر عن اعتراض الوزارة .

ويتلخص اعتراض الوزارة في النقاط التالية :

أولاً : عدم كفاية الأدلة التي أسست عليها المحكمة حكمها بإثبات ملكية القصر موضوع النزاع للمحكوم لهم بالميراث عن جدهم (شعلان بن صالح) وذلك للأسباب التالية :

(أ) إن الشاهدين اللذين استمعت المحكمة لشهادتهما قد شهدا بأنهما سمعا من الشيبان الذين قبلهم بأن القصر لشعلان بن صالح دون أن يستطيعا إسناد ذلك لأشخاص معنيين أي أن المنقول عنهم مجهولون . وغني عن البيان أنه لا يصح أن يقام حكم على شهادة شاهد بما سمعه من مجهول ؛ لأن الشهادة لا تجوز إلا بعلم وإنما يستفاد العلم بمعاينة السبب أو الخبر المتواتر . فأما التسامع فلا يفيد العلم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ .

(ب) أضف إلى ذلك . . أن أحد الشاهدين قد تجاوز التسعين من عمره وهو ممن يحتمل فيهم السهو والنسيان .

إن الكتب التاريخية المشار إليها في الحكم استندت في إطلاق اسم (شعلان بن صالح) على قصر تبالة موضوع النزاع على مكان اشتهر . ومن المسلم به في فقه الشريعة الإسلامية إنه لا يجوز أن يقضى في الأموال على ما اشتهر .

ثانياً: أن في الظروف والملابسات التي أحاطت بدعوى المدعى عليه ما ينفي صحة دعواه بملكية القصر بالميراث عن جده (شعلان بن صالح) ويمكن إجمال ذلك فيما يلي :

(أ) قيامه باستخراج حجة استحكام رقم (١٩٥) في ١٣٩٦/٧/١هـ على البلاد الواقعة جنوب القصر المدعى به والوارد بيانها بحجة الاستحكام دون إدخاله للقصر موضوع النزاع يفيد أنه لم يكن له (أي للمدعى عليه) حتى تاريخ إثبات استخراجه لهذه الحجة أي حق في القصر المذكور وإلا ما تهاون في إثباته ذلك ضمن حجة الاستحكام المشار إليها . ولا يفيده القول . . بأنه ورد في الحجة أن القصر يحد المزرعة من الناحية الشمالية فمن البدهي الذي لا يحتاج لبيان ولا يصلح أن يكون محل نظر أو موضوع خلاف أن الحد لا يدخل في المحدود . ومن الملابسات حول حجة الاستحكام التي استخرجها برقم (١٩٥) في ١٣٩٦/٧/١هـ على مزرعة قديمة تبلغ أطوالها (٨٠ × ١٠٠) متر على الطبيعة ، وأن القصر

الوارد ذكره في الحجة هو قصر طين متهدم وليس هذا القصر الأثري . لكن عندما خرج الصك وجد أن الضلعين الشمالي والجنوبي أطوالهما بالصك ألف متر بدلاً من مائة متر ولما أراد أن يطبق صكه امتد في الأرض البور ثم وجده يصطدم بالشارع الرئيسي الذي يربط أعلى تبالة بأسفلها وعلى هذا الشارع تمديدات الضغط العالي والطريق الرئيسي ولذا أبقى هذا الشارع واستكمل بقية صكه ، والآن تجد أن صكه الآنف الذكر مقسوم بهذا الشارع الذي لم يذكر في الصك ، لكنه خاف من المعارضين فأبقاه كما هو عليه الآن .

(ب) خلو صك القسمة وإفراغ بيع عمه عليه لجزء من المزرعة من الإشارة إلى القصر موضوع النزاع يؤكد أمرين:

الأول : صحة ما أوضحناه في الفقرة (أ) من (البند ثانياً) .

ثانياً : عدم صحة ما قرره في أقواله بالصك محل الاعتراض من أنه اشترى نصيب عمه في القصر وإلا ما سكت عن إثبات ذلك بالصك المشار إليه .

(ج) عدم معرفته لباني القصر كما ورد بأقواله بالصك يفيد انتفاء ملكية أسلافه للقصر وبالتالي ملكيته ، لأنه لو صح ذلك لعلم بمن قام بالبناء عن طريق الخبر المتواتر بين الورثة .

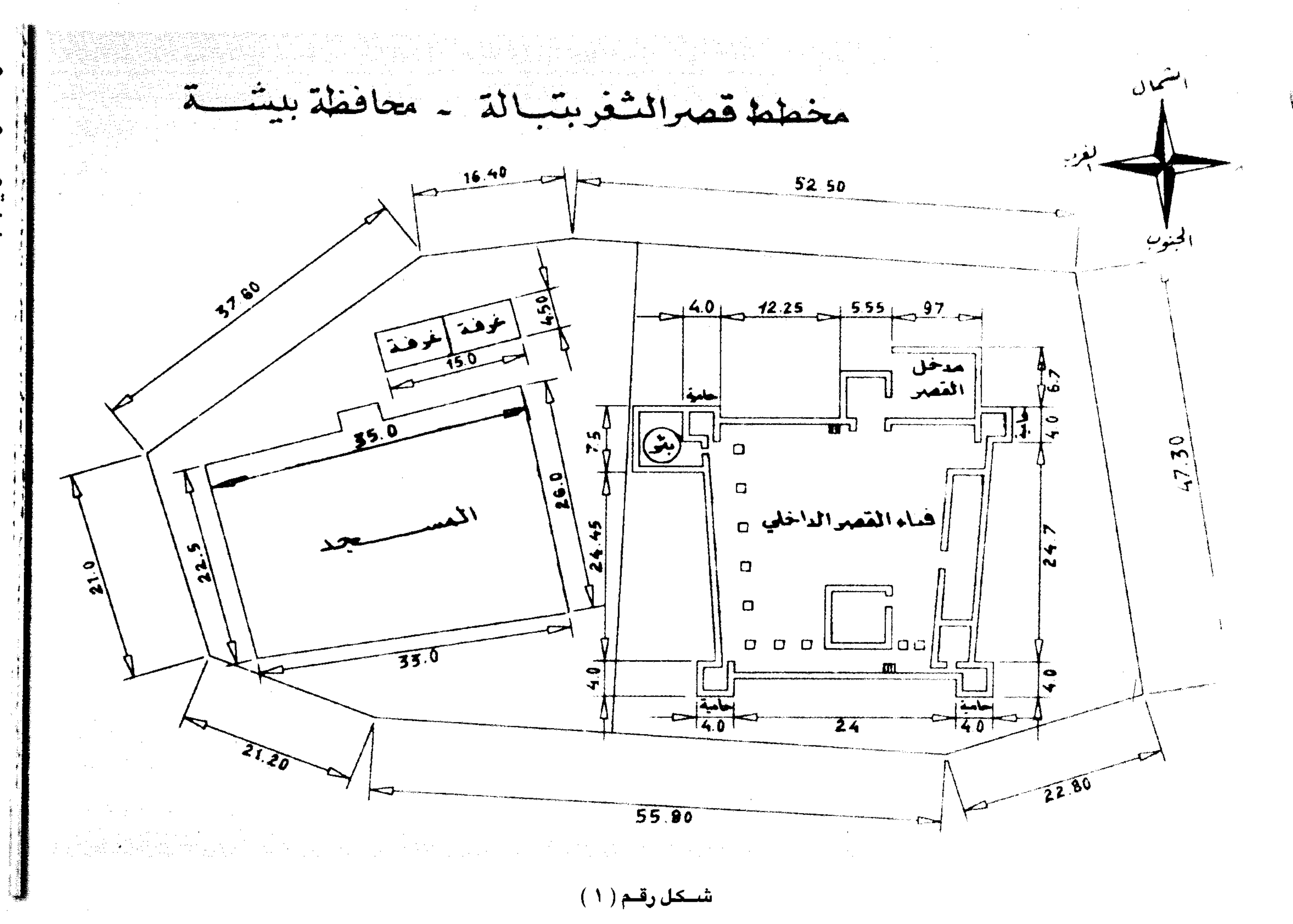
(د) سكوت المحكوم لهم بأسلافهم من قبلهم أكثر من (١٧٠عاماً) عن اتخاذ أي مظهر من مظاهر الملكية على القصر المذكور طوال الفترة من تاريخ وفاة مورثهم (شعلان بن صالح) وحتى تاريخ ادعاء المدعى عليه بملكية القصر بالميراث .

ولا يفيد القول بأن أسلافه من قبله حافظوا على القصر بقصد التباهي والتفاخر بجدهم لأنه لو صح ذلك لما اعترفوا بتسجيله ضمن الآثار وكان ذلك أدعى لهم بالفخر .

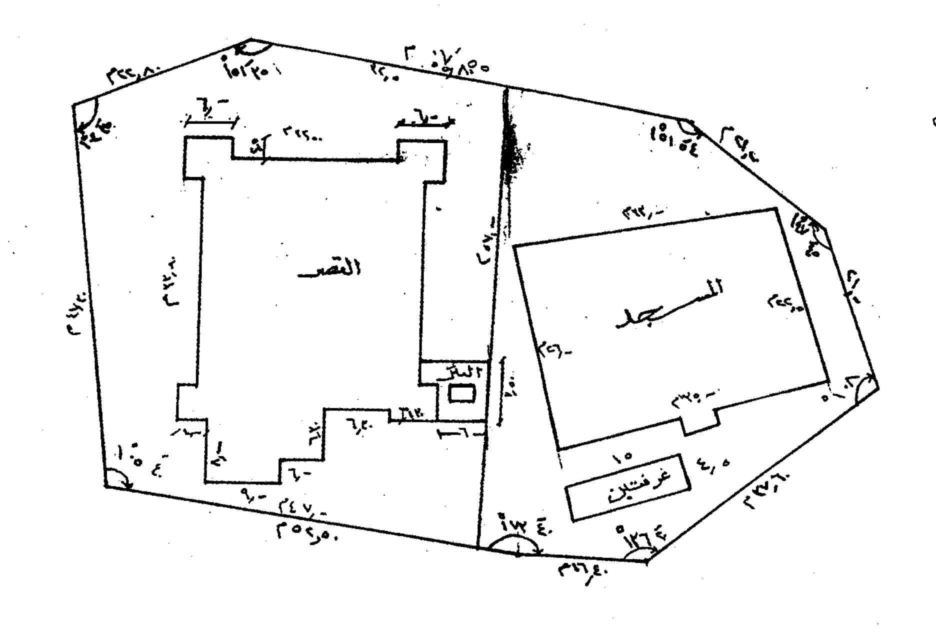
هذا هو اعتراض الوزارة على الحكم ومع ذلك فقد أخذ الحكم الشرعية القطعية .

ومن المفارقات أنه عندما خرجت إلى تبالة عام ١٣٩٨هـ ومعي المهندسون والمسّاحون بإدارة التعليم لتحديد أرض لصالح المدرسة المتوسطة والمدرسة الثانوية بتبالة – حددنا هذه الأرض بمساحة (١٠٠× ٢٠٠م) بالقرب من قصر الثغر ولم يفصلهما سوى شارع وقد كان (عوضة بن قبلان) معنا ، والنواب والأعيان ولم يعترض على ذلك بل كان يساعد المساحين وهم يقومون بتحديد الأرض لصالح وزارة المعارف .

هذه هي قصة القصر الأثري بتبالة المعروف بقصر الثغر والتي انتهت بتطبيق الصك الشرعي لصالح/ عوضة بن قبلان بعد أن قامت إدارة التعليم بوضع الحراسة عليه أكثر من اثنى عشر عاماً بل نكلت وزارة المعارف بدفع مبلغ مائتين وأربعين ألف (٢٤٠٠٠٠) ريال لعوضة بن قبلان مقابل منعه من استغلال القصر ، علماً أن هذا القصر كما أسلفنا ظل أكثر من مائة وسبعين عاماً دون أن تمتد يد عوضة أو أحد من أجداده لاستغلاله أو المحافظة عليه


مخطط قصر الثغر بتبالة - محافظة بيشة
الشمال
الغرب
الجنوب
المسجد
غرفة
غرفة
فناء القصر الداخلي
مدخل القصر
بئر
حامية
حامية
حامية
حامية
16.40
52.50
37.60
4.50
15.0
4.0
12.25
5.55
97
6.7
35.0
26.0
7.5
24.45
21.0
22.5
33.0
47.30
24.7
4.0
24
21.20
55.80
22.80

شكل رقم (١)



شكل رقم (٢) : رسم كروكي لقصر الثغر بتبالة الأثري

قصر تباله الاثرى
(الثغر)

فناء القصر الداخلي

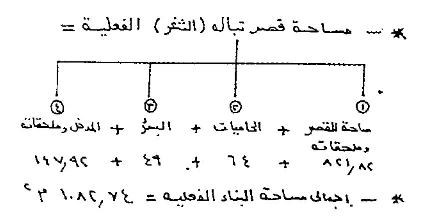
مساح المنطقة: علي حسن ذكي

آثار المنطقة: عبد الرحمن محمد الغامدي

رئيس القسم الهندسي: سعيد صالح الغامدي

تصديق: مدير تعليم بيشة

سياف بن عامر بن حنيش



شكل رقم (٣)

الاستغلال الاقتصادي للآثار في المملكة العربية السعودية (*)

مقـدمـة :

للآثار أهمية كبيرة من نواحي عديدة ، فهي تراث الأجداد وموروثهم الحضاري للأجيال المتعاقبة ، وهي الأدلة الثابتة ، والشواهد الدامغة علي ما خلفته الحضارات المختلفة من صروح شامخة وكنوز موروثة ، ومنجزات حضارية خالدة ، كما أنها من أوثق المصادر التاريخية التي يعتمد عليها الدارسون والباحثون ، وبفضلها تم الكشف عن حضارات قديمة قِدم الدهر لم يكن يعرف عنها شيء . بالإضافة إلى العظة والعبرة والتفكر المستمد منها ، حيث يقول المولي عز وجل في كتابه الكريم ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (١).

ونظراً لما تزخر به المملكة من مواقع ومواد أثرية ، فإنه يجب العمل على تحقيق الاستفادة المرجوة من هذه الثروة من خلال فتح باب للسياحة الآثارية لتحتل مكانتها الطبيعية والتي تتناسب مع حجم الثروات الآثارية المتوفرة في المملكة ، وهذا لن يتأتى إلا بتضافر كافة الجهود من القطاع الحكومي والقطاع الخاص في سبيل تحقيق ذلك والعمل على فتح المجال أمام الأخير لتحقيق الاستغلال الاقتصادي لهذا المورد الهام ، وذلك ضمن إطار ما تؤكد عليه خطط التنمية المتعاقبة للمملكة نحو تحسين وتنويع مصادر الدخل ، وزيادة اعتماد الاقتصاد الوطني على مساهمة القطاع الخاص من خلال التوسع في استغلال رؤوس أمواله في تمويل بعض المشاريع الحكومية ، أو تحويل ملكية بعض الأنشطة الحكومية ذات الطابع التجاري إلى القطاع الخاص .

إن اقتحام القطاع الخاص لمجال الاستثمار في السياحة والآثار بات أمراً هاماً وضرورياً ، حيث ستعود الفائدة على القطاع الخاص نفسه ، وبالتالي على الاقتصاد الوطني بصفة عامة من خلال تنويع مصادر الدخل ، وتوفير فرص عمل جديدة للقوى العاملة الوطنية .

(*) إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية بمجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية .

(١) سورة غافر آية رقم (٢١) .

وانطلاقاً من ذلك تهدف هذه الورقة إلى التأكيد على أهمية دخول القطاع الخاص كمستثمر في مجال السياحة الآثارية والبحث عن أفضل الآليات التي تحقق ذلك ، وفي ضوء هذا الهدف تتناول الورقة المحورين التاليين :

أولاً : أهمية الآثار وعلاقتها بالسياحة .

ثانياً : القطاع الخاص وآلية دخوله للاستثمار في مجال الآثار .

أولاً : أهمية الآثار وعلاقتها بالسياحة :

تأتي أهمية الآثار من كونها شاهداً على حضارات الشعوب وأخذ العبرة والعظة منها كما تعمل الآثار على إيقاظ الوعي القومي للشعوب ، وإنماء القدرات للأفراد ، وإعطاء الطابع المميز للأمم ، هذا خلاف تأثيرها الكبير في تكوين الكيان الذاتي ، وبناء شخصية مميزة للمجتمع المنتمي إلى هذه الآثار ، كما أنها تعتبر أحد العوامل لتنشيط السياحة ومصادر دخل لكثير من البلاد وبالتالي فهي تسهم في زيادة الدخل القومي من خلال زيادة الدخل الناتج من قطاع السياحة .

والعلاقة بين الآثار والسياحة هي علاقة تكاملية وطيدة ، فمن خلال الاهتمام بالسياحة يتم التعرف على الآثار في المناطق والحضارات المختلفة المنتشرة في بقاع الأرض ، وكذلك بدون الاهتمام بالآثار ستفقد صناعة السياحة ركناً هاماً فيها ، حيث تعتمد دول عديدة على آثارها في الترويج السياحي لديها والأمثلة من حولنا عديدة ولعل من أبرزها على المستوى الإقليمي جمهورية مصر العربية بما تتميز به من آثار متعددة كالأهرامات وأبوالهول في منطقة الجيزة والمعابد والمتاحف الأثرية في كل من الأقصر وأسوان والتي يتوجه لمشاهدتها السياح من كل بقاع الأرض .

وفي الوقت الحاضر فإن غالبية دول العالم تولي اهتماماً كبيراً ومتزايداً بالسياحة ، وتشير دراسات المنظمات الدولية إلى أن السياحة أصبحت من أكبر الصناعات المنتجة للدخل في العالم ، حيث قد إجمالي الإنفاق السياحي العالمي خلال عام ١٩٩٨م بحوالي ٤٤٥ مليار دولار ، وهو ما يدل على مدى أهمية السياحة في مختلف دول العالم .

وتجدر الإشارة إلى أنه ليست كل الدول السياحية تتمتع بوفرة الأماكن الأثرية بها ، لكن

الدول التي تتوفر بها الآثار تتمتع بميزة نسبية إضافية تمكنها من استقطاب المزيد من الأفواج السياحية .

وعلى الرغم من تمتع المملكة العربية السعودية بالعديد من المناطق والأماكن الأثرية إلا أن الاستغلال الأمثل لقطاع الآثار في المملكة لم يحظ بالاهتمام المطلوب ولا يزال هذا القطاع من القطاعات البكر التي تتوفر به العديد من الفرص الاستثمارية أمام القطاع الخاص وما علينا هو البحث عن الآليات المناسبة لاستغلال هذه الفرص .

ثانياً : القطاع الخاص وآلية دخوله للاستثمار في مجال الآثار :

المتتبع لمسيرة القطاع الخاص السعودي يجد أن هذا القطاع يتميز عن غيره في كثير من الدول باستمرارية تطوره بخطى ثابتة وذلك لما يمتلكه هذا القطاع من مقومات النمو الذي جعله لا يعتمد بصورة أساسية على حجم الإنفاق الحكومي ، حيث أشارت تقديرات وزارة المالية والاقتصاد الوطني إلى أن القطاع الخاص سجل خلال عام ١٩٩٨م نمواً بلغت نسبته ٢,١٢٪ في الوقت الذي تراجع فيه نمو الاقتصاد الكلي بأكثر من ١٠٪ كما أسهم القطاع الخاص بنسبة تصل إلى ٤٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي للمملكة خلال نفس العام ، وقد انعكس ذلك في توليد القناعة التامة بأن القطاع الخاص ينبغي أن يكون المحرك الأساسي لعملية التنمية الاقتصادية ، ومن الطبيعي أن يتطور دور القطاع الخاص بما يتواكب مع ظروف المرحلة الحالية سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي مع التأكيد على أهمية العمل على الاستمرار في توفير المناخ المناسب لاستمرارية نموه والمحافظة على المكتسبات التي حققها خلال السنوات الماضية ومن هذا المنطلق ، وحيث أن مجال الاستثمار في الآثار هو أحد المجالات التي يفترض أن يطرقها القطاع الخاص خلال المرحلة القادمة تمشياً مع مستجدات هذه المرحلة ، ونظراً للقدرة والإمكانيات الهائلة والإدارة الفعالة لهذا القطاع ، فإنه من الضروري أن توضع آلية واضحة ومحددة لدخول القطاع الخاص كمستثمر في هذا المجال على أن أهم مجالات الاستثمار في الآثار والسياحة الآثارية التي يمكن للقطاع الخاص المساهمة فيها ، تتمثل فيما يلي :

* الحفر والتنقيب عن الآثار .

* إقامة الفنادق والموتيلات والمطاعم والاستراحات في المواقع الأثرية .

* إدارة المتاحف والمواقع الأثرية .

* عمل المستنسخات والصور لأشهر المعالم الأثرية وبيعها للسياح .

* طبع وبيع الكتيبات التي توضح أهم المواقع الأثرية في المملكة وخرائط الطرق المؤدية لها ، وتكاليف الإقامة وغيرها من المعلومات التي تهم السائح .

* إقامة عروض ثقافية تاريخية تحكي عن الأصول التاريخية للمواقع الأثرية على غرار ما هو متبع في بعض الدول مثل عرض الصوت والضوء بالأهرامات في جمهورية مصر العربية .

* إقامة البازارات والمحلات التجارية لتسويق المنتجات الأثرية .

* العمل على تهيئة مناخ ترفيهي جاذب للسائحين ، مثل إمكانية التجول في المناطق الأثرية على ظهور الخيل أوالجمال ، وأخذ الصور التذكارية وسط هذه الأجواء التاريخية.

* إقامة العروض الفلكلورية ذات الطابع المحلي المميز الجاذب للسائح الأجنبي والمقيم على حد سواء .

أما بخصوص الآلية المناسبة لدخول القطاع الخاص كمستثمر في تلك المجالات ، فإنه ينبغي التأكيد على أهمية وضرورة التعاون بين الأجهزة الحكومية المعنية بقطاع الآثار والمتمثلة في وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف مع القطاع الخاص ، والعمل من جانب الوكالة على تفهم متطلبات القطاع الخاص والمعوقات التي تواجهه للدخول في هذا المجال الاستثماري ، ومحاولة التوصل إلي صيغة مشجعة للقطاع الخاص تساعده على الانخراط في هذا المجال دون المساس بقيمنا ومعتقداتنا الاجتماعية والدينية ، مع الأخذ في الاعتبار أهمية الربط بين السياحة والآثار عند وضع أي آلية استراتيجية مستقبلية سواء كانت قصيرة أو طويلة المدى .

كما ينبغي أن تتغير نظرة المسئولين عن الآثار تجاه القطاع الخاص ، وأن يكون هناك إدراك واقتناع بأهمية الاستفادة من قدراته المادية والإدارية في النهوض بمستوى الخدمة

السياحية الاثارية ، وهو ما يتماشى مع توجهات الدولة نحو اعتبار التخصيص هدف استراتيجي ، والعمل على تحقيق الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية المتاحة بما فيها العمل على تنشيط القطاع السياحي في المملكة .

والحقيقة أن هناك الكثير من الأمور التي تحتاج إلى إعادة نظر في فقرات نظام الآثار المعمول به حالياً ، وذلك بإضافة أو حذف أو تعديل لبعض فقراته بحيث تتمشى مع معطيات الفترة الحالية ، سواء ما كان من تلك الفقرات يخص الدولة بجميع مؤسساتها أو ما كان منها يتعلق بالملكيات الخاصة والحوافز المادية أو التعويضات ، خاصة وأن هذا النظام قد صدر منذ ثمانية وعشرين عاماً وفقاً للمرسوم الملكي رقم م/٢٦ وتاريخ ٢٣ / ٦ / ١٣٩٢ هـ ، حيث لم يكن المناخ العام خلال تلك الفترة مهيئاً للسياحة بصفة عامة والسياحة الآثارية بصفة خاصة ، كما أن التوجه نحو توسيع دور القطاع الخاص والاعتماد عليه في مختلف القطاعات لم يكن بالقدر الذي هو عليه الآن .

ومثال على ذلك :

– المادة ٢٢ "دائرة الاثار وحدها هي التي تقوم بصيانة وترميم الآثار الثابتة المسجلة للمحافظة عليها والإبقاء على معالمها ولا يحق للمالك أو المتصرف الاعتراض على ذلك" . يتضح من نص هذه المادة حصر أعمال الصيانة والترميم للآثار الثابتة بدائرة الآثار وحدها ، وهو ما يعني تحجيم دور القطاع الخاص في هذا الخصوص .

– المادة ٣٨ "يسمح بالاتجار ضمن الحدود التي يرسمها هذا النظام بموجب ترخيص رسمي من دائرة الآثار مدتها سنة واحدة قابلة للتجديد لقاء رسم سنوي يحدد بقرار من وزير المعارف" . يلاحظ من خلال هذه المادة تحديد مدة الترخيص بسنة واحدة فقط قابلة للتجديد ، وهو ما يتنافي مع أحد عوامل جذب القطاع الخاص للدخول في أي مجال استثماري ألا وهو ضمان الاستقرار لفترات طويلة .

– المادة ٥٥ "دائرة الآثار وحدها صاحبة الحق في القيام بأعمال الحفر أو السبر أو التحري في المملكة العربية السعودية ويجوز للهيئات والجمعيات العلمية والبعثات الأثرية التنقيب عن الآثار بترخيص خاص وفقاً لأحكام هذا النظام" . يتضح من نص هذه المادة عدم

الإشارة لأي دور يمكن أن يقوم به القطاع الخاص في هذا الخصوص ، وحصر أعمال الحفر أو السبر أو التحري في دائرة الآثار وحدها أو الهيئات والجمعيات العلمية والبعثات الأثرية .

كما يجب عدم إغفال العديد من العوامل الأخرى المساعدة في تفعيل دور القطاع الخاص نحو ارتياد هذا النوع من الاستثمار ، حيث يجب العمل على تسهيل وتبسيط إجراءات إصدار التراخيص وشروط زيارة المواقع الأثرية للأجانب ، حيث تتضمن هذه الشروط :

- إرسال خطاب لوكيل وزارة المعارف المساعد لشئون الآثار والمتاحف ، بطلب السماح بزيارة المواقع الأثرية المراد زيارتها .
- يجب إرسال الخطاب بمدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً من موعد الزيارة .
- أن يكون الخطاب رسمياً ومن الجهة الكفيلة للزائر .
- ذكر أسماء الزائرين وجنسياتهم وأرقام جوازاتهم .
- تحديد مدة وتاريخ زيارة كل موقع .
- تسليم الطلب مناولة للوكالة المساعدة للآثار والمتاحف أو إرساله بالبريد أو التلكس أو الفاكس .
- يمنع منعاً باتاً نشر أي معلومات أو صور عن المواقع الأثرية المترامية إلا بعد التصريح من الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف بذلك ، كما يمنع تصوير الڤيديو .

مما سبق نجد أن هناك بعض العوائق التي تواجه القطاع الخاص عند دخوله مجال الاستثمار في الآثار سواء كانت من ناحية نظام الآثار نفسه أو القيود المفروضة على زيارة الأماكن الأثرية هذا بخلاف القيود المفروضة على السائحين الأجانب .

لذا يجب مراعاة أن القطاع الخاص - بغرض دخوله مجال الاستثمار الأثري - سوف يقوم بصرف مبالغ طائلة لتجهيز المناطق وجعلها مناطق جاذبة للسياحة ، وبالتالي فهو يحتاج في المقابل إلي إيرادات لتغطية هذه المصروفات وتحقيق أرباح تكفل له الاستمرار في هذا النشاط ، وبالتالي فإن تذليل العقبات والعوائق السابق ذكرها ، أصبح من الضروري العمل وبسرعة من أجل تذليلها حتي يستطيع القطاع الخاص أن يخوض غمار هذا المعترك وهو يقف

على أرض صلبة .

ومن أجل النهوض بصناعة السياحة الاثارية في المملكة وجعلها تضاهي مثيلاتها من الدول التي تحظى بنفس القدر من الآثار تقترح الورقة ما يلي :

* أن يأتي ضمن عمل الهيئة العليا للسياحة التي أعلن عن تأسيسها الاهتمام بتنشيط السياحة الأثرية في المملكة وذلك من خلال قيامها بما يلي :

- وضع و تنفيذ استراتيجية للسياحة والآثار في إطار الاستراتيجية العامة بالمملكة بما يحقق كافة الطموحات .
- إبراز المقومات السياحية والآثارية لمناطق المملكة المختلفة .
- إنشاء مركز معلومات للسياحة والاثار يخدم المستثمرين في هذا المجال .
- إعداد دراسات مقارنة للأسواق الأثرية في الدول المجاورة ، ووضع تصور للنهوض بمستوى الخدمة الآثارية في المملكة .
- تنظيم عملية الحفر والتنقيب عن الآثار .
- العمل على إنشاء مكاتب سياحية في الخارج طبقاً لاستراتيجية السياحة المقترحة من أجل أعمال الترويج والتنشيط السياحي .
- وضع القواعد المنظمة لحصر وتصنيف وتسجيل الاثار بالمملكة وقواعد عرضها وأساليب المشاهدة أو الزيارة لهذه الآثار .
- وضع القواعد المنظمة لأعمال الإرشاد السياحي .
- وضع القواعد المنظمة للمتاحف والمقتنيات العامة والخاصة بالآثار ، وتنظيم تداولها وعرضها وتبادلها .
- الإشراف على البرامج التدريبية في مجالات السياحة والآثار .

* السماح والتسهيل للقطاع الخاص بالتنقيب عن الآثار ، والمقصود بالتنقيب عن الآثار "جميع أعمال الحفر والسبر والتحري التي تستهدف العثور على آثار منقولة أو غير منقولة في

باطن الأرض أو على سطحها أو في مجاري المياه أو البحيرات أو في المياه الإقليمية" ، وذلك من خلال اتفاقيات طويلة الأجل مع شركات ومؤسسات سعودية أو مشتركة ذات خبرة وباع طويل وسمعة حسنة في هذا المجال مع إعطاء هذه الشركات حق الانتفاع لملكية الدولة .

* إعطاء القطاع الخاص حق إدارة المتاحف والمواقع الأثرية الحالية من خلال عقود إيجارية لمدد محدودة ، والتعاون معه في إنشاء المزيد من المتاحف الجاذبة للسياح مثل متحف الشمع في بريطانيا ومتحف اللوفر في فرنسا .

* منح القطاع الخاص تراخيص إنشاء الفنادق والموتيلات والأماكن الترفيهية في المواقع الأثرية شريطة ألا تؤثر هذه الإنشاءات على بيئة الموقع الأثري .

* التوسع من قبل شركات السفر والسياحة في تنظيم الوفود السياحية لزيارة الأماكن الآثارية في المملكة ويشمل ذلك السماح لهذه الشركات بتنظيم الرحلات الجوية أو البحرية المؤجرة والتي تخدم أفواج سياحية بعينها .

* الاهتمام بالدعاية والإعلان للتعريف بأهمية المواقع الأثرية وإبراز دورها التاريخي محلياً وعالمياً .

* منح القطاع الخاص عقود صيانة وتجهيز للمواقع الأثرية وتقديم الخدمات بها .

* تفعيل التعاون بين مجلس الغرف السعودية ووكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف ويمكن أن يشمل هذا التعاون العمل على دراسة الفرص الاستثمارية المتاحة في المناطق الآثارية وإتاحتها أمام رجال الأعمال السعوديين ، حيث يمكن للقطاع الخاص استغلال هذه الفرص ، بحيث يجعل المناطق الأثرية في المملكة مناطق جاذبة أمام المواطنين والمقيمين بل وأيضاً أمام الزائرين المعتمرين من الخارج خصوصاً بعد أن أعلن نظام لتيسير العمره وجعلها متاحة أمامهم علي مدار العام والسماح لهم بالتنقل داخل مناطق المملكة المختلفة الأمر الذى يشجع القطاع الخاص على تنظيم زيارات الأفواج السياحية من مختلف دول العالم .

قائمة المراجع

١- الهوية السياحية لمنطقة مكة المكرمة – ورقة عمل إعداد مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية مقدمة إلى ندوة تنمية السياحة في مكة المكرمة خلال الفترة ٢٥ – ٢٦ ذو القعدة ١٤١٩ هـ .

٢- الآثار والسياحة ورقة عمل إعداد أ. محمد بن حمد السمير النجم مدير إدارة الآثار بتيماء إلى ندوة تبوك للسياحة الداخلية بالمملكة العربية السعودية السياحية خلال الفترة ٢ – ٣ صفر ١٤٢٠ هـ .

٣- المناطق الأثرية بالعلا ومدائن صالح "الكتيب السياحي" وزارة المعارف – الإدارة العامة للآثار والمتاحف ، بدون طبعة .

٤- القطاع الخاص ينقب عن الآثار السعودية – مقالة في جريدة الاقتصادية العدد رقم ٢١١٢ بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٤٢٠ هـ بقلم أ. فؤاد حسن كابللي .

٥- نظام الآثار في المملكة العربية السعودية .

٦- مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية ـ وزارة المعارف ـ وكالة الآثار والمتاحف ـ الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٧- أطلس المملكة العربية السعودية – وزارة التعليم العالي ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٩٩٩م .

٨- خطة التنمية السادسة .

٩- شيبان ، فلاح ، نجران الاثار والتاريخ ، الطبعة الأولي ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

١٠- ضو ، جورج ، ترجمة : بهيج شعبان ، تاريخ علم الاثار ، دار عويدات ، بيروت ، ١٩٧٠م.

١١- عبدالهادي ، جمال ، وفاء رفعت ، علم الآثار ، دار الشروق ، جدة ، بدون طبعة .

١٢- الأنصاري ، عبدالقدوس ، بين التاريخ والآثار ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٩م .

١٣- دليل المتاحف في المملكة العربية السعودية – وزارة المعارف – وكالة الآثار والمتاحف ، الرياض ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

متاحف الآثار في المملكة العربية السعودية بين الواقع والمأمول

أ. إبراهيم بن ناصر البريهي (*)

مقـدمـة :

أصبحت المتاحف في وقتنا الحاضر واجب وطني ومطلب قومي ومن المظاهر الحضارية في مدن العالم ، فهي المكان الآمن لحفظ تراث الأمة وإبرازه والتعريف به للأجيال المعاصرة والقادمة وتنمية الحس الحضاري والوطني لديهم فمن حق هذه الأجيال أن تطلع على ما أنجزه وأبدعه الأباء والأجداد فيفيدون منه ويضيفون إليه وينقله كل جيل إلى جيل الذي يأتي بعده لتتكامل حلقات التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن المتاحف اليوم لم تعد أماكن فقط لحفظ تحف يخشى ضياعها ولا مقابر لآثار تاريخية ولروائع فنية نادرة بل هي مؤسسات علمية وثقافية ومعاهد فكر وإبداع حيث يتعلم فيها الإنسان تاريخه الطويل ومصادر عالمه الواسع وما حققه الوطن منذ عصور ما قبل التاريخ ومدى مساهمتنا في النهوض العلمي والأدبي والفني وبالتالي يجعلنا ندرك واجبنا القومي نحو ضرورة دراسة تراثنا وتدريسه والاستفادة منه . ولا شك أن للمتاحف إلى جانب ذلك فوائد كثيرة مثل تنمية دقة الملاحظة التي هي بداية البحث العلمي واكتشاف المعاني الفكرية والقيم الجمالية كما أنها تساعد أيضاً على تنمية الذوق الفني عند الإطلاع ومشاهدة طرز وأساليب الفن في مختلف المدارس الفنية عبر العصور المختلفة كما أنها تساهم في تنشيط أعمال التنقيبات الأثرية لإلقاء أضواء جديدة على حضارتنا وفي الوقت نفسه تعتبر مقتنيات جديدة تعرض في قاعات المتاحف ليطلع عليها الزائرون ويستفيد منها المختصون في دراستهم .

من هنا ازدادت أهمية المتاحف في العملية التربوية حيث شهد الربع الأول من هذا القرن نهضة علمية مزدهرة وأصبحت إداراتها وتنظيماتها ومعارضها ومبانيها ومناهجها التعليمية والتثقيفية تكوّن علماً قائماً بذاته سمي (علم المتاحف) فلم يعد دور المتاحف كما ذكرت خاصاً

(*) مدير عام الآثار سابقاً – انتقل إلى رحمة الله .

فقط بحيازة المقتنيات وعرضها بل الاستفادة من ذلك في تعليم وتثقيف الصغار والكبار على حد سواء ، والتأكيد على هذا الجانب من وظائف المتحف أصبح من أبرز المهمات في عالم المتاحف خلال الثلاثين سنة المنصرمة ، كما كان هذا الجانب ولا يزال المحرك الرئيسي لإعادة تصميم جميع صيغ العمل في المتاحف فالاتجاه الجديد يركز على المعارض لجذب انتباه الزائرين بجميع الوسائل المتاحة من هنا نلاحظ أن المتاحف التي لا يوجد بها مناهج تعليمية نشطة أخذت تسعى جاهدة الآن لمواكبة هذا التطور .

إن معروضات المتاحف فيها الشيء الكثير الذي يمكن أن يفيد الجمهور فهي لب العملية التربوية والهدف الذي يقصده كل متحف حديث ، كما إنها تمثل ذاكرة الأمة ، والأمة التي تنسى ماضيها ترتبك في حاضرها ومستقبلها .

لهذا بدأت تتسابق الدول لإنشاء هذه المتاحف وتهتم في تصميمها وفي محتوياتها وفي تجهيزاتها والصرف عليها بسخاء فكل ما زاد اهتمام الأمة بتراثها دل على تقدمها ورقيها ولا شك أن مملكتنا الحبيبة إحدى هذه الدول التي أولت ذلك اهتماما بالغا حيث أسست إدارة مختصة تابعة لوزارة المعارف عام ١٣٨٣هـ باسم الإدارة العامة للآثار والمتاحف للعناية بدراسة التراث وإبرازه والمحافظة عليه كما أصدرت مرسوماً ملكياً بنظام الآثار برقم م/٢٦ وتاريخ٢٣/٦/١٣٩٢هـ وأدركت هذه الوزارة ممثلة بالإدارة المعنية حجم المسؤولية وعظمها وواجب النهوض بالدراسات الآثارية والمتحفية فبدأت تضع الخطط والبرامج حيث شيدت عدداً من المتاحف في مناطق شتى من المملكة وزودتها بما تحتاج إليه من أجهزة ومعدات ومقتنيات وكوادر إدارية كما افتتحت أقسام التاريخ والآثار والمتاحف والحضارة في بعض الجامعات السعودية لتدريس تاريخ المملكة وحضارة الجزيرة العربية والعالم الإسلامي والاهتمام في تطوير الدراسات الأثرية والتاريخية لإبراز أثارنا وتاريخنا وتراثنا منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث وقامت من أجل ذلك جمعيات متخصصة تضم في عضويتها علماء وأساتذة ومتخصصين في علوم التاريخ والآثار والحضارة هدفها الرفع من مستوى هذه الدراسات وتكثيف الأبحاث الآثارية والتراثية والاستفادة من التقدم العلمي في مجالي علم الآثار وعلم المتاحف للمحافظة على تراثنا والتعريف به وزيادة نشر الوعي الآثاري بين المواطن والمقيم في المملكة .

وقد كان لي الشرف في أن كلفني سعادة الأستاذ الدكتور سعد بن عبد العزيز الراشد أثناء تجولي في المتاحف الإقليمية والمحلية لجمع المادة العلمية لرسالتي للدكتوراه بأن أقوم في الوقت نفسه بعمل دراسة ميدانية عن سير العمل في كافة الجوانب المتحفية والإدارية والفنية حيث قدمت لسعادته تقريراً شاملاً عنها ، وسيكون بحول الله تعالى منطلقاً لهذا البحث ضمن محور (متاحف الآثار في المملكة العربية السعودية الدور التعليمي والتثقيفي) حيث سأقوم من خلاله بدراسة علمية عن هذه المتاحف والمتحف الوطني في حالاتها الراهنة موضحاً إيجابياتها وسلبياتها والأمل في تحسين أوضاعها لتحقيق الأهداف المنشودة من إنشائها في إطار علم المتاحف ، وسوف يحتوي البحث بمشيئة الله تعالى على العناصر الآتية :

١- تمهيد .

٢- لمحة تاريخية عن نشأة المتاحف .

٣- المتاحف (مفهومها - أنواعها - وظائفها) .

٤- متاحف الآثار في المملكة (تطورها - مواقعها - تصميم منشآتها - تجهيزاتها - مقتنياتها - مصادرها - تصنيف وتسجيل وتوثيق المقتنيات - عرض مقتنياتها صيانة وترميم مقتنياتها - التخزين - صيانة مبانيها - إداراتها - الأمن والسلامة - الدور التثقيفي والتعليمي - الدور التدريبي المستمر) .

٥- الاقتراحات والتوصيات .

٦- الخاتمة .

٧- الملاحق .

سائلاً المولى أن يكلل هذه الجهود بالتوفيق وأن تظهر هذه الدارسة بالصورة المشرفة والمأمولة .

لمحة تاريخية عن نشأة المتاحف

تمهيد :

عرف المتحف في الأصل عند الإغريق باسم Mouscion لدلالة على معبد مشيّد على تل هليكون قرب الأكروبولس في أثينا وخصص لعبادة ربات الفنون Muses ومن المحتمل أن يكون هذا المعبد مثل بقية المعابد وقد وضعت فيه تماثيل وهدايا ثمينة قدمها الناس للآلهة تعبيراً عن إيمانهم بها وشكرهم لها وبمرور الزمن اقتنى الملوك والأمراء والأثرياء ثم الكنائس الحلي والتحف النادرة القديمة والمجموعات الأثرية والفنية والتاريخية والعلمية التي كانت في حوزة تلك المؤسسات العامة أو في قصور ومنازل الأشخاص فألفت هذه البدايات البسيطة النواة الأولى للمتاحف وعناصره رغم أنها لم تكن معروضة للجمهور مع أن الغربيين يربطون تأسيس أقدم متحف بالملك بطليموس الأول مؤسس دولة البطالمة في مصر والذي أسس مكتبة عامرة بمدينة الإسكندرية كما شيد بناية خاصة في سنة ٢٩٠ ق . م عرض فيها مواداً حضارية مختلفة وأطلق عليها أسم المتحف بمعناه الأغريقي وسمح أيضاً للناس بمشاهدة ما فيها وهناك من الباحثين من يرى أن فكرة تأسيس المتحف هي فكرة بابلية سبقت بطليموس الأول بزمن يربو على الثلاثة قرون .

وهناك عاملان رئيسيان ساعدا على نشأة المتاحف هما العامل الاقتصادي والعامل الديني فالأول تمثله المجموعات الأولى التي تحتويها المتاحف من مواد ثمينة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والعاج ومواد أخرى ثمينة ذات قيمة فنية ومادية نادرة اقتناها الملوك والأمراء والنبلاء والأثرياء لبيان ثرائهم وللمباهاة بمنزلتهم الاجتماعية الرفيعة ومن هؤلاء الملك الاسباني فيليب الرابع والذي فاقت مجموعته من التحف التي اقتناها كل مجموعات التحف الثمينة المعروفة في عهده وكذلك الجنرال الروماني فيرس حاكم صقلية والذي جمع المجوهرات المصنوعة من الذهب والفضة والأحجار الثمينة والتماثيل الرخامية وقطع الفن الأخرى ، أيضاً السياسي والكاتب الروماني المعروف (شيشرون) (القرن الأول ق . م) والذي جمع من التحف الثمينة ماملأ به ثمانية عشر بناية وكانت تلك البنايات عبارة عن متاحف ومخازن تجارية وللتبادل والبيع بالمزاد أحياناً . أما العامل الثاني وهو الديني فقد اضطرت المؤسسات

الدينية إلى استخدام الأعمال الفنية في كثير من الحالات لنشر تعاليم الدين وأصوله وكان الاعتماد على الفن في هذا المجال أقوى في العصور القديمة لذلك كانت الفنون تحظى برعاية الدين الكاملة في المعابد والكنائس لتأثيرها على عواطف الناس ومشاعرهم أكثر من النصوص المكتوبة فنجد أن معظم آثار مصر القديمة صنعت لأغراض دينية ، وكذلك التماثيل السومرية التي تم العثور عليها في العراق حيث أوضحت ذلك الكتابات المسمارية التي كتبت على بعض هذه التماثيل . أيضاً التحف الرائعة التي كانت وما تزال تزين الكنائس في العالم وفي المراقد المقدسة الإسلامية تضم كنوزاً ونفائس من التحف الغالية محفوظة معظمها في مخازن مغلقة وهذه الكنوز تجمعت عن طريق الهدايا التي كان وما يزال يقدمها الملوك والأمراء والحكام والأثرياء وكانت روما أكثر المدن الأوروبية القديمة إهتماماً باكتناز المخلفات القديمة في المعابد والقصور والدور وفي العهد الجمهوري منع (يوليوس قيصر) اقتناء الآثار من قبل الأشخاص وهو أول من وهب مقتنياته التي كانت تتكون من بعض الآثار الرومانية إلى معابد كما عرض الجنرال (أكريبا) مجموعته على الناس وشجع الأخرين على عرض ما بحوزتهم على الجمهور بدلاً من الاحتفاظ بها في منازلهم إلا أن رغبته تلك لم يقتنع بها وظل الجمهور يشاهد الآثار الاغريقية والرومانية في المعابد والمزارات المقدسة وبقيت هذه الحالة في روما أو في غيرها من المدن الأوروبية طيلة العصور الوسطى وبداية عصر النهضة باستثناء القليل من الحالات التي عرض فيها أشخاص ما لديهم من آثار وفنون قديمة على الناس مثل لورنزودي مديشي الذي سمح للفنانين برؤية مجموعته المتألفة من المنحوتات الرخامية للتدريب وسمح للزائرين من مختلف الطبقات بمشاهدتها وذلك في بداية القرن السادس عشر ويعتبر دخول هؤلاء الفنانين في صالات العرض الخاصة بداية فتح أبواب تلك الصالات للجمهور ، وسار شارل لينو (دوق رجموند) على خطى مديشي حيث أقام معرضاً للتصوير والنحت والقوالب في صالة بناها في حديقة منزله وفتحها لطلاب الرسم والتصوير ولم يفرض رسوماً على دخولهم ، كما فتح تونلي شارل (داره الرومانية) في ويستمنستر إلى أصحاب الذوق الفني وكان يقوم بنفسه بعمل الإرشاد لهم ، إن هذه البدايات لهؤلاء الهواة وما تجمع لديهم من كنوز متنوعة لعصور مختلفة هي التي كانت النواة الأولى لأشهر المتاحف العالمية ، حيث تأسس أول متحف في العالم باسم (أشمول) سنة ١٦٨٣م وذلك بجامعة إكسفورد بإنجلترا وكانت

محتوياته من مجموعه الرحالة وعالم النبات الإنجليزي (جون تراد سكانت) وكان القصد من تأسيس هذا المتحف للبحث فقط لا للتعليم ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر قامت متاحف كبيرة في بعض العواصم الأوروبية إلا أن فوائدها للجمهور كانت محدودة .

والمتحف الثاني الذي تم افتتاحه بعد متحف (اشمول) هو المتحف البريطاني وذلك في سنة ١٧٥٩م حيث كان يضم في بداياته مجموعة الهاوي الإنجليزي الطبيب (هانزسلون) وهذه المجموعة اشترتها الحكومة البريطانية من ورثته سنة ١٧٥٣م بعشرين ألف باوند بعد موافقة البرلمان البريطاني على الشراء . وفي سنة ١٧٩٢م عرضت في فينا مجموعات التحف والآثار والفنون الملكية وسمح للجمهور بمشاهدتها ، وفي سنة ١٨٢٠م تم عرض المجموعات الملكية النادرة في متحف (بورادو) وفي سنة ١٧٩١م قررت الحكومة الفرنسية بناء متحف اللوفر وفتحت أبوابه لعامة الناس سنة ١٧٩٣م وكان في بداياته يضم مجموعة الملك (فرنسوا الأول) ثم أفتتح متحف (الارميتاج) في مدينة لينغراد والذي كان يضم في أول افتتاحه المجموعة الفنية للقيصر (بطرس الكبير) ثم توالى بعد ذلك إنشاء المتاحف وافتتاحها في الدول الأوروبية عامة . وفي عالمنا العربي ظهرت أول فكرة لإنشاء المتاحف في مصر حيث عرضت بعض الآثار الفرعونية في باديء الأمر في متحف بولاق سنة ١٨٥٨م كما افتتح متحف الفن الإسلامي سنة ١٨٦٩م وفي العراق تأسس أول متحف في سنة ١٩٢٥م ، في مدينة بغداد وكان عبارة عن غرفة واحدة في مبنى (الراي) (القشلة) ، وفي سوريا وبعد الحرب العالمية الأولى أُسس متحفين في كل من دمشق وحلب للحفاظ على تراث وآثار البلاد ، وفي سنة ١٩٢٥م تأسس متحف في السويداء ومن ثم توالت المتاحف في الدول العربية ومن ضمنها المملكة العربية السعودية حيث أسس أول متحف بالرياض سنة ١٣٨٧هـ وهو متحف الآثار في كلية الآداب بجامعة الملك سعود وتلاه في نفس السنة وفي نفس الكلية متحف التراث الشعبي ومن ثم المتحف الوطني بوزارة المعارف سنة ١٣٩٨هـ ومن ثم انتشرت المتاحف في أرجاء المملكة ، ومما تجدر الإشارة إليه أن البدايات الأولى للمتاحف وخاصة الأوروبية منها لم تكن كالمتاحف في الوقت الحاضر حيث كانت تحوي مقتنيات كان بعضها يتألف من مجموعة واحدة كالمسكوكات أوالتماثيل كما كانت تعكس هوايات أصحابها الشخصية ومعظم الهواة

الأوائل كانوا يسعون بالدرجة الأولى إلى جمع ما هو ثمين وغالي من التحف الفنية والأثرية ولا يهتمون باللقي الصغيرة أو الكبيرة الاعتيادية التي ليست لها قيمة مادية إلا أنها قد أفرزت فئة من الناس بدأت تهتم بالآثار وبجمع المعلومات الكثيرة عنها هذه الفئة صارت تمثل البدايات الأولى لعلم الآثار وفن عرضها في المتاحف وهؤلاء الباحثون المختصون هم الذين ساهموا فيما بعد بتأسيس المتاحف الهادفة في دول العالم .

ولعل السبب الرئيسي الذي دفع بالباحثين إلى تبني موضوع المتاحف والاهتمام بها بعد أن كانت بدايتها مجالات للتفاخر وإبراز العظمة والثراء يعود إلى كونهم قد لمسوا بوضوح أهمية عرض الآثار من الناحية العلمية والتعليمية والثقافية والترفيهية .

إن الأسباب التي أدت إلى ظهور المتاحف الهادفة خلفتها طبيعة المجتمع الأوروبي بعد عصر النهضة والثورة الصناعية فبعد أن فاقت من سبات العصور الوسطى كانت بأمس الحاجة إلى إيجاد الدوافع التي توقظ تلك النهضة وتنميها وتمنحها الزخم الكبير لكي تستمر وتتطور بسرعة ومن أهم تلك الدوافع التي افرزها المجتمع الأوروبي آنذاك هو الاهتمام المتزايد بجمع وعرض تراث الأغريق والرومان ليكون ذلك تراث قدوة يقتدى به الفرد الأوروبي ، حيث بدأ الإيطاليون بجمع مواد من التراث المذكور باختلاف أنواعه الأمر الذي جعل كثيراً من الأسر المشهورة في أوروبا إلى الاهتمام أيضاً بجمعه والتي ضمتها فيما بعد أشهر المتاحف العالمية كما ذكرت سلفاً إلا أن هذه المتاحف التي ضمت آثار الاغريق والرومان لا يمكن أن نعتبرها متاحف هادفة لأنها لا تنسجم تماماً مع تعريف كلمة المتحف إلا أن إهتمامها بجمع مخلفات تلك الحضارتين جعلها تسير في الطريق الصحيح ، حيث أن التطورات التي مرت بها المتاحف أحدثت بدورها تطوراً ملموساً في مفهوم المتحف فأصبح يعني كل شيء يضمه المتحف بعرض حلقة كاملة من المعلومات عن أية صناعة أو معرفة من المعارف الإنسانية. لذا نجد أن أول متحف أسسه غير الهواة في أوروبا هو متحف مدينة كوبنهاجن بالدنمارك سنة ١٨٠٦م وقد سعى إلى تأسيسه السيد (راسموس نيروب) ، وفي القرن التاسع عشر حدث تطور ملموس في خدمات المتاحف التثقيفية والتعليمية حيث تأسس متحف العلايات في برلين وهو أقدم المتاحف في ألمانيا وافتتح سنة ١٨٣٠م وسمح لجميع الناس بالدخول فيه للفائدة الثقافية والتعليمية .

وفي المجر تأسس متحف وطني في بودابست من تبرعات الأهالي وفي براغ تأسس متحف وطني ضم مجموعات فنية وأدبية وعلمية وفي سنة ١٨٣٦م افتتح متحف ميوفخ وتأسس متحف أخر في نورجوغ ١٨٥٢م كما أسس البلغاريون متحفاً قومياً يعنى بآثارهم سنة ١٨٦٧م وفي أسبانيا تأسس متحف وطني في عهد الملكة اليزابث ، وفي روما تأسس أيضاً متحف وطني بعد توحيد إيطاليا في مملكة واحدة سنة ١٨٧١م .

وفي هذه المتاحف كان الهدف التثقيفي واضحاً في التأكيد على التراث القومي واتخاذه درعاً في النضال ضد الأجنبي لنيل الحرية والاستقلال وبعث الأمجاد وتوحيد الأمة فتحولت المتاحف الخاصة إلى متاحف عمومية يدخلها الناس من مختلف الطبقات ولو على نطاق ضيق نتيجة للحماس والاهتمام بالثقافة والتعليم والتي ظهرت بدايتها منذ القرن السابع عشر غير أن الاهتمام كان أكثر بالمعرفة والتعليم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

متاحف الآثار في المملكة العربية السعودية

أولاً : تطـورها :

تزخـر المملكة العربية السـعودية بعدد كبيـر جـداً من المواقع الأثرية التي قامت عليـها حضارات سادت ثم بادت في مختلف العصور التاريخية ولعبت دوراً كبيراً في تاريخ الجزيرة العربية في جميع المجالات . من هنا كان لابد من إنشاء جهة رسمية تتولى المحافظة على هذه الآثار وإبرازها وإماطة اللثام عن تاريخـها والتعريف به حيث أنشئت الإدارة العامة للآثار والمتاحف تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ في ١٣٨٣/١١/٨هـ وترتبط مباشرة بوزارة المعارف وكان إلى هذا التاريخ لا يوجد متاحف للآثار بمفهومها الصحيح إلا أنه بعد سنوات قليلة و تحديداً في عام ١٣٨٧هـ بدأت محاولات مخلصة من قبل بعض أساتذة قسم التاريخ حينذاك في جامعة الملك سعود وعلى رأسهم سعادة الدكتور / عبد الرحمن الطيب الأنصاري لإنشاء نواة لمتحف آثار في رحاب كلية الآداب القديم بالملز في غرفة لا تتعدى مساحتها ٣٦م٢ وذلك كجزء من نشاط القسم المذكور في بداية الأمر ثم بالاستعانة به فيما بعد لتدريب وتدريس شعبة الآثار بعد افتتاحها في نفس القسم في العام الدراسي ١٣٩٤/١٣٩٥هـ وأخذ هذا المتحف يتطور ويكبر خاصة بعد تأسيس جمعية التاريخ والآثار في الجامعة المعنية عام ١٣٩٢هـ ثم زاد اهتمام وعناية الجامعة بهذا المتحف وغيره من المتاحف المتخصصة فيها حتى وصل إلى المستوى المشرف والعلمي الذي نراه عليه اليوم وسوف أتناوله بالتفصيل عند الحديث عنه في هذا البحث .

وكـان لصـدور نظام الآثار بموجب المرسـوم الملكي الكريم رقم م/ ٢٦ في ١٣٩٢/٦/٢٣هـ الأثر الكبير في انطلاقة الإدارة العامة للآثار والمتاحف وتمكينها من أداء واجباتها وتحقيق الأهداف المرجوة منها وخاصة في إنشاء المتاحف وتطويرها مستفيدة في ذلك من التقدم العلمي في علوم الآثار والمتاحف وفي الوقت نفسه الاستفادة من خبرات الدول الشقيقة والصديقة التي سبقتنا في هذا المجال حيث قامت بإنشاء عدد من متاحف الآثار وفق سياسة محددة ووفقاً لخمس مستويات وهي :-

المستوى الوطني/ ويتمثل في المتحف الوطني في منطقة المربع بالرياض .

المستوى الإقليمي/ ويتمثل في المتاحف الإقليمية في أمهات المدن بمناطق المملكة المختلفة.

المستوى المحلي/ ويتمثل في المتاحف التي تتوسط أماكن تواجد مواقع الآثار البارزة .

المستوى النوعي/ ويتمثل في المتاحف الإسلامية في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة .

المستوى التاريخي/ ويتمثل في متحف قصر المصمك بمدينة الرياض وغيرها من مدن المملكة وهذه المتاحف هي :

١- المتحف الوطني للآثار والتراث الشعبي :

كان هذا المتحف في مقر الإدارة العامة للآثار والمتاحف في حي الشميسي بمدينة الرياض وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٣٩٨/١/٢١هـ إلا أنه بعد رفع مستوى هذه الإدارة إلى وكالة للآثار والمتاحف لمواجهة الأعمال ولمواكبة التطور الذي تشهده المملكة العربية السعودية في جميع المجالات ومن ضمنها أعمال الآثار والمتاحف فقد تم تطوير هذا المتحف وصمم له مبنى على أحدث المواصفات المتحفية العالمية وأقيم على أرض في منطقة المربع ضمن مشروع الملك عبد العزيز التاريخي وتم نقله إلى هناك بعد إعادة توزيع قاعاته ومعروضاته بالشكل الذي يتناسب مع الخطة الموضوعة بهذا الشأن وأعيد افتتاحه مرة أخرى وبثوبه الجديد في يوم الجمعة الموافق ١٤١٩/١٠/٥هـ وهذا اليوم يصادف الذكرى العطرة لفتح مدينة الرياض وتوحيد المملكة العربية السعودية على يد جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

٢- متحف الدمام الإقليمي :

مقر هذا المتحف بالدور الرابع في مبنى المكتبة العامة وقد تم افتتاحه رسمياً في شهر رجب من عام ١٤٠٥هـ .

٣- متحف العلا :

يقع في مدينة العلا بالقرب من مدائن صالح بمنطقة المدينة المنورة وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٤١٢/١/٢٧هـ وهو من المتاحف المحلية .

٤- متحف الهفوف :

يقع في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء بالمنطقة الشرقية وقد أفتتح للجمهور بتاريخ ١٤١٢/١/٢٧هـ .

٥- متحف صبيا :

ومقره مدينة صبيا بمنطقة جيزان وبجوار موقع الأدارسة الأثري وقد أفتتح بتاريخ ١٤١٢/١/٢٧هـ وهو عبارة عن متحف محلي .

٦- متحف تيماء :

يقع في مدينة تيماء بمنطقة تبوك وبجوار سور تيماء الشهير وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٤١٣/٦/٧هـ وهو أيضاً من المتاحف المحلية .

٧- متحف قصر شبرا بالطائف :

رمم هذا القصر الذي كان مقراً وسكناً لجلالة المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز وجهز ليكون متحفاً إقليمياً لمدينة الطائف . وقد تم افتتاحه رسمياً بتاريخ ١٤١٥/٣/٣هـ .

٨- متحف خزام بجده :

لقد تم ترميم هذا القصر الذي كان سكناً ومقراً لجلالة الملك عبد العزيز غفر الله له ، وجهز بما يحتاج إليه من أثاث ليكون متحفاً إقليمياً وقد أفتتح بتاريخ ١٤١٥/١٠/١٧هـ .

٩- متحف نجران :

وهو من المتاحف المحلية ويقع في مدينة نجران بمنطقة نجران وبجوار موقع الأخدود الأثري وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٤١٦/١/٢هـ .

١٠- متحف قصر المصمك التاريخي :

لقد تم تحويل بناية المصمك بعد إجراء بعض الترميمات اللازمة عليها إلى متحف يحكي قصة توحيد المملكة العربية السعودية على يد المؤسس الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته ، وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٤١٦/٦/١٣هـ .

١١- متحف الجوف :

وهو من المتاحف المحلية ويقع في مدينة دومة الجندل وبجوار قلعة مارد وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٤١٦/٢/١٢هـ .

١٢- متحف حائل الإقليمي :

في البداية تم تخصيص قاعة عرض له داخل مبنى القشلة ومن ثم تم نقله إلى مبنى مستأجر بعد إجراء بعض التعديلات لتحويله إلى مكان مناسب لهذا المتحف ، وقد جهز بما يحتاج إليه من أثاث وأعيد افتتاحه خلال شهر ربيع الثاني عام ١٤٢٠هـ .

١٣- المتحف الإسلامي بالمدينة المنورة :

وقد تم ترميم مبنى السكة الحديدية بالمدينة المنورة وخصص نواة للمتحف المذكور حيث تم افتتاحه خلال شهر رجب من عام ١٤١٩هـ .

١٤- المتحف الإسلامي بمكة الكرمة :

وقد تم تخصيص قصر الملك عبد العزيز بحي الزاهر ليكون مقراً له ويجري الآن العمل فيه على قدم وساق لتجهيزه لهذا الأمر .

١٥- متحف الآثار بجامعة الملك سعود :

تم إنشاءه عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) بكلية الآداب كجزء من نشاط قسم التاريخ وبعد افتتاح قسم الآثار والمتاحف في الكلية ذاتها ضم إليه ، ويهدف إنشائه إلى تجسيد الوضع الحضاري للمملكة العربية السعودية بالإضافة إلى كونه متحفاً تعليمياً لتدريب طلاب القسم فيه وقد تم تخصيص مكان مناسب له داخل مقر القسم المذكور في مساحة تقدر ب٤٠٠م٢ (٢٠م×٢٠م) وقد خصص هذا المتحف لعرض آثار موقعي الفاو والربذة فقط بعد أن كان يضم أثار مختلفة من مناطق عده في الجزيرة العربية وقد تم تزويده بكوادر فنية مؤهلة وعرضت مقتنياته بطريقة علمية حسب التسلل الزمني وهو يعتبر الأن من المتاحف التعليمية المتخصصة التي يشار إليها بالبنان .

مواقعها :

إن اختيار مواقع المتاحف تخضع بالدرجة الأولى إلى نوعية هذه المتاحف ووظائفها وأهدافها وهناك معايير وأسس عامة لابد من الأخذ بها عند إنشاء أي متحف حديث من أهمها ما يلي :

١ – اختيار المكان الهادئ البعيد عن الضوضاء والأخطار .

٢ – دراسة أرضية الموقع من ناحية التربة ونوعية الصخور وما إلى ذلك من معلومات أخرى قد تكون مهمة في هذا الشأن .

٣ – علاقة الموقع بما يجاوره من شوارع ومباني قريبة ومواقع أثرية وتاريخية .

٤ – توفر الخدمات الضرورية مثل الكهرباء والماء والهاتف والصرف الصحي وما إلى ذلك.

٥ – أن لا يقع مكان المتحف عند تقاطع الطرق في وسط المدينة منعاً للأختناقات المرورية والأزدحامات .

٦ – يفضل أن يكون موقع المتحف على مقربة من طرق المواصلات الرئيسية العامة .

٧ – أن تكون أرض الموقع مستوية وواسعة وكافية لإقامة المتحف وما يحتاجه من مرافق الخدمات الأخرى مثل الحدائق ومواقف السيارات والتوسع المستقبلي للمتحف .

٨ – مراعاة الطقس أو الجو في منطقة المتحف حيث أن هناك علاقة قوية بين المتحف وصيانة وحفظ المعروضات .

وإذا ما طبقنا هذه المعايير والأسس على مواقع متاحف الآثار في المملكة والتي تم استعرضها آنفاً وخاصة ما تم إنشائه منها نجد أنه في مجملها ، وقد راعت هذه الأسس فيما عدا متحف صبيا بمنطقة جيزان الذي أقيم في وسط مجرى وادي وبالتالي تعرض ويتعرض لعدة مشاكل منها إنشائية في حدوث بعض التشققات بسبب التربة الأرضية وانخفاضها لاسيما في مواسم الأمطار بالإضافة إلى الرطوبة الشديدة وانتشار حشرة النمل الأبيض التي لازالت تفتك بأثاث ومحتويات المتحف رغم الجهود المبذولة لمكافحتها من قبل وزارة المعارف

ممثلة بوكالة الآثار والمتاحف فضلاً عن أن زيادة معدل الرطوبة عن الحد الطبيعي هو بذاته مكمن خطر على معروضات المتحف (انظر شكل رقم ٢،١) .

تصميم منشآتها :

كانت المتاحف القديمة تكرس جل جهودها للعرض فقط ولا يهمها بهذا الشأن سوى توفر قاعة مناسبة أو عدة قاعات وبعد تطور مفهوم المتاحف والاهتمام بإنشائها نتيجة التقدم الذي حصل في الفكر والحضارة الإنسانية انعكس ذلك على تصميم المتحف الحديث والذي يجب أن يراعي عند البدء في تخطيطه بعد اختيار الموقع المناسب له وفق المعايير آنفة الذكر هذه الأمور الهامة هي :

١ - توضيح السياسات العامة للمتحف فيما يتعلق بأهدافه وأدواره ونوعية برامجه وخططه التي تتحدد من خلال احتياجات المتحف وإجراء الدراسات المسحية على الجمهور والمسئولين والمتخصصين في المتاحف لتسهيل عملية التخطيط البنائي والإداري .

٢ - وضع خطة استراتيجية بعيدة المدى وقريبة المدى ضمن أهداف محددة لإنشاء المتحف وتقييم نجاحها وعمل الحلول المناسبة لأي عوائق قد تعترض تنفيذها أولاً بأول .

٣ - توزيع المساحات داخل المتحف وتحديد وظيفة هذه المساحات ومراعاة الروابط الوظيفية الداخلية لهذه المساحات وفق معايير علمية .

أولاً : مفهوم وأهداف المتاحف :

عرفنا البدايات الأولى للمتاحف والتي كانت أهدافها لا تتعدى جمع التحف الثمينة للمباهات والتفاخر وبيان المنزلة الاجتماعية ثم تطور هذا المفهوم حتى أصبح لها دوراً محدوداً في الثقافة والتعليم ومع مرور الزمن بدأ يكون لها أدواراً هادفة يستفيد منها عامة الناس سواء في الثقافة أو التعليم أو في المتعة والترفيه فضلاً عن كونها لحفظ التراث الوطني الأمر الذي أدى إلى تنشيط علم الآثار ومن ثم علم المتاحف وهذين العلمين كانا ولا يزالان لهما الفضل في إنشاء هذه المتاحف في جميع أنحاء العالم وبالشكل الذي نراها عليه اليوم مستفيدة أيضاً من

التقدم التكنولوجي الذي حصل في القرنين التاسع عشر والعشرين حيث تعددت أغراضها ومفاهيمها ووظائفها وأنواعها وهذا ما سوف نتعرف عليه في السطور التالية :

أولاً : تعريف كلمة المتحف Definition Of Museum :

لقد تعددت الآراء حول تعريف موحد للمتحف إلا أنها جميعاً تتفق على أن المتحف هو مؤسسة تعليمية غير تجارية لا تهدف إلى ربح معين سوى المردود التعليمي الجيد ومن ذلك تعريف منظمة المتاحف الأمريكية .

(The American Associatian Of Museums Aam)

والذي يتضمن أن المتاحف هي أماكن لجمع التراث الإنساني والطبيعي والحفاظ عليه وعرضه لغرض التعليم والثقافة ولا يتم إدراك ذلك في المتحف ما لم تتوافر فيه الإمكانات الفنية والخبرات المدربة وتقنية المتاحف التعليمية .

ثانياً : وظائف المتاحف :

قدمت الهيئة القومية والأوقاف الفنية في الولايات المتحدة الأمريكية National Endowment for The Arts (NEA) تقريراً يتضمن تحديد وتعريف وتلخيص وظائف المتحف كما يلي :

١- عرض التراث الحضاري أو العلمي .

٢- إجراء البحوث .

٣- جذب السائحين للمجتمع المحلي .

٤- صيانة وحفظ الأشياء .

٥- تعليم الصغار والشباب .

٦- العمل كمركز يخدم أنشطة المجتمع المحلي .

٧- القيام بدور تعليمي لتلاميذ وطلاب العلم ودور إعلامي وتثقيفي لزوار المتحف .

٨- الحصول على العينات الأثرية والتراثية .

٩- تدريب العاملين بمهنة المتاحف .

١٠- تقديم المساعدة للمتاحف الأصغر حجماً .

كما عرفت منظمة المتاحف العالمية (ICOM) بأن المتحف معهد دائم يعمل على جمع وحفظ وعرض التراث الإنساني والطبيعي والتعليمي بغرض الدراسة والتعليم والمتعة وفي وقت لاحق طورت هذه المنظمة التعريف آنف الذكر أثناء انعقاد الندوة الحادية عشرة في كونها عام ١٩٧٤م ليكون "المتحف معهد دائم لخدمة المجتمع ولا يهدف إلى ربح مادي يفتح أبوابه لعامة الناس بغرض الدراسة والتعليم والمتعة " ومن خلال هذه التعريفات يمكن أن يستكشف الكثير من الأهداف الرئيسية أو الأساسية للمتاحف يطول حصرها ويشير سوجر (Swager - 1980) في كتابة المتحف (Museum) إلى أن المتاحف الأمريكية حددت أهم الخدمات التي تقوم بها في ستة نقاط تتدرج في الأهمية حيث تأخذ النقطة رقم واحد الأهمية الأولى والنقطة رقم (٦) تأخذ الأقل أهمية وذلك كما يلي :

١- تقديم الخدمات التعليمية للمجتمع .

٢- الحفاظ على التراث الحضاري والعلمي .

٣- تفسير الحاضر أوالماضي للمجتمع .

٤- تقديم الخبرات الفنية والجمالية للمجتمع .

٥- تشجيع التغيرات الاجتماعية المرغوبة .

٦- تهيئة الجو الترفيهي للمجتمع .

لكن يعتقد بعض الباحثين أن البيئة التي ينشأ فيها المتحف هي التي تحدد دور أهمية الخدمات المشار إليها آنفاً وإعادة تنظيمها حسب أهميتها للمجتمع الذي يخدمه المتحف ويمكن تحديد الوظائف المهمة للمتحف والتي تميزه عن غيره من المؤسسات الأخرى التي تدعى تجاوزاً متحف بأربع وظائف من الوظائف الستة سالفة الذكر وهي :

١- جمع العينات المتحفية ميدانياً .

٢- حفظ الثروات الطبيعية والمأثورات التاريخية .

٣- إجراء البحوث والدورات المتحفية .

٤- توفير تسهيلات للراحة والترفيه .

ثالثاً : أنواع المتاحف :

إن تعدد المتاحف ناتج عن أهمية المتاحف في الحفاظ على التراث الإنساني وأثر العملية التعليمية وتعدد الأغراض التي أنشئت من اجلها حيث تشير الإحصاءات إلى أن عدد المتاحف في الولايات المتحدة في سنة ١٩١٤م كان (٦٠٠) متحف وفي عام ١٩٣٢م وصلت إلى (١٤٧٢) متحفاً وتضاعف هذا العدد إلى أن أصبح عددها (٢٥٠٠) متحف في سنة ١٩٣٩م وزاد هذا العدد كثيراً بعد الحرب العالمية الثانية حتى اصبح عددها في عام ١٩٧٥م إلى (٥٢٢٥) متحفاً أما في روسيا زاد عدد المتاحف من (١٢٤) متحفاً في سنة ١٩١٧م إلى (٧٣٨) متحفاً في سنة ١٩٣٨م وفي إنجلترا كان عدد المتاحف (٥٩) متحفاً قبل عام ١٨٥٠م وأضيف إليها (٢٩٥) متحفاً بين سنة ١٨٥٠وسنة ١٩١٤م وفي ألمانيا تأسس (١٥) متحفاً بين سنة ١٨٠٠-١٨٢٠م وزاد هذا العدد إلى (١٧٩) متحفاً بين سنتي ١٩٠٠م و١٩١٤م وحصلت زيادة مماثلة في دول أوربية أخرى وفي العالم العربي .

وتشير الإحصاءات الواردة في دليل متاحف العالم (Directory of World Museum) إلى أن عدد المتاحف في العالم سوف يصل في عام ١٩٨١م إلى ثلاثين ألف متحف .

لقد صنفت منظمة المتاحف العالمية (ICOM) وكذلك منظمة المتاحف الأمريكية (AAM) حسب التعاريف السابقة للمتحف التي رفعتهما هاتان المنظمات إلى جانب طبعة وظائف كل متحف ونوعية المجموعات التي بحوزته حيث قسمت المنظمة الأولى المتاحف إلى عشر مجموعات مع اعتبار حوالي ٧٢ فرعاً من فروع المتاحف تندرج تحت التقسيم العامة للمتاحف كما قام كل من (هودسون ونيكولاس) (Hudson and Nicholls) ١٩٧٥م بتقسيم شامل للمتاحف بناءاً على طبيعة المتاحف ووظائفها وحصر المتاحف في ٤٥ نوعاً صنفت تحت ٦مستويات تربطها علاقة تتمثل في الوظائف والخدمات التي تقدمها تلك المتاحف .

رابعاً: قاعات للعرض الدائم والمؤقت :

قاعات أو غرف للمحاضرات والتعليم ، قاعات لعرض الصور والأفلام ، مكاتب مناسبة تضم أماكن للقراءة والمراجعة ، قاعة أو غرفة للاجتماعات والاستراحة ، مخازن مؤقتة ، بوفيه

أو مطعم . أماكن لورش المتحف . مكاتب للإدارة . مختبرات فنية للترميم والصيانة ، استديو للتصوير الفوتوغرافي والسينمائي ، قاعات للفرز والتصنيف والدراسة . مكاتب للتسجيل والتوثيق . أماكن للخدمات المختلفة مثل قاعة لتجهيز وإعداد المعروضات ، المستودعات ، ورش خاصة لصيانة وتشغيل مباني المتحف . مقر للأمن والمراقبة بالمتحف ورشة لصيانة سيارات المتحف مواقف للسيارات .

خامساً : توزيع الإضاءة :

بشكل جيد على جميع أجزاء المتحف وخاصة قاعات العرض بالإضافة إلى تكييف المتحف كاملاً من الداخل وضبط درجة البرودة والحرارة فيه وتزويد جميع القاعات والغرف ومكاتب الإدارة ومكاتب الخدمات المختلفة بالمتحف بخطوط هاتفية لتسهيل عملية الاتصال بالداخل والخارج .

فلو تدبرنا بعين فاحصة توفر هذه الأسس في تصميم منشآت المتاحف الحديثة في المملكة لوجدنا أنه تمت مراعاتها في المتاحف المحلية الستة التي تم إقامتها في عدد من مناطق المملكة والتي سبق أن تحدثت عنها سلفاً وكذلك في المتحف الوطني ويمكن أن نتحدث عن تصميم المتاحف الستة وكذلك عن تصميم مبنى المتحف الوطني فمثلاً متحف تيماء بمنطقة تبوك نجد أنه متحف محلي وهو نسخة مكرره للمتاحف الستة ويشترك معها في الأهداف والسياسة العامة يتكون من :

مبنى رئيسي ومدخل ثانوي بالإضافة إلى أبواب الطوارئ والخدمات وقاعة واسعة في مدخل الباب الرئيسي يتوزع منها قاعة العرض ومكاتب الإدارة ومختبرات الترميم والصيانة واستديو التصوير والمكاتب الفنية للرسم والمساحة والتسجيل ومخزن الآثار والمكتبة وقاعة المحاضرات وفضلاً عن مرافق الخدمات الأخرى من دورات مياه ومغاسل وملحق في هذا المبنى من الخارج ، مبنى للإقامة والسكن ومخازن لمعدات الحفر والمسح الأثري ومواقف للسيارات وحديقة (أنظر الشكل رقم ٣-٤) أما المتحف الوطني فتتلخص الأهداف من إنشائه إضافة إلى الأهداف العامة من إنشاء المتاحف في المملكة العربية السعودية فيما يلي :

١- ليكون معلماً وطنياً على مستوى المملكة حيث يقوم بدور فعال في إثراء مسيرة التعليم

والتوعية الثقافية مما يساهم في تنمية الشعور بالانتماء إلى حضارة عريقة ورسالة سماوية خاصة . وحاضر مزدهر .

٢- يوفر المتحف بيئة تعليمية حديثة لشرائح مختلفة من المجتمع والمختصين وغيرهم .

٣- تدعيم رسالته التعليمية بالمساهمة في جمع القطع الأثرية وتسجيلها وترقيمها وحفظها وإقامة المعارض الثقافية لآثار شبة الجزيرة العربية وتراثها الشعبي خلال الحقب الزمنية المختلفة .

٤- أن يكون مرجعاً لتاريخ المنطقة يجمع الزائرون فيه بين المتعة والمعرفة .

٥- يساهم منهج المتحف في ترابط المجتمع وغرس روح الانتماء إلى رسالة الإسلام وحضارته العظيمة بالإضافة إلى الأصول العربية والتفكير في سنن الله في الكون وحياة البشر عبر السنيين .

وقد أقيم المتحف الوطني في الجانب الشرقي من الميدان الرئيسي للمتنزه على أرض مساحتها (١٧,٠٠٠م٢) بينما تبلغ مساحة مبانيه ثمانية وعشرين ألف متر مربع (٢٨,٠٠٠م٢) ويشتمل المتحف على ثماني قاعات رئيسية .

وهذه القاعات هي : بالإضافة إلى قاعتين للعروض المؤقتة والزائرة .

قاعة الإنسان والكون / قاعة الممالك العربية القديمة / قاعة العصر الجاهلي / وقاعة البعثة النبوية / وقاعة الإسلام والجزيرة العربية / وقاعة الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية / وقاعة توحيد المملكة / وقاعة الحج والحرمين الشريفين بالإضافة إلى المكاتب الإدارية والمعامل ومخازن المقتنيات والبهو والخدمات فضلاً عن مواقف السيارات والحدائق (أنظر الشكل رقم ٥ ، ٦) .

تجهيزاتها :

إن تجهيز المتاحف بالاحتياجات اللازمة لها من الأشياء المختلفة حسب طبيعة عملها ووظائفها أمر ضروري وهام ولا بد من دراسته بدقة منذ الشروع في تصميم المتحف وتحديد أهدافه والسياسة العامة له فأي قصور في هذه التجهيزات سيؤدي إلى قصور في مهام

المتحف وبالتالي إعاقة تحقيق الأهداف المرجوة من إقامة هذا المتحف .

وتنقسم هذه التجهيزات إلى ما يلي :

١- الأثاث وتشمل : المكاتب والكراسي والمكتبات وطاولات الاجتماعات وطاولات الدراسة . ودواليب الحفظ وطاولات رسم ودواليب حفظ الخرائط ودواليب حفظ الملفات ورفوف عرض الكتب والموكيت وأرفف المخازن وأدوات التنظيف ... الخ .

٢- الأجهزة والمعدات وتشمل : أجهزة حاسب آلي وطابعات ، مكيفات ، ثلاجات ، أجهزة تصوير للخرائط ، آلات تصوير فتوغرافي ، آلات تصوير مستندات ، أجهزة ميكرسكوبات ، أفران مختبرات الترميم وعدسات تكبير ، أجهزة عرض ، وشاشات عرض ، أجهزة فيديو ، أجهزة تلفزيونات ، أدوات ترميم وصيانة ، معدات حفر وتنقيب ودواليب عرض مقتنيات إلى غير ذلك .

٣- مواد استهلاكيه . وتشمل : مواد كيماوية لتنظيف المصورات الأثرية ومعالجتها . مواد بلاستكية قطن وإسفنج وجبس وصلصال لمختبرات الترميم وورق حساس وطبع لإستوديو التصوير وأوراق رسمية للحكائيات الأواريه ودفاتر التسجيل وأقلام رصاص وحبر ودباسات... .الخ

ولعل أهم هذه التجهيزات التي ذكرتها آنفاً هي . دواليب عرض المقتنيات حيث أنها تمثل الركيزة الأساسية التي ستعرض بداخلها مقتنيات المتحف في قاعاته المختلفة لذا يجب الاهتمام بها منذ التفكير بإنشاء المتحف مع مراعاة الأمور التالية :

٤- تحديد أحجامها ومواقعها في قاعات المتحف وذلك بعد تحديد ومعرفة المقتنيات التي سوف تعرض في المتحف ومعرفة أحجامها وأعدادها .

٥- أن تكون هذه الدواليب مصنعة من الزجاج بأكملها بإطارات وقواعد معدنية أو خشبية مناسبة لا تسمح بدخول الغبار والحشرات إليها ويمكن التحكم بقفلها وفتحها بسهولة .

٦- أن تكون مصابيح الإضاءة في سقف دواليب العرض .

٧- أن تكون القاعدة أو الخلفية الخاصة بالعرض داخل دولاب العرض مناسبة للمعروض

نفسه من حيث الحجم والشكل واللون .

ولا بد من العناية بالأجهزة الأخرى من حيث استعمالها وحفظها وتوزيعها ويفضل أن يعهد إلى موظف خاص بذلك .

بالإضافة إلى اعتبار كل موظف أو مستخدم في المتحف مسؤولاً عن المعدات أو أي من هذه التجهيزات في مخازن خاصة وتصنف حسب النوع ولا تعرف إلا بعد التأكد التام من الحاجة إليها ويكون الموظف أو القسم المختص مسؤولاً عنها كما تكون هذه التجهيزات خاضعة لقواعد السلامة العامة . إن المشاهد لجميع متاحف الآثار في المملكة يجد إنها قد زودت بمعظم الاحتياجات اللازمة لها من الأشياء آنفة الذكر سواء من مكاتبها الأوارية أو الفنية أو مختبرات الترميم والتصوير والرسم والمساحة أو من قاعات الاستقبال أو من المكتبة وقاعات المحاضرات أو من ملاحق السكن .

إلا أن الكثير من هذه التجهيزات المختلفة تحتاج إلى تغيير أو إصلاح أو صيانة وخاصة في المتاحف الستة الإقليمية والمحلية وذلك نتيجة لطول الزمن على تأمينها أو لكثرة الاستعمال أو لسوء الاستعمال والإهمال أو بسبب الحشرات في الأثاث من مقاعد وموكيت وستائر وبطانيات ومراتب السرر وأخص بالذكر بهذا الشأن متحف صبيا في منطقة جيزان بالإضافة إلى انتهاء صلاحية الكثير من المواد الكيميائية أو لقدم بعض الأجهزة وعدم وجود قطع الغيار اللازمة لإعادة تشغيلها .

مقتنياتها ومصادرها :

مقتنيات المتحف هي أهم شيء فيه وهي التي تحدد هويته وأهدافه وحجمه وأهميته ومن هذا المنطلق لا بد عند العزم على تصميم المتحف أن يتم التفكير في كيفية الحصول على مقتنياته ونوعيتها ومصادرها الدائمة باعتبار الحضارة الإنسانية ينبوع متدفق منذ خلق الله الإنسان على هذه الكون لهذا من الأفضل البحث عن مقتنيات جديدة تضيف إلى المقتنيات السابقة بعداً حضارياً وتاريخياً لزيادة معرفة وثقافة وعلم زائر المتحف بماضيه التليد ، ومما لا شك فيه أن المتحف الذي يقف عند معروضاته السابقة ولم يضف إليها شيئاً سيجد أن الكثير من زائريه يتوقفون عن زيارتهم له نظراً لمعرفتهم السابقة بمعروضاته وأنه ليس هناك

جديداً يدعوهم لزيارته مرة أخرى وهذا العزوف من الجماهير يؤدي إلى تعطيل وظائف المتحف والأهداف المنشودة منه ومما يجب ملاحظته أن لا يتم التجديد أو الإضافة إلا بعد مدة زمنية كافيه لألمام الجمهور أو الزائرين بهذه المقتنيات بموجب خطة مدروسة بهذا الشأن .

وعادةً تكون مصادر المتاحف وخاصة متاحف الآثار التي نحن بصددها من طرق عديدة وهي : التنقيبات الأثرية - الشراء - الإهداء - نقل الملكية - المبادلة - الوديعة (والأخيرة اقتناء مؤقت) وكذلك من مصادرة المقتنيات من المهربين ولصوص الآثار وترتبط بالمقتنيات أعمال كثيرة منها الأعمال الخاصة بدخولها إلى المتحف وخروجها منه ، وأعمال التسجيل والترتيب والنقل والتغليف .

وتختلف إدارة شؤونها باختلاف نوع المتحف والبلد الذي هي فيه ونجد أن مقتنيات متاحف الآثار في المملكة قد تم جمعها من خلال تلك المصادر آنفة الذكر وخاصة من خلال التنقيبات الأثرية التي تجريها وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف كل عام بمناطق عديدة من المملكة كجزء من نشاطها في الكشف عن الحضارات التي قامت في أجزاء مختلفة من المملكة ولعبت دوراً حضارياً في تاريخ الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها . وكذلك قسم الآثار والمتاحف كلية الآداب بجامعة الملك سعود والذي يقوم بالحفر الأثري في موقعي الفاو والربذة كل عام دراسي لتدريب طلاب القسم على أعمال التنقيبات الأثرية طبقاً للخطة الدراسية فيه وكمساهمة للكشف عن جزء من تاريخ الجزيرة في هاتين المنطقتين . وهذه المقتنيات تمثل عصوراً حضارية متنوعة منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور الإسلامية كما تضم هذه المتاحف قطعاً من التراث الشعبي الأصيل لكل منطقة من مناطق المملكة والذي يظهر فيه التميز والتباين الحضاري لكل منطقة بسبب بعدها عن بعضها البعض وصعوبة الوصول إليها لوعورة الطرق في الماضي . كما نجد معروضات حديثة تدل على تاريخ وتطور المملكة في المجالات الحضارية المختلفة وكل ذلك معروض وفق تسلسل زمني لجميع العصور الحضارية آنفة الذكر .

تصنيف وتسجيل وتوثيق المقتنيات :

أولاً : التصنيف :

هو تنظيم وترتيب المعثورات في مجموعات حسب مواصفات خاصة ويعتمد ذلك في المقام الأول على الملاحظة الشخصية من الباحث أو المصنف حسب اصطلاحات ومواصفات متعارف عليها وهذا يعتبر تصنيف مبدئي كذلك يمكن تصنيف المعثورات بعد ذلك بطرق معتمدة نوعاً ما وهي تتم عن طريق التحليلات و التجارب العملية مثلاً :

الاختبارات الميكروسكوبية – Microscopic Inspection والتحليلات الكيميائية – chemical Analysis وبعد إدخال المواصفات التي تنتج عن هذه الطرق تصنف مرة ثانية وهذا التصنيف المعملي لا بد أن يتم في معامل متخصصة وليس بالحقل كباقي الأعمال التصنيفية الأخرى لأن ذلك يحتاج إلى أجهزة خاصة ومعقدة . وأساسيات التصنيف تعتمد عادة على تقسيم المادة الأثرية إلى مجموعات وهذا يتطلب من الباحث تمييز المعثورات Artifacts من خلال ظروفها عند العثور عليها Ecofacts ، من معثورات حجرية ، فخار ، معادن ، بعد ذلك يمكن تقسيمها إلى مجموعات أوضح مثل : أنواع المعثورات الحجرية ، أنواع المعثورات الفخارية ، أنواع المعثورات المعدنية وهكذا ، ثم يأتي بعد ذلك استخلاص الصفات المتشابهة بين هذه المجموعات في صورة أنماط ، هذه الأنماط تمثل مجموعة من الصفات المتشابهة في كل نوع من المعثورات فمثلاً الكسر الفخارية والقدور الفخارية الكاملة والتي تتبع سوياً نوعاً معيناً هو الفخار تجمع فيما بينها صفات متشابهة ألا وهي اللون وطريقة الحرق وعند ترتيب ووصف المجاميع أو المجموعات التي استخرجت من المادة الأثرية ، يستطيع الباحث أو المصنف عندئذ استخراج بعض الصفات المشتركة بين مختلف المجموعات ، هذه الصفات المشتركة تبين المجموعات والأنواع المستخرجة من المعثورات الأثرية تظهر بعض الصفات الخاصة بكل فئة من حيث المادة الخام ، تقنية الصنع ، الوظيفة ، وطريقة الزخرفة المتبعة .

وأنواع التصنيف (Kinds of classification) تمر بثلاث مراحل هي :

١- الأسلوب (Stylistic Atributes)

٢- مواصفات الشكل (Form Atributes)

٣- تقنية الصنع (Technolgical Attributes) (أنظر الشكل رقم ٧) .

ثانياً : تسجيل وتوثيق المقتنيات (Inventory) :

تسجيل وتوثيق المقتنيات الأثرية عنصراً أساسياً وهاماً وهو عملية توثيقية علمية تحتفظ بها الجهة المالكة لهذه المقتنيات لأغراض الدراسة والبحث وحقوق الامتلاك والنشر والعرض والتصوير وعمل النماذج المماثلة للمقتنيات الأصلية . وهذه العملية تمر بمرحلتين هي :

١- تسجيل وتوثيق المقتنيات التي تم الحصول عليها من المواقع الأثرية وهذه أيضاً تتم على مرحلتين ، الأولى أثناء العثور عليها في الموقع الأثري حيث تدون فيها المعلومات الأولية التي تعتمد عليها في المرحلة الثانية للتسجيل وهو ما نسميه بالتسجيل المبدئي ويتم ذلك على بطاقات صغيرة أثناء العثور عليها في موقع التنقيب وتتكون البطاقات Labeling من البطاقات الدوارة الأصلية والبطاقات الدوارة الإضافية والبطاقة الدوارة البديلة ومن بطاقة السطوح وبطاقة الساقط والرأسية وبطاقة العثور .

والبطاقة هي قصاصة من الورق العادي أو المقوى تحمل أهم المعلومات الأساسية الواجب توفرها لتعريف الأثر الموصوف وتمييزه عن غيره من الآثار الأخرى المكتشفة في الموقع الأثري وهي بمثابة هوية الأثر المكتشف وتشكل مجموعة من الاصطلاحات الوثائقية التي يجب على أعضاء بعثة التنقيب إجادتها إجادة تامة فمثلاً البطاقة الدوارة الأصلية تحمل المعلومات التالية :

١ - اسم الجهة العلمية الممولة لأعمال التنقيب .

٢ - الموقع الأثري .

٣ - التاريخ يكتب في الزاوية اليمنى أو اليسرى .

٤ - الرقم المتسلسل في الوسط .

٥ - تاريخ تعبئة البطاقة .

٦ - البقعة .

٧ – الطبقة .

٨ – الأبعاد الثلاثة لموقع اللقية الأثرية .

٩ – وصف اللقية الأثرية .

١٠ – وصف ظهور الاكتشاف .

١١ – اسم كاتب البطاقة .

١٢ – الرقم في الكتالوج للقطعة الأثرية مع نهاية الموسم .

١٣ – رقم الصورة .

١٤– ملاحظات أخرى . وهذه البطاقة تبقى ملازمة للقية الأثرية (ما لم يتم استبعادها لتلفها أو لأسباب أخرى) حتى وصولها إلى مخازن السلطات الأثرية المسؤولة فتحفظ معها أيضاً لكي يصار إلى العودة إليها عند الحاجة إلى ذلك .

أما البطاقة الدوارة الإضافية فإنها توضع للقية الأثرية التي فصلت عن مجموعاتها من اللقى الأثرية التي تنتمي أصلاً إليها وخاصة إذا كانت هذه المجموعة من الفئة الثانية ويشار في البطاقة الدوارة الأصلية إلى وضع هذه البطاقة الإضافية مع ضرورة رسمها بنفس الرقم الذي تحمله البطاقة الأصلية والمعلومات الأساسية الواردة في البطاقة الأصلية ويضاف إليها فقط الأسباب التي أدت إلى فرزها عن مجموعتها كأن ترسل بصورة عاجلة إلى الترميم أو إلى الرسم أو إلى التصوير وتعمل من نسختين تسلم الثانية منها إلى مراقب أو مشرف الحفرية ليثبتها في سجل العمل الميداني وبعد أن تزول أسباب فصل العينة عن مجموعتها تتلف هذه البطاقة .

أما البطاقة الدوارة البديلة فتوضع في حالة واحدة فقط هي عند ضياع البطاقة الدوارة الأصلية وهي تحمل نفس المعلومات المكتوبة في البطاقة الدوارة الأصلية .

وهذه الإجراءات تتخذ بعد مرور اللقي الأثرية ببعض الخطوات العملية في معمل الترميم في الحقل الميداني من تنظيف ومعالجة وترميم .

وبعد ذلك يتم تصويرها ورسمها ومن ثم يتم تسجيلها المبدئي في سجل الحفرية وتعطى

أرقاماً متسلسلة ومن ثم توضع أرقام المعثورات عليها وتتم هذه العملية عادة باستخدام الحبر الأسود أو الأبيض الثابت في الكتابة على المعثورات حسب لون كل معثورة ويغطى بطبقة من الأسيتون لتثبيت الحبر عليها ويستحسن استخدام هذا المحلول كأرضية لكتابة الأرقام ويفضل أن يكتب في أسفل المعثورة أو في مكان مناسب لا يؤثر على معالم الأثر أو يشوهه حسب نوعية اللقية الأثرية ويلاحظ أن تحمل هذه المعثورات الرمز والمعلومات اللازمة والتي تشير إلى مصدرها ومجموعتها.. إلخ ، وبعد الانتهاء من هذه الأعمال ووضع الصورة على المعثورات ممكن أن تضم بعد ذلك في مجموعة متجانسة حسب الدراسة أو الحفظ أو التسجيل استعداداً لتسجيلها في السجل العام .

وهذا السجل عبارة عن دفتر بحجم مناسب مجلد مزود بالمعلومات اللازمة عن العينة الأثرية يكون عادة في قسم التسجيل والتوثيق العلمي في الجهة التي قامت بالتنقيب في الموقع الأثري يتولاه خبير آثار مؤهل علمياً وثقافياً وذو خبرة طويلة في تسجيل الآثار وعلى إطلاع واسع وإلمام بالحضارات التاريخية وأهم مكتشفاتها ، كما تقوم الجهة المعنية بتصميم بطاقة تحمل أهم المعلومات عن الأثر وطبيعته مثل : نوع الأثر ، ومصدره ، ووظيفته ، ومقاساته والوصف – والملاحظات وتسجيل كل لقية أثرية عليها .

والمرحلة الثانية في تسجيل المقتنيات الأثرية وتوثيقها وهو ما يتم الحصول عليه منها عن طريق الإهداء أو الشراء أو غير ذلك فإنه في هذه الحالة لا بد من أخذ المعلومات اللازمة والتي سبق ذكرها قدر الإمكان من الشخص الذي أهداها أو باعها أو الجهة التي أرسلتها وهذه تسجل مباشرة في السجل العام وتأخذ الأرقام اللازمة حسب التسلسل في السجل المذكور وذلك بعد أن يتم تصويرها ورسمها ودراستها وتقوم بعض الجهات تخصيص دفتر لها أو سجل مستقل يسمى دفتر الهبات والحيازة وكذلك سجل للودائع يشتملان على المعلومات الضرورية للأثر كما تقوم الكثير من الجهات المسؤولة عن الآثار أو التنقيب الأثري بتصميم بطاقة بالإضافة إلى ما ذكر تسمى البطاقة العلمية أو بطاقة الدراسة وهذه البطاقة يذكر فيها جميع المعلومات الخاصة باللقية الأثرية آنفة الذكر بالإضافة إلى المعلومات التي استخلصها مسجل الآثار ودونها في السجل العام عن هذه اللقية الأثرية مع إلصاق صورتها في الزاوية

اليسرى من البطاقة وحفظها في مكان خاص بها تمهيداً لإطلاع الدارسين والباحثين عليها أو تزويدهم بنسخ منها لأجراء المزيد من الدراسات الأثارية والتاريخية على هذه المعثورة (انظر الشكل رقم ٨) . من هنا يتضح أن عملية التسجيل والتوثيق تتم بعدة طرق وهي التدوين والتصوير الفوتوغرافي والرسم والبحث والدراسة . وبعد ذلك تقوم الجهة المختصة باختيار أهم هذه المقتنيات الأثرية أو المناسب منها لعرضها في المتحف أو في قاعة العرض التابعة لها وإرسال المقتنيات المتبقية إلى مخزن الآثار لحفظها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تسجيل المادة المعروضة في المتحف يمر بإجراءات أخرى وهي :

١- تسجيل جميع ما هو بحوزة المتحف في سجل محتويات المتحف و إعطاء كل لقية أثرية رقم تسلسلي بالإضافة إلى تدوين المعلومات السابقة عنها وإيضاح مكان عرضها ورقم خزانة العرض أو مكان حفظها بالمخزن ورقم الرف .

٢- عمل كتالوج بمحتويات المتحف من المقتنيات الأثرية مع توضيح أرقامها ونوع مادتها فقط أو عمل كتالوج حسب نوع مادة الأثر أو الموقع الجغرافي وهو ما يعرف بـ Place Name Catalogue .

٣- تنظيم سجل خاص بنقل المواد يذكر فيه رقم المادة ووصف مختصر لها وتاريخ نقلها من مكانها وتعيين المكان المنقولة إليه أو المكان الجديد المؤقت لها وتاريخ إعادتها واسم الشخص المسؤول عن النقل أو الإعادة ، ويفضل أن يكون هذا السجل منظماً في بطاقات أو في حقل خاص من السجل العام مخصص لهذا الغرض ولاشك أن عيوب هذه الطريقة تكرار تدوين إجراءات النقل بنفس البطاقة أو السجل وقد يكون السجل الأمثل لنقل المادة المتحفية من مكانها لأغراض الدراسة أو المعالجة أو التصوير أو الإعادة إلى متحف آخر هو وضع بطاقة محل المادة المنقولة يذكر فيها رقم المادة ووصفها وتاريخ نقلها وأسباب النقل وفي كل الأحوال يعتبر أمين المتحف وقسم التسجيل والقسم العلمي المختص هم المسؤلون عن حفظ سجلات المواد المتحفية .

ونجد من واقع عملية التسجيل والتوثيق في متاحف الآثار في المملكة أنها تفتقد إلى هذه

الإجراءات العلمية باستثناء المتحف الوطني الذي تشرفت بإدارته كأول مدير عام له بثوبه الجديد و قبيل الانتهاء من مشروع تصميمه من قبل الشركات المتخصصة في كل من بريطانيا وكندا والتي رسى عليها هذا المشروع العملاق حيث أول ما سألني عنه المسؤولون المكلفون بتصميم وتنفيذ مبنى مركز الملك عبدالعزيز التاريخي في مركز المشاريع والصيانة بالهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض هو عن المقتنيات الأثرية التي سوف تعرض في هذا المتحف حيث قمت وبعد ذلك بزيارة لجميع مخازن الآثار التي كانت داخل الوكالة بالإضافة إلى الاطلاع على محتويات المتحف الوطني في مقره القديم بمقر الوكالة سابقاً في حي الشميسي ووجدت إنه من الأفضل والمناسب لأسباب لا داعي لذكرها أن يتم إعادة فرز وتصنيف وتسجيل وتوثيق جميع الآثار في تلك المخازن وما هو معروض في المتحف الوطني والتراث الشعبي في مقره آنف الذكر وعند عرض هذه الفكرة على سعادة الأستاذ الدكتور/ سعد بن عبدالعزيز الراشد وكيل الوزارة للآثار والمتاحف تحمس لها كثيراً وباركها ودعمها حيث أصدر قراراً بذلك يقضي بتشكيل لجنة من الاختصاصيين بالوكالة برئاستي باسم (لجنة الفرز والتصنيف والتوثيق) حيث نقلنا جميع تلك الآثار والتي تمثل نتاج أكثر من ثلاثين موسماً إلى المقر الذي خصصته لنا الهيئة لهذا الغرض في حي السفارات بالرياض وقد استطعنا وجميع الزملاء من وضع خطة علمية للفرز والتصنيف والتسجيل والتوثيق وتصميم بطاقات جديدة تحتوي على أهم المعلومات للأثر بالإضافة إلى بطاقة علمية عند الرغبة في إجراء المزيد من الدراسة على الأثر وسجل عام لجميع تلك الآثار والبطاقات المعنية تتكون من بطاقة تسجيل لجميع الآثار باختلاف أنواعها ما عدا الكتابات القديمة والإسلامية والتراث الشعبي حيث صممت لها بطاقات خاصة بتسجيلها .

واستطاعت هذه اللجنة بفضل الله ثم دعم المسؤولين في الوزارة وعلى رأسهم معالي وزير المعارف من إنهاء جميع الأعمال المذكورة بما فيها من تصوير فوتوغرافي ورسم لأهمها ودراسة معظمها وترميم وعلاج ما يحتاج منها إلى ذلك وتسجيل بعضها في الحاسب الآلي بعد تصميم برنامج مناسب لها وذلك خلال عام وثلاثة أشهر تقريباً وهذا العمل لم يخدم فقط ما كان سوف يعرض في المتحف بل كان يخدم أيضاً كل الآثار والتي لم يقع عليها الاختيار فيما بعد وقد رأت هذه اللجنة التوسع في هذا العمل الهام والأساسي على جميع ما هو

موجود من آثار منقولة ومعروضة أو مخزنة في متاحف الآثار الأخرى في مناطق المملكة حيث وضعت الخطة المناسبة لذلك إلا أنها لم تنفذ مع الأسف لأسباب إدارية ومالية ، أملاً أن يتم تسجيل وتوثيق الآثار المعنية في المتاحف المذكورة بالطرق العلمية بأسرع وقت ممكن لأهمية ذلك كما يجب التنويه أن المتحف الوطني يحتاج أيضاً إلى استكمال عملية التسجيل والتوثيق وذلك بتخصيص سجل خاص بمحتوياته وعمل كتالوج وبطاقات حسب ما ذكر في هذا الشأن سلفاً واستكمال تسجيل وتوثيق ما ضم إليه مؤخراً من التحف وما سوف يرده مستقبلاً .

ثالثاً : التسجيل في الحاسب الآلي :

إن اختراع الحاسوب وتطوره يعتبر من أهم الثورات في تاريخ التطور العلمي ، فالمعلوماتية هي بالنهاية وسيلة إدارة يمكن استعمالها لتسجيل وتوثيق كميات كبيرة من الوثائق والمعلومات وبالتالي دراستها وتحليلها واستخلاص الاستنتاجات بطرق سريعة وفعالة ، ومما لاشك فيه إن الحاسوب قد قطع شوطاً كبيراً منذ اختراعه ويوجد اليوم للحاسوب نظامين رائجين جداً وهما :

١ - نظام الماكنتوش (Macintosh) .

٢- نظام الـ : .P.C أو ما يعرف بالمطابق لنظام .I.B.M .

إن هذه النظم تعمل بطرق متباينة عن بعضها البعض ولكل منها برامج خاصة من البديهي ذكره حيث يوجد حالياً بعض أجهزة الحاسوب من نظام ماكنتوش مجهزة للعمل بالتطابق مع نظام الـ .P.C .

إن لكل من هذه النظم برامج خاصة يمكن استعمالها لتسجيل وتوثيق المعلومات بالإضافة إلى تحليلها ودراستها ، ويتم اختيار البرامج حسب نوعية المعلومات المراد تسجيلها ونوع التحليل أو الدراسة التي ينوي القيام بها فضلاً عن طريقة التوثيق التي يوفرها هذا البرنامج ، ومن مزايا استخدام الحاسوب سهولة تسجيل المقتنيات الأثرية وأماكن وجودها ، كما يمكن للباحث أو خبير التسجيل الدخول إلى نظام حاسب آلي آخر في أي جهة في العالم ومعرفة إمكانية وجود عينات مشابهة لما لدية في المتاحف الأخرى ، كما يمكن إضافة عينات جديدة إلى العينات المسجلة دون الحاجة إلى تغيير الأرقام التسلسلية لمجموعة المقتنيات

بالإضافة إلى هذا يمكن أيضا التخلص من عينة تالفة بإصدار أمر للحاسوب بإخراج المعلومات عن هذه العينة من سجل المقتنيات المبرمج على أسطوانة التسجيل ، كما يمكن الحصول على معلومات عن أي عينة يرغب في دراستها خلال ثواني معدودة إلى غير ذلك من الفوائد التي يطول شرحها .

إن واقع متاحف الآثار في المملكة من عملية استخدام الحاسوب الآلي في تسجيل وتوثيق مقتنياتها الأثرية وما يتعلق بها من أعمال لا زال صفراً باستثناء ما أشرت إليه سلفاً من تسجيل بعض مقتنيات المتحف الوطني في الحاسوب إلا أنها لم تستكمل بعد لأسباب إدارية وتقنية .

و تحرص الوكالة في الوقت الحاضر على استخدام الحاسوب في جميع أعمالها والاستفادة من التقدم العلمي في هذا المجال حيث اقتنت العديد من أجهزة الحاسب الآلي وقامت بتوزيعها على معظم إدارتها وعلى المتحف الوطني وسوف يستكمل هذا التوزيع أو التعميم على البقية الباقية من الإدارات والمتاحف عند تأمينها على أقسامها المختلفة وكذلك على بعض متاحف الآثار وخاصة المتحف الوطني ووضعت خطة لتدريب بعض منسوبيها على استخدام هذه الأجهزة ونأمل في المستقبل القريب من تسجيل وتوثيق جميع الآثار المنقولة والثابتة والتراث الشعبي وكل ما يتعلق فيها من معلومات في الحاسب الآلي .

عرض مقتنياتها :

مما لا شك فيه أن العرض هو الوظيفة الأساسية لأي متحف وهو أكثر ما يشد انتباه الزائرين وينال إعجابهم . والعرض المتحفي لا يمكن أن ينفذ قبل إعداد خطة من المتخصصين في المتاحف واختيار المعروضات حسب الأهداف التي أنشئ المتحف من أجلها وينبغي أن يكون الغرض من العرض هو غرض تثقيفي وتعليمي في المقام الأول لكافة شرائح المجتمع ومما تجدر الإشارة إليه أن نجاح العرض المتحفي يتوقف على عدة أمور مرتبطة في بعضها البعض ابتداءً من اختيار المعروضات المناسبة وتصميم قاعات العرض وخزائن العرض وألوان خلفيات العرض وطرق العرض وبطاقات التعريف بالإضافة إلى ضبط الحرارة والإضاءة والرطوبة . فضلاً عن العوامل الأخرى المساعدة من استخدام التقنية الحديثة كوسائل لإيضاح

العرض وأمنها وسلامتها .

وقد سبق وأن أشرت إلى أهمية تصميم قاعات المتحف واستقلال مساحاتها في العرض المتحفي (انظر شكل رقم ١٥ ، ١٦ ، ١٧) كما أشرت أيضاً إلى أهمية خزانات العرض والمواصفات التي يجب أن تكون عليه والخلفيات المناسبة لعرض مقتنيات المتحف من الألوان والقاعدات الخاصة بها وحيث أن تناول كل ما له صلة بالعرض يطول الحديث عنه ويحتاج إلى بحث مستقل لوحده . فإني سوف أركز باختصار على ما يعنينا في هذا الجانب وذلك كما يلي :

١- طريقة العرض :

تميل بعض المتاحف إلى عرض مقتنياتها حسب التسلسل الزمني ابتداءً من أقدم مراحل عصور ما قبل التاريخ وتوزيع معروضاتها على قاعات متجاورة متتالية تبدأ بالأقدم وتتدرج بالصعود على سلم التطور حتى العصور التاريخية القديمة بل والعصور الحديثة أحياناً . ويستطيع الزائر من خلال هذا العرض أن يتابع الحضارة البشرية من ظهور الإنسان على الأرض. هذه الطريقة هي أفضل عرض وتنظيم للمعارض لأنها تقدم للزائر قصة تطور الإنسان وكفاحه من خلال مخلفاته التي تركها في مستوطناته. وتقوم متاحف أخرى وبعرض مقتنياتها حسب القوميات كأن تخصص قاعة للآثار السومرية وقاعة أخرى للآثار العربية وثالثة للآثار الأغريقية وهكذا. كما أن هناك متاحف تفضل العرض على أساس نوع المادة الأثرية أي على مبدأ التخصص النوعي في تقسيم المعروضات داخل المتحف الواحد في عدة قاعات حيث تخصص الأولى منها في الآلات الحجرية ، والثانية بالفخاريات ، والثالثة بالتحف المعدنية والرابعة بالصور والرسوم والخامسة بالزخارف المعمارية ..... الخ . ومع أن أسلوب هذا العرض يميل إلى التخصص الدقيق إلا أنه يجزء التراث الحضاري ويفكك عناصر الربط في حلقاته لأنه يعرض المظاهر الحضارية مستقلة عن بعضها البعض . كما تقوم متاحف أخرى بتنظيم مقتنياتها حسب المواقع الأثرية فعلى سبيل المثال تحدد قاعة لآثار الفاو . وأخرى لآثار الربذة . وثالثة لآثار ثاج وهكذا . إن هذه الطريقة تهتم بالتوزيع العمودي للتراث وتغض الطرف عن انتشارها في المنطقة أو المناطق المجاورة كما نجد متاحف قد خصصت قاعات لهدايا أشخاص أحياء أو أشخاص قد أوصوا بها بعد وفاتهم وهذه القاعات

تحمل اسم الشخص الواهب .

إن معظم المقتنيات الأثرية تعرض بمفردها على خلفية مناسبة من القماش حسب لون الأثر خاصة إذا كانت قطعة أثرية مهمة . إلا أنه من غير المناسب ولا المستحب استخدام طرق مختلفة وكثيرة لإبراز المعروضات في القاعة الواحدة لأن الخلط لا ينسجم مع الأشكال والألوان وبالتالي لا يجذب الزائرين . ويتوجب على هيئة المتحف أن تعرض ما لديها من مقتنيات بأفضل السبل وبطريقة جذابة ومشوقة . ونلاحظ أيضاً وفي بعض الأحيان عرض مجموعة كاملة من المواد أو النماذج المتشابهة أو القابلة للمقارنة لأغراض البحث والدراسة وعند القراءة . كما يمكن أيضاً جمع الآلات ومواد خام ومنتوجات مصنوعة لتوضيح طرق الصناعة يوم أن كان العمل يدوياً ومقارنة ذلك بنماذج من الإنتاج الآلي الذي يصنع الآن على نطاق واسع .

وهناك أساسيات للعرض الجيد في معارض المتاحف وهي :

١- عدم تكريس دواليب العرض بالمعروضات حيث أن ذلك يفقد ما هو معروض بها القيمة العلمية والجمالية ويبعد اهتمام الزائر .

٢- تنظيم المعروضات وتصنيفها على شكل مجاميع ذات علاقة مترابطة وهذا الأسلوب يمكّن الزائر من تتبع فكرة العرض والإلمام بها أثناء مروره على قاعات العرض . فضلاً عن أن التجانس والترابط بين المعروضات من حيث الموضوع أو الموقع يكسبها جمالاً ويعكس واقعها للمشاهد .

٣- تقسيم فكرة العرض إلى أجزاء صغيرة ، بمعنى أدق تبسيط الفكرة للزائر ومحاولة تنفيذ هذه الأفكار الصغيرة بحيث يتحدث على دولاب عرض عن فكرة مستقلة . وتنفيذ هذه الطريقة في الغالب في المتاحف الكبيرة التي تملك مساحات عرض واسعة وإمكانيات كبيرة.

٤- حساب مستوى الرؤية في المعرض عن طريق حساب معدل مستوى النظر لأفراد المجتمع المتوقع زيارتهم للمعرض فعلى سبيل المثال :

معدل مستوى النظر للرجل متوسط القامة في مجتمع مثل مجتمع الرياض هو ١٤٤سم

وبالنسبة للمرأة هو بمعدل ١٣٠سم .

لذا فإنه ينبغي معرفة مقاسات المعروضات قبل عرضها لتحديد مكان ومستوى العرض داخل قاعات المتحف. فكل عينه أو مجموعة العينات المتقاربة في الأشكال والأحجام أسلوب عرض متشابهة لتقاربها في المقاسات ومستويات العرض .

وهناك نظرية توضح المفهوم للمنظور تنص (على أن الأجسام المتساوية في جميع أبعادها ونسبها تصغر في الرؤية كلما ابتعدت عن العين) ، (انظر الأشكال رقم ٩،١٠،١١) .

ويجب الإشارة إلى وجود طريقة أخرى للعرض ، وهي إمكانية عرض بعض المقتنيات بحجمها الطبيعي (Mockups) أو ما يدعى بالديوراما (Diorama) وهذه الفكرة مبنية على عرض البيئة الحقيقية المحيطة بالأشياء المعروضة لذلك فإن العينات ذات الأبعاد الثلاثة والعينات المجسمة تعرض محاطة بالخلفية المناسبة للبيئة الحقيقية التي أحضرت منها هذه العينة . وإذا اتخذنا معياراً مقدار تعلق الموضوع المعروض بالموقع الأصلي نلاحظ وجود عدة أنماط :

١- عرض يكفل توفر علاقة مباشرة ما بين الموقع والعرض ، وهنا يتم إبراز قيمة المجموعة المعروضة بطريقة أصلية ، حيث تظل العلاقات بين العناصر المختلفة على حالها ، ولا تحتاج بالتالي إلى تعزيز بوسائل مساعدة والتأثير الذي تمارسه ينتج بصورة أساسية عن الجو الخاص بالسياق الذي يؤي دوراً بذاته بصورة مستقلة عن العناصر التي تؤلف المجموعة بأكملها.

٢- عرض يقوم على عرض الموجودات في بيئتها الأصلية حيث أدت دوراً فيما مضى ، وذلك بوسائل بصرية يفهما الزائر وبهذا لا تظهر اللوحة قيمة الوثائق الأصلية فحسب ، بل أيضاً قيمة الوثائق المساعدة وذلك في ارتباط وظيفي يعبر عن طابع الموضوع المعروض .

٣- عرض لا يعبر عن العلاقة بالبيئة الأصلية وعن دور المعروضات فهماً أغفل عمداً وهذا النمط من العرض لا يظهر إلا قيمة السمات الخصوصية والجمالية للمعروضات فهي التي تحدد مدى الاستجابة الانفعالية للانطباعات التي تثيرها في نفس الزائر ، ويستند تميز المتغيرات داخل كل نمط على مدى قوة التعبير عن العلاقة بالموقع فهو في

النموذج الأول : يحافظ على العلاقة بالبيئة ويتطابق مع الموقع الأصلي وبذلك يتميز للمشاهد إدراك العرض دون الحاجة للشروح . الميدانية المكتوبة .

أما **النموذج الثاني :** عرض أصيل يعبر عن العلاقات الأصلية في بيئة جديدة ، وذلك بنقل المعروضات مع محيطها لبيئة جديدة مع المحافظة الكاملة على العلاقات التي كانت قائمة مع البيئة الأصلية دون أن تتطابق معها تماماً .

و**النموذج الثالث :** تقدم فيه تشكيلة من المعروضات المتحصلة من بيئات مختلفة ومواقع مختلفة لكن من طراز واحد ، وذات وظيفة واحدة تمثل طرازاً مثالياً في بقائه .

و**النموذج الرابع :** يقدم فيه العرض تكويناً يضم أقصى ما يمكن من المنبهات من أجل تميز الأشياء وابراز علاقتها مع البيئة الأصلية التي جلبت منها مع برامج إضافية على الزائر الذي يرغب في تعميق معرفته واتخاذ مسار مخصص لهذه الغاية بشرط أن يأخذ الموضوع أبعاده التاريخية مع عناصر مكمله ومدمجة .

والنموذج الخامس الأخير هو : عرض مجموعة فنية أو أثرية يحمل كل منها رمزاً يميل إلى الدليل أو القائمة ويسمح بالتحقق منه دون أي معلومات عن البيئة ولاعن الدور الذي كانت تؤديه ، وفي هذه الحالة توصف الموجودات حسب التتابع الزمني أو الموضوع .

إن وضع نمط خاص ومحدد لعرض الآثار والنفائس ضرورة لابد لكل متحف من اعتمادها ويفترض أن تختار أو أن تتكفل بتحقيق الهدف من وجودها ولا يجوز أن يتم اختيار النموذج بشكل سريع وفي اللحظة الأخيرة فهذا يعني المجازفة بقيمة العرض الحقيقية وتعرضه للفشل التام .

والأمر الذي يجب التأكيد عليه هو أن لا يغفل تأثير المعرض على الزوار ودرجة استجابتهم لما يعرض فيه ومدى رضاهم عن طرق التقديم للمعروضات التي ينتهجها المتحف وإذا ما أغفلنا هذا الجانب فهذا يعني أن المتحف سيخسر الكثير من الجمهور وبالتالي لا يحقق الأهداف المنشودة من إنشائه .

٢ - بطاقات التعريف :

وهي التي توجد داخل الخزائن أو خارجها لشرح محتويات الخزائن ولوصف المعروضات بحد ذاتها وهي تنقسم إلى نوعين :

١- بطاقة (ذاتية الدلالة) ، وتوضع فقط من أجل تحديد النوع .

٢- بطاقة (استنادية) ، وهي التي كتبت لتشرح فكرة وتفسرها .

ينطبق على البطاقات ما ينطبق على لوحات العرض من حيث ضرورة وضوح نفسها ، وتنظيم شكلها ، وهذا أيضاً من واجبات أمناء المتاحف حصراً ويعتبر اليوم دور الحاسوب أساسياً في إنجازها ، فهو يمكن أن يطرح معالجتها بعدة طرق ، بغية إيضاح شكلها وتسهيل فهمها ، أما تعليقها فيفضل أن يكون قريب من موضوعها ، ترى معه لا تخفيه ولا تختفي به ترتب قدر الإمكان بنفس الجانب من القطع دوماً ، وتوزع بشكل تكون معه في مكان كافي الإنارة ، لتسهيل قراءتها كما يراعى في حال ضم البطاقة لوصف عدة قطع صغيرة ، وضع رقم دائري صغير بجانب كل قطعة يماثله رقم البطاقة ، وينبغي أن تكون معلومات هذه البطاقات مركزه والبطاقة النموذجية هي التي يكتب على القسم العلوي منها عنوان بارز بحروف كبيرة تقرأ من بعد معتدل وتضاف إلى هذا العنوان بعض الإحصائيات المهمة التي تكتب أسفل العنوان بحروف صغيرة تفصيلات أخرى يهتم بها المتحف فإذا أستمتع الزائر بما قرأ ألقى نظرة سريعة على النموذج الذي يقف أمامه وأنتقل إلى نموذج أخر وهكذا حتى نهاية جولته وإذا وجد نفسه بأنه يريد المزيد من المعلومات فيمكنه الحصول عليها من مصادر أخرى متوفرة في المتحف . أما المعلومات المفصلة التي تهم المختصين فيفضل أن يتم طبعها في كتيبات تكون جاهزة لمن يطلبها ، كما يجب أن تطابق بطاقة التعريف التنظيم العام في المعرض من حيث اللون والمقاسات والمكان ويجب أن تطبع وتوضع في إطار لحفظها وتمييزها .

٣ - الإضاءة :

الضوء واحداً من العوامل الهامة المخربة للمجموعات الأثرية إلا أنها مصدراً هاماً وضرورياً لا غنى عنها ويمكن في ظل التقنية الحديثة السيطرة الكاملة عليها في المتاحف الحديثة عند إنشاء المشروع المتحفي وهناك أربعة عوامل للأضرار بهذه المجموعات هي :

١- طبيعة المجموعات : أي من أصل عضوي .

٢- معدني التركيب اللوني للمصدر المضيء إذ أن كل المصادر الضوئية ترسل إشعاعات بنسب وأطوال موجات مختلفة فالأشعة فوق البنفسجية لها تأثير ضوئي كيميائي يؤدي لإزالة الألوان ، وفقد المادة بينما الأشعة تحت الحمراء ، ترفع درجات الحرارة وتسبب ليناً أو جفافاً في المواد العضوية .

٣- مستوى الإضاءة الذي يقدر باللوكس (LX) الذي يعادل إضاءة سطح مساحته ١م٢ يستقبل تدفقاً ضوئياً بمقدار لومن واحد (LX·) بالنسبة للأشياء الحساسة يفضل أن لا تزيد على ٢٠٠ LX بمعدل ٣٠٠٠ ساعة في السنة ، وبالنسبة للأشياء القليلة الحساسية لا تزيد موماً على ٣٠٠ LX أما الأشياء شديدة الحساسية فلا تزيد على ٥٠ LX بمعدل ٢٥ساعة في السنة ، مع الإشارة إلى أن التعرض للإضاءة له الأثر .

٤- الضار نفسه إذا تعرض الأثر ١٠٠,٠٠٠ LX أشعة مباشرة خلال ١٠٠يوم أو لـ LX١٠٠ خلال١٠٠,٠٠٠ يوم إذا طبق مفهوم الاستضاءة بشكل جيد فإنه من الممكن أن يحمل حلاً معاكساً يؤدي للوقاية أما قياس الضوء فإنه يتم بالكسومتر (Luxometre) الذي يتركب من خلية حبيبية مصححة Consinus قادرة على جمع الضوء من كل الاتجاهات ، ومقياس أمبير صغير يفضل أن يكونا منفصلين يربطهما سلك بطول متر واحد ، ويجري القياس دوماً وفقاً لخطة متبعة ويوضع الجهاز بعيداً عن جسم الإنسان وظله كما أن لكل من الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء مقاييس خاصة ، ويحرص على حماية الآثار منها ، ويركز على الأشعة فوق البنفسجية لما لها من أثر مضر واضح حيث يتم إسقاطها بأولوية مطلقة سواء أكان المصدر الضوئي طبيعياً أم صناعياً ، وللحماية منها فإنه تستخدم حديثاً وسائل متعددة منها مواد زجاجية ، كالزجاج الورقي أو الزجاج اللاكتيني أو من شرائط الحماية المنتجة اعتبارا من البوليستررازين ، وهي أيضاً يمكن أن تكون حامية من الأشعة تحت الحمراء ، كما تتوفر مواد طلائية مضادة للأشعة فوق البنفسجية المحتوية على أكسيد التيتان وأكسيد الزنك أو الرصاص هذا بالإضافة للعديد من المواد الأخرى .

أما إضاءة خزائن العرض فهي من أهم مؤثرات العرض والعوامل التي تساعد على

إنجاح العرض كما ذكرت آنفاً ولتحقيق ذلك تتخذ الاحتياطات التالية :

١- عدم وجود مصادر إنارة أخرى ضمن حدود الأماكن في مجال الأثر وذلك منعاً للتسخين وحرصاً على حماية الأثر .

٢- إن الرؤية المباشرة للمصدر الضوئي قد تسبب الانهيار .

٣- تجنب إحداث الضوء للضلال والانعكاسات .

هذه الاحتياطات أمكن اليوم مراعاتها بدقة قدر الإمكان وذلك باستخدام الإنارة بالألياف البصرية وهي تقنية تسمح بالإضاءة الداخلية المنتشرة ، أو المركزية دون بث الحرارة وصيانتها سهلة ، وقد أثبتت جدارتها في العديد من المعارض المؤقتة والمتاحف .

وعند إعداد الإنارة للوحات جدارية في عرض متحفي يلاحظ عدم إحداثها لانعكاسات ضوئية تؤدي لمنع التركيز على رؤيتها وفهمها سواء كانت لوحة إرشادية أو إيضاحية بالإضافة لتجريدها من جمالها إن كانت لوحة فنية ولتجنب هذه الانعكاسات يفضل تفادي تعليق اللوحات بمواجهة مصدر ضوئي سواء أكان المصدر أصلياً (مثل نافذة) أو مصدراً ثانوياً مثل (حائط ، خزانة عرض ، سطوح زجاجية ، لوحات أخرى . . . الخ) .

وفي حالة وجود صالة عرض محاطة بنوافذ فإما أن تخفض كمية النور الداخلة بواسطة الزجاج ، وإما أن تعلق اللوحات عمودية بحيث لا تحدث انعكاساً ضوئياً ، وإذا كان مصدر الإضاءة صناعياً فيراعى قانون الانعكاس للصفائح اللامعة والذي ينص (أن زاوية أو شعاع المنعكس يكون مساوياً للشعاع الساقط على السطح العاكس) ، لذلك فإن ميل اللوحة لبضع درجات يسمح في الكثير من هذه الحالات بحل المشكلة ، إلا أنه يفضل حل مشكلة الانعكاس عند ترتيب الإنشاءات الكهربائية بحيث توضع أجهزة للإضاءة بشكل يكون فيه المحور أو الشعاع الساقط في زاوية قريبة من ٦٠° مع الأفق ، على ارتفاع عين الناظر والمفترض أن يكون حوالي ١٦٠سم .

ولاشك أن أضواء الفلورسنت تعتبر اقتصادية مقارنة بالأضواء المتوهجة فهي تمدنا بكمية من الضوء تزيد عن كمية الضوء التي تمدنا بها الأضواء المتوهجة بما يعادل ثلاث مرات عند تساويها في كمية الكهرباء المستهلكة كما إنها تتميز بانخفاض حرارتها عن الأضواء

المتوهجة إلى جانب أنها تعطي ضوءاً منتشراً مريحاً للنظر ، له قدرة على تقليل الظلّ كما أن لونها الأبيض البارد تظهر اللون غالباً كما هي في ضوء النهار . كما إنه يمكن الجمع بين ضوئين داخل دواليب العرض أو خزائنها من مصباح فلورسنت للإضاءة العامة ، ومصباح كشاف عاكس ذي قوة منخفضة للتركيز على عينة معروضة مهمة ، ويجب أيضاً الاهتمام بالتهوية المناسبة وحركة الهواء عند استخدام الضوء المتوهج في داخل دواليب العرض .

٤- الحرارة والرطوبة :

إن ضبط الحرارة والرطوبة من الأهمية بمكان بالنسبة للمتحف بشكل عام وقاعات معروضاته بشكل خاص من هذا المنطلق فإنه يجب دراسة وتحليل المحيط المتحفي من جهة ، وقاعات العرض من جهة أخرى ، ويتم اختيار تجهيزات معالجة الرطوبة والحرارة متناسبة مع وضع الموقع المتحفي ، فإن كان هذا الموقع وسط مركز مدني، فهو معرض للتلوث بشكل كبير ، وهذا ما يجبر على وضع شروط عناية خاصة من عزل للبناء وتدعيم لأجهزة الفلترة وأجهزة معالجة الهواء مع الاهتمام بالنشاطات المقترحة في الموقع والشحن المولد له وفي هذا الأمر يجب أن نميز بين الشحن الداخلي والشحن الخارجي فبينما يتولد الشحن الداخلي من حركة الزوار والإضاءة وارتشاح الماء للأجزاء القاعدية من البناء لأسباب مختلفة ، يتولد الشحن الخارجي عن الشروط المحيطة بالموقع (كوجود غابة ، أو بحيرة ، أو لبيئة حارة ...الخ) هذا فيما يتعلق في المبنى أما صالات العرض فالموضوع أكثر دقة وإشكالية فهناك مواد رطبة قابلة لامتصاص الرطوبة واسترجاعها (كالمواد العضوية ، والزجاج ، والحجر القاسي أو الصلب ... الخ) وبسبب الاختلافات الفيزيائية والكيميائية في طبيعة المواد تختلف المعالجات المناخية للحرارة والرطوبة النسبية ، وفي الحقيقة إنه يمكن السيطرة على المواد غير الرطبة ، ولا تحتاج إلى معالجات خاصة ، بينما يختلف الأمر للمواد الرطبة فإن أي تغيير كبير في الرطوبة النسبية HR سيؤدي إلى حدوث تغيير في محتوى المادة من الماء وبالتالي يحدث تغييراً في بنيتها وأبعادها وهذا يؤدي إلى إلحاق الضرر أحياناً بالمادة وغير قابل للإصلاح ويقترح الأخصائيون أن لا تقل نسبة الرطوبة في المادة العضوية عن ٤٠٪ ولا تزيد عن ٦٥٪ .

أما فيما يتعلق بالحرارة فأي تغير فيها في حدود مألوفة ومريحة فإن تأثيرها على تغير

البنية والأبعاد لأغلب المواد العضوية يكون قليلاً ، شريطة أن لا تقل عن ١٥مْ ولا تزيد على ٢٥مْ مع وجود أجهزة قياس الحرارة والرطوبة بشكل مستمر ضمن دواليب العرض ذات المعروضات المتميزة داخل صالات العرض والمستودعات بشكل مباشر (أنظر الشكل رقم ١٢).

أما فيما يخص معالجة دواليب العرض من الهواء والرطوبة فإن المناخ بداخلها هو الذي يتحكم في التفاعلات المحتملة لمكوناتها ومن أكبر المسائل هو التحكم في نسبة الرطوبة ويكون هذا أيسر حين تكون نسبة الرطوبة ودرجة الحرارة بفضاء العرض مستقرين ، لأنه مهما كان إحكام عزل واجهات العرض إلا أنه يتسرب كمية من الهواء المتواجد في الفضاء داخل دولاب العرض ويتغير مناخه وإذا افترضنا أن نسبة الهواء المتسرب قليلة ، فالتعامل الحراري بين الفضاء وداخل واجهات العرض يؤدي هو أيضاً إلى تذبذبات في نسبة الرطوبة بحكم الترابط بين درجة الحرارة والرطوبة ، ولحل هذه المشكلة فإنه يلزم عزل دواليب العرض من تسرب الهواء بموجب خطة محكمة بنسبة الرطوبة والاعتماد على حبيبات السليسيوم الغير مبلور (SILICAGEL) ووضعها داخل دولاب العرض بكمية تقدر بنسبة ٢٠كجم/ م٣ ووضع هذه المادة لهدفين هما :

امتصاص قدر ما من الرطوبة خاصة في الحالات التي تتطلب رطوبة أقل من ٦٠٪ المتواجدة في الفضاء ويسمى هذا بتجفيف (DESSICATION) والهدف الآخر هو التقليل من تذبذبات نسبة الرطوبة المتأتية من المتغيرات في درجات الحرارة ، إذ يمتص السليسيوم الغير مبلور مقدار من البخار في حالة ارتفاع نسبة الرطوبة ويبث قدراً من البخار حتى تستقر الرطوبة ، ولتوظيفه كعامل لاستقرار الرطوبة داخل واجهات العرض يجب تحضيره مسبقاً بتزويده بكمية من الماء حسب الرطوبة المطلوبة .

٥- استخدام التقنيات الحديثة كعوامل مساعدة للعرض المتحفي :

أ - لوحات العرض المتحفية :

يتمثل دورها في تقديم المعلومات المساعدة على فهم فكرة العرض حيث يجب أن يتم اختيار نصها من قبل اختصاصي ، وتكتب بلغة سهلة سليمة توجه لكافة الزوار ، كما يستحسن أن يرتبها موظف مختص بالاتصالات لدراسة مضمون النّص وتنظيمه داخل

اللوحة ، أما حوامل اللوحة فإنها تختلف اليوم ما بين المعدن والخشب والبلاستيك والنسيج والورق ...الخ . ولاختيارها لا تؤخذ فقط أثمانها وإنما أيضاً الإمكانيات المتاحة لعرض الموضوع نفسه ، كما أن طرق إخراج النّص تختلف ما بين مخرج ليزري من حاسوب أو دهان ، أو كتابة جدارية أو فيلم ، أو صنع خشب أو بلاستيكي ...الخ . ويمكن حماية هذه اللوحات بتغطيتها بصفحة من زجاج أو قشرة رقيقة من البلاستيك (تصفيح على البارد) أو تغمس في الصمغ (تصنيع حراري) ، ومن المناسب جداً أن تعلق اللوحات بطريقة يسهل معها قراءتها ، وممكن إضاءتها أولاً فهي لا تشكل بين مجموعة العرض أكثر من وسيلة للإيضاح . ومن الممكن أيضاً أن تكون إضاءتها ذاتية بواسطة الألياف البصرية (لوحات رجعية الإضاءة) .

ونموذج لوحة العرض كالآتي :

١- المستوى الأول من القراءة مكتوب ليكون مرئياً من بعد ويعطي المعنى الضروري للمحتوى .

٢- المستوى الثاني للقراءة كتب من أجل القراءة عن قرب .

٣- يلحق بالمستوى الثاني . الذي هو بالإضافة إلى الرسوم . يجب أن يكون كافياً لمستوى استفسارات .

٤- مستوى العمق .

٥- نص معرفي ، إنتاج ، إنجاز ، مصادر ، ملاحظات ... الخ .

ب - التجهيزات السمعية والبصرية :

من أحدث وسائل العرض المتحفي التي تم توظيفها في المتاحف الحديثة وعلى نطاق واسع هي التجهيزات السمعية البصرية ويحتاج بعضها إلى أماكن خاصة بها بينما يمكن استخدام البعض الأخر بشكل شخصي ، ومن أهم عينياتها . جهاز الشرائح الصوتية الذي يستخدم بكثرة لتنوع إمكانياته من حيث عرض الصور الجدارية ، وعوض الشاشات .

هذا الجهاز لابد من تخصيص مكان له تتوفر فيه كل الشروط الأمنية لمواد مانعة للاحتراق ، إضاءة نجاة ، مقاعد ثابتة ، مخارج مستقلة .... الخ .

ويجب أن يراعى في الأعداد وضوح الصوت ووضوح النص وجديته ، والرؤية ووجود موظف مختص للأشراف يمكنه التدخل عند الضرورة بالإضافة إلى ذلك فإن المتاحف الحديثة تستخدم أجهزة الفيديو في عرض أفلام متخصصة لهدف معين يعاد بثها تلقائياً وبشكل متكرر .

وهذه التجهيزات لا تحتاج إلى أماكن خاصة ولا إلى صيانة وكادر فني مثل تجهيزات عرض الشرائح . وهناك أجهزة خاصة بالصوت فقط منها ما هو مخصص للموسيقى ، والصوت الروائي ، والصوت المحيط بالأشياء . وهذه الأجهزة قد تبث الصوت بواسطة مكبرات مسموعة للجميع وقد تبثه عن طريق سماعة شخصية حيث يستطيع الزائر زيارة المتحف بدون دليل . وهي عادة أجهزة CD يمكن استئجارها أو شراؤها من المتحف . ومنها أيضاً ما يستقبل إرسالاً متحفياً في أماكن العرض . ومنها ما يتميز بمسجلات يمكن أن تحتفظ بالمعلومات في ذاكرتها .

وإذا أردنا معرفة واقع العرض في متاحف آثار المملكة باستثناء المتحف الوطني بالرياض ومتحف الآثار بجامعة الملك سعود نلاحظ ما يلي :

١- ازدحام بعض دواليب العرض والقلة في الدواليب الأخرى .

٢- عدم احتواء معظم المعروضات على المعلومات الأساسية والاكتفاء فقط بوصف القطعة.

٣- طول المعلومات على الملصقات داخل المتحف التي تأخذ من الزائر وقتاً طويلاً أو إنه لا وكمل قراءاتها أو إنه لا يقرأها ألبته لضيق وقته وبالتالي لا يستفاد منها الاستفادة المرجوة .

٤- لم يتم تغيير المعروضات السابقة بما تم اكتشافه لاحقاً من آثار المنطقة .

٥- عدم وجود معروضات من المنطقة نفسها بالرغم من وجود العديد من المواقع الأثرية فيها حتى فيما يتعلق بالتراث الشعبي . وهذه المتاحف هي :

متحف جدة بقصر خزام - متحف الطائف بقصر شبرا - متحف حائل .

والسؤال هنا هو كيف تمثل هذه المتاحف منطقتها أو محافظتها وهي لا تعرض في

قاعاتها على الأقل ٥٠٪ من معثورات وتراث المنطقة أو المحافظة حيث أن كل ما هو معروض بها من مناطق ومحافظات أخرى .

٦- خلو بعض المعروضات من بطاقة المعلومات أو وجود صعوبة في قراءة المعلومات المدونة في بطاقات العرض بسبب انطماس الكثير من حروفها وتغير ألوانها لقدمها مثل : البطاقات في المتحف الاقليمي في الدمام :

٧- عدم ضبط الإضاءة أو الحرارة أو الرطوبة في المتاحف وقاعة المعروضات الأمر الذي بدأت معه معروضات المتاحف تتأثر معروضاتها بسبب ذلك .

٨- عرض بعض القطع الأثرية أو التراثية المتجانسة من ناحية المادة والوظيفة في أماكن متباعدة ومعزولة عن بعضها البعض في بعض المتاحف وخاصة متحف جدة الإقليمي .

صيانة وترميم مقتنياتها Conservation :

الصيانة هي عملية تقنية تستهدف إطالة عمر المادة الأثرية لأقصى حد ممكن بأقل ما يمكن من الترميم ، ومع أن الإنسان لا يستطيع أن يقاوم التأثير الحمضي للزمن إلا إنه يستطيع في الوقت الحاضر معالجة وإحياء وصيانة الآثار والمقتنيات في معظم الحالات وإعادة الشباب إليها وحفظها للزمن والتاريخ ولا شك أن المرممين يواجهون بصفة دائمة اعتى المشاكل مثل تلوث الجو بالغبار والغازات التي تؤثر بدورها تأثيراً مباشراً على حالة الأثر أو التحفة الفنية مما يتطلب مضاعفة مسؤوليتهم بصيانتها ضد عوادي الزمن ، وهناك قاعدة أساسية يسترشد بها مرممو الآثار والتحف الفنية وذلك بعدم السماح لهم بالمخاطرة عندما يبدأون في دراسة وترميم معثورة من المعثورات الأثرية والتاريخية لذلك تخضع جميع المواد الأثرية التي يتعامل معها التحليل الدقيق بهدف تحديد تركيبها الكيميائي وينبغي على المرمم مدركاً تماماً لتأثير المواد التي يستخدمها على المعثورات الأثرية بعد عشرات ومئات السنين ، وهناك أساليب للتشخيص والكشف عن مواقع التلف في المعثورات الأثرية قبل إجراء عملية الترميم والصيانة المختلفة فهي متطورة وعصرية تماماً مثل استخدام الأشعة السينية والتحليل الطبقي والأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء ونتيجة لأعمال التنقيب وتعرض هذه المعثورات بعد الكشف عنها إلى عوامل التعرية والوسط المحيط أم للعوامل الطبيعية الجديدة فإنها تصاب

بالتلف والعديد من المتغيرات وقد يحصل هذا التغيير أو التحول خلال دقائق أو ساعات منذ تناول هذا الآثار ومن الوسط الذي حفظت فيه لآلاف السنين في باطن الأرض ، والمعثورات الأثرية كما أسلفت تضعف إلى مواد عضوية مثل الخشب والجلد والعظم ... الخ ومواد غير عضوية مثل النحاس والحديد والأحجار ...الخ وعادة ترميم هذه المعثورات وإعادتها إلى شكلها أو وضعها الأصلي يبدأ منذ العثور عليها في موقعها إرسالها إلى المختبرات العامة في مقر عمل البعثة وهو ما يسمى بالإسعافات الأولية ويلاحظ أن لكل نوع من هذه المواد أسلوب في المعالجة والترميم والصيانة لذا فلابد أن يكون المرمم محيطاً وملماً بطبيعة المواد الكيميائية وذو خبرة واسعة في هذا المجال كما يجب عليه أن يحتفظ ببطاقة أو كتاب خاص بالمختبر وهو كتاب مرقم الصفحات وتدون فيه أرقام جميع اللقي الأثرية التي رقمها أو عالجها مع ذكر وصف مقضب للحاجة التي كانت عليه هذه اللقية عندما وصلت إلى المختبر وأن يسجل دائماً حالات الترميم أو المعالجة النادرة ، واضعاً لها الحلول ويستفيد منها في حالات مشابهة لاحقة ترميماً ومعالجة ، ويحبذ أخذ صوره فوتوغرافية لهذه اللقية قبل الترميم وبعده .

الصيانة الوقائية :

وهذه تطبق منذ عرض المقتنيات الأثرية في قاعات المتاحف أو تخزينها في المستودعات الخاصة بها في ضوء منجية علمية ، يجعل هذه المقتنيات تستقر كيميائياً وميكانيكياً طيلة تواجدها في المتحف ، ونظراً للعلاقة الوثيقية بين ساحات العرض وأماكن التخزين بشكل عام ، بالإضافة إلى النشاط الملحوظ في المتاحف فإنه لابد أن تتوفر في هذه الأماكن كافة شورط الصيانة الوقائية من تدابير علمية وأساليب فنية وتقنية توفر الاستقرار الكيميائي والميكانيكي للمقتنيات الأثرية وذلك تفادياً لما قد يحدث من تغييرات تضر المنقول التراثي شكلاً وتكويناً وهذه الصيانة تخضع عادة لأمرين هما :

١ - أمر يهتم بالترتيب والنظم الإدارية والسير العام للمجموعة المتحفية من دخول وخروج وكيفية نقلها وعرضها بالمعدات المهيئة لهذا العمل .

٢ - الأمر الثاني يهتم بالتحكم في العوامل المكونة للبيئة المتحفية وهي :

نسبة الرطوبة ، ونسبة الإضاءة ، ونسبة الرذيذات وتتكون غالباً من حبات الغبار وبقايا العناصر المحترقة ...الخ . وكذلك تواجد الكائنات الحية من فطريات وحشرات وقوارض .

مختبرات الترميم والصيانة :

هو المكان الذي تتم فيه عمليات معالجة المقتنيات الأثرية ودراسة تركيبتها كيميائياً وحتى يتمكن العاملون في هذا المختبر من أداء واجبهم نحو ترقيم وصيانة هذه المقتنيات فإنه يتوجب تزويد هذه المختبرات بكل ما تحتاج إليه من أجهزة ومعدات حديثة ومواد معالجة من كيميائية وبلاستيكية وغيرها مثل :

١ – تأمين أحدث الوسائل والعجائن والمواد التي أدت الدراسات العلمية إلى تفضيلها استخدامها بعد التأكد من فاعليتها وعدم إضرارها بصحة الإنسان من جهة أخرى .

٢ – تأمين أحدث الأجهزة المتطورة مثل كبائن التعقيم والبلاستيك وأجهزة الترسيب والموازن الإلكترونية وأفران التجفيف والحرق وأدوات الحقن وآلات التخريم المتطورة وأجهزة قياس صلابة الصخور والرافعات الإلكترونية ... الخ .

٣ – تزويد هذه المختبرات بالأشعة السينية وأجهزة التحاليل والرماتوغرافي والتنشيط التروني والامتصاص الذري والطبقي والانتعاشي والطبقي البصري .

٤ – أجهزة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح والميكروسكوب المستقطب وغير ذلك من الوسائل والأجهزة والمواد العلمية لإجراء عمليات الترميم والصيانة على أساس علمي سليم .

وعندما تنظر إلى واقع مختبرات الترميم والصيانة في متاحف الآثار في المملكة سواء من ناحية التجهيز أو الكوادر الفنية المؤهلة أو المدربة نجد إنه لا يتوفر بالكثير منها ما سبق ذكره ماعدا بعض التجهيزات البسيطة من الأجهزة والمعدات والمواد الكيميائية وخاصة في المتاحف الستة الإقليمية والمحلية والتي يوجد بها مختبرات ترميم وصيانة إلا إنه مع الأسف لم تزود بالكوادر الفنية المتخصصة الأمر الذي لم يستفاد من هذه المختبرات حتى تاريخه بالإضافة إلى انتهاء صلاحية المواد الكيميائية وغيرها الموجود في هذا المختبرات وتعطل الكثير من أجهزتها نتيجة لطول الزمن وبعض المتاحف المحلية أو الإقليمية لا توجد بها مختبرات مثل متحف حائل ، ومتحف جدة ، ومتحف الدمام ، ومتحف الطائف أما مختبرات الترميم والصيانة في كل من مقر وكالة الآثار والمتاحف والمتحف الوطني فهي مؤسسة إنشائياً بشكل مناسب وزودت بمعدات وأجهزة بسيطة مثل أفران التجفيف وبعض الأدوات والأجهزة التقليدية

التي كانت بحوزة الوكالة منذ فترة طويلة وهذه الأجهزة والأدوات لا تتناسب مع حجم أعمال الترميم ولا المسؤوليات الكبيرة المتعلقة في هذا الجانب فضلاً عن عدم وجود الكوادر الفنية الكافية حيث تم التعاقد مع فقط مع أربعة مرممين وتم توزيعهم على مختبرات الوكالة والمتحف بواقع أثنين لكل منهما ، أما مختبر الترميم والصيانة في متحف الآثار بقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود فهو أحسن حالاً واهتماماً سواء من ناحية التجهيزات أو الكوادر الفنية المؤهلة خاصة باستقطابه عدد من الشباب السعودي لتدريبهم وتأهيلهم لهذا العمل الذي لا يوجد به سعودي غيرهم حتى تاريخه أملاً أن تجد هذه المختبرات الأهمية القصوى لدى المسؤولين في وزارة المعارف ممثلة بوكالة الآثار والمتاحف وجامعة الملك سعود ممثلة بقسم الآثار والمتاحف هذه المختبرات وتزويدها بما تحتاج إليه من معدات وأجهزة ومواد وفنيين والاهتمام بتشجيع الشباب السعودي على هذه المهنة وتدريبهم عليها لسد النقص والاحتياج في المستقبل القريب فلا أحد يختلف بالدور الحيوي والفعال التي تؤديه هذه المختبرات في صيانة الآثار وعلاجها وإطالة عمرها إلى ما شاء الله والمحافظة عليها وحمايتها من عوادي الزمن .

التخـزين :

مخازن الآثار هي في نظري امتداد طبيعي للمتاحف الموجودة بها لذا فإن المقتنيات الأثرية المخزنة فيها يجب أن تلقى العناية التي تلقاه مثيلاتها المعروضة في قاعات المتاحف ، وهذه المخازن إما أن تكون جزءاً من مباني المتاحف ، وإما أن تكون لها أبنية خاصة بها ، ويجب أن تشيد بمواصفات خاصة ومناسبة فجدرانها تكون من مواد صلبة ومقاومة للكسر والتحطيم وإذا كان لا بد من وجود فتحات لحرية الحركة فتفتح إلى الداخل ، ويكون ذلك باستخدام أبواب مضاعفة أما النوافذ فتحمي بمصراع داخلي مجهز بقبضات حديدية قوية ومتراصة ، ومدخل منطقة المخازن يكون من باب أولى من الشبك يفتح بواسطة نظام مراقبة بالمفتاح الإلكتروني ويوجد في الوقت الحاضر مفاتيح إلكترونية وميكانيكية في آن واحد تسمح بفتح الباب خلال فترات مواعيد مختلفة وفي الوقت نفسه تسمح بالتعديل السريع للمفتاح الضائع لكما تقوم بتسجيل أخر العبوارت من الباب المذكور ، أما الباب الثاني ينفتح بقفل كلاسيكي ذي نابض ، ولكن بحماية عالية ، ويرافقة جهاز إنذار كاشف للفتح والصدمات ، ويجب أن لا يدخل هذه المخازن إلا أشخاص محدين كما يجب تزويدها بكشافات حجمية

بالأشعة الحمراء السلبية توضع تحت مراقبة الفيديو الوائمة (آحادية الشاشة أو متعددة الشاشات) إن التنظيم داخل المخازن ، يرتبط ارتباطاً مباشراً بجميع أنشطة المتحف الأخرى والمقتنيات المخزنة فيه من الأساسيات التي يواجهها علم المتاحف الحديث . فالمقتنيات داخل المخازن ترتب وتنظم بشكل دقيق مع وجود أجهزة مراقبة للرطوبة النسبية والحرارة ، كما توضع الأشياء الصغيرة القيمة في خزائن كما لو كانت معروضة ويفضل استخدام الخزائن المعدنية مع أقفال أمان للأشياء الأكثر قيمة توضع أي تغيير ، ويفضل إنشاء غرفة مسلحة داخل هذه المخازن مزودة بجهاز إنذار متميز لا يمكن فتحها إلا بشفرة أو بمفتاحين مختلفين وذلك لخزن الأشياء النادرة والهامة منها ، كما إنه لا بد من وضع نظام كشف وجرد لها واستخدام التكنولوجيا الحديثة في تقديم المعلومات في هذا المجال وفي تصنيف المقتنيات الحديثة المخزونة وإعداد الوثائق البيانية عنها وخزن الصور مما يسمح بالتخطيط المسبق لاختيار مجموعات العرض في زمن وجيز وكذلك لمجموعات الدراسة ، وبمساعدة أجهزة نقل الصور وقوائم التميز لم يعد نقل المعلومات عن المقتنيات مهمة صعبة وبطيئة كما كان يتم في الماضي ، ولم تعد هناك حاجة للباحث أو الدارس لزيارة المتاحف ليتعمق في الملفات المتحفية ، حيث أمكن بواسطة أقراص (CDS) المضغوطة توثيق الملفات المتحفية وخزن عدد هائل من الصور الفوتوغرافية رقمياً تسمح برؤية القطع الفنية الرقيقة دون لمسها كما يجب أن تخضع هذه المخازن لنظام الأمن السلامة طبقاً لما هو معمول به في المتاحف . وإذا ما رأينا واقع مستودعات ومخازن الآثار في متاحف المملكة نجد أنه ينقصها الكثير من الأمور المتعلقة بالإنشاءات أو بالأجهزة والمعدات أو بالتنظيم والترتيب أو بإجراءات الأمن والسلامة فيها حيث نجد مستودعات خصصت لخزن الآثار في المتاحف الستة الإقليمية والمحلية إلا أن هذه المخازن تحتوي على رفوف قليلة وبعض الرافعات القديمة وتفتقد إلى تنظيم وترتيب المقتنيات الأثرية فيها حيث يوجد بدلها بعض المقتنيات الأثرية التي وضعت داخل المخزن بطريقة عشوائية بعضها وضع على أرض المخزن ، كما توجد بعض المخزونات من الأثاث وغيره قد وضعت جنباً إلى جنب مع هذه المقتنيات المخزنة بالإضافة إلى وجود المقتنيات الأثرية كبيرة الحجم قد تركت في بعض فناءات هذه المتاحف أما المتاحف الأخرى الإقليمية والمحلية بعضها

لا يوجد بها مخزن والأخرى خصصت غرفة لخزن كل شئ فيها بعض المقتنيات الأثرية ، أما مخازن الآثار في المتحف الوطني وجامعة الملك سعود فحالتها أفضل بكثير من ذلك إنما لايزال هذه المستودعات أو المخازن تحتاج إلى تنظيمها وتهيئتها وتوزيع المقتنيات فيها وتخصيص جهاز فني و إداري لها وذلك طبقاً لما ذكر آنفاً في هذه الدراسة .

صـيانة مبانيـها :

أن الصيانة المستمرة هي الوقاية الأولية لأي شيء يصان ومن الأمور الهامة والضرورية لأي عمل مادي أو غير مادي وذلك الشيء المصان والمحافظة عليه وإطالة عمره قدر الإمكان إما للاستفادة منه في أعمالنا أو في صحتنا أو في جميع أمور حياتنا فكما قيل الوقاية خير من العلاج .

إن منشآت المتاحف قد كلفت الجهة التي قامت بتشييدها الملايين من الريالات والجهد والوقت لهذا فإنه منذ التفكير بإنشاء هذه المتاحف يلزم التفكير أيضاً بصيانتها فنياً وهندسياً وتوفير الأموال اللازمة لذلك ووضع الخطط اللازمة لتنفيذ إجراءات الصيانة وهذه الصيانة عادة تشمل المباني نفسها والكهرباء والسباكة والأجهزة والنظافة ومرفق الخدمات الأخرى من دورات مياه وحدائق ومواقف بالإضافة إلى الأجهزة والمعدات وإذا ما حصل أي تقصير أو إهمال في صيانة مباني المتاحف ومرافقها فإنه سيؤدي إلى إلحاق الضرر في أهدافها والتأثير على معروضاتها وحضور الزائرين إليها فضلاً عن تضرر المباني نفسها وكل هذا الأمور سوف تكلف الجهة المسؤولة عنها مبالغ مضاعفة في حالة صيانتها ونلاحظ أن بعض متاحف الآثار في المملكة تفتقد الشيء إلى هذه الصيانة في مبانيها وما يتعلق بها من سباكة وكهرباء ونظافة وغير ذلك باستثناء بعض المتاحف الستة حيث قامت وزارة المعارف ممثلة بوكالة الآثار والمتاحف بالتعاقد مع شركات متخصصة بالكهرباء والنظافة بالقيام بهذين المتحفين فقط ، أما المتحف الوطني فيشرف على تشغيل وصيانته إنشائياً وفنياً مركز المشاريع والصيانة بالهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ضمن مركز الملك عبدالعزيز التاريخي وهي تقوم بواجبها في هذا الجانب بكل دقة واقتدار .

إداراتــها :

الحديث عن إدارة المتاحف بطول ويتشعب لذا سأتناوله بالإيجاز الشديد . إن التخطيط الإداري للمتحف يعتمد في المقام الأول على الدراسات المبنية على وظائف المتحف وأهدافه وكفاءة التخطيط الشامل ويتوقف ذلك على خبرة وبعد نظر المصمم ولعله من المناسب هنا أن نفرق بين مفهومين للإدارة في المتحف أولهما المفهوم الإداري وثانياً المفهوم الفني فمن الناحية الإدارية نجد أنه من الأفضل في المتاحف الكبيرة أن يكون لها مدير متحف وفي المتاحف الصغيرة يتولى مسؤوليتها أمين متحفها كما يكون لكل قسم من أقسام المتاحف الكبيرة أميناً مثل : أمين قاعة الكون ، وأمين قاعة الآثار ، وأمين قاعة التراث الشعبي وهكذا وقد تقدر الإدارات وتتشعب الأقسام ويصبح من الضروري إيجاد إدارة لكل قسم تمتاز بالتخصص الدقيق لذلك القسم مثل أن يكون أمناء للأقسام الفرعية للقسم الواحد فعلى سبيل المثال قسم الحيوان نحتاج إلى أمناء معرض الثدييات ومعرض الطيور ومعرض الحشرات فاحتواء الهيكل التنظيمي لهذه التخصصات الدقيقة في العرض الواحد هو أحد روافد النجاح في تحقيق الأهداف المنشودة من قبل مجلس الإدارة كما أن توزيع الصلاحيات وتسليم المهام الفنية والإدارية في كل قسم للمتخصصين والخبراء يسهل عملية الاتصال الإداري واتخاذ القرارات الإدارية والفنية ومن ثم تنفيذها ورسم استراتيجية العمل حسب الخطة الشاملة والهادفة إلى تشغيل المتحف ككل ، وعند وضع البنية الإدارية للمتحف يجب وضع إستراتيجية أو خطة عمل للأقسام جميعها ملاحظة إنه يمكن أن تختلف هذه الخطة من قسم لأخر طبقاً لاختلاف التخصصات والأعمال التي يتميز بها كل معرض عن الثاني أو كل قسم إلا أن شكل الاستراتيجية النهائية للمتحف يكون واحداً لذا فإن أي تراخي لأي قسم في القيام بعمله الوظيفي سيؤثر في النهاية على الخطة العامة للمتحف وشكل البيئة الإدارية هذا يتكون من (الإدارة العليا) ويأتي بعدها الإدارة والتي يتفرع منا الأقسام الإدارية والمالية - والأقسام الفنية - المعارض - الخدمات العامة ومن أهم عوامل نجاح العمل الإداري هو الاتصال الإداري الذي يتخذ عدة أشكال ومستويات مثل الاتصال الرأسي ما بين الهرم وقاعدته والاتصال الأفقي الذي يربط بين الوحدات الإدارية في المؤسسة الواحدة والاتصال العكسي والذي يبدأ من قاعدة الهرم الوظيفي إلى قمته ولكل نوع من هذه الاتصالات دورة الفاعل في

نجاح العمل الإداري في المؤسسات المختلفة ولا شك أن الاتصال الإداري في الجهة الواحدة نشاط ديناميكي ينتج عنه الالتقاء حول الآراء والاقتراحات كما يولد روح التعاون البناء بين منسوبي العمل ويتضح لهؤلاء التسلسل الوظيفي في حين عملهم ، وهناك اقتراح من بعض المتخصصين حول تكون هيئة إدارية للمتحف حسب نوعه وحجمه وذلك كما يلي :

١ - المتحف المحلي :

مدير ومساعد له ، وكاتب ، ومساعد فني ، وحارسان ، ومنظفان .

٢ - المتحف الإقليمي :

يتكون من مدير وأربعة أمناء يتولى كل منهم مهمة الإشراف على قسم منفصل خاص به وكل قسم في هذه الحالة (يحتاج إلى مساعد فني وكاتبين لتسجيل الأوراق والوثائق) وأثنى عشر حارساً وثمانية منظفين ، بالإضافة إلى نجار وصباغ أي دهان وعامل كهربائي والمدير في هذا هو المشرف العام على كل شيء ويساعده الأمناء الأربعة المذكورين بالإشراف على الفنيين والكتاب والحراس والمنظفين .

٣ - المتحف الوطني :

يتكون من مدير يعمل معه أربعة أمناء يشرف كل منهم على قسم مستقل وينقسم كل قسم إلى ثلاثة فروع وكل فرع يديره أمين مساعد متخصص في موضوعات الفرع الذي يتولى إدارته وكل أمين مسؤول عن مقتنيات قسمه وهذه المهام بهذه المقتنيات يحتاج كل قسم إلى نوعية من الأعضاء ، وأعضاء للوصول إلى أماكن النماذج وتنظيمها في قاعات العرض والمخازن وغيرها والآخرين فنيون مجهزون بوسائل البحث والعمل في المختبرات والعمل الفني للترميم والصيانة ، وهذا بدورة يحتاج إلى أربعة مساعدين وفي المختبرات يجب أن يعمل مساعدان فنيان على الأقل ، بالإضافة إلى سكرتير لكل أمين متحف ومدير حسابات وعدد من الكتاب وساعي بريد وعدد من الفنيين كالنجارين والدهانين وعمال الكهرباء وحدادون ومهندسون لمراقبة التكييف وصيانتها ومستخدمين وخمسة عشر حارساً لأمن المتحف وثلاثين منظماً وبهذا يبلغ مجموع العاملين في المتحف حوالي (١٠٠) شخص وكلما اتسع المتحف وزادت مقتنياته وكثر زائريه زاد عدد موظفيه .

ومما يجب ملاحظته أن تنقل تجربة بعض المتاحف العالمية نتيجة للنجاحات التي حققها هذه المتاحف في خططها الإدارية والفنية بأخذ ميزها إلى متحف أخر لأن لكل متحف بيئته التي نشأ فيها والأهداف الخاصة به والتي تختلف بالشكل والمضمون وغير ذلك من الأسباب التي قد يعيق تنفيذ الخطط المنقولة من المتاحف العالمية ، كما أن نجاح العمل الإداري والفني في المتاحف يعتمد على الجهاز الإداري والفني القادر على إدارة دقة أعمال هذه المنشآت بكل كفاءة وقدرته أيضاً على تنفيذ الخطط العملية المرسومة له .

وعندما تتطلع إلى إدارة المتاحف في متاحف الآثار في المملكة نجد أيضاً إنها تحتاج إلى إعادة نظر في تشكيل الهيئة الإدارية لها أو في رسم الخطط أو الاستراتيجيات لتحقيق الأهداف المرجوة منها وهذا العجز الإداري يتضح في كثير من المتاحف المحلية والإقليمية على وجه الخصوص فهذه المتاحف تعاني من نقص في الموظفين المتخصصين سواء في العدد أو المؤهلين في إدارتها حيث نلاحظ إنه يوجد مسؤولين عن بعض هذه المتاحف غير متخصصين ولا مؤهلين في أعمال الآثار أو المتاحف والتاريخ حسب طبيعة أعمال هذه المتاحف كما أن الأشراف الإداري العام هذه المتاحف تتولاه الوقت الحاضر إدارات التعليم في المناطق والمحافظات وهذه بلا شك مسؤولياتها جسام في متابعة أعمال التعليم في المدارس في الجهات التابعة لها الأمر الذي أخذ بأخذ من المتابعة المثالية أو المطلوبة لأعمال هذه المتاحف مع أن هذه الإدارات تبذل قصارى جهدها في ذلك إلا إنه لا بد من حدوث قصور في هذه النواحي للأسباب آنفة الذكر أما دور الوكالة بالأشراف الغير مباشرة على هذه المتاحف فإنه يكون مكملاً لإشراف إدارات التعليم ولكن هذا العمل خلق بعض الازدواجيات وأوقع بعض العاملين والمسؤولين في هذه المتاحف بالحرج فضلاً عن أن هذه الإدارة غير متخصصة في أعمال الآثار والمتاحف مما يكون توجيه الموظفين وتكليفهم بالأعمال قد لا يحالفه التوفيق أملاً أن تحاول الوكالة في القريب العاجل ربط متاحف ووحدات الآثار بالمملكة بها مباشرة وإعادة توزيع الأعمال عليها بموجب خطة مدروسة بهذا الشأن وتزويد هذه المتاحف بالكوادر الإدارية والفنية اللازمة .

أما المتحف الوطني فقد وضعت له خطة عمل إدارية وفنية تشرفت بوضعها عندما كنت مديراً عاماً له حيث أقرت هذه الخطة من قبل سعادة وكيل الوزارة للآثار والمتاحف ومن معالي

وزير المعارف ومن رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز حيث أحيلت إلى وزارة المالية لتوفير الوظائف الإدارية والفنية المطلوبة لتشغيل المتحف المذكور كما تم عمل خطة تشغيل للمتحف المذكور من قبل الإدارة العامة للمتحف وأقرت هذه من الجنة الوكلاء في وزارة المعارف ووافق عليها معالي وزيرها وهي خطة طموحة تحتاج إلى هيكل إداري وفني مناسب لتنفيذ ما جاء بها .

أما إدارة متحف الآثار بجامعة الملك سعود فهو نموذج طيب حيث تم توفير الكوادر الفنية والإدارية المناسبة له وهو يدار بشكل علمي طبقاً لأهدافه التعليمية .

الأمن والسلامة :

أصبح الأمن والسلامة من الأعمال الضرورة والأساسية في وقتنا الحاضر لأي منشأه يرتادها كثير من الناس أو أن لأعمالها علاقة مباشرة بأمورهم الحياتية وخاصة البنوك أو لأجهزة الأمنية أو المتاف وحيث أن الذي يهمنا بهذا الجانب هو الأمن والسلامة في المتاحف فإن أهم إجراءات الأمن والسلامة تتلخص فيما يلي :

١ - **المراقبة** : وذلك الحفظ النظام في أقسام المتحف وصالات معارضة ومراقبة المقتنيات المعروضة أثناء دخول الزائرين ويتوقف عدد المرقبين على حجم المتحف ونوعية مبانيه فالبناية الكبيرة تحتاج إلى عدد كبير من المراقبين ، والمراقبة يجب أن تكون مستمرة حتى في أوقات العطلات الرسمية وأوقات خروج موظفي المتحف لانتهاء الدوام فلا بد من وجود المراقبين بشكل دوري وحسب جدول توزيع منظم .

٢ - **الحراسات الأمنية** : وهؤلاء يتولون حراسة المبنى والمقتنيات في الأوقات التي لا يدخل فيها الزائرون إلى المتاحف فإن كان العمل في المتحف يستغرق ٨ ساعات في اليوم فإنه تبقى ١٦ ساعة يتوجب وجود حراس أثناءها وينبغي تنظيم هذه الحراسات بموجب جدول زمني حتى يستطيع مدير المتحف أو أمينه أو غيرهما من متابعة التنفيذ كما أن توفر وسائل الاتصال الهاتفي مع دوائر الشرطة في الحالات الاضطرارية يساعد الحراس في حل كثير من مشاكل عملهم .

٣ - **الحرائق** : فكما هو الحرص على حماية المجموعات المتحفية فيلزم أيضاً خضوع

المبنى لترتيبات إجبارية تستهدف في حماية الجمهور أيضاً يتعلق الوقاية من الحرائق ، ويعتبر التنظيم العام لكل شخص مساحة قدرها ٥ متر كحد أقصى و٣ و٢ كحد أدني وفي حال زيادة العدد عن هذا الحد لا بد من وجود مخارج تسمح بالإخلاء السريع (باب ، مخرج نجاة ، منطقة سير ، درج ، ممر / مصعد ...الخ) يتواجد فيها لوحات إرشادية نحو الاتجاه لا تترك أي شك في الوصول إلى المخرج ويجب أيضاً أن تراعي عند إنشاء المتاحف المواد المناسبة التي تقادم معدلات الحرارة العالية كما يجب أن لا يكون هناك مادة قابلة للاحتراق ما بين الأسقف المستعارة والسطح بل يكون المكان حراً مغلقاً وإذا كان يوجد بالموقع مظلات فيجب أن يكون لها هيكل حماية وكذلك يجب أن يتمتع المتحف بوسائل نجاة ومطافئ حريق تثبت في الصالات والمخازن ذات ماء رذاذي سته (٦ ل) من أجل ٢٥م ٢ ومطافئ غاز – - CO2 وزن ٢ كجم بالقرب من اللوحات الكهربائية هذا بالإضافة إلى إنارة والتي يجب أن تعمل في أي طارئ في معابر النجاة .

٤- **استخدام التقنية الحديثة في الأمن والسلامة** : نظراً للتطور التقني الذي حصل في أجهزة وأنظمة الإنذار والمراقبة فإنه ينبغي الاستفادة القصوى من هذه الأجهزة في أمن وسلامة المتاحف ومن الأجهزة المعنية ما يلي :

١ – أجهزة الإنذار وهي نوعان :

(أ) أجهزة إنذار مرتبطة بنماذج الطوارئ والمرتبطة بكاسرات الزجاج وحالات الحريق.

(ب) أجهزة إنذار مرتبطة بالمعروضات بواسطة حساسات .

٢ – كمرات مراقبة وتغطي كل المواقع المطلوب مراقبتها في المتحف .

٣ – بوابات إلكترونية وذلك لكشف المعادن والأسلحة .

٤ – أجهزة السلامة ومكافحة الحريق .

٥ – نظام الأشعة المنعكسة الموصلة بجهاز إنذار وتعمل بمجرد مرور أي شخص من خلالها .

٦ – المنظم الآلي لكشف كسر زجاج النوافذ .

٧ – استخدام الفخ بواسطة الأشعة في الممرات والسلالم .

٨ - القوة الحرارية وهي الحرارة التي تنتج من جسم الإنسان .

(انظر شكل رقم ١٥،١٣) .

على إنه يتوجب عدم الاتصال المطلق على هذه الأجهزة ولا بد من مراقبة وحراسة المتحف والقيام بجولات تفتيشية على أقسام المتحف وخاصة قاعات العرض كما إنه يتوجب تدريب هؤلاء المراقبين وحراس الأمن على استخدام هذه الأجهزة ويمكن أيضاً تخصيص مراقبين بملابس مدنية زيادة في الحرص والمراقبة بالإضافة إلى عمل الاحتياطات الأمنية اللازمة وعمل التجارب التي يمكن المكلفين بالأمن والسلامة من التصرف الصحيح عند حدوث أي طارئ لا قدر الله مثل الحرائق موجود متفجرات وخلاف ذلك .

وعندما نطبق قواعد الأمن والسلامة على متاحف الآثار في المملكة نجد أنها لا تتمتع بهذه القواعد باستثناء المتحف الوطني باعتباره متحف حديث وأدخلت فيه منذ تصميمه إجراءات الأمن والسلامة بالإضافة إلى التعاقد مع شركة أمنية متخصصة بهذا الشأن وهي تقوم بتطبيق هذه القواعد حسب الإمكانيات المتوفرة لها وشروط التعقد بالإضافة إلى متحف الآثار الجامعة الذي يطبق الناحية الأمينة من خلال وحدة مراقبة الكاميرات والحراسة الأمنية على مدار الساعة أما المتاحف الأخرى وأعني بها متاحف الآثار الإقليمية والمحلية فإنه لا يوجد بها سوى حراس مبنى للمتحف بمعدل واحد لكل متحف أغلبيتهم من كبار السن مما يتطلب إعادة النظر في إجراءات الأمن والسلامة من هذه المتاحف والاهتمام بذلك .

الدور التثقيفي والتعليمي :

إن الحديث تحت هذا العنوان ذو شجون ويحتاج إلى بحث بمفرده لهذا فإني سأتناوله بإيجاز . فالمتاحف قنوات اتصال تعليمية وثقافية وإعلامية وتلعب المعروضات المتحفية دوراً هاماً في ذلك ولكل نوع من أنواع المتاحف مدلول ومعنى يستقي ذلك من واقع معروضاته وأسلوب العرض فيه لهذا فإن المتاحف مصادر ثرية بالمعلومات النادرة التي قد لا تتوفر في مكان آخر خاصة وأن تعريف المتحف يؤكد على إنه مؤسسة تعليمية نظراً لما يقدمه من معلومات كثيرة تثري العملية التعليمية بل إن استخدام الهيئة التعليمية في المتحف للنظام التعليمي يعتبر بلا شك تغيير للمفهوم التعليمي من التلقين والحفظ إلى التعلم عن طريق

التفاعل المباشر مع الخبرات الواقعية التي يقدمها المتحف وقد ظهرت بهذا الشأن نظريات متعددة منها :

نظرية الاتصال التعليمي التي تنص " أن عملية الاتصال تتم بنقل المعلومات من مصدرها إلى الجهة أو الجهات المرسلة إليها من خلال طرق أساسية لا تتم هذه العملية إلا بها تعتمد على مُصَدِّر المعلومات ومستقبلها " ، وتخضع هذه العملية لعدة أمور قد تزيد من كفاءتها أو تقلل منها وينبغي نقل رسالة المُسْتَقبِل المتحف بكل دقة والتأكد التام من معلوماتها وتدوينها وإرسالها إلى بحيث تكون متسلسلة الأفكار مدعمة بالأمثلة والبراهين وتبسيط الحقائق العلمية وربط المفهوم بالواقع في شرح المواضيع وكل ذلك أمور مهمة في إيصال هذه المعلومات أو تقريبها إلى ذهن متلقيها وبالتالي يتحقق الهدف المنشود من إيصال الرسالة مع ملاحظة أن ذلك يتطلب مهارات قد تكون موهبة أو مكتسبة وتعتمد في قدرة المتحدث على إيصال المعلومة وربطها في الواقع وهذه الميزة تكتسب من النواحي الثقافية والاجتماعية في المجتمع كما أن درجة إتقانها تخضع للفروق الفردية لدى البشر مثلها في ذلك مثل أي مادة تعليمية وضمن المشاكل التربوية التي يعاني منها رجال التربية والتعليم ، والاتصال في المتحف له شكلين مختلفين فأما أن يكون متوالياً أو متوازياً فالأول يعتمد على أسلوب العرض لمجموعة من العينات تربطها أو تكملها فكرة واحدة مثل التسلسل التاريخي لإحدى الحضارات القديمة أما الأخر فيعتمد على أسلوب العرض للعينة الواحدة وذلك لأغراض المقارنة والتأكيد والمطابقة مثل عرض عينة من الفخار مصاحباً لها رسم تخطيطي لنفس العينة إلى جانب صورة فوتوغرافية . أي أن لها ثلاثة عروض ، على إنه ينبغي الإشارة إلى إنه يلزم إيصال رسالة المتحف إلى المجتمع دراسة مستفيضة لهذا المجتمع الذي يخدمه المتحف حتى يتمكن العاملون في المتحف من التعامل مع هذه الرسالة المتحفية بشكل يتناسب مع جميع شرائح المجتمع وبالتالي تستطيع إدارة المتحف من وضع الخطة التعليمية المناسبة للمجتمع المحلي حتى ينهض المتحف بدوره المهم كوسيلة إيصال ثقافية تعليمية .

وينبغي التوفيق بين نشاطات المتحف والنشاط العام لشرائح المجتمع في المنطقة التي يوجد فيها المتحف ليكون هناك ترابطاً وثيقاً بين المتحف وزائريه وحتى تتاح الفرصة لكل فرد في هذا المجتمع للاستفادة من المتحف وما يزخر به من علم وثقافة خاصة في الفترة المسائية

التي يزيد فيها هذا النشاط ويتقلص ذلك خلال الفترة الصباحية ، حيث تنحصر نشاطاته في استقبال طلاب المدارس ونحوها .

إن تصميم البرنامج التعليمي في المتحف يخضع لعناصر رئيسية تترابط مع بعضها البعض للوصول إلى الهدف المطلوب فلا بد أن يكون دور المدرس في المتحف دوراً فعالاً من ناحية الأعداد والتصميم والتنفيذ وبعد ذلك التقويم للبرامج التعليمية التي ينتهجها المتحف وحسب البيئة التعليمية المتحفية حيث يمكن الطالب أن يمارس فيها النشاط التعليمي بيسر وسهولة تحت إشراف المدرس المرافق مع مجموعة الطلبة أو المشرف التربوي في المتحف فكلما كان المدرس مدرباً على استخدام المتحف ومتفهماً لدوره التعليمي حسب الخطة التعليمية في المتحف كلما كان استخدامه للمتحف لهذا الغرض مثالياً .

ولا شك أن الأهداف التعليمية للبرنامج هي الغاية الأساسية التي يسعى إليها رجال التربية والتعليم ويحرصون بأن تكون ضمن أهداف الخطة التعليمية وعن طريق هذه الأهداف ووضوحها من قبل المخطط والمنفذ والمستفيد من العملية التعليمية يمكن اختيار أسلوب التدريس أو التدريب والمكان والزمان والاحتياجات الضرورية لعملية التعليم أو التدريب ويمكن أن تصاغ هذه الأهداف على شكل أهداف سلوكية يقاس التعبير في السلوك من خلال الحصيلة التعليمية لدى الدارس على أن هناك عوامل لا بد من توفرها عند الشروع في تصميم أي برنامج وكذلك توفر المختصين في عمليات التدريس واستخدام وسائل الاتصال التعليمية وقدرة هؤلاء على تقويم البرامج ، فضلاً عن وجود نظام متكامل لإيصال الخدمات التعليمية إلى المؤسسات الأخرى المماثلة ... .الخ .

ويجب على الهيئة التعليمية في المتحف تنظيم وتطوير العلاقات مع المدارس وذلك بزيارتها والالتقاء والتحدث مع تلاميذها وعرض ما يحملونه معهم من تحف أو نماذج لها من المقتنيات الأثرية في المتحف خاصة وأن بعض هذه المدارس ربما لا تتمكن من زيارة المتحف لأسباب عديدة منها بعد المتحف وصعوبة المواصلات كما يمكن للمتاحف من إعارة بعض مقتنياتها للمدارس المعنية بموجب خطة ونظم مدروسة وبعد التشاور مع إداراتها بالإضافة إلى التوضيح لمن يريد استخدامها بأتباع أفضل الطرق في الشرح والعرض مع التوصية بوضع

هذه المعروضات في مكان آمن وملائم . كما إنه يتوجب عند رغبة المدارس تنظيم زيارة لطلابها للمتحف أن يكون هناك تنسيقاً وتخطيطاً وتحضيراً مسبقين لدراسة موضوعات معينة متفق عليها مع إدارة المتحف التعليمية وحسب المنهج الدراسي المقرر ويفضل أن تكون هذه الزيارة في وقت يلائم الطلاب ومعلم المتحف . كما إنه يتوجب وجود كادر تعليمي مدرب في المتحف وقادر على التعامل مع جمع الهيئات لاسيما الأطفال . حيث أخذت المتاحف الحديثة في السنوات الأخيرة في تخصيص قاعة أو أكثر لهؤلاء لتعليمهم وفق مناهج الدراسة فهي بمثابة مختبر لتطبيق أحدث الطرق التربوية الجديدة لتعليم الصغار . ويفضل تمكين هؤلاء من تناول بعض المعروضات أو نماذجها وتداولها بالتناوب وتلمسها حيث يمكن الاستفادة من هذه الطريقة بتنمية إحساس هؤلاء وتقييمهم للأمور التي تصادفهم في الحياة بالإضافة إلى تقوية ملاحظاتهم واستخلاصهم للنتائج وعلى إدارة المتحف تشجيع هؤلاء بمحكاة المعروضات يرسمها وترتيب نماذج مماثلة لها ويفضل أيضاً أن تقوم إدارة المتحف بتخصيص مكان لعرض الأفلام المتحركة والشرائح والاستماع إلى المحاضرات قبل التوجه إلى قاعات العرض ثم يطلب منهم التحدث عن ما شاهدوه في قاعة العرض ومناقشتهم بذلك .

ولا شك أن المعلومات وتشد انتباه الزائرين سواء كانوا طلاباً أو غيرهم كما أن إصدار الكتيبات والنشرات بالمعروضات المتحفية تساعد في إيصال المعلومات المطلوبة إلى رواد المتحف من الفئات المختلفة بالإضافة إلى تنظيم المعارض المؤقتة وعرض الأفلام العلمية وإقامة الندوات والمحاضرات الثقافية والعلمية تمكن المتحف من تحقيق أهدافه التعليمية والثقافية .

إن متاحف الآثار في المملكة لم تقم بمجملها بالواجب التعليمي والتثقيفي بالشكل العلمي المطلوب إنما هناك اجتهادات من قبل إدارات هذه المتاحف بإيصال رسالة المتحف إلى زائريه من فئات المجتمع المختلفة وخاصة المدارس وذلك نتيجة للنقص في البرامج التعليمية والثقافية المعدة إعداداً علمياً حسب المناهج المدرسية أو المتحفية بالإضافة إلى قلة الكوادر التعليمية في المتحف والمدربة على أعماله التعليمية بمعنى آخر لا توجد بيئة تعليمية مناسبة في هذه المتاحف إنما توجد محاولات لإيجاد هذه البيئة وفق منهج دراسي في المتحف الوطني أملاً أن تصمم البرامج العلمية المناسبة لأهداف كل منصف بالشكل العلمي الذي تحدثت عنه في المستقبل القريب .

الدور التدريبي المستمر :

العمل في المتاحف يتطلب إجادة بعض المهارات الفنية في مجال إعداد معروضات المتحف أو في تصميم المعارض ، وتعاني كثير من المتاحف من عدم وجود الكوادر الفنية مما يعيق تقدمها ، من هنا تأتي الحاجة إلى عمل برامج تدريب لسد العجز الموجود في الكفاءات الفنية وتأمين أعداد مناسبة من الفنيين للقيام بمهامهم المتحفية المختلفة باقتدار وهذه البرامج التدريبية تمكن المتدرب من كيفية التعامل والتكيف مع المواد والأجهزة والنظم والأفكار التقنية والرفع من كفاءة المتدربين خاصة في عصرنا الحاضر والذي بدأت فيه العلوم تتطور ومن ضمنها علم المتاحف ، الأمر الذي أصبحت معه برامج التدريب ضرورة ملحة المجارات هذه التطورات وخاصة التطور الفني ، الأمر الذي يدعو إلى تصميم البرامج حسب الاحتياج الفعل لهذه المتاحف وفق خطة علمية دقيقة ، وعند تصميم دورة تدريبية لابد من الأخذ بعين الاعتبار هذه المراحل :

١ – مرحلة الإعداد لهذه الدورة .

٢ – مرحلة التنفيذ .

٣ – مرحلة التقويم .

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطوات وإجراءات يجب مراعاتها . والتدريب المستمر هو مواصلة التعليم أحد فروع العلم لمعرفة أحر المستجدات العصرية في هذا العلم والإلمام بها والتعرف على ما توصل إلية من اختراعات ونتائج أبحاث مستمرة ، من هنا فإن برامج التدريب المستمر تخضع لعدة أمور تخدم أهدافه وهي :

١ – الهدف التعليمي .

٢ – الهدف الثقافي .

٣ – التطبيقات المرغوبة لذا فإن التعليم والتدريب المستمر يتطلب جهوداً وطاقات بشرية وفنية والاستفادة من وسائل الاتصال التعليمي الحديثة ووسائل الأعلام المرئي والمسموع وغير ذلك مع ملاحظة أن هذه البرامج التدريبية ممكن أن تكون بشكل جماعي أو فردي تحت معايير علمية وتربوية كما أن الجهات تتولى تنفيذ البرامج التدريبية المتحفية هي بعض المتاحف العالمية

مثل المتحف البريطاني ، وبعض المتاحف الأمريكية مثل المتروبوليتان في مدينة نيويورك وغيرهما بالإضافة إلى الجامعات التي يوجد بها أقسام متخصصة في علم الآثار والمتاحف .

لاشك أن متاحف الآثار في المملكة تحتاج إلى تدريب منسوبيها في تخصصاتهم المختلفة والرفع من كفاءتهم العلمية والفنية سواء في إدارة المتاحف أو في الأعمال الفنية مثل ترميم وصيانة الآثار والمساحة الآثارية والتصوير الفوتوغرافي والتسجيل العلمي للمقتنيات الأثرية وغير ذلك حتى تستطيع هذه المتاحف من تحقيق أهدافها وتنفيذ خططها التعليمية والثقافية ، وآمل أن يولي المسؤولون عن هذه المتاحف جل اهتمامهم لأهميتها في تطوير قدرات الفرد ورفع مستوى العمل .

التوصيات والمقترحات

١ - ربط جميع المتاحف الإقليمية والمحلية مباشرة بوكالة الآثار والمتاحف وذلك لتفعيلها أكثر وتحقيق الأهداف المرجوة من إنشائها وأن استمرار التبعية المباشرة لإدارة التعليم فيه ضرر كبير على الآثار ومنسوبيها في المناطق نظراً لاختلاف التخصصات والمهام حيث يمكن للوكالة أن تكلف مدراء المتاحف في المناطق المعنية بمسئولية المتاحف والآثار وتربطهم بخط ساخن بينهم وأن تمارس إدارة المتاحف بالوكالة مهمتها بهذا الشأن .

٢ - تفعيل موظفي المتحف ورفع كفاءتهم وقدراتهم العلمية والإدارية وذلك بترشيحهم على دورات متخصصة في المتاحف وغيرها من الدورات المفيدة لهم في أعمالهم .

٣ - تزويد المتاحف بموظفين أكفاء متخصصين في الآثار والمتاحف أو التاريخ أو قسم الحضارة أو قسم الجيولوجيا إلى جانب باحثين للقيام بأعباء الأعمال المتحفية والتنقيب الأثري .

٤ - تأصيل روح الانتماء وتوزيع المهام والمسؤوليات بما يضمن مصلحة العمل بالإضافة إلى بث روح التعاون البناء بينهم .

٥ - المتابعة المستمرة لأعمال منسوبي المتحف عن طريق تقارير شهرية وزيارات مفاجئة ومتابعة تلفونية ومسائلة المقصرين .

٦ - الاجتماع ببعض منسوبي المتاحف بشكل دوري في الوكالة أو زيارتهم في موقع أعمالهم والتناقش معهم حول سير العمل وسبل تطويره .

٧ - حث وتشجيع الموظفين على تطوير أنفسهم ومتابعة ما يستجد من معلومات في المتاحف والآثار دون الاعتماد على ما سوف تقدمه لهم الوكالة .

٨ - متابعة شؤون العاملين في المتاحف فيما يتعلق بالترقيات والمكافآت مما يرفع من معنوياتهم ويزيد من إخلاصهم ومثابرتهم وجدهم في العمل .

٩ - إبراز دور المتحف الثقافي عن طريق إقامة بعض الندوات المتخصصة علمياً وثقافياً والتعاون بذلك مع الجهات ذات العلاقة والتنسيق بهذا الخصوص مع إدارات التعليم

ووكالة الآثار والمتاحف وذلك لرفع الوعي الأثري والثقافي في المنطقة والاستفادة من الأماكن المجهزة داخل تلك المتاحف .

١٠- تجديد معروضات المتحف بما تم اكتشافه حديثاً في المنطقة .

١١- إعادة عرض وتوزيع المعثورات والقطع الأثرية داخل الفترينات بطريقة علمية متجانسة .

١٢- محاولة توفير ٥٠٪ على الأقل من المعثورات التراثية للمناطق أو المحافظات التي لا يوجد في متاحفها ما يصل للنسبة المذكورة أما عن طريق التنقيب أو الشراء أو الإهداء .

١٣- معالجة بعض القطع الأثرية وترميمها بأسرع وقت ممكن .

١٤- تعيين مرممين ومساحين ومصورين للاستفادة من الأماكن والأجهزة والمعدات والآلات والمواد داخل المتاحف فلو تم وضع خطة مبدئية بتعيين مرمم في متحف تيماء ومساح في متحف العلا ، ومصور في متحف الجوف ثم يتبادل هؤلاء الأماكن دورياً كل ثلاثة أشهر أو أربعة بالإضافة إلى سهولة تجميعهم أثناء إجراء تنقيب أثري في أحد تلك المناطق أو المحافظات أو أي عمل يتطلب حضورهم أو حضور أحدهم .

١٥- عمل كتيبات بالمعلومات المطلوبة والمدونة في اللوحات الكبيرة داخل المتحف وتوزيعها على الزائرين للاستفادة منها بشكل أفضل .

١٦- تخزين الآثار والتراث في مستودعات المتاحف بطريقة علمية وذلك بفرزها وتنظيمها بما يكفل الاستدلال عليها بيسر وسهولة .

١٧ - الإسراع في عملية توثيق الآثار والتراث في المتاحف الإقليمية والمحلية للأهمية .

١٨- كتابة المعلومات الأساسية للمعروضات دون الاعتماد على الوصف فقط . وأقصد بالمعلومات الأساسية (الوظيفة ، الموقع ، الفترة التاريخية) .

١٩- عمل بطاقات معلومات لبعض المعثورات والتراثية المعروضة .

٢٠ - ضبط درجات الحرارة والرطوبة داخل فترينات العرض والمتحف .

٢١ - إصلاح الأجهزة المعطلة أو استبدالها بأخرى أحدث منها وإدخالها بعقود دورية .

٢٢ - إصلاح السباكة وإدخالها ضمن عقود الصيانة .

٢٣ – تحسين الإضاءة داخل المتاحف وخارجها .

٢٤ – القضاء على حشرة النمل الأبيض (الأرضة) في متحف صبيا وعمل الحلول المناسبة لذلك بأسرع وقت ممكن حيث أن رشها بمبيدات شهرياً لم يحل المشكلة وقد قضت هذه الحشرة على معظم أثاث المتحف وجدرانه وأرضياته (انظر الشكل رقم ١٨،١٩) .

٢٥ – استبدال أثاث متحف صبيا بأثاث معدني قدر الإمكان .

٢٦ – العمل على متابعة إنجاز السد الخرساني المساند لمتحف صبيا لأهمية حيث أن الموقع في وسط وادي .

٢٧ – المحافظة على أثاث السكن في كل متحف وتنظيم الدخول والسكن فيه .

٢٨ – غسيل واستبدال سجاد بعض المتاحف وكذلك بعض الستائر .

٢٩ – جرد جميع محتويات المتحف من آثار وأثاث وخلافه التالف منها والصالح للاستعمال وتسليمه من جديد بموجب بيانات مفصلة .

٣٠ – تزويد بعض المتاحف بسيارات وإصلاح ما هو معطل منها أو استبدالها بأخرى للمتاحف المخصصة لها هذه السيارات .

٣١ – تعيين حراس أمن بعدد مناسب قادرين على التعامل مع الظروف الطارئة وتزويد هذه المتاحف بأجهزة إلكترونية للمراقبة على مدار ٢٤ ساعة .

٣٢ – عمل ترميمات عاجلة لقصر خزام بجدة والطائف لأهمية المبنيين من الناحية التاريخية والجمالية (أنظر صور أرقام : ٢٠،٢١) .

٣٣ – أقترح أن يتم استئجار مبنى مناسب في مدينة الدمام ليكون مقراً لمتحف الدمام الإقليمي بدلاً من مقره الحالي لحين إنشاء المتحف الدائم .

٣٤ – الاهتمام بنظافة المتاحف ومعروضاتها من الداخل والخارج ومسائلة المكلفين بذلك (انظرشكل رقم ٢٢) .

٣٥ – الحرص على فتح وإغلاق فتارين العرض وتفقد ذلك بشكل يومي بالإضافة الزجاج المتحطم في بعض واجهات المتاحف .

٣٦ - التأكيد على مدراء المدارس ومن خلال تعاميم وزارية ملزمة بالقيام بزيارات دورية للطلاب للمتاحف المحلية والإقليمية في كل منطقة تعليمية وكذلك إلزام المدارس الأهلية بذلك ووضع برامج تعليمية وثقافية مناسبة جميع منهج دارسي والتنسيق ذلك مع إدارة المتحف .

٣٧ - تزويد المتاحف المختلفة بمطبوعات وأفلام تظهر وتوضح المعالم الأثرية والتاريخية والتحف النادرة التي يراها الدارس والزائر لكل متحف .

٣٨ - تكليف العاملين بالمتاحف المختلفة بزيارات دورية للمدارس المختلفة وإلقاء محاضرات للتعريف بالمتحف ومحتوياته في كل منطقة وبهذا الخصوص لابد من تحويل العاملين في مجال المتاحف إلى كادر التدريس أو إعطائهم حوافز مادية تساعدهم على تنفيذ هذا المطلب بكل يسر وسهولة .

٣٩ - تزويد المدارس التي تبعد عن المتاحف بأفلام وأجهزة فيديو لعرض أفلام تحوي تراثنا الخالد وليكن ذلك ضمن درس التربية الوطنية .

٤٠ - ضرورة التنسيق بين وزارة المعارف ووزارة الإعلام بعرض صور لتراثنا الوطني الثابت والمنقول خلال تقديم برامج الأطفال أو الاستراحات الفاصلة بين برنامج وآخر .

٤١ - إصدار دليل آثاري متكامل يوضح جميع المتاحف بالمملكة بمحتوياتها المختلفة وفيه معلومات كافية عنها .

٤٢ - إصدار طوابع بريدية توضح أهم المعالم الأثرية الثابتة والمنقولة .

٤٣ - التنسيق بين الخطوط العربية السعودية وبين وزارة المعارف وذلك بضرورة إلزام المحلات التجارية في المطارات الدولية بطباعة الكروت التذكارية التي تحمل مناظر مختلفة لأهم المعالم الأثرية والتاريخية إلى جانب ما هو مطروح حالياً .

٤٤ - تزويد المتاحف بملصقات وصور لتوزيعها على الزائرين للمتاحف .

٤٥ - تكليف وإلزام العاملين في المتاحف بزيارات للمتحف الخاصة في مختلف مدن المملكة بغية الإطلاع الدائم على كل ما هو موجود .

٤٦ – تجهيز المتاحف المختلفة بمكتبات قيمة تحوي ما يستجد في مجال علوم الآثار وما يكتبه الطلاب والأساتذة الجامعيون من مقالات وأبحاث في مجال الآثار .

٤٧ – التوسع في العمل المتحفي وذلك باستخدام قاعات تخصص باسم (متحف الطفل) لعرض كل ما هو قديم وحديث ليتسنى للطفل أن يدرك أهم المكتسبات والإنجازات التي يعيشها اليوم وبهذا الصدد لابد أن يصار إلى عرض للأساليب التعليمية القديمة والحديثة حتى يمكن للطفل أن يدرك مستقبلاً ما تحقق له خلال هذا العهد الزاهر من مكتسبات وما عليه إلا الحفاظ عليها وصيانتها وأن يتاح له فرصة محاكاة ما هو معروض بالرسم وضع النماذج ، وتنظيم وترتيب نماذج مماثلة للمعروضات .

٤٨ – إيجاد الحلول المادية لتشغيل العاملين في المتاحف خلال أيام الخميس والجمع ليتسنى للعوائل زيارة المتاحف بيسر وسهولة وخصوصاً في المتاحف الإقليمية والمحلية .

الخـــاتمـة

وهكذا يتضح لنا أن المتاحف لم تعد فقط لعرض المقتنيات الأثرية وخزنها وحفظها بل هي معاهد علمية وتربوية وثقافية ومراكز إعلامية و توعوية لها مناهج وأهداف سامية ونبيلة حسب أنواعها ومقتنياتها ، بالإضافة إلى كونها مظاهر حضارية أخذت الدول والشعوب الاهتمام بها والتسابق على إنشائها للدلالة على رقيها وثقافتها ولتحكي بالأدلة الدامغة على مجدها وتاريخها .

لقد أصبح وجود المتاحف في كل منطقة ومحافظة ضرورة ملحة لرفع الوعي ومستوى الثقافة لدى المجتمع بأسلوب علمي وتربوي جذاب ومشوق يتناسب مع فئات كل المجتمع فضلاً عن كونها أماكن للمتعة والترفيه من هذا المنطلق فإنه يجب الاهتمام بها والتخطيط العلمي الجيد لها سواء اختيار موقعها أو في تزويدها بكل ما تحتاج إليه من وسائل عرض وإيضاحات وكوادر فنية مؤهلة علمياً وثقافياً ومدربة على جميع أعماله وعمل البرامج الثقافية والعلمية والتربوية التي تحقق أهدافه ورسالته ودعمه مالياً وتوفير المقتنيات التي تبث الروح فيه وعرضها بالأسلوب العلمي المنظم والشيء الذي أود تأكيده أن الهدف من هذه الدراسة هو الرغبة الصادقة في تشخيص السلبيات التي تعاني منها هذه المتاحف بصورتها الواقعية للتعرف عليها ووضع الحلول المناسبة لها في القريب العاجل بمشيئة الله تعالى لتستطيع هذه المتاحف من القيام بواجبها نحو المجتمع وطبقاً للأهداف المرسومة لها حسب المأمول كما أود الإشارة إلى أن هذه السلبيات ليس بسبب تقصير من وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف إنما نتيجة عوامل خارجة عن إمكاناتها الإدارية والمالية والفنية وهي تسعى جاهدة للتغلب على كل ما ذكر متمنياً لها التوفيق في مساعيها الصادقة .

المراجـع العربيـة

١ – باشات ، أحمد ، أسس التدريب . القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٧٨م .

٢ – البريهي ، إبراهيم بن ناصر ، تقرير موجز عن المتاحف الإقليمية والمحلية التابعة لوكالة الوزارة للآثار والمتاحف ، ١٤١٨هـ .

٣ – بن يونس ، الحبيب ، " العرض المتحفي بين مقتضيات الجمالية والمحافظة على التحف" ، استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار ، الشارقة ١٩٩٨م .

٤ – تقارير عن أعمال وكالة الآثار والمتاحف من إعداد الوكالة نفسها .

٥ – الجنوبي ، محمد بن إبراهيم ، أمن المتاحف السعودية – الواقع والتطلعات ،الرياض ١٩٩٩م .

٦ – حسن ، إبراهيم عبدالقادر ، وسائل وأساليب ترميم وصيانة الآثار ومقتنيات المتاحف الفنية ، الرياض ، جامعة الرياض ، ١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ .

٧ – خسرف ، سليم ، " توظيف التكنولوجيا والعلوم الحديثة من أجل دعم الصيانة الوقائية للمنقولات التراثية " (خطة لتحديد الرطوبة في المتحف الوطني بباردو) ، استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار ، الشارقة ١٩٩٨م .

٨ – الدباغ ، تقى ، رشيد ، فوزي . علم المتاحف ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩م .

٩ – سليمان ، توفيق ، الفن الحديث في التنقيب عن الآثار ، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب – ١٩٧٢م .

١٠ – سليمان توفيق وآخرون – أعمال التنقيب التدريبية عن الآثار لجامعة قاريونس – بنغازي بليبيا ، ١٩٧٤ – ١٩٨٣م .

١١ – السيد ، صديق محمد قاسم ، محمد ، عبدالرحمن علي " استخدام التقنيات الحديثة في تسجيل وتوثيق المواقع والمقتنيات الأثرية " (نماذج من التجربه السودانية) استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار ، الشارقة ١٩٩٨م .

١٢ – الشاعر ، عبدالرحمن بن إبراهيم ، مقدمة في تقنية المتاحف التعليمية ، عمادة شؤون

المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤١٢هـ .

١٣ – شعيبا ، أنيس ، " استخدام التقنيات الحديثة في أعمال التسجيل والتوثيق ، استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار الشارقة ، ١٩٩٨م .

١٤ – الصغير ، محمد ، " العلاقة بين العلم والآثار " استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار، الشارقة ، ١٩٩٨م .

١٥ – عزام ، إبراهيم عبدالقادر حسن ، مطوية عن متحف الآثار بقسم الآثار والمتاحف في كلية الآداب جامعة الملك سعود – مطابع جامعة الملك سعود .

١٦ – العوامي ، عيادة موسى ، مقدمة في علم المتاحف ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، طرابلس ، ١٩٨٤م .

١٧ – فيليب ، أدامز وأخرون ، دليل تنظيم المتاحف (إرشادات عامة) ، ترجمة د.محمد حسن عبدالرحمن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .

١٨ – الكجك ، يسرى " استخدام التقنيات الحديثة في عرض الآثار والتراث " (تأهيل المواقع)، استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار ، الشارقة ، ١٩٩٨م .

١٩ – كلوب ، بشير ، الجلاد ، سعود . الوسائل التعليمية إعدادها وطرق استعمالها ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دارة العلم للملايين ، ١٩٦٦م .

٢٠ – مركز الملك عبدالعزيز التاريخي – الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض – الرياض ، ١٤١٩هـ .

المراجــع الأجنبيــة

1) Aitken-M .J .(1961) physics and Archaeology Inter Science, Publishers .

2) Bergman, Bugene (1975) . A Design Tour of Some European Museums . New York: Curator .

3) Bloom, B .S . (1956) Taxonomy of Educational Objectives. New York: Mcky .

4) Brawne, M . (1965)The New Museum : Architecture and Display . New York : Frederick A . Praeger, Pub .

5) Coles, Robert (1980) The Children's Room of the Museum of Art",Carnegie Magazine . Pittsbargh: Carnegie Institute, October .

6) Coleman, L .(1950) Museum Buildings, Volume One, . Washington D .C .

7) Dale, (1969) Edgar . Audiovisual Methods of teaching . New York: The Dryden-phess .

8) Douglas, A . (1960)The Administration of Museums, in Organization of Museums, Practical Advice, Museum and Monuments, UNESCO, Paris, 1960 .

9) Dudley, D . (1958) and Bezold, I . Museum Registration Methods, Washington D . C .

10) Dwivedi, Vinod .(1975) Museum Education and Research Modern Museum . India: The Kirpal Printing Press .

11) Fredette, Barbara .(1980) You May Never See Tomorrow with Yesterday's Eyes . Prism . Pittsburgh : Carnegie Institute .

12) Forbes, R . (1928) Metallurgy in Antiquity, Leiden .

13) Forbes, R . (1955)Studies in Ancient Technology, Leiden.

14) Gary Thomson . The Museum Environment, Butterworths-1981 .

15) Harrison, Molly .(1978) Changing Museums . England : Edinburgh Neill and Co.

16) Laurence, V .C .(1939) The Museum in America, Washington D .C .

17) Lohse, R . (1954) New Design in Exhibition, New York.

18) Mager . R . F .(1975) Preparing Instructional Objectives 2nd. ed. Belmont California: Fearon - Pitman Publishers Inc .

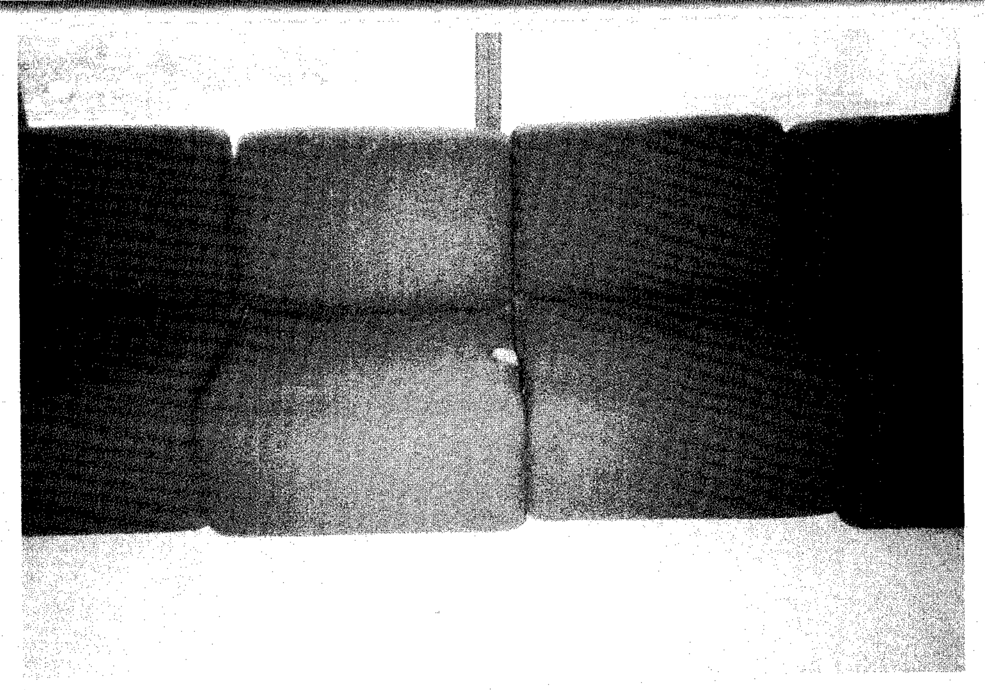
19) Plenderleith, H . (1956) The Conservation of Antiques and Works of Art, London .

20) Stout, G .(1948) The Care of Pictures, New Yerk .

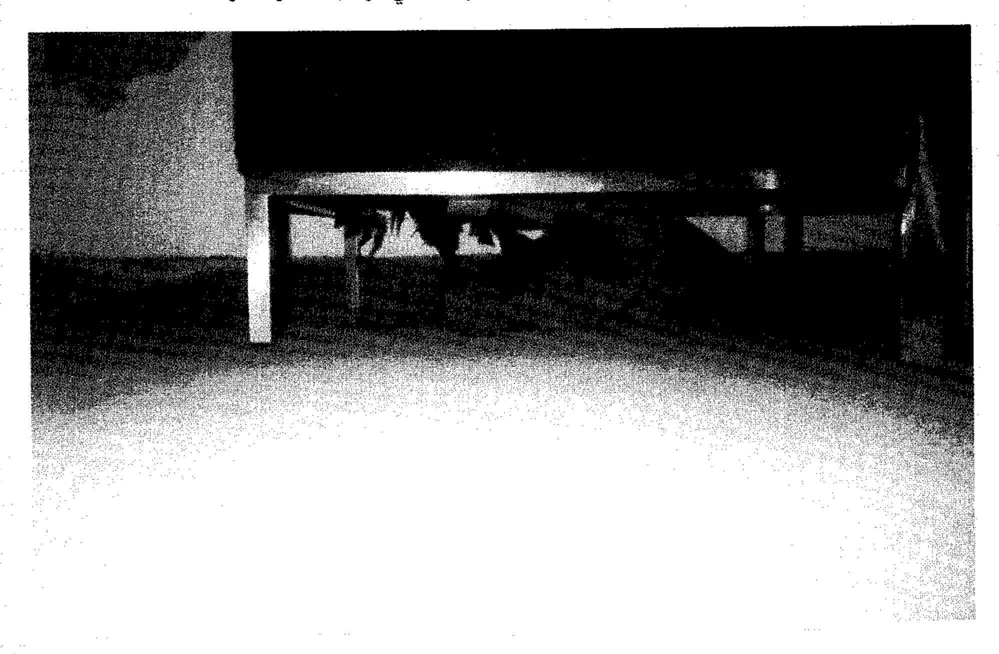
21) Sugden, R .(1940) Care and Handling of Art Objects, New York .

22) Sharer, Robert J .(1982) Ashmore, Wendy, Fundamentals, London .

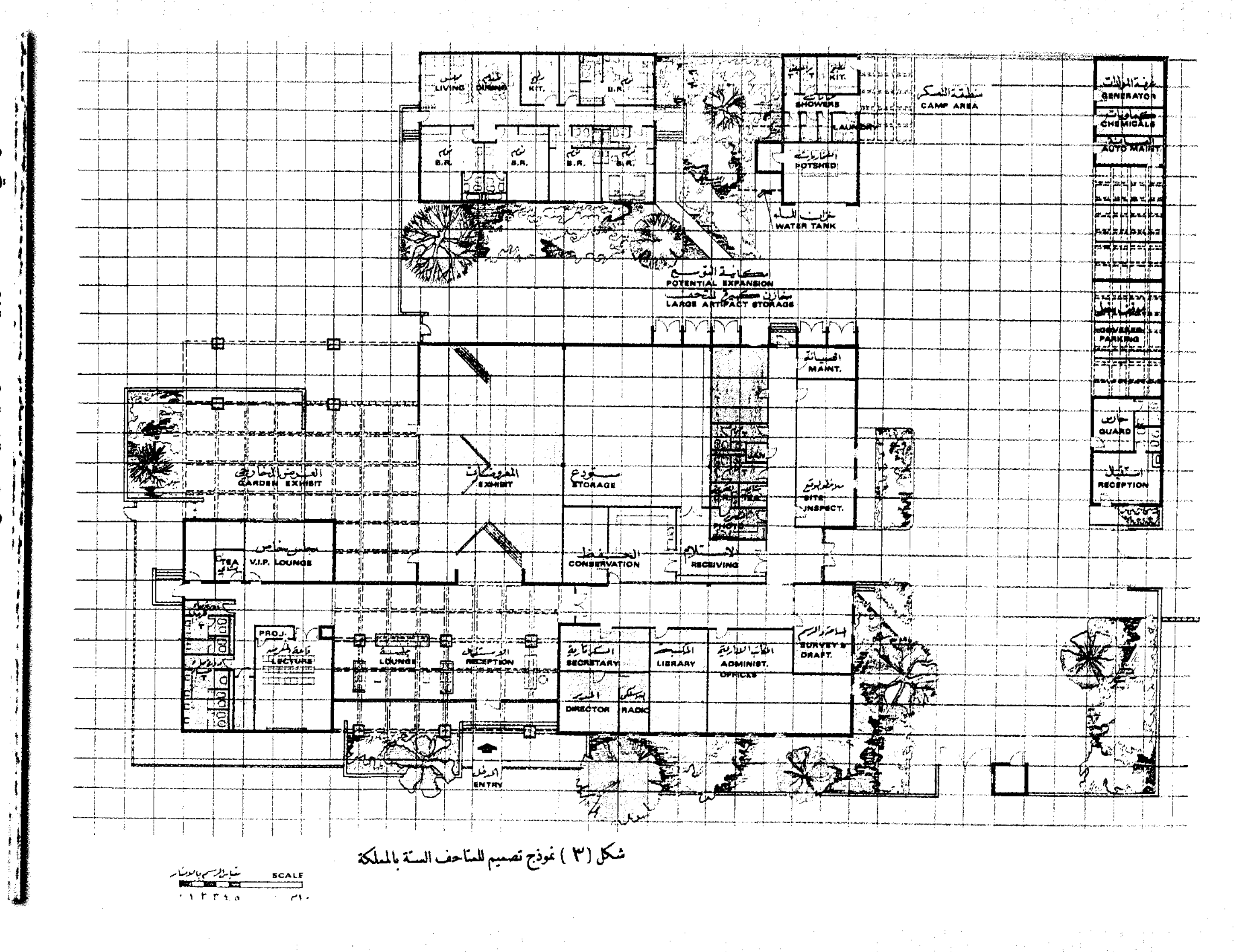
23) Wittlin, A . (1949)The Museum, its History and its Tasks in Educa tion, London .



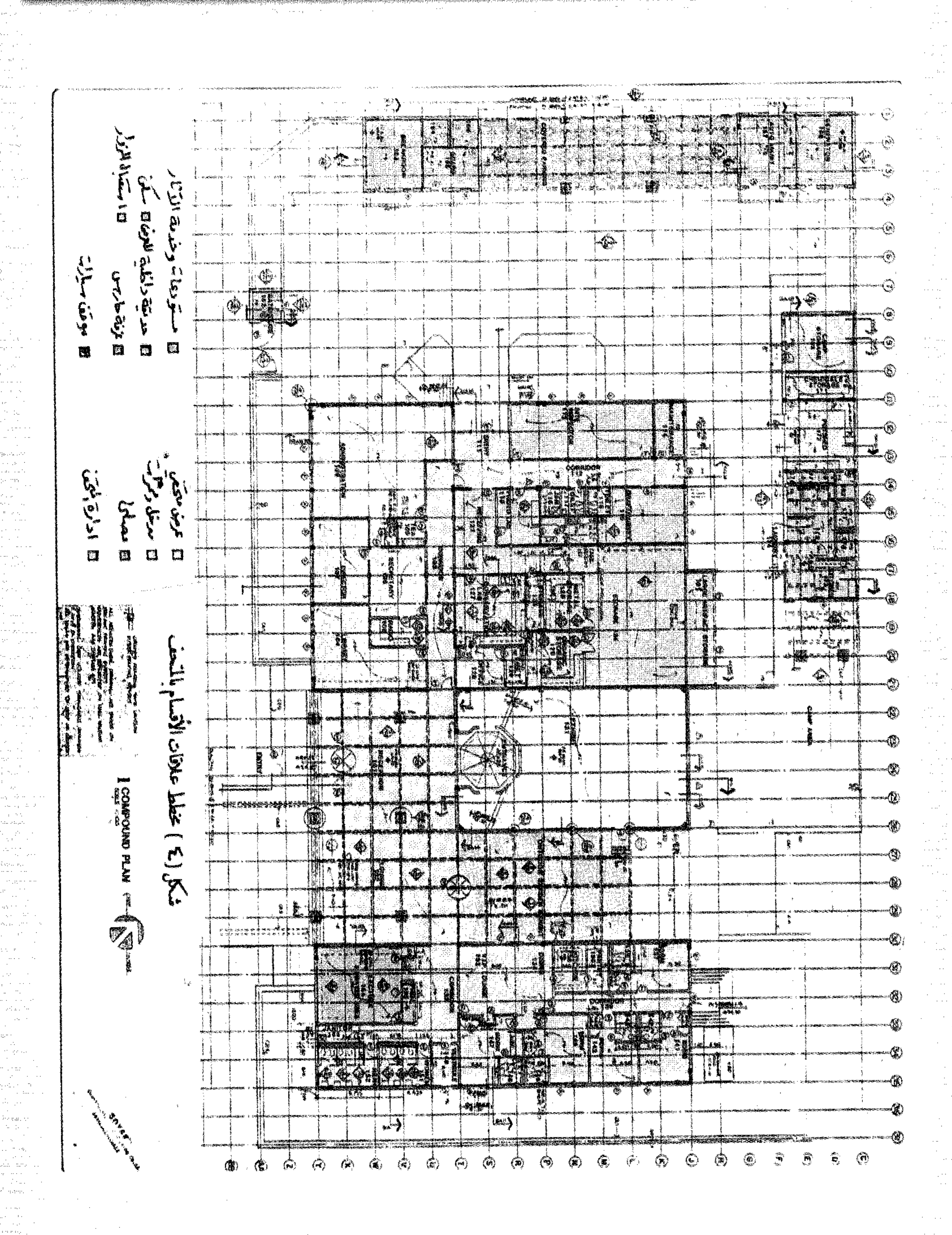
شكل (١) : متحف صبيا ـ بعض الكنبات التي مزقتها حشرة الأرضة



شكل رقم (٢) : متحف صبيا ـ أحد الكنبات التي مزقتها حشرة الأرضة



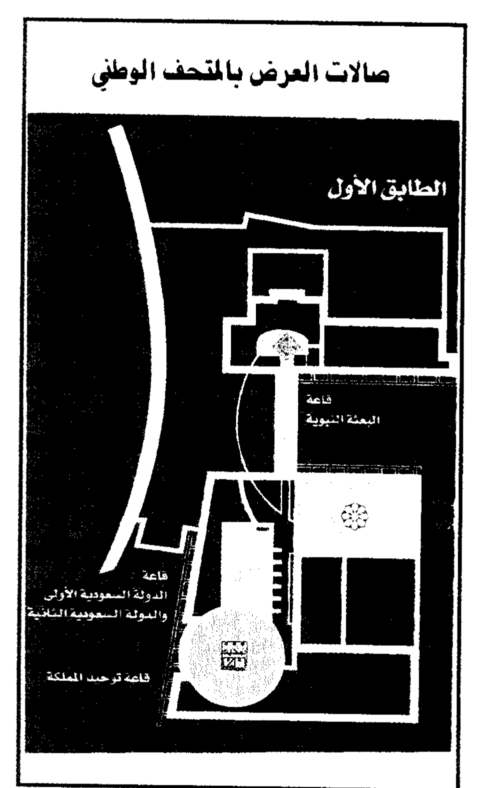
شكل (٣) نموذج تصميم للمتاحف الستة بالمملكة



شكل (٤) مخطط علاقات الأقسام بالمتحف

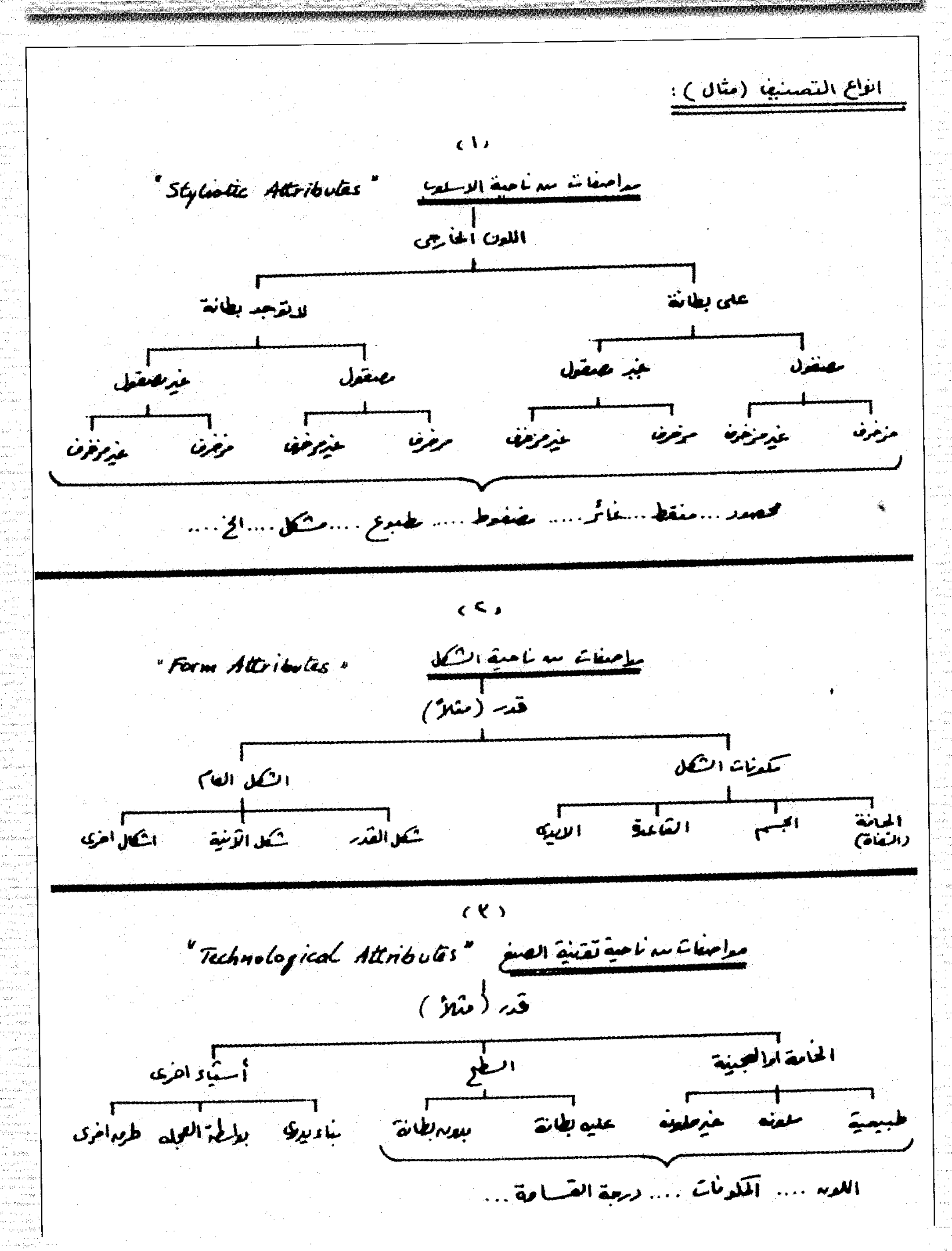


شكل (٥) : مركز الملك عبدالعزيز التاريخي





شكل (٦) : صـالات العرض بالمتحف الوطني



شكل (٧) : أنـواع التصنـيـف

بطاقة علمية

رقم السجل :

نوع الأثر: ...... المادة :

القياس أو الوزن : ق ط ض

ع س ح ك

المصدر وتاريخ الورود:

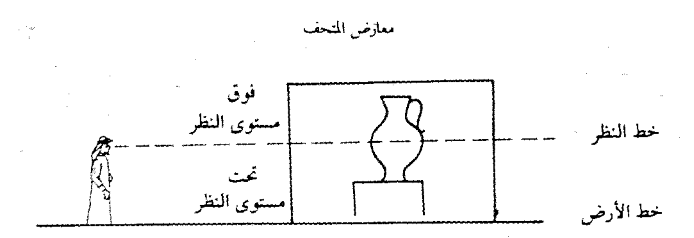
مكان الحفظ : ......

مراجع النشر: ......

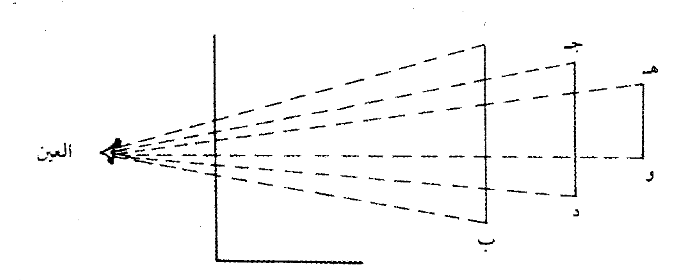
الوصف والتاريخ : ......

......

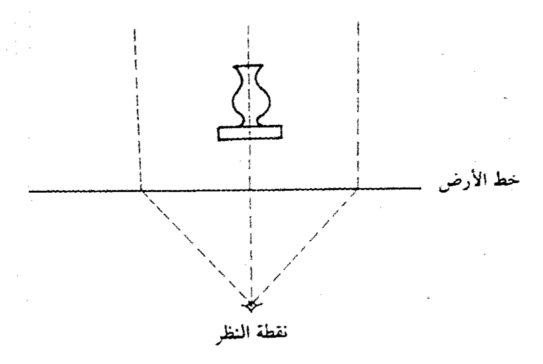
شكل (٨) : نموذج بطاقة التسجيل المستخدمة في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود



شكل (٩) : علاقة الخط الأرضي بنقطة النظر



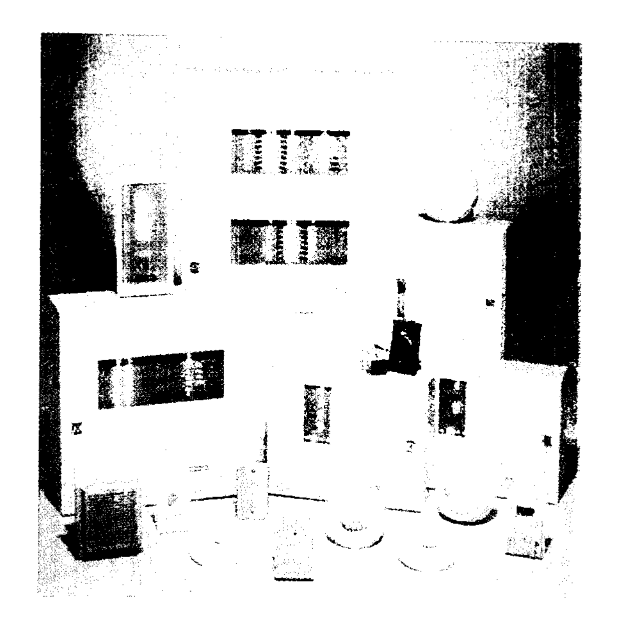
شكل (١٠) : صندوق العرض (نظرية التصاغر)



شكل (١١) : علاقة العرق بمستوى النظر وخط الأرض

مواد عضوية من الصنف (١) جلود ـــ أنسجة ـــ ورق ـــ حرير ـــ دهنيات	
مواد عضوية من الصنف (٢) خشب ـــ فرنيق ـــ عاج وعظام	
مواد معدنية ذات امكانية تفاعل حديد ـــ برونز ـــ خزف أثري ـــ حجارة كلسية وجبس	
مواد معدنية محدودة التعامل مع الرطوبة حجارة وحجارة كريمة ـــ خزف وبلور انتوغرافي خالي من الاملاح	

شكل (١٢) : جدول نسب الرطوبة حسب المواد



مجموعة من وسائل السلامة

تشمل أجهزة الكشف عن

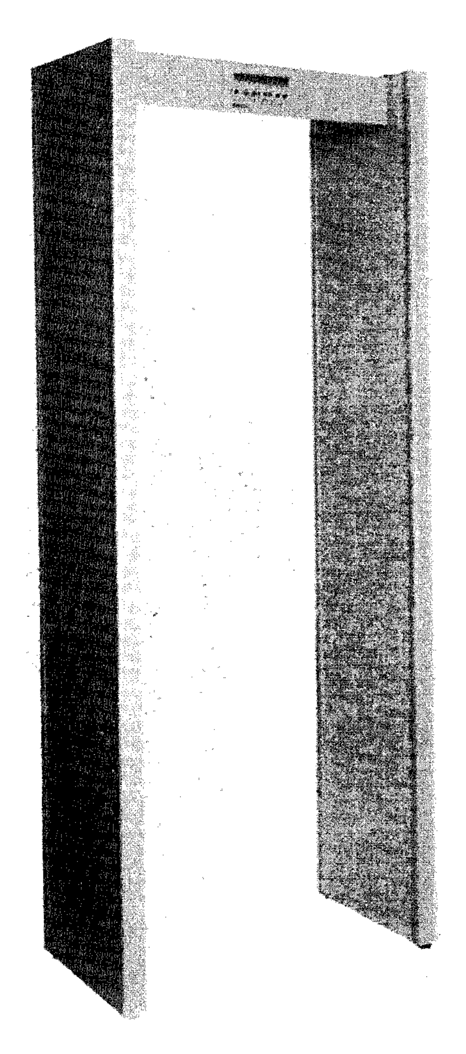
الدخان وطفايات الحريق



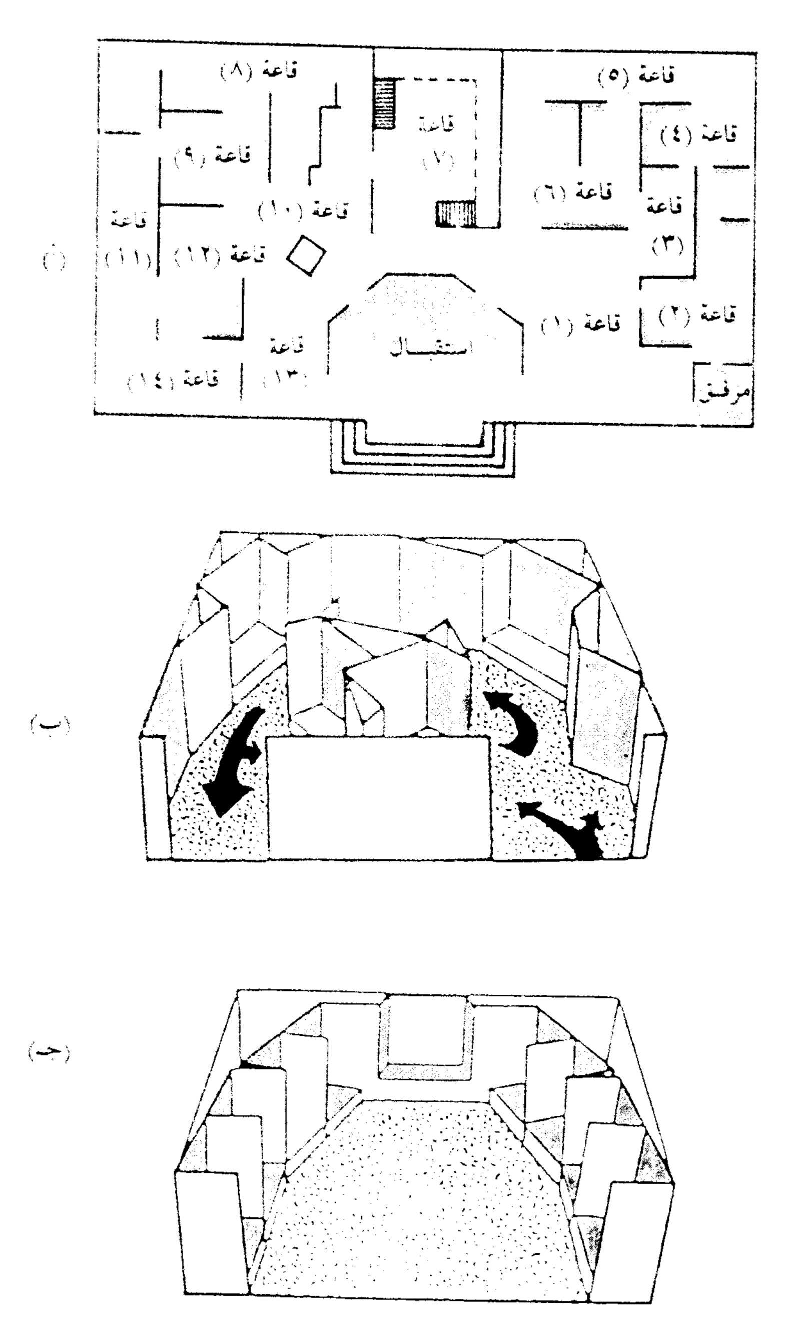
شكل (١٣) : مجموعة من وسائل السلامة

نموذج للبوابات

المستخدمة فى كشف المعادن



شكل (١٤) : نموذج بوابات الكشف عن المعـادن



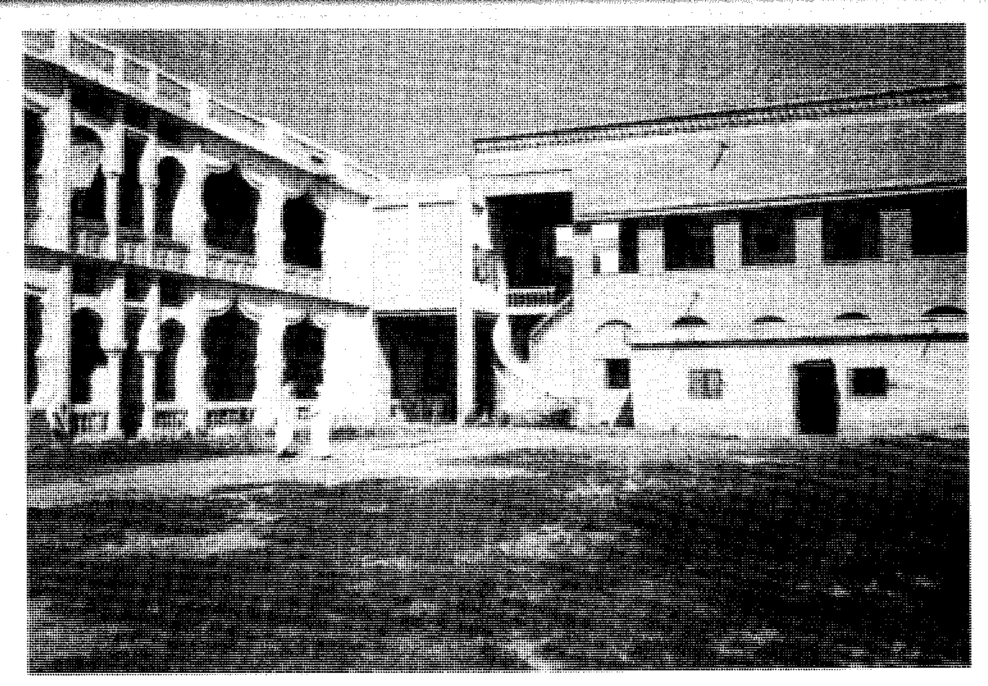
شكل (١٥) : مخطط يوضح توزيع المساحات في المتحف



شكل (١٦) : متحف صبيا ـ تلف في جدران الممـر



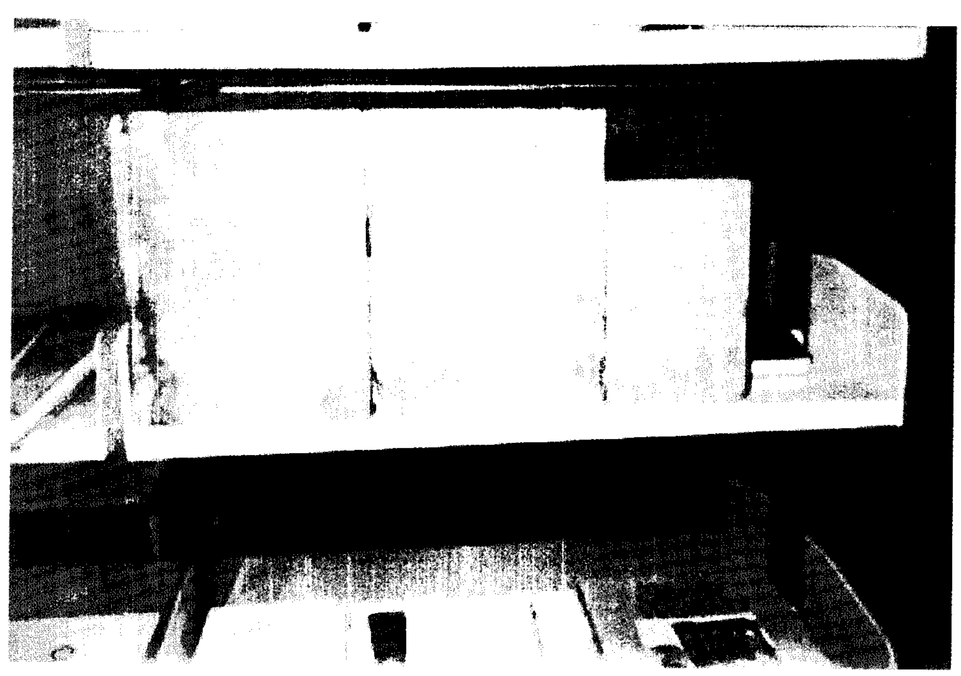
شكل (١٧) : متحف صبيا - تلف في أحد جدران مكتب المدير



شكل (١٨) : متحف جـدة ـ منظر واجهات القصر من الداخل



شكل (١٩) : متحف جدة ـ منظر لإحدى واجهات القصر من الداخل



شكل (٢٠) : متحف صبيا ـ كتب عليها غبار وقد كتبت اسمي واسم زميلي المنصور على اثنين منها

الكتابات العربية على واجهات الصخور وما جرى عليها من تخريب وتشــــويه

أ. خالد بن محمد أسكوبي (*)

مقــدمــة :

تُعدُ أرض الجزيرة العربية عامة والمملكة على وجه الخصوص من أغنى المناطق استيطاناً منذ أقدم العصور ، وأكثرها حضارة ، وهي مهد للديانات السماوية ، لما تحويه من تضاريس ساعدت على قيام تلك الحضارات ، كما أن لخصوبة أراضيها وبخاصة منطقة شمال الجزيرة العربية عاملاً أساسياً في ازدهار وقيام تلك الحضارات ، كما لا ننسى موقعها الجغرافي أيضاً ، بالإضافة إلى ذلك مسارات الطرق التجارية القديمة التي تمر من أراضيها ويعبرها أرباب القوافل المحملة بالبخور والتوابل والحبوب ، وغير ذلك في رحلات موسمية من الشمال إلى الجنوب والعكس مروراً بوسط الجزيرة .

فقد خلف لنا أرباب تلك القوافل أنواعاً مختلفة من الرسوم الصخرية القديمة ، وكذلك الوسوم الخاصة بالقبائل والنقوش العربية القديمة سواء ما كتبت بالخط المسند الشمالي أو المسند الجنوبي أو كتبت بالخط النبطي بأنواع مختلفة ، وأخيراً الخط الكوفي الإسلامي المبكر والمتأخر بأنواعه .

فالدارس والمهتم بعلم الكتابات والرسوم الصخرية عندما يتجول على جنبات تلك الجبال المترامية الأطراف في رحلة علمية يشاهد أنواعاً من تلك النقوش قد كتبت على واجهات الجبال، والتي بدورها تكشف لنا ماهية تلك الحضارات وصلتها بالأمم السابقة ، ومعرفة التطور الحضاري والثقافي بشتى أنواع الفنون وخاصة فن الكتابة والرسم على تلك الصخور ، إلا أنه للأسف الشديد قد يصادف الباحث بعض المتاعب في دراسة هذه النقوش لما طرأ عليها من تخريب وتشويه لأجزاء منها ، وذلك من قبل بعض فئات من البشر قد تطاولت أيديهم على هذا

(*) أخصائي آثار ، أمين المجلس الأعلى للآثار

المخزون الحضاري الذي لا يقدر بثمن فنشاهد على سبيل المثال بعضاً من تلك الكتابات قد مر على كتابتها آلاف السنين ، وهي محتفظة بمظهرها حتى جاء هذا العصر الذي ظهرت فيه تلك الفئات التي ينقصها الوعي الثقافي والعلمي فتعدت عليها بالطمس والتخريب ، وإنني في هذا المضمار بصفتي متخصصاً في الكتابات العربية القديمة قد لمست ذلك وعانيت أشد المعاناة ، وعليه أنقل هذه الصورة وكلي أمل في أن نتعاون جميعاً نحن المسئولين والقائمين في شتى أنحاء مملكتنا الغالية على حفظ وحماية هذا المخزون التراثي والحضاري والثقافي وأن نوليه جل العناية والاهتمام .

كما أحث القائمين بعمل دراسة وتوثيق لهذه النقوش والرسوم الصخرية لتحقيق الأهداف التي ننشدها من وراء هذا العمل كما لا ننسى دور نشر الوعي الثقافي في عقول أبنائنا وإفهامهم بأهمية هذا المخزون من الكتابات .

المواد التي استخدمها العرب في كتابة النقوش :

لقد اهتم العربي منذ القدم وفي العصور الإسلامية المبكرة بالكتابة ليعبر بها عما يدور في خاطره من أفكار دينية أو اجتماعية أو اقتصادية ، وذلك بكتابة تلك الأفكار على مواد متنوعة سواء كانت على الصخور المتنقلة كالأحجار أو واجهات الجبال أو على الطين ، وغير ذلك من المواد التي يخط عليها الخط ويبقى محفوظاً لأزمان عديدة ، وقد ساعد هذا الجانب من الكتابة على دفع الحضارة العربية إلى الأمام حيث إن تلك الكتابات تساعد على معرفة حضاراتهم منذ القدم ، وكذلك على معرفة فن الخط والرسم والنحت على تلك المواد والتي من أهمها على سبيل المثال :

١- واجهات الجبال .

٢- الصخور المتنقلة بأنواعها .

٣- الفخار والخزف الصيني .

٤- العظام .

٥- العسب والكرب .

٦- الألواح .

٧- المهارق والأثواب .

٨- الجلود .

٩- القراطيس .

١٠- الزجاج .

١١- المعدن . (أمين ، نضال عبد العالي ، أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية ، المورد ، المجلد الخامس ، العدد الرابع ، ١٤٠٧هـ) .

أهمية الكتابة في معرفة أسرار الأمم :

مما لا شك فيه أن علم الكتابات لا غنى عنه لدارس التاريخ والآثار فهو من العلوم الأساسية التي تساعد على معرفة أسرار الأمم التي سادت ثم بادت ، فالكتابات تساعد على تحديد العمر الزمني للمخلفات المكتشفة بجانبها سواء كانت في باطن الأرض ، أو على سطح الأرض ، أو على واجهات الجبال والصخور ، فالمعرفة بالكتابة من الأمور المهمة في مجال التوصل إلى تحديد تاريخ الحضارات الإنسانية التي كانت سائدة في الماضي ، وقد تم الكشف عنها ومعرفة أهمية تلك الحضارات عن طريق المخلفات المادية التي خلفها الإنسان ، ومن ضمنها الكتابات الصخرية التي بقيت إلى وقتنا الحاضر وقد أثبت الدارسون والباحثون أهميتها والاعتماد عليها في مجال الدراسات الأثرية والتاريخية ، كما نعتمد عليها في الكشف عن العمر الزمني بواسطة الكتابات ، ونستعين أيضاً بالكربون المشع (١٤) الذي هو من الأسس العلمية في تحديد عمر الحضارات ؛ إلا أن الكربون (١٤) يحتاج إلى مواد عضوية تكون مصاحبة لتلك المخلفات التي تركها الإنسان القديم ، وعلى أية حال فإن الكتابة المنقوشة على واجهات الصخور تعبر عن صورة حية لشعوب الحضارات الماضية ، فهي بذلك مخزون تراثي وتاريخي يهتم به الباحثون والدارسون ، فالكتابات المكتشفة على واجهات تلك الصخور تتنوع بحسب المناطق المكتشفة فيها ، وبحسب الفترات التاريخية التي تعود إليها ، وقد اتضحت لنا جوانب من النشاط الذي كان يمارسه الإنسان خلال تلك المراحل ، ذلك الإنسان الذي بدأ يعبر عن مكنونات نفسه من خلال الرسم والكتابة على واجهات الصخور أينما حل بالقرب من القرى أو الكهوف أو على مسارات طرق التجارة ، ومنها على سبيل المثال المناطق

التي تكثر بها الجبال في المملكة العربية السعودية ، وخاصة تلك التي يكثر فيها الاستيطان الحضاري منذ أقدم العصور ، والطرق التي تعبر من أراضيها القوافل التجارية القديمة التي كانت تتاجر بالبخور والتوابل ، وغير ذلك من السلع ، وكانت تعبر الجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها ومن شرقها إلى غربها ، ووسط الجزيرة أيضاً ، وقد خلّف لنا ساكنوها أو من قد عبروا أراضيها مجموعة كبيرة من النقوش والرسوم والكتابات العربية القديمة المختلفة وبخطوط متنوعة ، سواء كان خط المسند الشمالي ومشتقاته ، أو خط المسند الجنوبي ، أو الخط النبطي بأنواعه المختلفة ، سواء ما كان منه مبكراً أو متأخراً وأخيراً الخط الكوفي المبكر بأنواعه .

نماذج لبعض من الكتابات القديمة التي كشفت عن أسرار الحضارات الماضية :

يحتوي هذا الجانب على مجموعة من الكتابات العربية القديمة التي تم اكتشافها وتتحدث عن حضارات قديمة كانت سائدة في الماضي وكذلك عن ملوك كان لهم شأن عظيم وقد كشفت لنا عن الدور السياسي والحربي والاجتماعي والثقافي والديني :

١- بالنسبة للنقوش العربية التي تحدثت عن الملك البابلي نابونيد فإنها تقع في ثلاثة مواقع مختلفة من جنوب غرب تيماء (*) ، فقد وجد النص الأول في وضحة (ب) على بعد٢٦ كم جنوب غرب تيماء في نقش (أسكوبي ٢٥) صورة رقم (٦) .

النص : زن . ا ن د س . س د ن . م ل ك . ب ب ل . ن ط ر .

القراءة : هذا اندس سدن (سادن) ملك بابل نطر (راقب) .

الدراسة : كتب هذا النص على صفاة منبسطة من الجبل بواسطة النقر وبخط غائر من اليمين إلى اليسار ، كما نجد أن الكاتب قد استخدم النقط كفواصل بين الكلمات.

ز ن : اسم إشارة بمعنى هذا .

أ ن د س : اسم علم بسيط على وزن أفعل ، وفي اللغة : رجل ندس أي : فهم وسريع السمع والفطن ، وكذلك الندس هو الشخص الذي خالط الناس وخفف عنهم (لسان

(*) هذه النصوص نشرت في كتاب (دراسة تحليلية مقارنة لنقوش من منطقة (ر م) جنوب غرب تيماء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .

العرب – ن د س) كما ورد هذا اللفظ في أسماء الأعلام الآشورية على أنه اسم علم (Tallqvist) .

س د ن : اسم علم بسيط ورد في هادرنج على أنه اسم علم بسيط (HAR,P .314)

وفي اللغة : سدن بمعنى سادن وخادم (القاموس المحيط – س د ن) ، ويفهم من هذا كله أنه كان لملك بابل سدنة (خدم) يقومون بخدمته في أثناء تنقلاته في المنطقة .

م ل ك : بمعنى حاكم دولة .

ب ب ل : (بابل) اسم علم لمكان ، وهي بابل التي اتخذت عاصمة لسومر وأكاد لقرون عديدة .

ن ط ر : فعل ماضي بمعني راقب أو انتظر ، وربما أنه قصد بكلمة الانتظار لمراقبة المكان ، وفي اعتقادي أن هذه الكلمة لا زالت دارجة حتى وقتنا الحاضر ، وخاصة في لهجة سكان بادية الشام .

٢- بالنسبة للنص الثاني فقد وجد في موقع المشمرخه على بعد ٣٧ كم جنوب غرب تيماء في نقش (أسكوبي ١٦٩) صورة رقم (٧) .

النص : (ز ن . م ر د ن . خ ل م . ن ب ن د . م ل ك . ب ب ل . أ ت و ت . م ع .

ر ب س ر س . ك ي ت . ي ع ن م . ب ف ل ت . ت ل و . ب د ت . ل ع ق) .

القراءة : (زن . هذا) . مردن (مردان) . خلم (صديق) . بنبد (نابونيد) . ملك . ببل (بابل) . أتوت . مع . رب سرس . كيت (كي) يعنم (يرعى) ب (في) فلاة . تلو . بدة (اسم مكان) لعق (وفي عجلة) .

الدراسة : كتب هذا النص على صخرة كبيرة من الجبل ، يتكون النص من ثلاثة أسطر ، وكانت الكتابة بواسطة النقر وبخط غائر من اليمين إلى اليسار في جميع الأسطر ، وهذا النص المهم يعطينا عدة دلالات إما أن كاتب النص كان مرافقاً لمردان صديق نابونيد الذي أقام في هذه الفلاة وعليه فقد قام بتسجيل هذا الحادث على الصخرة ، أو أن كاتب النص قد قصت عليه قصة مردان صديق نابونيد وإقامته بتلك الفلاة مع أحد مرافقيه الذين رافقوه ، أو أن

الكاتب كان ممن خدم نابونيد في أثناء إقامته في تلك المنطقة ، وقام بتسجيل هذا الحدث المهم ، هذا وعندما قمت بتحليل الحروف الهجائية الموجودة في هذا النص وجدت أنها تحتوي على ٦٤,٢٨ ٪ من الأحرف الهجائية العربية ، حيث إنها تشمل ثمانية عشر حرفاً من أصل ثمانية وعشرين حرفاً ، وهذا الكم الكبير من أشكال الحروف يعطينا تحديداً تاريخياً لأشكال الحروف اللحيانية المبكرة في أثناء فترة حكم الملك البابلي نابونيد خلال منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، وربما أن الكتابة كانت معروفة لدى أهالي المنطقة إلى ما قبل وصول الملك نابونيد إلى المنطقة .

ز ن : اسم إشارة بمعنى (هذا) ، هذا اللفظ يرد أول مرة في النصوص اللحيانية المبكرة.

م ر د ن : (مردان) اسم علم بسيط ، ورد هذا اللفظ بصيغته في السبيئة (WH 650) وفي الصفوية (HAR,P540) (osisb39) ، وفي اللغة مرد على الشيء أي : استمر عليه ، ومرد الشيء مرداً أي قطعه ومرد الغلام أي كان أمرد (محيط - م ر د) .

خ ل م : اسم علم بسيط ، ورد هذا اللفظ بصيغته في القتبانية (RESS5022) وفي الحضرمية (CTH58) وفي الصفوية (CIS3315) ، (HAR,P228) ، وخلم في اللغة : هو الصديق والصاحب ، وخالمه بمعنى رافقه وصادقه ، واختلمه بمعنى اختاره (محيط المحيط - خ ل م) .

ن ب ن د : (نابونيد) اسم علم لملك بابلي ، وهو آخر ملوك الكلدانيين في بابل ، وقد أقام في تيماء شمال غرب الجزيرة العربية عشر سنوات قبل قتله على يد قورش (معجم المصطلحات الأثرية - نابونيد) .

م ل ك : أي حاكم دولة .

ب ب ل : (بابل) اسم مكان .

ا ت و ت : فعل ماضي والتاء ضمير متصل ، وفي اللغة : الإتيان بمعنى المجيء ، والتو هو الاستقامة في السير والسرعة ، وأتى على الشيء بمعنى بلغ آخره أو مر به (محيط المحيط - ا ت و) .

م ع : حرف جر يدل على الاجتماع والمصاحبة . (محيط المحيط - م ع) .

ر ب س ر س : اسم علم مركب يتكون من عنصرين: العنصر الأول (رب) والعنصر الثاني (سرس) ، وسرس في اللغة : بمعنى الكيس الحافظ لما في يده ، وكذلك يطلق على الإنسان الذي لا يأتي النساء ولا يولد له ولد أي أنه ربما كان من الأغوات الذين يقومون بخدمة أماكن العبادة . (لسان العرب - س ر س) .

ك ي ت : (كي) حرف من حروف المعاني ينصب الأفعال بمنزلة أن ، ومعناه العلة لوقوع الشيء .

ي ع ن م : فعل مضارع بمعنى (يرعى) ، وفي اللغة : عنم شجر ليّن الأغصان يستاك به ، والعنم هو شوك الطلح ، وقيل هي شجرة صغيرة تنبت في جوف السمرة ولها ثمر أحمر (لسان العرب - ع ن م) ، وأعنمت الماشية بمعنى رعت العنمة (محيط المحيط - ع ن م) ، وأعنم أي رعاه (قاموس المحيط - ع ن م) .

ب : حرف جر بمعنى في .

ف ل ت : (فلاة) اسم مكان ، ورد هذا اللفظ بصيغة اسم علم بسيط في الصفوية (WH2050) (HRD,P,470) ، وفي اللغة : الفلاة الصحراء التي لا ماء بها ولا أنيس (معجم البلدان - ت ل ي) .

ب د ت : (بدة) اسم موضع وقيل هو واد قرب أيله من ساحل البحر ، وقيل بوادي القرى ، وقيل بوادي عذرة قرب الشام (معجم البلدان . ب د أ) ، والبدة اسم موضع جنوب غرب تيماء وهذا الاسم شائع إلى وقتنا الحاضر .

ل ع ق : اسم علم بسيط ، حيث ورد هذا اللفظ اسم علم بسيط في الصفوية (HRD,P517) (Cis1732) ، وفي اللغة : لعق الشيء يلعقه لعقاً أي : لحسه ، واللعقة الشيء القليل ، وقيل اسم طعام يلعق من دواء وعسل ، ويقال رجل لعق أي : حريص (لسان العرب - ل ع ق) .

٣- النص الثالث ، وقد وجد في موقع صفاة الماردة على بعد ٣٩ كم جنوب غرب تيماء في نقش (أسكوبي ١٧٧) صورة رقم (٨) .

النص : ز ن أ ن د س خ ل م ن ب ن د م ل ك ب ب ل .

القراءة : زن (هذا) أندس خلم (صديق) نبند(نابونيد) ملك ب ب ل (بابل) هذا أندس صديق نابونيد ملك بابل .

الدراسة : كتب هذا النص على واجهة الجبل بواسطة النقر ، وبخط غائر من اليمين إلى اليسار ، ويعد هذا النص من النصوص المهمة التي تشير إلى مهام أندس ، حيث ورد في هذا النص على انه خلم (صديق) لنابونيد ملك بابل ، بينما ورد في النص الأول أندس سدن (خادم) لنابونيد ، وربما أن نابونيد في بداية الأمر قد اتخذ أندس خادماً له ، وبعد ذلك اتخذه صديقاً عندما تبين له مدى إخلاصه .

ز ن : اسم إشارة بمعنى (هذا) .

أ ن د س : اسم علم بسيط .

خ ل م : اسم علم بسيط .

ن ب ن د : (نابونيد) اسم علم بسيط لملك بابل .

م ل ك : حاكم دولة .

ب ب ل : (بابل) اسم مكان .

٤ - حجر رشيد :

ولقد اشتمل حجر رشيد على نص كتابي ساعد على حل رموز الكتابات المصرية القديمة وقد اكتشفه أحد قادة نابليون عند قيامهم بحملة ضد مصر (الراشد ، سعد بن عبدالعزيز ، آثارنا والوعي ١٤١٨ هـ) (صورة رقم ٣) .

والذي استطاع أن يحل كتابة الجزء الأسفل من النقش المكتوب باللغة اليونانية ، يعود نقشه إلى سنه ١٩٦ ق . م ، وقد احتوى الحجر على ثلاثة نصوص ، الجزء العلوي من النقش كتب باللغة الهيروغليفية وهي الكتابة المقدسة ، والجزء الأوسط من الحجر كتب بنقش كتابي مغاير للنقش العلوي والنقش السفلي ، وكان بالخط الديموطيقي وهذا الخط هو خط الكتابة الوطنية وهو مشتق من الخط الهيراطيقي (ياسين ، خيبر ، الآثار في أرضنا العربية ورحلتها

إلى المتاحف الأوربية ، المتحف العربي ، مجلة دورية ، السنة الأولى - العدد الأول من رمضان ١٤٠٥ هـ ، الكويت) .

ويعد هذا الحجر من المواد المهمة التي كشفت عن أسرار الحضارة المصرية التي قضى عليها الرومان عندما احتلوا مصر .

٥ - الدلالة على علامات الطرق :

سوف أقدم في هذا الجانب نصاً يشير إلى أن العرب في القدم كانوا يستدلون على مواضعهم بعلامات الطرق (أسكوبي ٣٣) . صورة رقم (٤) .

النص : زن خ ش م ع ت ي ق .

القراءة : هذا خشم عتيق .

الدراسة: كتب هذا النص على واجهة الجبل بواسطة النقر وبخط غائر من أعلى إلى أسفل ، وقد ربط الكاتب حرف التاء والياء معاً . كما يلاحظ في الطبيعة أن هذا الخشم يعد علامة طريق يستدل بها أصحاب القوافل ، حيث إن موقعه مميز من بين مجموعة من الجبال المجاورة ، وهو يقع على طريق التجارة الذي كان يسلكه العرب القدماء .

ز ن : اسم إشارة بمعنى (هذا) .

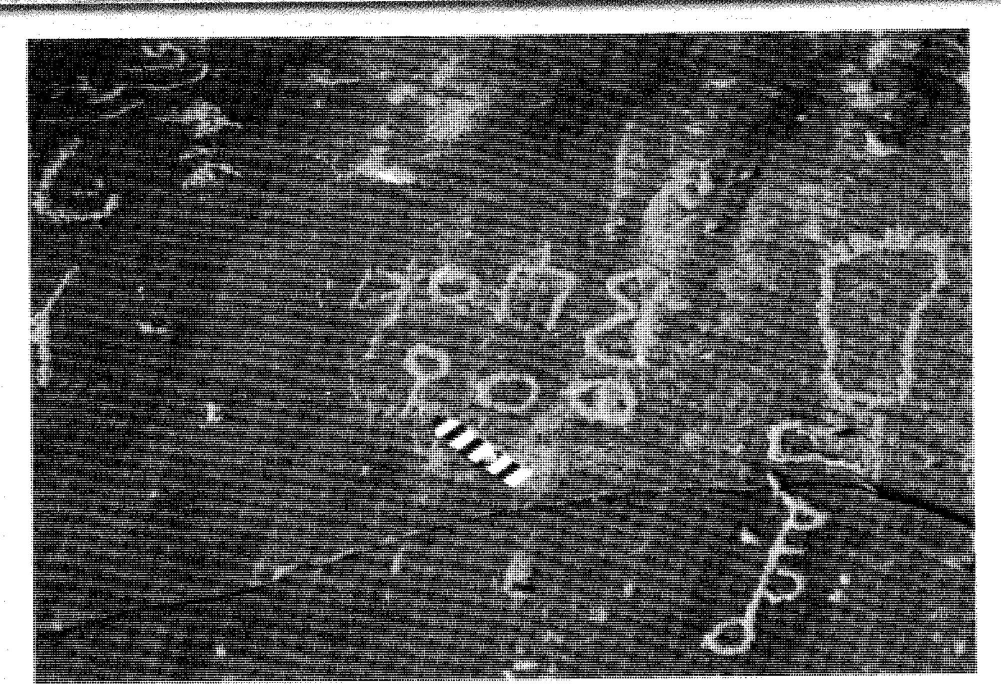
خ ش م : اسم علم بسيط على وزن فعل وهذا اللفظ بصيغته في المعينية G1127414 وفي الثمودية (HAR,P221) (JS651) وفي اللغة: الخشم داء يأخذ في جوف الأنف ، ورجل خشام أي : غليظ الأنف ، إضافة إلى ذلك الجبل الذي له أنف من الجبال (لسان العرب - خ ش م) ، ويعني الظاهرة الجغرافية وهو البروز من بعد للعابرين ، ولعل ذلك أول إشارة للاهتمام بوضع علامات على الطرق ليهتدي بها أرباب القوافل كما هو الحال بالنسبة لوضع الأميال على الطرق من العصر الروماني ثم في العصر الإسلامي .

ع ت ي ق : اسم . وفي اللغة : العتيق هو الذي يخرج من الرق ، والعتيق تطلق على الجمال والكرم ، ومن ضمنها البيت العتيق "الكعبة" المشرفة ، وكذلك قد وصف الرسول

عليه الصلاة والسلام أبا بكر رضي الله عنه بعتيق أهل النار ، حيث قال عليه الصلاة والسلام "من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر" إضافة إلى ورود أسماء لصحابة باسم عتيق (القاموس المحيط – ع ت ي ق) ويبدو أنه اسم للخشم والجبل مثلما يقول العرب الآن خشم قرية ويقصدون البروز الواضح في جبل طويق المطل على قرية الفاو ، ويبدو أن الكاتب بعد أن أتم الكتابة اكتشف سقوط الياء ففضّل أن يلصقها بالتاء بدلا من إلصاقها بالقاف لكيلا يلتبس الأمر على القارئ . (أسكوبي ، خالد محمد ، دراسة تحليلة مقارنة لنقوش من منطقة (ر م) جنوب غرب تيماء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ) .

نماذج لبعض الكتابات التي عبث بها :

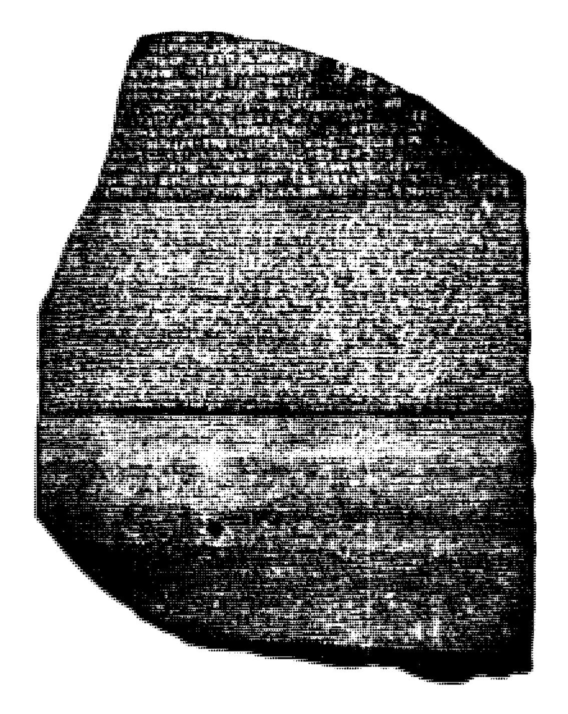
يحتوي هذا الجانب على صور لبعض الكتابات التي جرى عليها عبث وتشويه من قبل الإنسان الذي لم يقدر لها أهمية نظراً لضعف الوازع الثقافي والحضاري لديه؛ فقام بهذا العمل التخريبي الذي طمس أية إمكانية لمعرفة أسرار تلك الأمم التي خطت هذه الكتابة وأرادت بها حفظ ما قامت بعمله في وقت كان يشهد به كل من مر وشاهد هذه الكتابة ، ولكن للأسف الشديد ظهرت فئة من البشر لا تعطي للتراث أي عناية واهتمام . وسأعرض في هذا الجانب بعض الكتابات التي جرى عليها تشويه وتخريب . ومن أهمها على سبيل المثال : (صورة ٩ ، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦) .



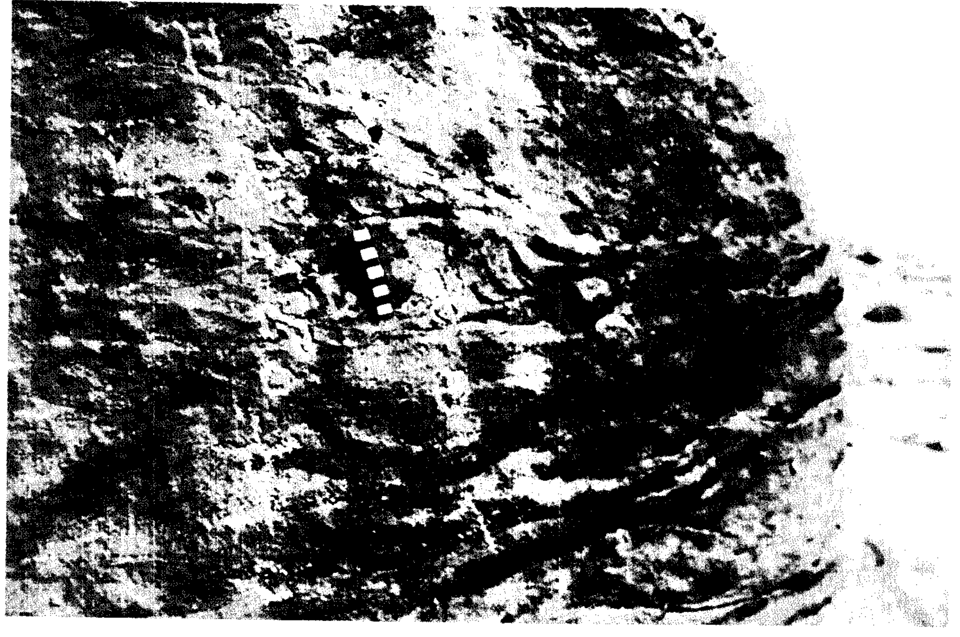
شكل (١) : نقش قديم كتب من اليسار إلى اليمين ويقرأ : (مسعد وعيه)



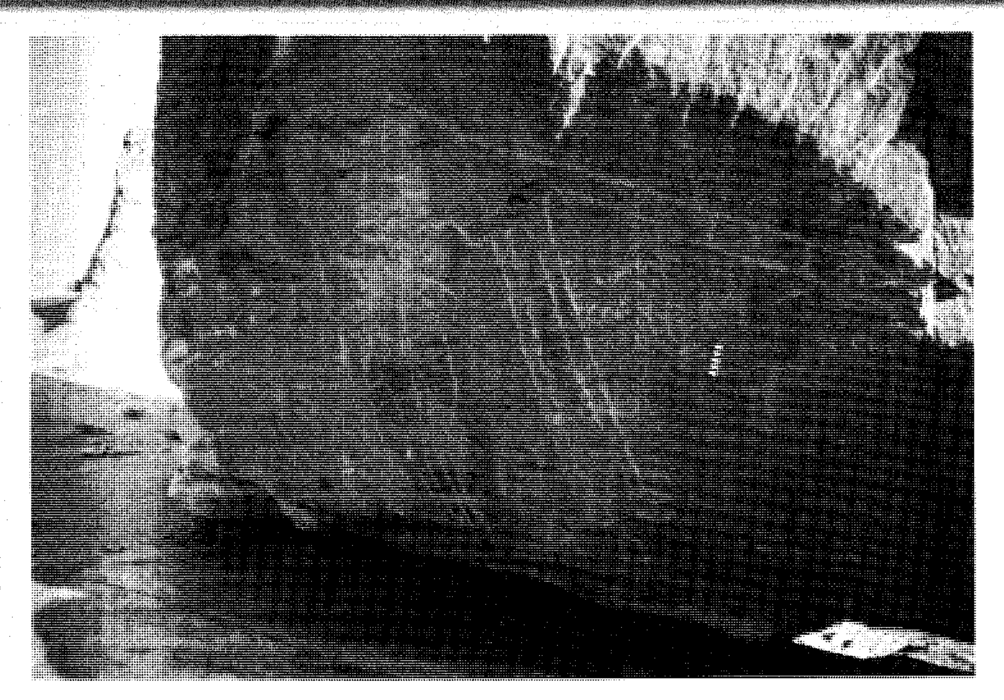
شكل (٢) : منظر عام لأماكن انتشار النقوش والرسوم الصخرية (جنوب غرب تيماء)



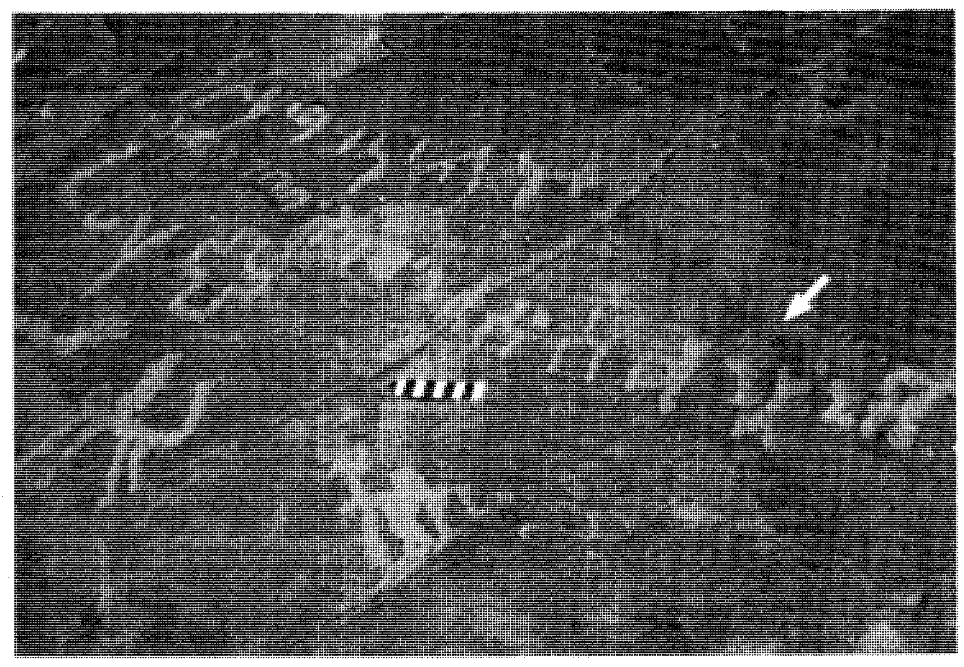
شكل (٣) : حجر رشيد الذي احتوى على ثلاثة نصوص



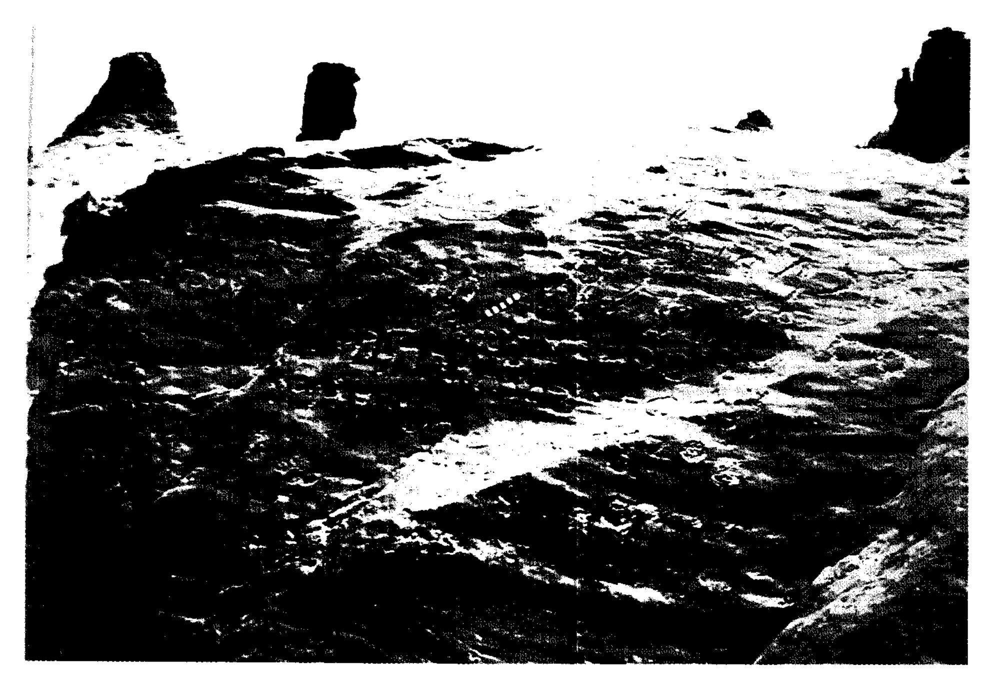
شكل (٤) : نقش يدل على علامات الطرق



شكل (٥) : صورة توضح مدى إتقان الفنان العربي القديم لفنون الرسم والنحت



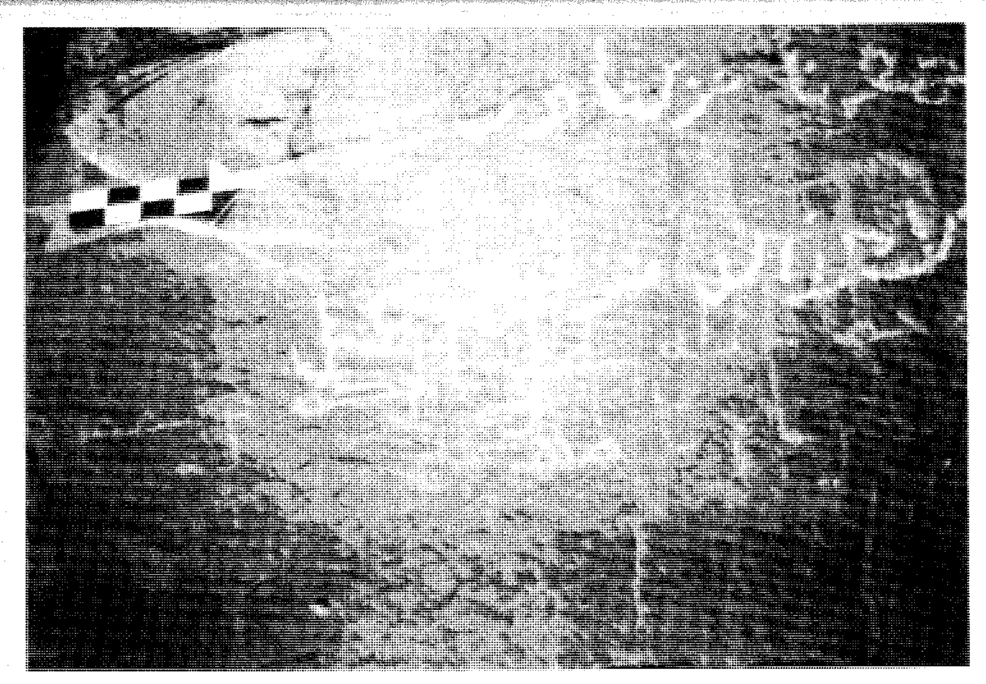
شكل (٦) : صورة توضح نقش الملك البابلي نابونيد وقد اتخذ أندس سدناً له



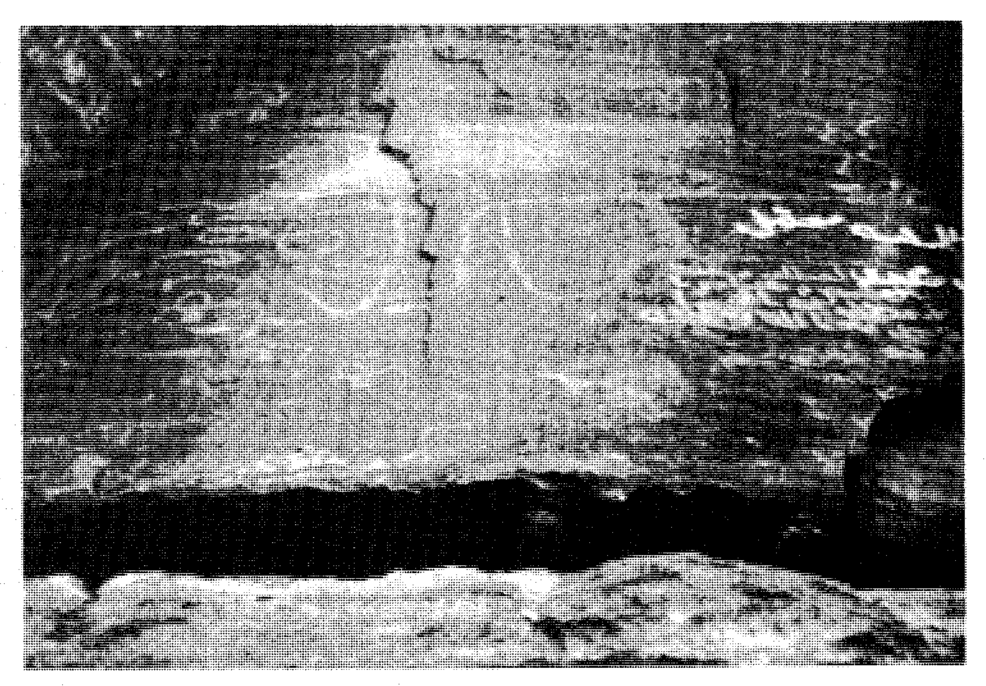
شكل (٧) : نقش نابونيد المكتشف بموقع المشمرخة



شكل (٨) : صورة توضح نقش الملك البابلي نابونيد وقد اتخذ أندس سدناً له



شكل (٩) : نقش كوفي قد عبث به بواسطة الدهانات



شكل (١٠) : منظر يوضح آثار العبث بالنقوش



شكل (١١) : منظر يوضح تعرض النقوش العربية القديمة والكوفية للعبث من قبل جهال القوم



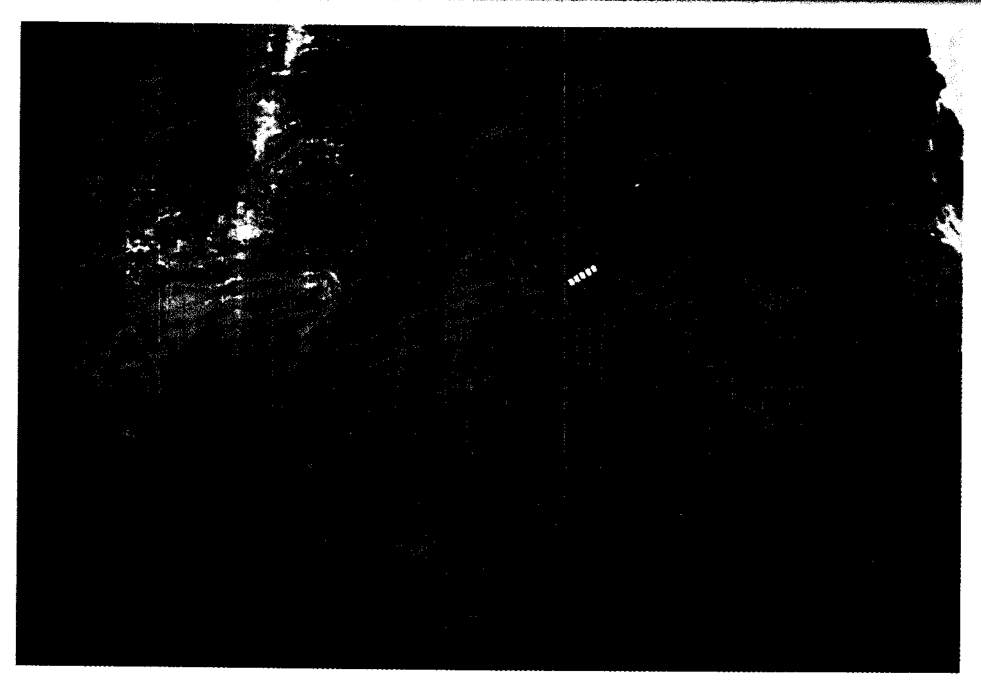
شكل (١٢) : نقوش شمالية عربية قديمة تعرضت للعبث



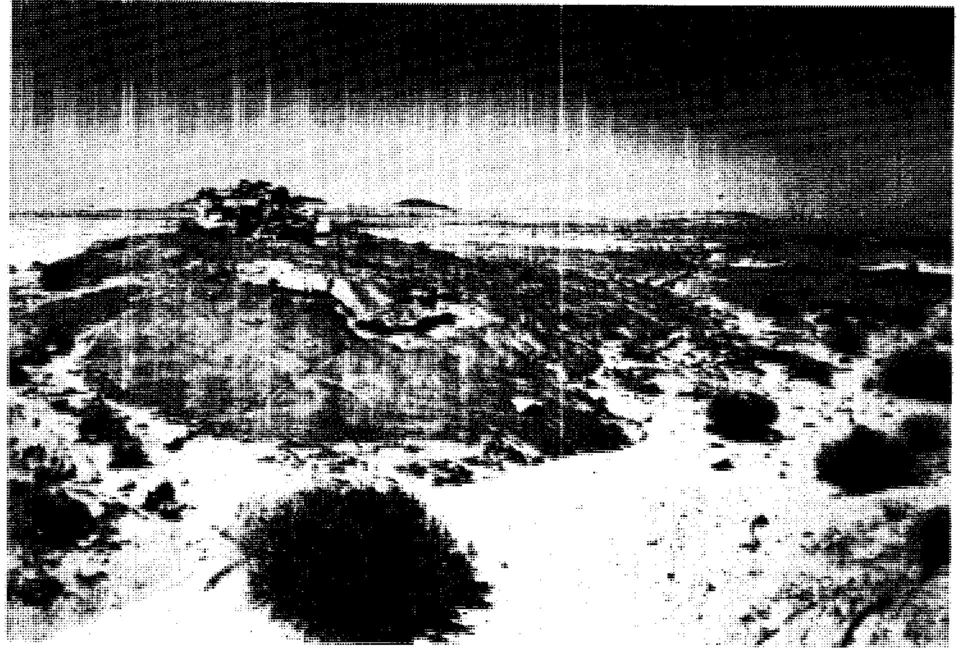
شكل (١٣) : منظر يوضح آثار العبث والتعدي على النقوش العربية



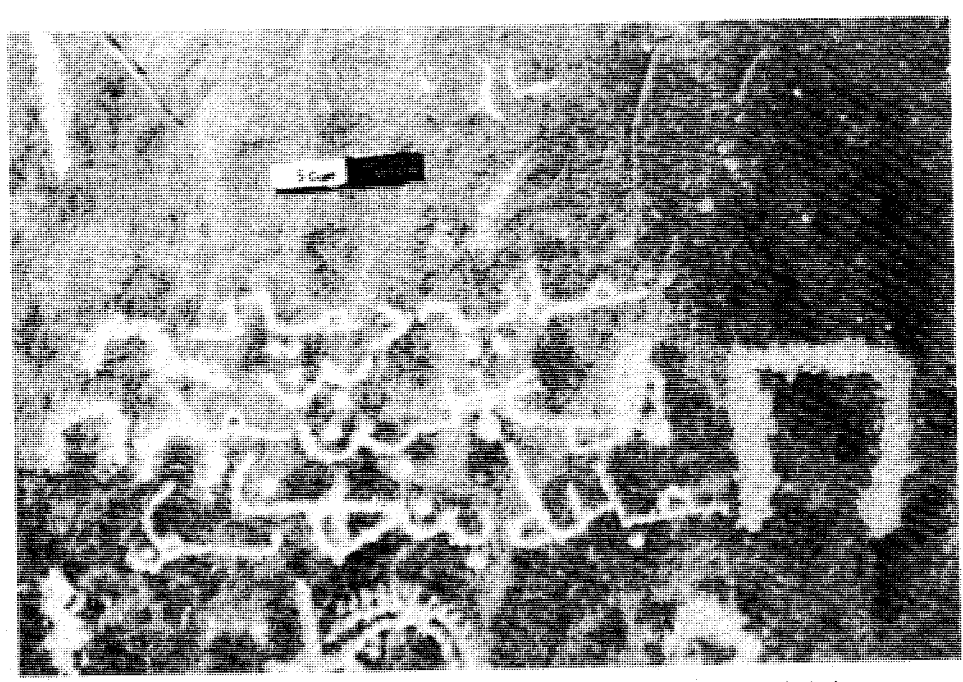
شكل (١٤) : منظر يوضح آثار التعدي بواسطة الدهانات



شكل (١٥) : نحت جميل لرسم الجمل على واجهات الجبال



شكل (١٦) : منظر عام يوضح انتشار النقوش العربية القديمة (جنوب غرب تيماء)



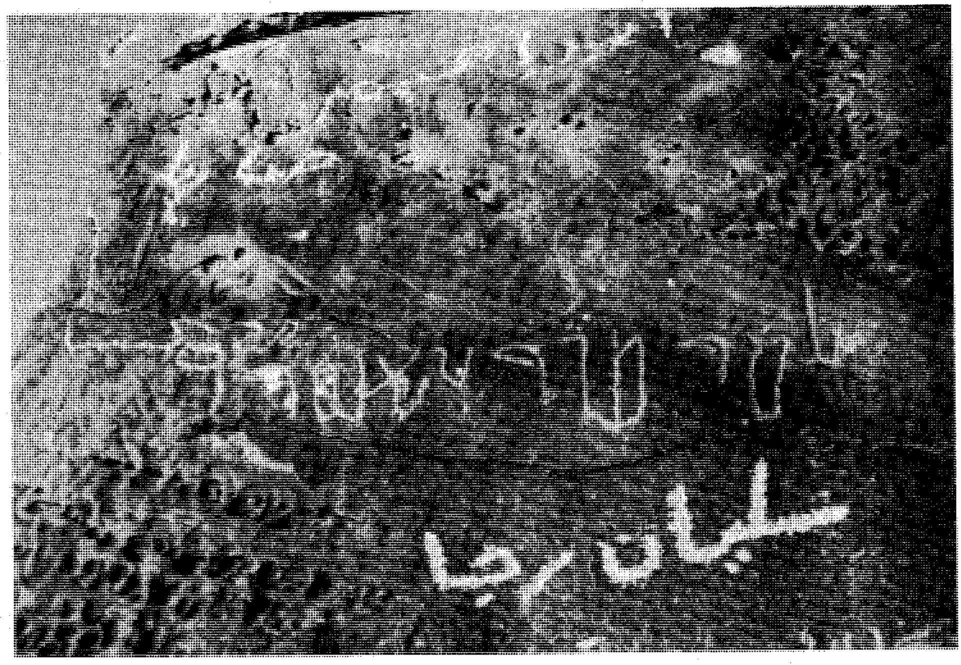
شكل (١٧) : منظر يوضح كيفية التعدي بواسطة الدهانات على النقوش القديمة



شكل (١٨) : آثار التعدي على واجهات المقابر بواسطة الدهانات



شكل (١٩) : منظر يوضح التعدي على الكتابات العربية القديمة



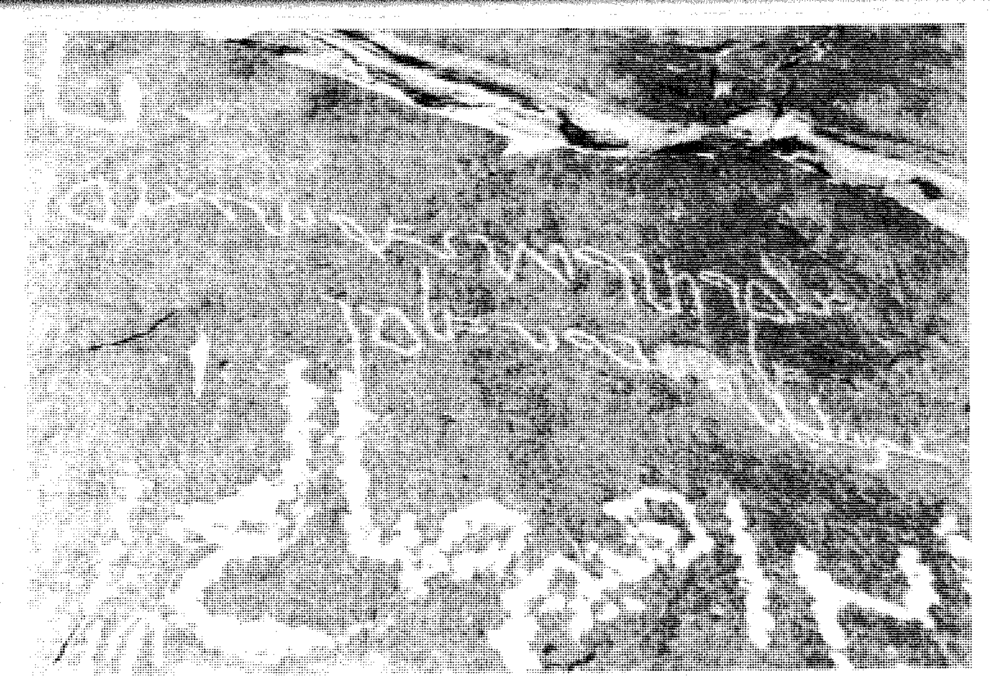
شكل (٢٠) : نقش نبطي وقد اعتدى عليه بواسطة الدهانات



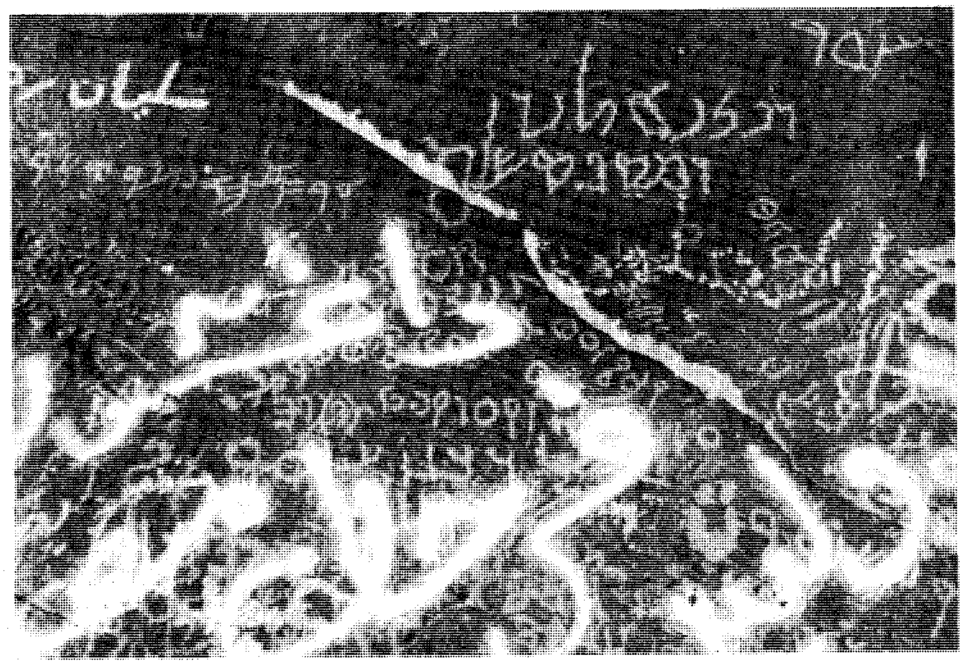
شكل (٢١) : آثار التعدي على النقوش بواسطة الدهانات



شكل (٢٢) : آثار التعدي على النقوش بواسطة الدهانات



شكل (٢٣) : نقش نبطي كتب أسفله كتابة حديثة بواسطة الدهانات



شكل (٢٤) : مجموعة من النقوش الأرامية النبطية يظهر عليها آثار التعدي بواسطة الدهانات



شكل (٢٥) : منظر يوضح بعض النقوش العربية القديمة وقد تعرضت للإعتداء



شكل (٢٦) : منظر يوضح تعرض النقوش الكوفية للاعتداء بواسطة الدهانات

الخيـوف أو الدبـول في المملكة العربيـة السعوديـة بـين الآثـار ومـوارد الميـاه

أ. أحمد بن عبدالله الغامدي (*)

مقدمة :

اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هناك علاقة وثيقة مترابطة بين الإنسان والحيوان والنبات من جهة والمياه من جهة أخرى قال تعالى ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) فبدون المياه لا يستطيع الإنسان والحيوان والنبات أن يعيش فهي أساس الحياة .

فما أن وطئت قدما الإنسان على سطح كوكب الأرض حتى بدأ في رحلة البحث عن ماء ليشرب ويأكل ويتنظف وقد تركزت معظم الحضارات القديمة على ضفاف الأنهار والبحيرات العذبة لسهولة الحصول منها على المياه مثل الحضارة الفرعونية التي قامت على ضفاف نهر النيل كما أن المدن الرئيسية مثل القاهرة ، لندن ، باريس وغيرها قد أقيمت على مجاري الأنهار .

كما كانت هناك مجموعات بشرية كبيرة عاشت في مناطق صحراوية وشبه صحراوية لا توجد فيها أنهار أو بحيرات عذبة وأمطارها قليلة ومناخها شديد الحرارة صيفاً فكانت مواردها المائية محدودة جداً تتمثل في العيون والغيول (جمع غيل) والمياه المتجمعة في المنخفضات (الغدران – جمع غدير) علماً أن تلك الموارد عرضة للجفاف عند توقف هطول الأمطار لمدة طويلة واشتداد الحرارة فكان لابد للإنسان من البحث عن مصدر شبه دائم يعتمد عليه في شربه وسقيا حيواناته وري مزرعته فكان أن هداه الله إلى حفر الآبار اليدوية وإنشاء السدود المبنية بالحجارة والعقوم الترابية والمدرجات الزراعية التي لا تزال باديةً للعيان حتى يومنا هذا .

(*) كبير الجيولوجيين – وزارة الزراعة والمياه – الرياض .

(١) الأنبياء ، آية (٣٠) .

وفي جزيرة العرب بصفة عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة أدت المياه دوراً مهماً في الديموجرافية السكانية فنجد أن السكان يتمركزون في مناطق جبال الحجاز والسروات وحتى باب المندب في اليمن وهذه المناطق تتميز بارتفاعها الشاهق عن مستوى سطح البحر ، أمطارها غزيرة ودرجات الحرارة معتدلة وتتميز الأودية بوفرة المياه الجوفية في حين يقل السكان باتجاه المناطق الداخلية التي يغلب عليها المناخ الصحراوي وندرة الأمطار إلا من بعض الواحات التي تتوافر فيها المياه مثل القصيم واليمامة والأحساء ولذلك تميز سكان الجبال العالية والواحات بالاستقرار في تجمعات سكانية قروية يزرعون ويرعون مواشيهم ، أما أصحاب المناطق الداخلية فقد غلب عليهم حياة التنقل طلباً للماء والكلأ ولذلك كانت حرفتهم الرئيسة هي الرعي .

أهمية المياه في حياة الأقدمين :

تتميز الجزيرة العربية بصفة عامة بقلة المياه فانعكس ذلك سلباً على تعامل الناس مع بعضهم البعض تجاه المياه فبدأت النزاعات الفردية والقبلية على الماء والكلأ ، كل يدافع عن موارده المائية ، ولا يسمح لأحد من قبيلة أخرى بالوصول إلى موارده المائية حتى تكتفي قبيلته ، بل كان ذلك النزاع بين أفراد القبيلة الواحدة فيرد الماء الأقوياء ثم يليهم الضعفاء وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في سورة القصص الآيتين ٢٣ ، ٢٤ قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

وهذا فيه إشارة إلى ضعف المرأتين وضعف أبيهما وأنهما لا تستطيعان سقي مواشيهما ومقارعة الأقوياء للحصول على المياه ولما جاء نبي الله موسى عليه السلام القوي الأمين سقى لهما رغم كثرة الناس حول مورد الماء .

أما عمرو بن كلثوم فها هو يفتخر بأن قومه هم أول من يرد ويشرب الماء الصافي ويتركون لغيرهم الماء الملوث فيقول في معلقته المشهورة :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً　　ويشرب غيرنا كدراً وطينا

بل أكثر من ذلك فإن حرب البسوس كانت بسبب ناقة وردت المرعى فقام أحدهم بقتلها دفاعاً عن المورد المائي التابع لهم فأدى ذلك إلى اشتعال الحرب التي دامت قرابة أربعين سنة .

كما أن المياه كانت ولا زالت أحد أهم أسباب الضغوط العسكرية والسياسية التي تتحكم في تسيير دفة الحرب فكان كل فريق يسعى للاستيلاء على موارد المياه لفرض هيمنته وسيطرته العسكرية ، ففي معركة بدر الكبرى نزل رسول الله ﷺ وجيشه ماء بدر لكي يحول بينه وبين قريش فيقطع عنهم إمدادات المياه وكان ذلك أحد عوامل انتصار المسلمين .

موارد المياه في الجزيرة العربية :

تعد مياه الأمطار هي المصدر الرئيسي للمياه في الجزيرة العربية التي لا يوجد فيها انهار أو بحيرات ولأن هذا المصدر غير ثابت طوال العام فقد اتبع الأقدمون طرقاً عديدة للحصول على المياه بشكل مستمر وتنميتها ومنها :

١- حفر الآبار اليدوية :

تشكل الآبار اليدوية أهم وأول وأقدم طريقة للحصول على المياه من باطن الأرض واسمها يدل على طريقة حفرها أي أنها تحفر بواسطة الأيدي وباستخدام المعدات التي كانت متوفرة في ذلك الزمان (المعاول والمحافر) وتختلف مسميات الآبار اليدوية بحسب أعماقها فالآبار القصيرة الضحلة تسمى (رس أو حسو) ، أما العميقة فتسمى قلبان ومفردها قليب وأما الأكثر عمقاً فتسمى مشاش . ويختلف قطر البئر حسب الغرض الذي حفرت من أجله فإن كانت مورداً للبادية فإن قطرها يكون صغيراً لا يتعدى في الغالب ١,٥ م ويركب عليها جذع شجرة بفرعين يثبت بينهما بكرة حديدية أو محالة خشبية لتسهيل حركة الدلو - شكل رقم (١) . أما إذا كانت البئر للزراعة فإن فتحتها تكون على شكل مربع (٢×٣) م تقريباً ويثبت عليها خمس قطع خشبية كبيرة وبطريقة معينة لكي نستخرج المياه بواسطة السواني (جمع سانية) وهي عبارة عن اثنين أو ثلاثة من الجمال أو الثيران تسحب الماء من قاع البئر باستخدام الغروب (جمع غرب) وهي أوعية مصنوعة من الجلد ومربوطة بالحبال (الأرشيه جمع رشاء) - شكل رقم (٢) ويتوقف الحفر بمجرد الوصول إلى مستوى الماء .

والنزول تحته بحوالي ١,٥ - ٢ متر وكلما انخفض مستوى الماء يتم تعميق البئر وتطوى البئر بواسطة الحجارة ولكي لا ينهار الطي فإنه يجب أن يرتكز على الصخور الصلبة المكونة لجدار البئر أو على أحجار طويلة يثبت أحد طرفيها داخل جدار البئر - شكل رقم (٣) ، (٤) .

وتتميز الآبار اليدوية بسهولة حفرها وقرب مياهها من السطح ، ومياهها نظيفة ولذلك كانت أهم مورد للمياه وقد قام البعض بحفرها وأجراها سبيلاً للمسلمين وبخاصة التي حفرت على طرق القوافل والحجيج وبعض تلك الآبار حملت أسماء من قاموا بحفرها أو اسم الوادي أو اسم القرية المحفورة فيها وكثير من تلك الأسماء لازالت قائمة حتى يومنا هذا خالدة في ذاكرة التاريخ إلى درجة أن تلك الآبار أخذت كنقاط مرجعية عند إعداد الخرائط الجيولوجية والطبوغرافية وهناك أكثر من (١٠٠) بئر موقعة على تلك الخرائط ، الجدول رقم (١) وللأسف فإنه لا توجد لدينا قياسات عن أعماق ومستويات المياه في تلك الآبار .

٢- العيـــون :

وهي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الآبار اليدوية وهي كل نبع مائي نتج عن حركات أرضية أدت إلى تلاقي طبقة حاملة للمياه مع طبقة غير منفذة تؤدي إلى تدفق المياه على السطح وقد تتكون نتيجة لاندفاع المياه الحارة إلى السطح عبر الشقوق والفواصل مثل العيون في الليث (عميقة) وفي جيزان مثل خلب قوا وعين الوغره ، دراكة ، مركوب ، جمعة .

وقد تتكون العيون نتيجة تآكل الطبقات الجيرية والجبسية بفعل حركة المياه الجوفية المحملة بغاز ثاني أكسيد الكربون الذي يتحد مع الماء مكوناً حمض الكربون HCO_3 حيث يتفاعل مع الصخور فيذيبها فتتكون كهوف وفجوات وشقوق تحت سطح الأرض ثم لا تلبث أن تنهار تلك الطبقات محدثة حفراً ذات أعماق ومساحات مختلفة مثل عيون الخرج والأفلاج والأحساء ، وبعض العيون حرارتها مرتفعة نسبياً ويقصدها الكثير من الناس للاستحمام طلباً للعلاج من بعض الأمراض الروماتيزمية .

كما أن هناك عدداً كبيراً من العيون مغمورة تحت سطح البحر الأحمر والخليج العربي يعرف البحارة أماكنها مثل نبع الخالي في ميناء الدمام وعين مزاحم ٥ كم جنوب شرق الدمام.

وفي منطقة جبال السروات هناك عدد كبير جداً من العيون ذات المياه العذبة بعضها يجري طوال العام والبعض الآخر يجف إذا طالت فترة انقطاع الأمطار ومن هذه العيون عين (المعسل) الواقعة في منتصف عقبة الهدا والتي كانت مورداً للقوافل والسيارات القادمة بين مكة المكرمة والطائف . عين قرية ذي عين الأثرية الواقعة في منتصف عقبة الباحة ولازالت تسقي بساتين الموز في القرية المذكورة ، أما عين جدر (القلت) والعولة والحاوية بمنطقة الباحة

فإنها تتميز بأنها عبارة عن شلالات مائية تسقط من ارتفاعات تتراوح بين ١٥-٢٠م على صخور مصمتة وأدى سقوط المياه من ذلك العلو إلى إحداث حفر في تلك الصخور وصل عمقها في عين القلب إلى حوالي ١٥م مكونة ما يسمى في علم الجيولوجيا (بالقدور العملاقة) لأنها تشبه القدر وهناك عيون مماثلة في وادي الغيل بتهامة عسير وشلال الهدار في بني شهر وعين بني مازن في عسير - شكل رقم (٥) وبعض هذه العيون قريبة من الطرق العامة ويقصدها المصطافون وعابرو الطريق للشرب منها والترويح عن النفس من عناء السفر. وكثير من تلك العيون كانت تستغل في الأغراض الزراعية حيث يقام عقم ترابي حول العين على هيئة حوض يسمى محلياً (الكظامة) تتجمع المياه فيه طوال الليل وفي الصباح يفتح الحوض (الكظامة) فتتدفق المياه في مجرى مفتوح يسمى (الفلج) إلى أن تصل المياه إلى المزارع المطلوب ريها.

جدول رقم (١)

بيان بالآبار القديمة ومواقعها في المملكة العربية السعودية

اسم البئر	موقعها	اسم البئر	موقعها
بن هرماس	على مفرق حالة عمار والبدع	صويدره	الحناكية
البديعة	بين شواق والديسة	مريطية	الحناكية
العجاج	بين شواق والديسة	أبونمسه	الحناكية
القرية	وادي أظلم	عرجاء	
النعسان	أبا القزاز	الكريزيه	وادي ساحوق
القر	أبا القزاز	أبوم فير	وادي ساحوق
القبة	»	أم الشطن	وادي ساحوق
المرير	»	النغازى	وادي ساحوق
أبا العجاج	»	بلغه	وادي ساحوق
حربة	»	الغفير	شمال شرق رابغ
جيدة	جيدة بالعلا	العفاير	شمال شرق رابغ
عذيب	العذيب بالعلا	جريسه	مهد الذهب - درب زبيده
عمودان	وادي الحمض	خواره	جنوب الموية - سهل ركبه
فقير	وادي الحمض	البحره	شعيب البحرة - رنيه
العين	وادي الحمض	بريم	حره حضن
الأمير	وادي الحمض	الحفيره	حره حضن
الصد	أم لج	شريعة	كلاخ بالطائف

اسم البئر	موقعها
نبط	أملج
منسا	جنوب أملج
الوزارة	ينبع
الحر	المدينة المنورة
البوب	المدينة المنورة
القريش	قرب المسيجيد
الماشي	وادي العقيق بالمدينة المنورة
العطاء	»
مبيريك	قرب مستوره
بن حصاني	قرب بدر
يدمه	نجران
سلوى	حبونة نجران
الخضراء	وادي نجران
جقجق	امتداد وادي بيشه جنوب شرق رنيه
ضاعن	امتداد وادي بيشه جنوب شرق رنيه
أشناب	امتداد وادي بيشه جنوب شرق رنيه
العرمه	وادي الركا – حصاه قحطان
الغلاقة	وادي الركا – حصاه قحطان
العملية	وادي الركا – حصاه قحطان
حدوف	ظلم
السحاء	جنوب الخاصرة
المزلعة	»
المرجلاسي	»
سجاء	غرب عفيف
الهوام	شمال الدفينة/ عفيف
ظفيرة	الأشعرية
المحلاتي	الطرفاوي وادي الرمة
تبراك	تبراك بالقويعية
لجعة	لجعة
الورهيثة	الحوطة
نسالة	الحوطة
صلحة	الحوطة
البكرة	الحوطة
المنجور	الحوطة

اسم البئر	موقعها
عن	جبل عن بالطائف
الدم	وادي غنم بن مالك
مجيرمه	حره سماء بتهامة
العبدليه	جبل أبو رواث – المظيلفبت هامة
بيشيه	أحد بني زيد بالقنفذة
حاثة	ناوان تهامه الباحة
بن سرار	وادي بيشه
الحفاير	تثليث
أم الضباع	حمضه بمنطقة عسير
مريغان	جبال القهر بتثليث
أم الزرق	جبال القهر بتثليث
الزبيرة	جهة قنا
حبران	حائل
الأطبق	خيبر
العفرية	خيبر
ساهوط	جيران
المرار	»
قليب غنيم	رفحا
قلبان السدى	رفحا
قليب الهبيرع	على حافة النفود من الناحية الغربية
شاش أبو العكرش	»
—	»
شاش رملان	حرض
مشاش العشاوي	حرض
مشاش الضعيني	»
مشاش الهادي	عريعرة الشرقية
مشاش بن جمعة	حنيذ الشرقية
هداج	تيماء من العصر الروماني
عسيلة	شعيب عشيرة بالأفلاج
الحسو	ساحوق
حويمضة	الحليفة بحائل
معرش	الحيفة بحائل
النويطة	بيضاء نثيل/ حائل

٣- السدود والعقوم الترابية والمساطب الزراعية :

لاحظ الإنسان الأول أن مياه الأمطار تجري في الأودية (تسيل) بسرعة دون أن يستفيد منها بأكبر قدر ممكن فكان أن قام بإنشاء حواجز للمياه ومن أقدمها سد مأرب في اليمن وهناك العديد من السدود القديمة المبنية بالحجارة أقدمها وأكبرها سد السملقي بالطائف طوله ٢١٠م وارتفاعه ١٠م والجدول رقم (٢) يبين السدود القديمة في المملكة العربية السعودية .

جدول (٢)

يبين السدود القديمة في المملكة العربية السعودية

السد	الموقع	الطول (م)	الارتفاع(م)
العقوب	وادي عردة/ جنوب الطائف	١١٣	٤
عرده	وادي عردة/ جنوب الطائف	–	٥,٤
داما	١٤٠كم جنوب شرق الطائف	٧٥	٣,١٠
الدراويش	وادي عردة/ جنوب الطائف	١٥٠	١٠
اللصب	وادي عردة/ جنوب الطائف	٤٠	٥,٥
القصيبه	الطائف	٨٠	٥,١١
صعب	الطائف	–	–
السلامة	الطائف	٥٠	٥,٥
السملقي	١٨كم جنوب شرق الطائف	٢١٠	١٠
سيسد	شمال شرق الطائف	٦٠	٥,٨
السداد	غرب الطائف	١١٠	٤
ثلبة	٧كم شمال غرب الطائف	٨٠	٩
أم البقرة	الطائف	٦٥	٥,٥
الحميد	خيبر	٨٠	١٢
المعشوق	وادي خيبر	–	–
قصر البنت	خيبر	٢٠٠	٣٥
العقين	جنوب المدينة	–	٨
العاقول	شرق المدينة	–	٢٥

أما العقوم فهي عبارة عن حواجز ترابية متعاقبة تقام على جوانب الأودية بغرض تحويل جزء من مياه السيول إلى المزارع الواقعة على ضفاف الأودية بهدف ريها ، ويلاحظ أن تلك العقوم أقيمت بصورة فنية متقنة لكي لا تجرفها السيول كما أنه يمكن ري جميع المزارع في آن

واحد وتنتشر هذه العقوم بكثرة في مناطق تهامة حيث يعتمد الأهالي عليها في ري مزارعهم بدلاً من حفر الآبار ، وكانوا يزرعون الدخن والذرة ، أما قرب شاطئ البحر الأحمر فيزرع الحبحب العثري . أما المدرجات الزراعية فهي تشبه العقوم الترابية وهي عبارة عن استصلاح سفوح الجبال وجعلها على هيئة مدرجات بعضها فوق بعض وتبنى جدرانها الاستنادية الخارجية (الثمايل وجمعها ثمالة) بالحجارة بحيث يرتفع الجدار (٥, - ١) م عن سطح الركيبة لحجز المياه التي تسقط عليها والتي تكون عادة مزروعة بالقمح (البر) ، كما أن هذه الطريقة تؤدي أيضاً إلى تسرب المياه إلى باطن الأرض لتغذية الآبار المحفورة في بطون الأودية. وتكثر هذه المدرجات في الجبال العالية من السروات وحتى اليمن وهذه المساطب ذات منظر خلاب عندما تكون مزروعة بالقمح شاهدة على اهتمام الإنسان الأول بأمنه الغذائي والمائي- شكل رقم (٦) .

وللأسف فإن تلك المدرجات قد فقدت الكثير من أهميتها وبخاصة في المملكة العربية السعودية لأن الأهالي قد هجروا زراعتها وتهدمت ثمايلها وجدرانها الاستنادية لقلة المردود المادي من زراعتها .

الخيوف Galleries :

الخيوف Galleries ومفردها (خيف) وتسمى الدبول ومفردها (دبل) وتسمى مجازاً بالعيون وهي منشأة مائية قام بتصميمها الأقدمون قبل آلاف السنين لجلب المياه من أعالي الأودية إلى المزارع والمنازل الواقعة في أسافل الأدوية وهي تختلف عن العيون Springs اختلافاً كلياً فالعين نبع مائي يظهر على السطح نتيجة تغييرات تركيبية للقشرة الأرضية تؤدي إلى تدفق المياه على السطح دون تدخل من الإنسان . أما الخيوف فإن المياه تتدفق على سطح الأرض مثلها في ذلك مثل العيون ولكن بفعل الإنسان عن طريق إنشاء قناة Duct تحت مستوى سطح الأرض تسمى فقيرة (جمعها فقر بضم الفاء والقاف) تميل بزاوية باتجاه أسفل الوادي وفي نقطة معينة تلتقي القناة مع سطح الأرض وعند هذه النقطة تظهر المياه على وجه الأرض فيما يشبه العيون ومن هنا جاءت التسمية مجازاً (عيون) ويوجد هذا النوع من الخيوف بكثرة في الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية وبخاصة في الأودية الواقعة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وهناك عدد من الخيوف المنتشرة في أجزاء مختلفة من المملكة . كما

أن في سلطنة عمـان عدداً كبيـراً من تلك الخيوف ولهـا نظام تشـريعي يحـدد طرق الانتفـاع بمياهها ولازال الكثير منها يعمل بصورة منتظمة حتى الآن وتقوم عليها زراعات .

لمحـة تاريخـيـة :

تشير كتب التاريخ إلى أن الخيوف قد نفدت في العصر الفارسي وبالتحديد في إيران قبل أكثر من ٢٠٠٠سنة وكانت تستخدم لري مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية حيث تقوم القنوات بتجميع المياه التحت سطحية Underground water من الرسوبيات الغرينية الكائنة في سفوح جبال فارس وتتجه بهذه المياه صوب القرى والمزارع الواقعة أسفل تلك الجبال وكانت هندسة هذه القنوات تتم بحفرها في الرواسب الغرينية . بحيث تكون تحت مستوى سطح التربة بعدة سنتيمترات وبذلك تعمل هذه القنوات على ترشيح المياه من تلك الرواسب الغرينية إلى داخل القناة وهذه الأخيرة تقوم بإيصال المياه إلى المزارع والمدن والقرى بواسطة الجاذبية الأرضية . وقد انتشرت فكرة الخيوف إلى منطقة الخليج العربي وبخاصة في عمان بعضها على نفس التصميم والبعض الآخر تكون القنوات على سطح الأرض ويبدو أن المسلمين في أثناء فتوحاتهم الإسلامية لبلاد فارس قد نقلوا تقنيات تصاميم هذه القنوات إلى المراكز الإسلامية في ذلك الوقت إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وهذا ما تفسره كثرة الخيوف في الأجزاء الغربية من المملكة العربية السعودية كما أن عين زبيدة التي أجرتها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد في العصر العباسي لتأمين المياه لمكة المكرمة وزوارها من حجاج ومعتمرين هي إحدى الدلائل على نقل تلك التقنيات من بلاد فارس إلى الجزيرة العربية.

وفي عصر النهضة الحديثة وفي وجود التقنيات المتقدمة لحفر الآبار والمضخات فقدت هذه الخيوف جزءاً من أهميتها ، إما نتيجة لتهدمها وانسداد قنواتها وعدم قدرة أصحابها على إصلاحها لصعوبة ذلك وارتفاع تكاليف الصيانة ، وإما نتيجة لانخفاض مستوى الماء عن منسوب القنوات واتجاه الأهالي لحفر آبار يدوية وأنبوبية بديلاً عنها وكانت هذه الخيوف تقوم في الماضي بسقيا مزارع مشتركة . ويعتقد الأهالي أن القنوات تصل إلى تجاويف مائية كبيرة عند قواعد الجبال ، وأن المياه تنساب من تلك التجاويف على طوال القناة إلى أن تصل مزارعهم ثم يتوزعونها فيما بينهم كل حسب مساحة مزرعته ويسمى عندهم (الشِرب) بكسر

الشين المشددة وفي الغالب لا نجد مزارع كاملة مملوكة لشخص واحد وإنما لكل شخص عدد معين من الأشجار داخل المزرعة الواحدة . وعند حصول خلل فني في الخيف يتوزع أصحابها تكاليف الإصلاح كل حسب مساحة مزرعته أو عدد أشجاره أيضاً . وبسبب الطلب المتزايد على المياه في مكة المكرمة وجدة فقد قامت الدولة بنزع ملكية بعض الخيوف ذات الإنتاج المرتفع مثل سولة والمضيق وعدد كبير من عيون وادي فاطمة وتعويض أصحابها عنها وسميت (العين العزيزية) نسبة إلى الملك عبد العزيز يرحمه الله الذي أصدر أوامره بنزع جزء من ملكية تلك العيون وتحويل مياهها إلى مكة المكرمة وجدة وترك الجزء الآخر لأصحابها لسقيا مزارعهم مع تعويضهم بقيمة مجزية عن الجزء المنزوع ، ومع زيادة الطلب على مياه الشرب تم نزع ملكية الجزء الباقي وتعويضهم بمبالغ زادت عن٢٣ مليون ريال ، ولازالت بعض تلك الخيوف تعمل بصورة منتظمة حتى الوقت الراهن إلا أن مياهها أصبحت قليلة .

طريقة تصميم الخيف :

لقد اعتمد الأولون في إنشاء الخيف على استخدام مواد البناء المحلية من حجارة وطين وجص حيث يتم الحفر في الرواسب الوديانية إلى مستوى أسفل منسوب المياه الجوفية ثم تبنى القناة من الحجارة بعرض (٠,٦ - ١ م) وارتفاع (٠,٧٥ - ٢ م) وتمتد على طول الوادي لمسافة من (٣-٣٠) كم حسب مستوى الماء وموقع المزارع والمنازل بحيث تتسع القناة لدخول شخص أو اثنين لغرض التنظيف والصيانة ويتم تبطين قاع القناة وجزء من جوانبها بالجص أو أي مادة أخرى غير منفذة لمنع تسرب المياه منها باتجاه الرواسب الوديانية الجافة . ويتم تغطية القناة بقطع طويلة من الحجارة يزيد طولها عن عرض القناة وتكون من الصخور الصلبة جداً لكي لا تنكسر من جراء ضغط التربة عليها كما يتم قفل الفراغات بين صخور البناء بواسطة الحشو بالحصى Gravel للسماح بدخول المياه دون الرواسب لتلافي انسداد القناة - شكل رقم (٧) .

وتميل القناة بزاوية معينة في اتجاه أسفل الوادي لإعطاء الفرصة للمياه للانسياب إلى المزارع أو المنازل بواسطة الجاذبية الأرضية ويختلف عمق القناة من مكان لآخر فنجد أن القناة قد تكون على عمق أكثر من ٤٠م تحت سطح الأرض كما في خيف الزيما ثم يقل العمق

تدريجياً إلى أن تصبح القناة على سطح الأرض وقد تستمر القناة على سطح الأرض لمسافات طويلة مارة بأسافيل الجبال كما في خيف وادي خليص وقد يتفرع من القناة الرئيسية قنوات فرعية لسقيا أكثر من مزرعة أو عدة قرى وقد يوجد بالوادي عدة خيوف على مستويات مختلفة

وهذا التصميم يجعل القناة تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، قسم يقع تحت مستوى المياه الجوفية أي أنه مغمور بالمياه ويسمى قناة الترشيح Infiltration أو قناة التجميع Effluent duct وقسم يقع تحت مستوى الأرض وفوق مستوى المياه الجوفية Water table وقسم يقع فوق سطح الأرض ويسمى القسمان الأخيران بالجزء الناقل أو القناة الناقلة Influent part of duct ولغرض الصيانة والتنظيف يتم بناء خرزات Manholes على طول مجرى القناة الواقع تحت مستوى سطح الأرض بحيث تبنى من الحجارة على هيئة الطي بالحجارة في الآبار اليدوية القديمة ليكون هناك اتصال مباشر ما بين القناة وسطح الأرض وقد يكون مستوى سطح الخرزة أقل من مستوى سطح الأرض بعدة سنتيمترات لتلافي تهدمها في أثناء الفيضانات ويستدل أصحابها على مكانها بواسطة علامات ثابتة لسهولة العثور عليها عند الحاجة وتبعد الخرزات عن بعضها البعض بمسافات تتروح بين (١٥-٣٠) م شكل رقم (٨) .

شكل رقم (٧) قطاع نموذجي في إحدى قنوات الترشيح القديمة في المنطقة الغربية

كيفية عمل الخيف :

بعد تقدم الهيدروجيولوجيا دلت الدراسات التي أجريت على تلك الخيوف أنها تشبه الآبار اليدوية الاعتراضية من حيث طريقة التجميع ، والفرق بين الخيف والبئر اليدوية يتمثل في أن المياه في البئر اليدوية تستخرج بواسطة السحب في حين أن الخيف له قناة ناقلة للمياه ولقد تم إنشاء الخيوف على أساس أحد الاعتبارات التالية أو جميعها:

١- كون المزارع والقرى تقع في منطقة مياهها مالحة ولا تصلح للري ولذلك لابد من جلب المياه الحلوة إليها من مسافات بعيدة .

٢- الحاجة إلى تأمين المياه للمدن مثل خيف زبيدة التي كانت تسقي مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والحجاج والمعتمرين .

٣- أن تكون المزارع واقعة في مناطق مياهها قليلة ويتطلب الأمر إيجاد مصدر مائي شبه دائم.

٤- عندما يكون سمك الطبقة المشبعة بالمياه قليلاً ولا يسمح بحفر آبار يدوية لقلة سمك عمود الماء ولذلك فإن الخيوف في مثل هذه الحالة أفضل من حفر الآبار لاتساع مساحة الترشيح بالرغم من صغر سمك الطبقة المائية .

٥- الحصول على مياه أكثر عذوبة حيث إن معظم الخيوف تحفر في أواسط الأودية للحصول على كميات كبيرة من المياه ذات النوعية الجيدة دون التعرض للكوارث الطبيعية مثل السيول والفيضانات وهنا تكون الخيوف أفضل من حفر الآبار اليدوية التي غالباً ما تحفر في جوانب الأودية لتلافي خطر انجرافها أثناء السيول ومن المعروف أن المياه في وسط الوادي أكثر عذوبة من المياه على طرفي الوادي .

وتعمل الخيوف على ترشيح المياه من الطبقة المشبعة بالمياه عن طريق المسام والفتحات الموجودة في جدار القناة أو في الغطاء إلى داخل القناة بكامل طول الجزء المرشح ثم إلى الجزء الناقل الواقع تحت وفوق سطح الأرض ويكون القاع وجزء من جوانب القناة مصمتاً حتى لا تفقد المياه في أثناء جريانها في القناة إلى الرواسب الوديانية المحيطة ثم تصل المياه بعد ذلك إلى المزارع أو المنازل بطريقة التدفق بالجاذبية الأرضية .

ويتأثر معدل التدفق بالخيف تبعاً لاختلاف مستوى الماء في الوادي فإذا ارتفع منسوب المياه Water table طالت معه قناة الترشيح Effluent duct وفي المقابل تنقص القناة Influent duct وبذلك يزداد إنتاج الخيف والعكس صحيح أيضاً وهذا ما تؤكده الظواهر الحالية لبعض الخيوف حيث نجد أن بعضها قد تجف ولكن بعد سقوط الأمطار وتشبع التربة وارتفاع مستوى الماء تعود للتدفق مرة أخرى فإذا ما طالت فترة الجفاف وانخفض مستوى الماء جفت أو قل إنتاجها- وهكذا .

أعمال الصيانة والتنظيف :

يتضح من الطريقة التي تنفذ بها تلك الخيوف أنها قد تتعرض للتوقف كلياً أو ينخفض إنتاجها وبالتالي فإن الأمر يتطلب القيام بأعمال الصيانة لإصلاح الجزء المتهدم وتنظيف قاع القناة من الأتربة والصخور ولدى الأهالي خبرة واسعة عن الأسباب التي تؤدي إلى التوقف

وقلة الإنتاج وتكاد تنحصر الأسباب في النقاط التالية :

١- انخفاض مستوى الماء في الوادي وهذا يعني أن الجزء المرشح من القناة قد صغر وطال معه الجزء الناقل وهذا الانخفاض سببه طول فترة الجفاف وهذا تتم معرفته من واقع جفاف أو قلة مياه الخيوف الأخرى في نفس الوادي والأودية المجاورة .

٢- وجود سدد في مجرى القناة يعيق حركة المياه بصورة كاملة أو جزئية وهذه السدد يأتي من ترسيب الرمال الداخلة مع المياه إلى قاع المجرى وتتراكم حتى تسد مجرى القناة ويتوقف تبعاً لذلك التدفق .

٣- انهيار لجوانب وسقف القناة أو انهيار للخرزات وسقوط الأحجار والأخشاب إلى داخل المجرى وتراكم الرواسب فيه .

ويمكن للأهالي الاستدلال على الجزء الذي حصل فيه الانسداد وذلك بإعادة فتح الخرزات فإذا وجد أن جميع الخرزات ليس بها مياه فهذا يعني أن مستوى المياه بالوادي قد انخفض وفي هذه الحالة لا يمكن حل المشكلة إلا بسقوط الأمطار وتشبع التربة بالمياه أما إذا وجدت المياه في خرزة ولم توجد في الخرزة التي تليها فهذا يعني أن الانسداد حصل في الجزء الواصل بين الخرزتين وهنا يتم إنزال شخص أو شخصين من الخرزة السفلية ويقوم بتتبع مسار القناة حتى الوصول إلى مكان الانسداد ثم يعمل على تنظيفه وإخراج الدمار إلى أن تعود المياه للتدفق مرة أخرى وتعمل الخرزات في هذه الحالة كغرف تفتيش وتهوية للخيف لمنع اختناق العمال لسهولة التنظيف ولكن يحصل أن تختفي العلامات التي تدل على مواقع الخرزات Manholes وبالتالي فإن عملية الصيانة في هذه الحالة تكون صعبة للغاية ومكلفة جداً . وهنا يبدأ العمل من مخرج الخيف أو من خرزة معلوم مكانها حيث يقوم العامل بالنزول معها ويسير باتجاه أعلى الوادي عبر القناة وإذا ما وصل إلى الخرزة التي قبلها يقوم بتحريك الغطاء إذا كان سمك الرواسب قليلاً أو يقوم بالطرق على الغطاء ويتولى العمال على سطح الأرض البحث عن موقع الخرزة وفتحها عند سماع الطرق وهكذا إلى أن يتم الكشف عن بقية الخرزات للوصول إلى الجزء المسدود وإصلاحه .

ولذلك فإن هذه العملية صعبة جداً وخطيرة ومكلفة مادياً ولا يقوم بها إلا أشخاص

معينون لهم خبرة كبيرة في هذا المجال ولديهم مقدرة على تحمل قلة الأكسجين لفترة طويلة كما يجب أن يكون الشخص ذو بنية قصيرة ونحيل الجسم حتى يتمكن من الحركة داخل القناة وقد انقرضت الأجيال التي كانت تقوم بصيانة الخيوف ولم يعد في الوقت الحاضر من يستطيع النزول والدخول في مجرى القناة والتعرض للأخطار وإن وجدوا فإنهم يطالبون بمبالغ كبيرة جداً .

أمثلة من الخيوف في المملكة العربية السعودية

أولاً : منطقة مكـة المكرمـة :

قد أورد الأنصاري في كتابة (تاريخ العين العزيزية) ١٩٦٩م أن في وادي فاطمة أكثر من ٣٥٠ خيف ولكن معظمها قد تهدمت ولم يعد يعرف منها سوى عدد قليل جداً .

١- **خـيف الزيما** : وهذه تقـع على خط الطائف - وادي السـيل - مكة المكرمـة وكـانت مـياهـها تستغل لسقيا الحجاج والمعتمرين القادمين من الشرق والشمال الشرقي ، كما كانت تسقي عدداً كبيراً من مزارع الليمـون والموز الذي كانت تشتـهر به الزيما وطول القناة يزيد عن ٣٠ كم كما أن عمقها قرب المنبع قد وصل إلى ٤١ م حسب القياسات التي تمت من إحدى الخرزات وقد كانت تعمل بصورة جيدة حتى عهد قريب ولكن بسبب حفر الآبار حول القناة انخفض مستوى الماء مما أدى إلى جفافها .

٢- **خـيف سولة والمضيق** : وتقع إلى الأسـفل من الزيما بحـوالي ٢٥كم وكـانت تسـقي المزارع الأهلية ثم قـامت الدولة بنزع ملكية الخيف والمزارع لصالح مـياه مكة المكرمة وكـانت تنتج حوالي٦٠٠٠م٣/ يوم من المياه إلا أن الحفر في مـجرى الوادي لصـالح مشـروع مياه مكة المكرمة ومن قبل الأهالي أدى إلى ضعف إنتاج الخيف إلى (١٥٠٠-٢٠٠٠) م٣ / يوم أثناء مواسم الأمطار ، أما إذا طالت فترة الجفاف فإنها تجف وتتوقف .

٣- **خيف زبيدة** : وتقع إلى الأعلى من عرفات وتستـمد مياهـها من وادي نعمان ويدل اسـمـها على أن السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد قد أجرتها في العصر العباسي لسقيا أهالي مكة المكرمة والحـجاج والمعتمرين وكانت حتى عـهد قريب تنتج حـوالي ٤٠٠٠م٣/ يوم يتم ضخها إلى محطة اليحموم في عرفات ثم إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بعد خلطها مع

مياه آبار وادي نعمان .

٤- **خيف المبارك بوادي فاطمة** : وتقع في وادي بن عمير (جزء من وادي فاطمة) ونتيجة لكثرة الآبار الحكومية الخاصة بمشروع مياه مكة المكرمة في وادي بني عمير فقد توقفت عن الجريان . وقد تم الوقوف عليها في عام ١٤٠٢هـ ووجدت جافة بالرغم من كثرة الأمطار والسيول المتكررة في ذلك العام وقد يكون ذلك دلالة على وجود انهيارات في مجرى الخيف .

٥- **خيف الدبة** : وتقع إلى الأعلى من سد أبو حصاني بوادي فاطمة وقد تم نزع ملكيتها لتعارض موقعها مع موقع السد وكانت تعمل بصورة منتظمة حتى تهدم جزء منها في أثناء إنشاء السد .

٦- **خيف القشاشية** : وتبعد عن محطة الضخ بالقشاشية بوادي فاطمة بحوالي ٢٠كم وكانت تضخ المياه منها إلى المحطة بمعدل ٦٠٠٠م٣ / يوم في عام ١٤٠١هـ .

٧- **هناك أكثر من ٢٤ خيف يقع معظمها أسفل سد أبو حصاني بوادي فاطمة** هي (الروضة - البرقة - أبو عروة - الحسينية - الهنية - الجموم - الخضراء - أبو شعيب - المدراء - الفيض - الشماسي - البقيرية - الهراس - البحرين - بزان - المبارك - الجديدة - البراير - الحميمة - صروعة - المرشدية - المقوع - الركاني - حداء) .

٨- **خيف البريكة في هدى الشام** : وتقع بوادي هدى الشام الذي يصب في وادي عسفان وقد تم الوقوف عليها في عام ١٤٠٢هـ في أثناء مواسم الأمطار ووجد أن إنتاجها ضعيف وقد لوحظ انخفاض مستوى سطح الأرض فوق أجزاء من مجرى الخيف (الفقير) وهذا يدل على وجود تهدم في قناتها ولعدم استطاعة الأهالي إصلاحها قاموا بحفر آبار أنبوبية ويدوية بدلاً عنها .

ثانياً : محافظة الطائف :

يوجد في الطائف وبخاصة وادي وج عدد كبير من الخيوف أهمها :

١- **خيف الوهط والوهيط** : وتقع إلى الجنوب الغربي من الطائف وفي أعالي وادي وج وكانت تسقي عدداً من المزارع الأهلية ثم قامت الدولة بنزع ملكية المزارع والخيوف بوادي وج

وتبنّت مصلحة المياه والصرف الصحي بمنطقة مكة المكرمة فكرة إعادة إنشائها على ما كانت عليه باستخدام الحجارة والاسمنت بطول حوالي ٨ كم إلا أن إنتاجها ضعيف ٢٥٠٠م٣/ يوم .

٢- **خيف الماوين** : وتقع في أعالي وادي وج وقد اكتشفت بطريق الصدفة في أثناء إصلاح خيف الوهط والوهيط عام ١٣٩٥هـ وكانت تنتج حوالي ٣م٣ في اليوم وذلك بسبب وجود انهيار داخل قناتها وقد تكون جزءاً من خيف الوهط والوهيط .

٣- **خيف شقراء** : وتقع في أعالي وادي وج أسفل الوهط والوهيط وقد تم الوقوف عليها عام ١٤٠١هـ وتبين أنها جافة وقد يكون للبئر الأنبوبية الحكومية المحفورة قرب قناتها تأثير سلبي على إنتاجها .

٤- **خيف المخاضة** : تقع إلى الأعلى من الوهط والوهيط بوادي وج وقريباً من جبل برد .

٥- **خيف المثناة** : بوادي وج وقد كانت تسقي عدداً كبيراً من مزارع الأشراف بالطائف إلا أن جزءاً كبيراً منها قد تهدم أثناء تحسين مجرى وادي وج داخل مدينة الطائف .

٦- **خيف شبرا** : وتقع في أعالي وادي القيم بالطائف وكانت مصلحة المياه والصرف الصحي بالطائف تستغل مياه هذه الخيف عن طريق سحب المياه من إحدى الخرزات بواسطة المضخات وهذا يعني وجود انهيار في القناة أسفل الخرزة التي يتم السحب منها .

٧- **خيف الفيصلية بوادي وج** : وكانت أيضاً تستغل من قبل المصلحة بالسحب بواسطة المضخات من الخرزة الواقعة قبل شريعة الخيف Outlet .

ثالثاً : الخيوف في مناطق أخري متفرقة :

١- **خيف وادي قديد** : وتقع بوادي قديد شمال جدة وكانت حتى وقت قريب تعمل بصورة منتظمة .

٢- **خيف وادي خليص** : وتقع بوادي خليص شمال جدة ويلاحظ أن جزءاً من الخيف يسير بمحاذاة الجبال فوق سطح الأرض لإيصال المياه إلى المزارع السفلية من الوادي إلا أنها جافة في الوقت الحاضر . ويذكر الأهالي أن في هذا الوادي أكثر من ١٥ خيفاً .

٣- **خيف مهايع بالكامل** : لقد تم الوقوف عليها في عام ١٤٠٢هـ أثناء مواسم الأمطار ووجد

تسرب للمياه من القناة الناقلة لوجود انهيارات واضحة في مجرى الخيف وقد يكون هناك تهدم في الأجزاء العلوية من قناة الترشيح إلا أن شدة السيول في ذلك التاريخ لم تسمح بمعرفة وضع بقية أجزاء الخيف أو إنتاجها .

٤- **خيف ملح بالكامل** : تم الوقوف عليها في أثناء الوقوف على الخيف السابقة ويوجد بها انهيارات خاصة في الجزء الناقل وأيضاً لم نتمكن من معرفة وضعها وإنتاجها بسبب شدة السيول .

٥- **خيف الحسينية بوادي الصفراء** : وتقع بقرية الواسطة وقد تم الوقوف عليها في عام ١٤٠٢هـ وأفاد الأهالي بأنهم تتبعوا قناتها إلى مسافة أكثر من ٣ كم ولا يوجد فيها انهيارات وتنتج حوالي ٢٣٠ج/ دقيقة .

٦- **خيف البريكة بوادي الصفراء** : تم الوقوف عليها عام ١٤٠٢هـ ووجد أن المياه فيها في حالة ركود وهذا يعني أن الجزء السفلي منها قد تهدم كما أن بعض الخرزات السفلية لا يوجد بها مياه وهذا دليل آخر على وجود سدد في القناة وفي الجزء الواقع بين الخرزة التي فيها مياه والخرزة الجافة .

٧- **خيف حسين في ينبع** : لقد تم الوقوف عليها في عام ١٤٠٢هـ وكان إنتاجها عالياً حوالي ٦٥٠ج/ دقيقة .

٨- **خيف الجابرية في ينبع** : توقف إنتاجها بين (١٣٩٩-١٤٠٢هـ) ثم عادت للجريان مرة أخرى في عام ١٤٠٢هـ وهذا يدل على انخفاض مستوى الماء عن مستوى الجزء المرشح من القناة Infiltration duct .

وهناك عدد آخر من الخيوف في مناطق متفرقة مثل :

٩- **خيوف الحائط في حائل .**

١٠- **عين بن فهيد بالقصيم .**

١١- **خيف تدعل بالعلا - المدينة المنورة .**

١٢- **عيون الأفلاج .**

١٣- **خيف أم العيال بالمدينة المنورة .**

المرئيـات والتوصـيات

إن هذه الخيوف كانت ولازالت في بعض دول الخليج العربي مصدراً جيداً لمياه الشرب والزراعة لمئات من السنين مضت وشاهداً على أهمية المياه للإنسان وتفانيه في الحصول عليها ودفعه للمبالغ الكبيرة من أجل المحافظة على تلك الخيوف واستمرار عملها من أجل أمنه المائي والغذائي إلا أن الزيادة المضطردة في التعداد السكاني على وجه الكرة الأرضية وما صاحبه من ارتفاع مستوى المعيشة وازدياد الطلب على المياه قد أدى إلى زيادة الرقعة الزراعية على حساب المخزون الجوفي من المياه ولمقابلة الطلب على الزراعة استبدل الأهالي بحفر الآبار مما أدى إلى انخفاض مستوى المياه في الأودية إلى أن أصبحت تلك المستويات أخفض من مستوى قناة الترشيح Infiltration وبذلك انقطعت المياه عن الخيف أو قلّ تدفعها كما أن انعدام الصيانة أحد الأسباب التي أدت إلى إهمال الأهالي للخيوف والاعتماد على حفر الآبار.

وقد كان للمملكة العربية السعودية تجربة في إعادة إصلاح خيف الوهط والوهيط بالطائف على غرار ما كانت عليه إلا أن إنتاجها ضعيف ومن هذا المنطلق فإن عملية إصلاح أو إعادة بناء أي من العيون هي عملية مكلفة وغير مضمونة النتائج ولذلك يجب أن يصرف النظر عن إصلاحها .

١- على وزارة المعارف (وكالة الآثار) نزع ملكية بعض الخيوف وتشبيكها للمحافظة عليها .

٢- وبالنسبة للخيوف التي لازالت تعمل حتى الآن فلعل من المناسب أن يتم منع حفر آبار يدوية أو أنبوبية قريباً من تلك الخيوف أو يحظر الحفر في كامل الوادي الذي تقع به الخيوف .

٣- سبق لوزارة الزراعة والمياه أن تلقت من بعض الأهالي (أصحاب الخيوف) طلباً لإصلاح خيوفهم وبناءً عليه قامت الوزارة بالاستعانة باللجنة السعودية الأمريكية المشتركة (الجيكور) التي كان لها خبراء يعملون في الوزارة وتم استدعاء مجموعة من الخبراء الأمريكيين إضافة إلى ممثلين عن الوزارة قاموا بالوقوف على عدد من الخيوف بالمنطقة الغربية وقد اقترحوا إصلاح مجموعة من تلك الخيوف بلغت تكاليفها التقديرية مئات الملايين من الريالات ، إلا أن الوزارة ليس لديها بنود مالية لإعادة إصلاح العيون ، وقد

أحيل طلبهم إلى البنك الزراعي لإقراضهم إذا رغبوا في ذلك إلا أن البنك اعتذر عن ذلك بحجة أن الخيوف حيازات يملكها عدد كبير من الناس ولا يوجد شخص معين يملك لوحده الخيف ونرى أن تتولى الجهات المختصة التنسيق مع البنك الزراعي (وزارات : الزراعة والمياه ، المعارف ، المالية ، والاقتصاد الوطني) لإصلاح خيوفهم .

٤- تشكيل لجنة من وزارة الزراعة والمياه ، وزارة المعارف (وكالة الآثار) ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، جامعة الملك عبد العزيز ، وزارة الداخلية للوقوف على الخيوف في جميع مناطق المملكة وحصرها وتوقيعها على خرائط تمهيداً لإصلاحها إذا كان ذلك ممكناً من الناحية الهندسية أو الهيدروجيولوجية أو حمايتها لتبقى تحت مراقبة وزارة المعارف (وكالة الآثار) .

٥- هناك توجيهات عليا لدراسة وضع خيف زبيدة حيث وضعت جامعة الملك عبد العزيز بجدة (كلية علوم الأرض ، كلية الهندسة) الترتيبات اللازمة لمعرفة مدى إمكانية إصلاحها نظراً لما تمثله هذه الخيف من آثار تاريخية لأنها كانت المصدر الأساسي لإمداد مكة المكرمة بالمياه لأكثر من ١٢٠٠سنة وقد تعاقب الكثير على إصلاحها خلال تلك السنوات الطويلة لضمان تدفق المياه إلى أطهر بقاع الأرض ولمقابلة تزايد أعداد الحجاج في كل عام .

المراجـــــع

١- أحمد غرم/ عبد الله العمودي : دراسة بعض العيون في الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية ١٩٨٢م .

٢- أحمد غرم الغامدي ، الدراسة الهيدرولوجية لوادي وج ، ورسالة ماجستير ١٩٨١م .

٣- أطلس المياه في المملكة العربية السعودية - إدارة تنمية موارد المياه - وزارة الزراعة والمياه ١٩٨٤م .

٤- جريدة الندوة العدد ٦٥٥٠ ، الأربعاء ٨ ذي القعدة ١٤٠٠هـ - ٧سبتمبر ١٩٨٠م .

٥- دراسة بعض العيون في المنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية - جيكور ١٩٨٢م .

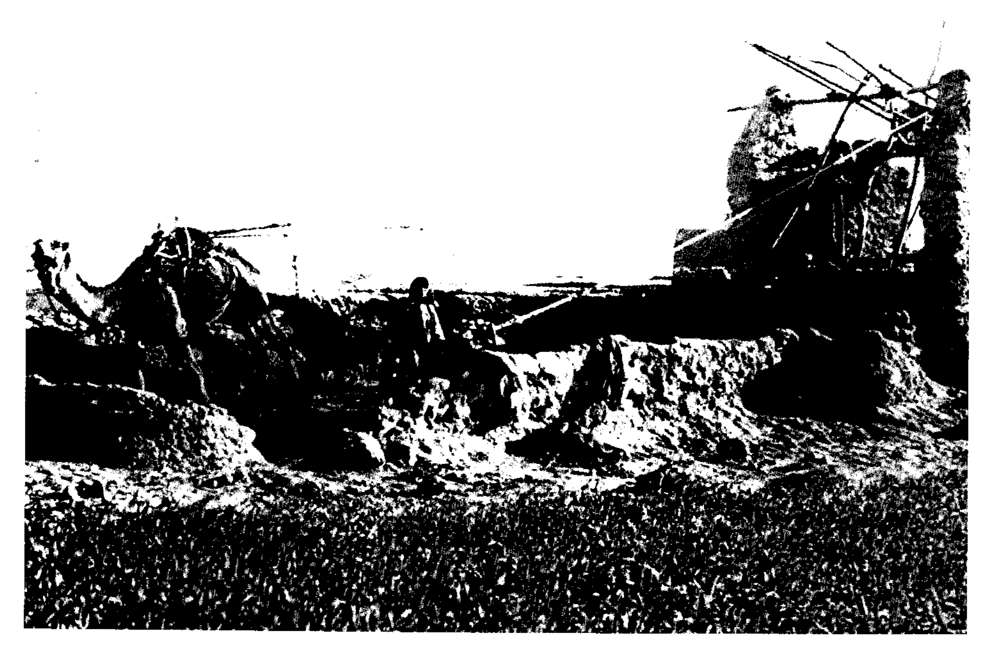
٦- د . راشد خان/ أياد الخطيب : ندوة تنمية واستخدامات مصادر المياه ، وزارة التخطيط - الخطة الوطنية - المجلد الثاني ١٩٨٢م .

٧- الرحلة اليمانية - شرف بن عبد المحسن البركاني ، ١٣٨٤هـ ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر - بيروت .

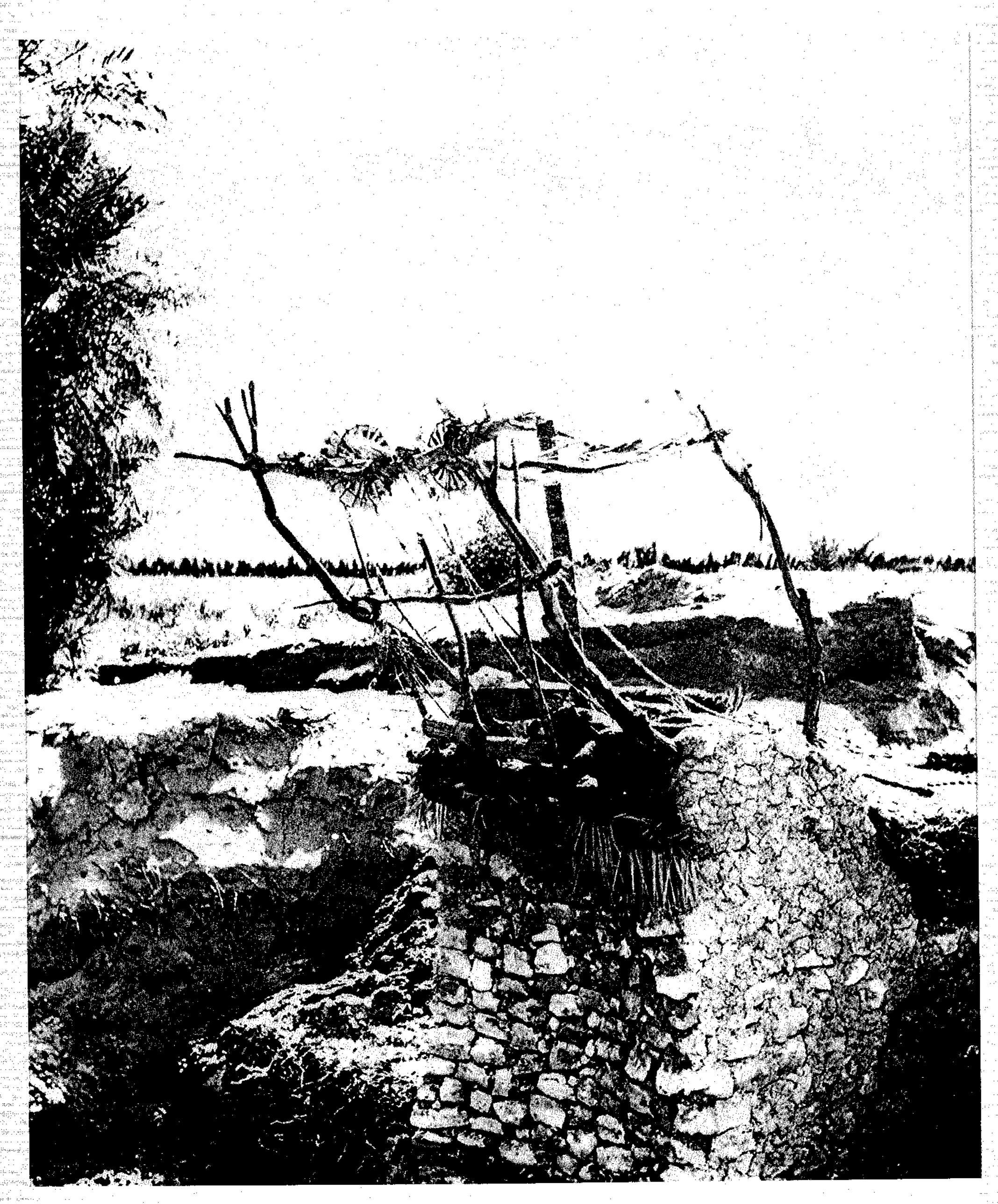
٨- عبد الله العمودي : الدراسات الهيدروجيولوجية لبعض العيون بالطائف ١٩٨١م .



شكل رقم (١) : الآبـار اليدويـة (لغرض الشرب)



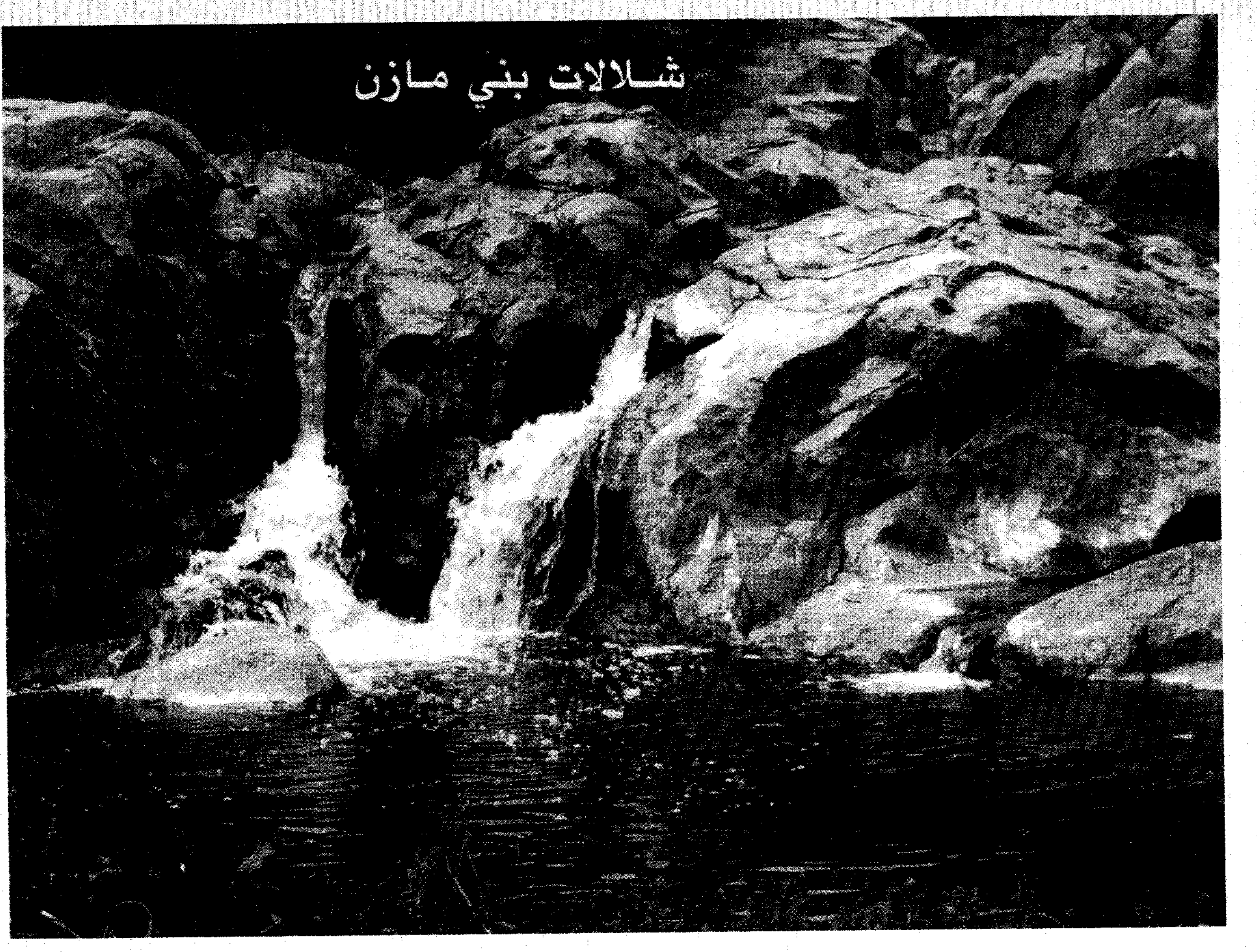
شكل رقم (٢) : الآبار اليدوية (لغرض الزراعة)



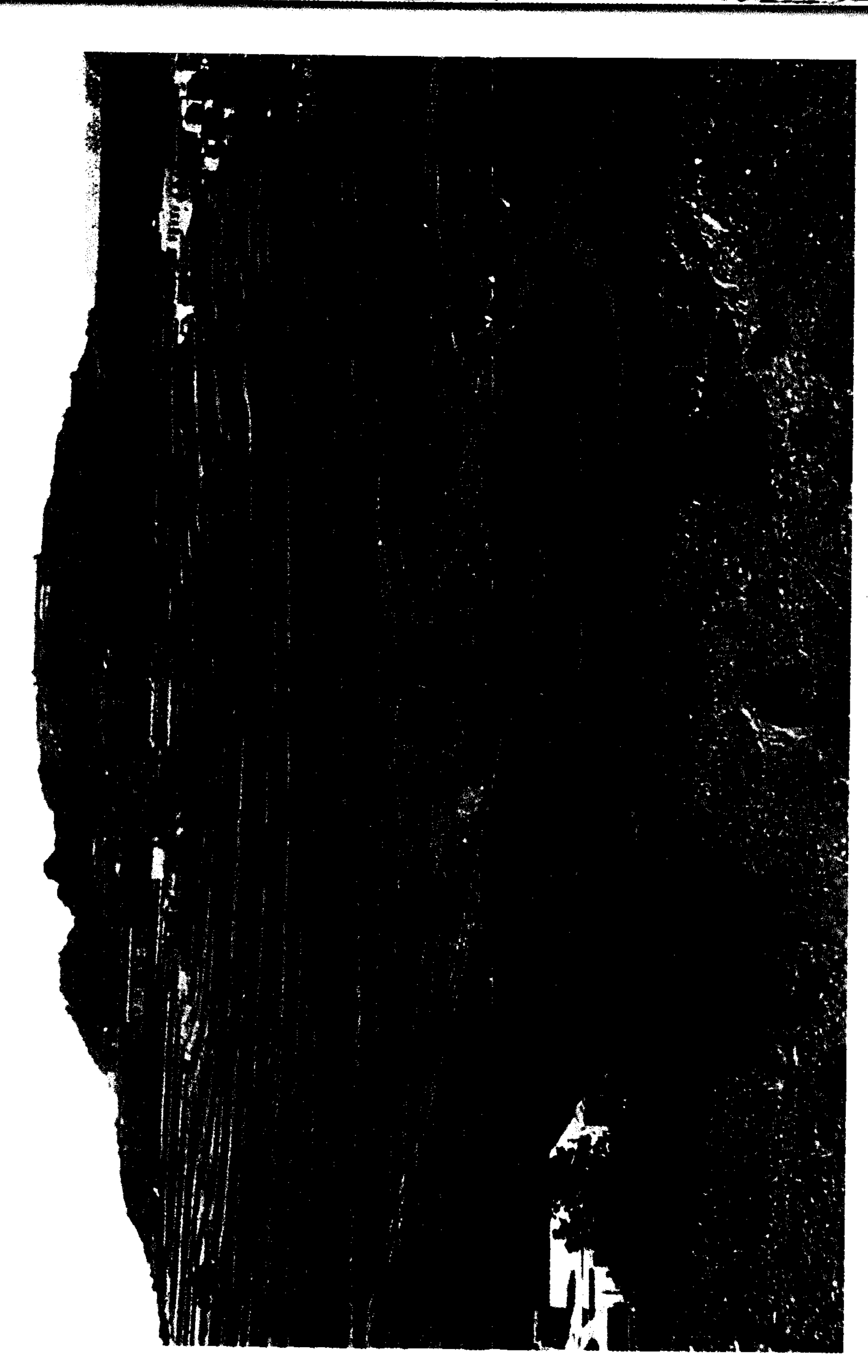
شكل رقم (٣) : الطـي بالحجـارة في الآبـار اليدويـة



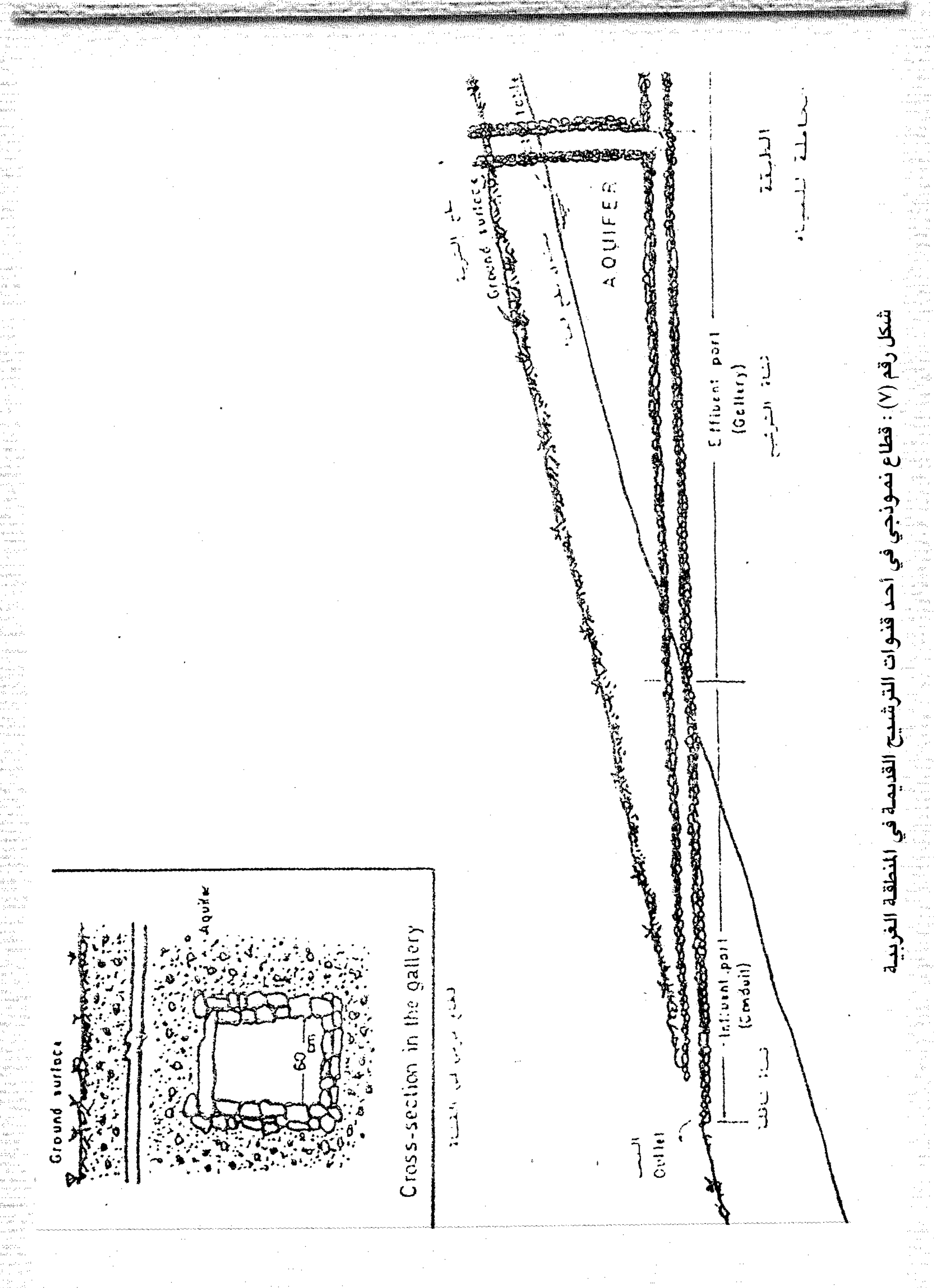
شكل رقم (٤) : إحدى الآبار القديمة وظهر بداخلها الطي بالحجارة



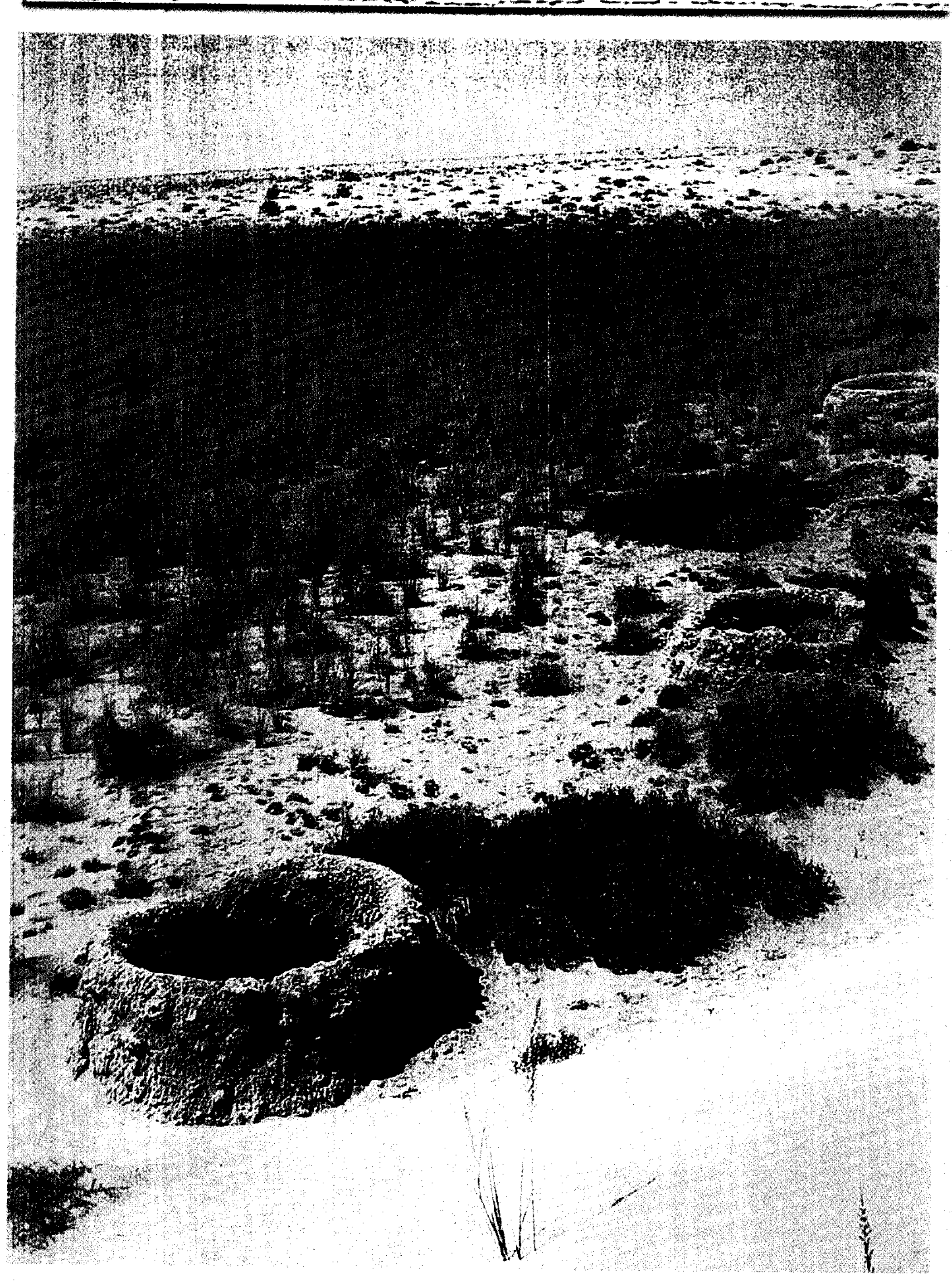
شكل رقم (٥)



شكل رقم (٦) : المســاطب الزراعيــة



شكل رقم (٧) : قطاع نموذجي في أحد قنوات الترشيح القديمة في المنطقة الغربية



شكل رقم (٨) : يبين الخرزات في إحدى الخيوف

سلامة الآثار من الأخطار وكيفية العلاج

عميد . مساعد بن منشط اللحياني (*)

مقدمة :

إن كل ما يخلفه الإنسان من أثر في حياته الخاصة أو العامة لهو دليل على بقاء ذلك الإنسان حياً على مر الدهور .

وهذا ما جعل للآثار قيمة هامة تحرص الشعوب على حمايتها وتوفير السبل الكافية بالاستفادة منها ، فهي الماضي الذي يربط الحاضر وهي العنوان الذي من خلاله يقرأ الباحث والعالم حياة الأمم ويعرف درجة تقدمها ورقيها وأسباب مجدها وعلوها وكذلك انحسارها وسقوطها .

إن المحافظة على الآثار دليل على أن تلك الأمة تقدر الأجيال التي سبقتها وتحترم حضارتها ، بل تستفيد منها في حياتها ، فمن ليس له ماض فليس له حاضر .

لذا فإنه يجب على كل أمة أن تحافظ على آثارها وتراثها الشعبي وتنمي تلك الروح في أبنائها وبناتها وتغرس فيهم عن طريق وسائل التشويق والإثارة حب الآثار والتراث القديم وأن تجعل من كل مواطن شرطياً يحمي تراث بلاده وأمته من أى خطر كان ، وأن توفر سبل التشجيع والمكافأة لهم .

لقد حظر نظام الآثار الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ في المادة (١١) إتلاف الآثار المنقولة أو تحويرها أو إلحاق الضرر بها أو تشويهها بالكتابة أو النقش عليها أو تغيير معالمها .

ومما لاشك فيه أن هناك أخطاراً عديدة تهدد أمن وسلامة الآثار والتراث الشعبي سواء كانت في مواقعها الأصلية أو في المتاحف العامة أو الخاصة . وسوف نتطرق إليها من خلال هذه الورقة .

(*) مدير الإدارة العامة للشؤون الثقافية والإعلامية – المديرية العامة بالدفاع المدني .

أولاً : الأخطار التي تهدد أمن وسلامة الآثار الثابتة والمنقولة :

من المعلوم أن الآثار الثابتة أو المنقولة تتعرض لمخاطر عديدة قد تؤدي إلى تدميرها ونشوء خسارة كبيرة جراء ذلك ، مما يحتم علينا إعداد الخطط والوسائل العملية التي تساعد على الحفاظ على تلك الآثار وحمايتها من أية أضرار .

ولو نظرنا إلى الأخطار التي تهدد الآثار لوجدناها كالتالي:

١- الحرائق Fires :

هناك آثار عديدة في مدن مختلفة من المملكة تحتوي مكوناتها على مواد قابلة للاشتعال مثل المباني القديمة وهذه تحتوي على الآتي :

أ) أبواب ونوافذ ورواشين خشبية .

ب) أثاث مصنوع من الغزل والنسيج أو الخشب مثل الفرش والأواني والمقاعد والكراسي .

ج) أسلاك كهربائية مكشوفة . ولو نظرنا إلى تلك المكونات لوجدناها كلها مواد قديمة قد مضى عليها سنوات فأصبحت قاسية مع مرور الزمن تنتظر أي عود ثقاب أو عقب سيجارة أو حتى التماس كهربائي فتشتعل مكونة حرائق تصعب السيطرة عليها .

كما أن المتاحف التي تضم بين جنباتها مواد قابلة للاشتعال من الآثار القديمة معرضة أيضاً للحرائق خاصة عند عدم توفر وسائل السلامة بها .

٢- الهزات الأرضية (الزلازل) Earthquake :

تحدث الزلازل عند انكسار الصخور انكساراً مفاجئاً بسبب تعرضها للضغط أو الشد أو الازدواج الشديد الذي يوصلها إلى حد من الإجهاد يتسبب في أنها تنفعل وتتشوه بالكسر مما يؤدي إلى حدوث انزلاقات أرضية وفيضانات وحرائق وهذه لو حدثت بجوار الأماكن الأثرية فسوف تؤثر فيها تأثيراً كبيراً وتلحق بها أضراراً بالغة .

ولقد حدثت هزات أرضية بعدد من مناطق ومحافظات المملكة تكثر ببعضها الأماكن الأثرية ، ومن تلك الهزات :

أ - **المدينة المنورة** : تذكر المصادر أنه في عام ٦٥٤هـ / الموافق ١٢٥٦م ، سمع صوت بالقرب من المدينة المنورة ثم تلاه زلزال شديد أحدث أضراراً كبيرة في الحجاز ، تلاه انفجار بركان المدينة (الحرة الشرقية) .

ويروي المؤرخ/ نور الدين علي السمهودي مؤلف كتاب (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) أن الهزات استمرت بمعدل عشر هزات يومياً ولمدة (٥-٦) أيام ثم انفجر البركان ، وتقدر قوة الهزة التي أدت إلى انفجار البركان (٥,٥) درجة على مقياس ريختر .

ومعلوم الكم الهائل من الآثار التي تحتضنها المدينة المنورة .

ب - **محافظة خيبر وتيماء** : ففي عام ٤٦٠هـ الموافق ١٠٦٨م حدث زلزال كبير وبقوة (٦-٩) درجة بمقياس ميركالي شعر به الكثيرون في منطقة الحجاز وخاصة خيبر وتيماء ووادي الصفرة وشرم ينبع وامتد إلى الشمال في الأردن وفلسطين حيث شعر به سكان الرملة والقدس وبنياس وإيلات .

ج - **مكة المكرمة** : حدثت بها هزة في عام ٨٨٦هـ / الموافق ١٤٨١م ربما يكون سببها صدع الدم .

د - **محافظة الطائف** : حدثت بها هزة في عام ١٢٧٠م ربما يكون سببها صدع الدم .

هـ - **محافظة حقل** : حدثت بها هزة في ١٤١٦/٦/٢٩هـ نتج عنها أضرار مختلفة .

و - **محافظة جدة** : تم رصد ما يزيد عن ١٥٠٠ هزة تترواح قوتها من ٠,٥ إلى ٤ درجات على مقياس ريختر وذلك على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، كما تم رصد هزات عديدة حول منطقة جدة حول الصدع الممتد لمساحة ١٣٠ كم في اتجاه الشمال الشرقي من ساحل البحر الأحمر حتى محافظة الطائف .

ز - **منطقة عسير** : حدثت بها هــزة في عام ١٤٠٩هـ وبلغت قوتها (٢,٨) درجة على بعد ١٥-٢٠كم شرق محافظة خميس مشيط .

ح - **منطقة جيزان (أبو عريش)** .

ط - **محافظة بلجرشي** : حدثت بها أربع هزات في عام ١٤٠٥هـ .

ومما لاشك فيه أن حدوث هزات بتلك الأماكن سوف تؤدي إلى فيضانات و تصدعات وحرائق وانهيارات وهبوط للآثار وبالتالي فقدانها أو عدم الاستفادة منها .

٣- البراكين Volcano :

تثور البراكين فجأة مخلفة وراءها فيوض اللافا (الحمم) وفيوض الرماد البركاني (انهيارات حارة) وتساقط الرماد والغازات والهبات الجانبية .

وتشكل هذه المخلفات خطورة بالغة على الآثار حيث إن الحمم العالية السيولة قليلة اللزوجة مثل الحمم البازلتية تنتشر على الأرض وتنساب لمسافات بعيدة ، ويتحكم في شكل إنسيابها طبوغرافية المنطقة وهذه تلحق أضراراً بالغة بمختلف أنواع الآثار المكشوفة منها والمغطاة .

كما أن الرماد البركاني قد يصل إلى مسافة تبلغ آلاف الكيلومترات بفعل الرياح وترسبه بشكل غير منتظم وبالتالي يغطي الرماد مساحات كبيره من المدن والقرى والمنشآت القريبة من البركان .

كما أن ثقل رواسب الرماد يؤدي إلى تقوس أسطح المتاحف وبالتالي انهيارها وخصوصاً عندما تهطل الأمطار حيث يزيد وزن الرماد البركاني وبالتالي يحدث الانهيار بشكل مفاجئ ويصاحب ذلك عدد من الوفيات والإصابات والأضرار المادية الأخرى ، كما أن خروج الغازات البركانية يؤدي إلى التسمم ! .

والمناطق التي تعد نشطةً بركانياً هي :

أ – الحرة في شرق وادي السرحان وهي امتداد للصخور البركانية في الأردن وجنوب سوريا .

ب – حرة الرحا جنوب غرب مدينة تبوك .

ج – حرة العويرض وتمتد حتى محافظة الوجه .

د – حرة جبل ريشه جنوب حرة العويرض .

هـ – حرة لينر وتقع جنوب سابقتها وإلى الشرق من محافظة أملج .

و– حرة خيبر وتغطي مساحة واسعة من شمال المدينة وتقع محافظة خيبر في شمالها الغربي .

ز- حرة ثنان وهي امتداد لحرة خيبر .

ح - حرة الهرمة وتقع جنوب حرة خيبر .

ط - حرة رهاط (حرة بني سليم) وتمتد من المدينة المنورة باتجاه الجنوب حتى شمال مكة والطائف .

ي - حرة قشب وتقع شرق حرة رهاط .

ك - حرة حضن وتقع شرق سهل ركبة الواقع شرق محافظة الطائف .

ل - حرة نواصيف وحرة البقوم .

م - حرة برك وتقع جنوب القنفذة .

٤ - الصدوع Faults :

هي عبارة عن كسر في مجموعة من الصخور يصحبه تحرك نسبي أو انزلاق أو إزاحة أحد الكتلتين الناتجتين عن الكسر أو كلتيهما . ويؤدي تكوين الصدوع إلى حدوث تصدعات وتشققات بالمباني (المتاحف) مثلاً .

٥- الفواصل أو الشقوق Joints :

هي شقوق تكونت في الصخور دون أن يحدث نتيجة لتكونها أي انزلاق أو حركة على جانبي الشق ، وهي تتراوح في الاتساع من شقوق قد لاترى إلا بالعدسة ، إلى تصدعات هائلة ذات امتداد كبير ، وقد تتسع مثل هذه الفواصل اتساعاً كبيراً نتيجة الإذابة أو عوامل التعرية الأخرى . وقد تؤدي تلك الفواصل والشقوق إلى أضرار بالغة بالآثار خاصة التي تقع في أماكن جبلية .

٦- الهبوط الأرضي Subsidence :

وهو عبارة عن هبوط في كتلة من الأرض من الأعلى إلى الأسفل في حركة رأسية دون حدوث زحزحة جانبية ، ومن الأسباب المؤدية إلى حدوث الهبوط الأرضي سحب السوائل مثل البترول والمواد المصاحبة له كالغاز والماء واستخراج الملح والفحم والمعادن الأخرى التحت أرضية وكذلك الزلازل والبراكين ، ويكمن الخطر عند إنشاء المتاحف في مناطق الهبوط

الأرضي أو القيام بعمليات سحب المياه واستخراج المعادن بجوار الأماكن الأثرية .

٧- الصواعق Lightning :

الصاعقة ضوء فجائي يظهر في السماء أثناء يوم عاصف ، وهي عبارة عن شرارة كهربائية قوية في السماء ، وقد تحرق الحرارة الناتجة عنها الأرض وقد تتسبب في حرق الأشجار والمنازل وقد تقتل الناس ، وتلحق الصواعق أضراراً مباشرة في المباني الأثرية الواقعة في أعالي الجبال كقلعة أجياد بمكة المكرمة .

٨- الرطوبة النسبية المنخفضة Humidity :

تؤدي إلى تفتيت السطوح الحجرية وملاط الحوائط ودمار النقوش والكتابات والزخارف في المباني الأثرية بسبب تبلور الأملاح فتحدث ضغوطاً موضعية هائلة .

٩- التفاوت الكبير في درجات الحرارة والرطوبة والأمطار Temperature,Humidity,Rains :

ينتج عن هذا التفاوت التشقق والتشرخ في اللياسة وانفصال الطبقة السطحية منها وغسلها وحفر قنوات شعرية في كافة المباني الأثرية والتقليدية ومن أمثلتها مباني منطقة الرياض القديمة كقصر المصمك ومباني المنطقة الشرقية كقصر إبراهيم باشا بالهفوف وغيرها .

١٠- السيول والفيضانات Floods :

إن وقوع الآثار في مجاري الأودية وبطونها وبالقرب من الأنهار والبحار يعرضها للخطر، فمرور السيول بالأماكن التي بها آثار قد تؤدي إلى جرفها وهدمها ، أما وقوعها إلى جانب البحار فتؤدي الأمواج إلى تآكل أساساتها ثم انهيارها فجأة مع مرور الزمن .

١١- السرقات Steals :

شاعت حوادث سرقة الآثار سواء من مواقعها الأصلية أو المنقولة ، حتى أصبحت هناك منظمات سرية تشتري وتبيع القطع الأثرية بل وحتى تساهم وتخطط لتهريبها وذلك نتيجة ضعف وسائل الحماية اللازمة .

١٢- العبث والتخريب Play with ... and vandalism :

إن ترك الآثار بدون رقابة للزائرين والسياح يؤدي ببعض ضعاف النفوس منهم وكذلك الذين يجهلون قيمتها وأهميتها إلى العبث بها أو تخريبها لعدم الاستفادة منها إما عن طريق الكسر أو الطمس أو سكب المواد المتلفة .

كما أن المادة (١) من نظام الآثار تحظر إتلاف الآثار المنقولة أو الثابتة أو تحويرها أو إلحاق الضرر بها أو تشويهها بالكتابة والنقش عليها أو تغيير معالمها .

١٣- الحروب Wars :

لقد خلفت الحروب وراءها دماراً كبيراً للثقافات والحضارات الإنسانية القديمة ، والأمثلة على ذلك كثيرة وخير شاهد على ذلك ما دمرته الحرب العالمية الثانية من آلاف المواقع والمباني الأثرية والتاريخية في معظم أنحاء العالم يستحيل تعويضها .

١٤- مشروعات التنمية Setup of advancement :

شهدت بلادنا مشروعات تنموية في كافة المجالات الزراعية والصناعية والتجارية والعمرانية غطت عدداً من مناطق ومحافظات المملكة فأدت إلى الاكتفاء الذاتي في بعض الاحتياجات ولكن في المقابل أدت تلك المشاريع إلى سلبيات ، منها :

١- تدمير موقع قرية الأثري جنوب الخبر نتيجة التوسع في المشروعات الصناعية (الكهرباء) .

٢- تدمير أجزاء من موقع الأخدود الأثري نتيجة التوسع الزراعي في منطقة نجران .

٣- قيام أحد المقاولين بإلحاق الدمار بقلعة وبركة البريكة شمال العلا وذلك باستقطاعه الحجارة منها .

ثانياً : الإجراءات المطلوب اتباعها لتلافي الأخطار التي تهدد الآثار

١- الحرائق :

أ- المباني الأثرية والقلاع التاريخية :

- توفير وسائل إطفاء مناسبة مثل البودرة الجافة .
- وضع الأسلاك الكهربائية داخل مواسير عازلة .

- تركيب أجهزة إنذار لكشف الدخان عند نشوب الحريق .

- عدم إيداع مواد قابلة للاشتعال بها .

- منع إشعال النيران بالقرب منها .

- عدم التدخين بداخلها .

ب - المتاحف :

- توفير شبكة إطفاء آلية تعمل بنظام الرش الآلي .

- توفير شبكة إطفاء يدوية .

- تركيب أجهزة إنذار لكشف الدخان عند نشوب الحريق .

- تركيب أجهزة تلفزيونية للمراقبة .

- تركيب أجهزة إنذار لإخلاء المبنى .

- تعيين شخص مسؤول مشرف على سلامة المبنى (مسؤول سلامة) يرأس مجموعة مدربة تعمل على استخدام وسائل الحماية والسلامة بشكل جيد .

- تحديد مخارج للطوارئ ذات علامات واضحة .

- توفير كشافات إضاءة تعمل عند انقطاع التيار الكهربائي .

- توفير غرفة لمراقبة المبنى لديها تلفون مرتبط بغرفة عمليات الدفاع المدني للإبلاغ عن أي حالة طارئة .

(يمكن الرجوع إلى المخطط رقم (٣) الذي يوضح مواقع وسائل السلامة بالمتاحف) .

٢- الزلازل والبراكين :

أ - تجميع العناصر الزخرفية والمعمارية ونقلها بعيداً عن مناطق النشاطات الزلزالية أو البركانية أو إلى مستودعات وكالة الآثار .

ب - نقل المتاحف المقامة في الأماكن النشطة زلزالياً وبركانياً إلى أماكن آمنة .

ج – تحويل اتجاه الحمم البركانية بعيداً عن المناطق الأثرية الهامة بواسطة إقامة أسوار صناعية تصمم لتكون بمثابة سدود .

٣- الصدوع والشقوق والهبوط الأرضي :

أ – سرعة نقل الآثار التي تهددها الصدوعات والشقوقات والهبوطات الأرضية .

ب – سرعة نقل المتاحف الإقليمية التي تهددها تلك المخاطر .

٤- الصواعق :

أ – حماية مباني المتاحف والمباني الأثرية القديمة بتركيب مانعات صواعق (Lightning Arresters) على الأسطح .

ب – عدم السماح بزيارة الآثار في أثناء هطول الأمطار المصحوبة بعواصف رعدية .

٥- السيول والفيضانات :

أ – حماية المواقع والمباني الأثرية الواقعة على السواحل من الفيضانات .

ب – بناء السدود لحماية المواقع والمباني الأثرية التي تمر بها السيول .

ج – عدم إقامة متاحف في بطون الأودية .

٦- السرقات:

أ – إنشاء شبكة إنذار تكشف أي سرقة بالمتاحف والمواقع الهامة .

ب – تكثيف الحراسات على المواقع والمباني الأثرية لحمايتها من السرقة .

ج – عمل أسلاك شائكة حول المواقع الأثرية تحول دون الدخول إليها .

د – تطبيق المادة (٦٨) والتي تنص (يعاقب بالحبس من سنتين إلى ثلاث سنوات وبغرامة من خمسمائة ريال إلى عشرة آلاف ريال سعودي كل من سرق أثراً من ممتلكات الدولة أو الأفراد مع استعادة الأثر المسروق) .

٧- العبث والتخريب :

أ– توعية المواطنين والزائرين بأهمية المحافظة على الآثار .

ب - إحكام الرقابة التقليدية والآلية على المواقع الأثرية والمتاحف .

ج - تطبيق العقوبات الواردة بنظام الآثار ، المادة (٦٧) والتي تنص (يعاقب بالحبس من شهر إلى ثلاث سنوات وبغرامة (٢٥٠) ريال سعودي إلى عشرة آلاف ريال سعودي أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من أخذ أو صور أو أتلف أو خرب أو هدم أو رسم بغير إذن أثراً ثابتاً أو جزءاً منه أو أثراً منقولاً لم تسمح دائرة الآثار بالتصرف به سواء كان في ملك الدولة أو في حيازة الأفراد) .

والمادة (٧٢) فقرة (أ) والتي تنص (يعاقب بالحبس من أسبوع إلى شهر وبغرامة من عشرة ريالات إلى مائة ريال سعودي أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من:

(شوه أثراً بالحفر أو الكتابة أو بالدهان أو بإلصاق إعلانات أو بوضع لافتات) .

٨- مشروعات التنمية :

أ- الابتعاد عن المواقع الأثرية عند إقامة أي مشروعات أو مد خطوط أو إجراء حفريات ووضع التدابير الوقائية لها .

ب - دراسة منطقة المشروع دراسة وافية لمعرفة ما بها من آثار ظاهرة أو باطنة وكيفية حمايتها.

ج - تطبيق المادة (١٢) من نظام الآثار (بأنه يتعين عند وضع مشروعات تخطيط المدن والقرى أو توسيعها أو تجميلها المحافظة على المناطق والمعالم الأثرية فيها ، ولا يجوز إقرار مشروعات التخطيط التي يوجد في نطاقها آثار ، إلا بعد أخذ موافقة دائرة الآثار عليها) . وعلى دائرة الآثار تحديد الأماكن التي يوجد فيها معالم أثرية وإحاطة جهاز التخطيط علماً بذلك .

ثالثا : التوصيات العامة :

١) توفير وسائل الحماية والسلامة في المواقع والمتاحف الأثرية وفق تعليمات الدفاع المدني والجهات الأمنية الأخرى .

٢) إقامة مراصد بالقرب من المواقع الأثرية لرصد الزلازل والبراكين .

٣) عدم السماح بإقامة متاحف بالقرب من المناطق النشطة زلزالياً أو بركانياً أو في بطون الأودية أو جوانبها .

٤) تحديد مواقع التشقق والتصدع والهبوط الأرضي في المملكة ووضع خرائط لها .

٥) منع إقامة أية مباني أو منشآت حول مواقع التصدعات أو التشققات أو الهبوط الأرضي .

٦) تركيب مانعات صواعق على أسطح مباني المتاحف والمباني القديمة .

٧) إقامة ندوات توعوية للمواطنين توضح لهم أهمية المحافظة على الآثار .

٨) إنشاء مجلس أعلى لحماية الآثار يضم عدداً من الخبراء والمتخصصين في حماية وإنقاذ الآثار في حالات السلم وأوقات الطوارئ .

٩) تشكيل مكتب بوكالة الآثار والمتاحف ينسق عند قيام أي مشروعات تنموية بالقرب من المواقع الأثرية مع الجهات المعنية .

رابعاً : المراجع والمصادر العامة :

١- نظام الآثار ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، طبعة ٢ ، مطابع الحكومة ، ١٣٩٩م ، الرياض .

٢- لائحة شروط السلامة رقم (٥) ، المديرية العامة للدفاع المدني ، مطابع الحكومة الأمنية ، ١٤١١هـ ، الرياض .

٣- تصنيف وتحليل المخاطر الطبيعية بالمملكة العربية السعودية ، المديرية العامة للدفاع المدني.

٤- السلامة من الكوارث الطبيعية ، مكتب الآفاق المتحدة للاستشارات العلمية والتقنية ، المديرية العامة للدفاع المدني .

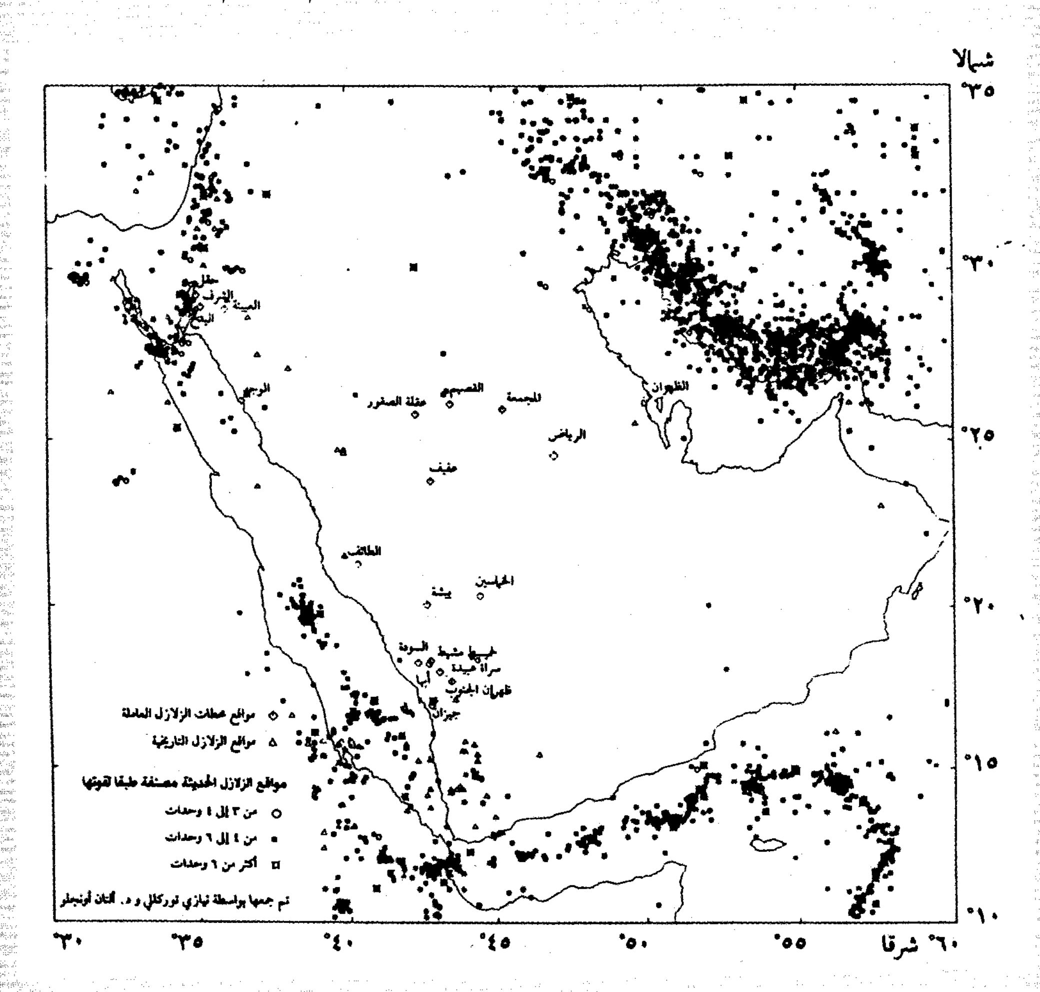
٥- حسن ، إبراهيم عبد القادر ، وسائل وأساليب ترميم وصيانة الآثار ومقتنيات المتاحف الفنية ، عمادة شؤون الطلاب ، جامعة الرياض ، ١٩٧٩م ، الرياض .

٦- شاهين ، عبد العزيز ، ترميم وصيانة المباني الأثرية والتاريخية ، الإدارة العامة للآثار والمتاحف ، وزارة المعارف ، الرياض .

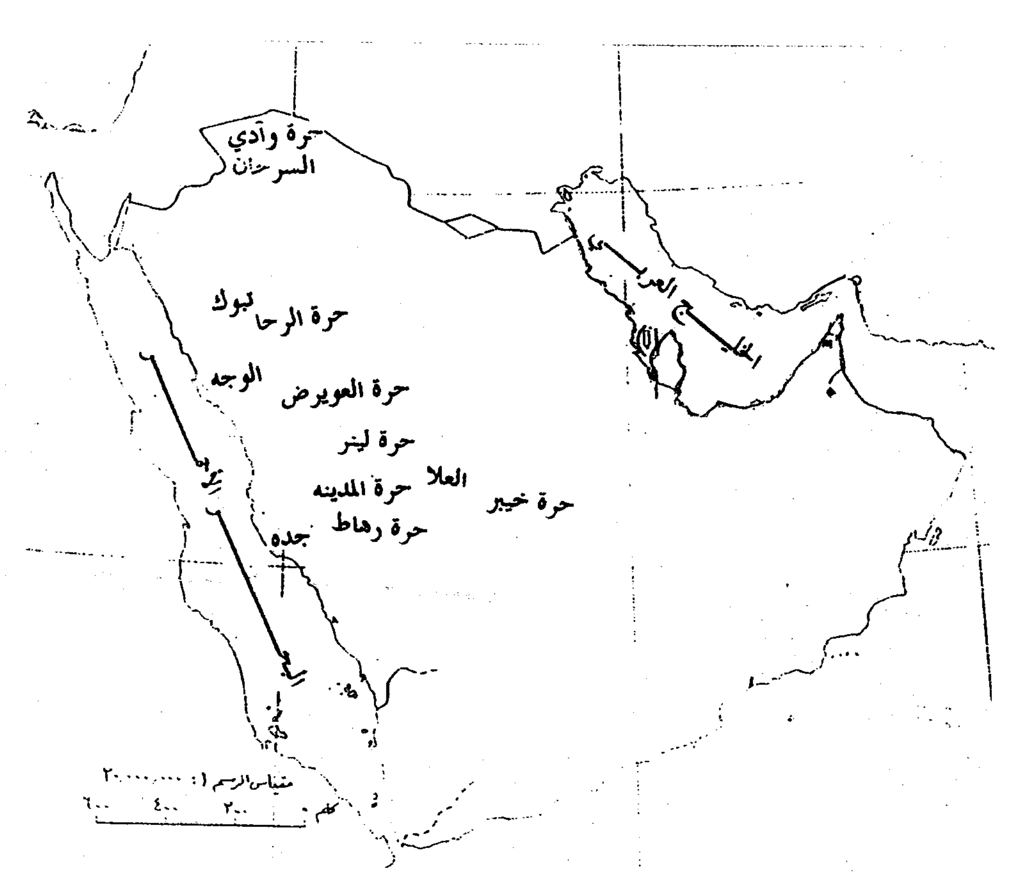
٧- عبدالرحمن ، نادية فريد ، الموسوعة الصغيرة "الزلازل" مكتبة ابن سينا ، القاهرة .

٨- علي ، جمال الدين صالح سراج ، الكوارث وعلاقتها بالآثار ، ورقة عمل مقدمة لندوة (إدارة الكوارث في المملكة العربية السعودية : الواقع والمنظور) ، معهد الإدارة العامة ، ١٤١٨هـ ، الرياض .

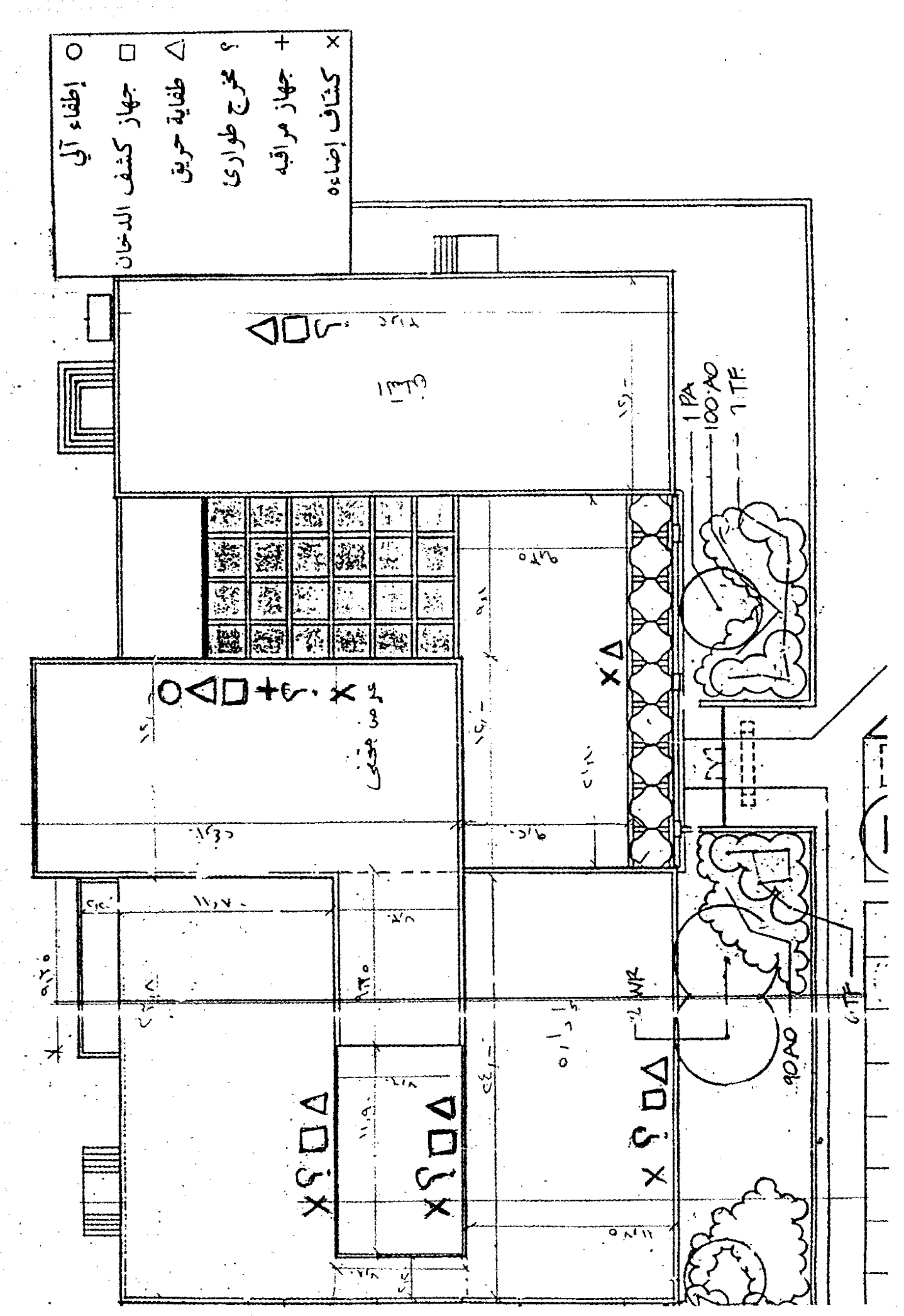
النشاط الزلزالي بشبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها خلال الفترة من ٢١٥٠ قبل الميلاد وحتى عام ١٩٩٣م



خريطة رقم (١) : توضح الرموز المختلفة مواقع الزلازل التاريخية والحديثة التي حدثت في شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها خلال الفترة من عام ٢١٥٠ قبل الميلاد وحتى عام ١٩٩٣م ، كما تم تجميع بياناتها من المصادر المحلية والدولة المتاحة



خريطة رقم (٢) : توضح مواقع البراكين بالمملكة العربية السعودية



خريطة رقم (٣) : توضح مواقع وسائل السلامة في المتاحف

دور وسائل النقل في تنمية السياحة

أ. محمد بن علي زارع (*)

أولاً : دور وسائل النقل في تسهيل الوصول إلى مناطق الآثار ، وتحسين العائد من اقتصاديات الآثار :

كما سبق وأن أشرنا ، تلعب وسائل النقل دوراً أساسياً في تزويد مواقع الآثار بأعداد هائلة من المجموعات والأفراد على مدار العام ، خصوصاً المهتمين بالآثار ، ولا ينحصر دور وسائل النقل في النقل فقط بل أن وسائل النقل تقوم بعدة أدوار هامة لتنظيم برامج تسويقية ، وذلك لجذب أكبر عدد ممكن من الأفراد والمجموعات لزيارة مواقع الآثار ومناطق الجذب السياحي في المملكة العربية السعودية ، و أهمها :

١- القيام بحملات دعائية للتعريف بمواقع الآثار ، وإبراز الاكتشافات والحفريات الجديدة .

٢- وضع وتنسيق أسعار النقل (بمختلف أنواعه) المنافسة والخاصة وذلك بحسب المواسم .

٣- التنسيق مع كافة مقدمي الخدمات الأرضية على اختلاف أنواعها (فنادق / شركات نقل بري / مطاعم / متاحف) ، وذلك للحصول على أسعار منافسة وترتيبات مناسبة للمجموعات والأفراد .

٤- اختيار وتعيين المشغلين الأرضيين من ذوي الكفاءة والخبرة لتقديم الخدمات الأرضية لبرامج المجموعات والأفراد القادمين لزيارة مواقع الاثار ، بمستويات ودرجات مختلفة .

٥- وضع جداول للرحلات بما يتناسب وبرامج المجموعات .

٦- المساعدة في الحصول على تأشيرات الدخول من سفارات وقنصليات المملكة في الخارج للمجموعات القادمة من الخارج .

٧- تقديم المساعدة والتسهيلات اللازمة في نقاط الوصول والمغادرة ونقاط العبور .

(*) مدير عام تطوير برامج المبيعات وشئون الوكالات .

٨- القيام بدعوة أصحاب وممثلي وكالات السفر والسياحة المنظمين والمسوقين لبرنامج زيارة المجموعات القادمة إلى المملكة العربية السعودية في الخارج ، لزيارات تعريفية إلى المملكة .

٩- وضع المعايير والمواصفات المناسبة لنوعيات أفراد المجموعات التي يمكن لها زيارة المملكة ، بما يتناسب وخصوصية وضع بلادنا .

١٠- متابعة أداء المشتغلين الأرضيين لضمان راحة العملاء ، وتوفير ما تم الالتزام بتقديمه من خدمات وترتيبات أرضية لهم في كافة مراحل الزيارة .

١١- الالتزام أمام الجهات الرسمية بمغادرة المجموعات والأفراد ، إذا كانت قادمة من الخارج.

يتضح مما سبق مدى أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به وسائل النقل تجاه التسويق الكامل لمواقع الآثار ومناطق الجذب السياحي في المملكة ، إضافة إلى القيام بعملية النقل وهو مجال تخصصها الأساسي .

ولا شك أن قدوم أي أعداد (والتي عادة ما تتجاوز الألوف بل مئات الألوف) هو نتيجة العمليات والأنشطة التسويقية التي تقوم بها وسائل النقل في الأسواق الداخلية والدولية ، مما سوف يعمل على تنمية مناطق الزيارة التي سيقصدونها في كافة مراحل برامجهم المختلفة ، وكذلك المناطق التي يمرون بها والنقاط التي يعبروها ، وبالتالي هذا سوف يزيد الطلب على:

- الفنادق والشقق المفروشة .
- المطاعم والمنتزهات السياحية .
- استهلاك المواد الضرورية والكماليات .
- انتعاش الأسواق المحلية والمراكز التجارية .
- فتح فرص استثمارية أكثر أمام المستثمرين ورجال الأعمال .
- مقابلة الزيادة في عدد السكان وفتح فرص عمل جديدة أمام الشباب .
- تنظيم مواقع الآثار ومدها بكل الاحتياجات الضرورية لها من طرق وكهرباء ..الخ ، بالإضافة إلى زيادة العناية بها وصيانتها وحراستها وتهيئة الحماية اللازمة لها من عوامل التعرية .

- إنشاء المراكز التي تعطي الزائر معلومات كاملة عن مواقع الآثار حتى لو تم فرض رسوم لزيارتها على الطبيعة ، كما هو معمول به في معظم دول العالم ، لتغطية تكاليف ذلك .

ما حاولنا هنا توضيحه هو دور وسائل النقل في تحسين العائد من اقتصاديات الآثار . حيث أن توفر وسائل النقل سيساهم بالتالي في تحسين العائد من اقتصاديات الآثار وذلك من خلال :

١- زيادة الحركة في المطارات والموانئ الداخلية .

٢- مساعدة الأهالي في بيع منتجاتهم المحلية ، وخصوصاً المشغولات والصناعات اليدوية .

٣- تعويض المملكة عما يصرف من أموال على السياحة في الخارج وذلك حسب الدراسات الأخيرة التي أوضحت أن المملكة تستفيد فقط من ما مقداره ١٦ ٪ من مجموع الأموال التي تنفق على السياحة الخارجية وذلك بما يصرف داخلها للتجهيز للسفر إلى الخارج ، بينما يصرف ٨٤٪ من مجموع هذه المبالغ في الخارج على السكن والجولات السياحية والمشتريات .

٤- توفير إشغال مستمر على مدار العام في مناطق الجذب السياحي ومواقع الآثار ، وفي المناطق القريبة منها ، وخصوصا خلال فترات الركود من قبل المواطنين والمقيمين في الداخل ، والقادمين من الخارج .

ثانياً: العوامل المساعدة على الاستفادة بشكل فعال من وسائل النقل المختلفة :

بالرغم من اعتماد وسائل النقل المختلفة على بعضها البعض في عملياتها في خدمة مجال السياحة والآثار ، إلا أن هناك ما يميزها عن بعض ، فعلى سبيل المثال يتميز النقل الجوي بالسرعة والراحة الأكثر ، بينما يتميز النقل البري بإمكانية وصوله إلى كافة المواقع .. الخ .

ولتحقيق الاستفادة المتوقعة من وسائل النقل المختلفة ، يظهر بوضوح أهمية توفر العوامل المساعدة التالية :

١- شبكات طرق برية معبدة بين المدن .

٢- خطوط سكة حديد جديدة بين المدن .

٣- مطارات دولية وإقليمية متكاملة الخدمات ، تربط بين مدن المملكة من جهة ، وبينها وبين دول العالم من جهة أخرى .

٤- موانئ حديثة ومجهزة بأرصفة متعددة ومعدات وإمكانيات حديثة .

٥- استراحات وفنادق مجهزة بخدمات فنية وصحية متكاملة على الطرق الطويلة .

٦- دوريات أمنية على الطرق البرية ومنشآت الخدمات ومواقع الآثار المختلفة .

٧- شركات نقل بري متعددة توفر عربات مختلفة الأحجام بموديلات حديثة ومتنوعة ، وذلك لتوفير خدمة نقل مجموعات الركاب المختلفة بين المدن ذات الجذب السياحي ومواقع الآثار ، وبأسعار منافسة ومعقولة .

ثالثاً : دور وسائل النقل في الحفاظ على التراث والموروث الثقافي المحلي والحرف والمهن اليدوية المحلية ، والفلكلور الشعبي :

تساهم وسائل النقل في تحسين العائد من اقتصاديات الآثار من صناعات وحرف يدوية كانت متداولة حتى زمن قريب ، فالصناعات والحرف اليدوية توفر عامل جذب للقادمين من زوار المملكة من الأجانب وذلك كتذكار عن زيارتهم إلى المملكة ، حيث تقدم لهم حرف هذه الأرض من خلالها عبق تاريخنا المجيد ونتاج حاضرنا الزاهر ، كما يظهر لهم من نتاج صناعة يد ابن هذه الأرض تذكار مميز فيه تأصيل لموروثنا الوطني . وفي هذه الحرف والصناعات اليدوية بلا شك ، مصادر مهمة لفهم جذور وقدم حضارة هذه البلاد ، التي هي مهد الرسالات وأرض الحضارات العظيمة .

كما أنه أمكن باستخدام وسائل النقل المختلفة التعرف على أسرار وعجائب كثيرة لحضارات عظيمة موغلة في القدم في الجزيرة العربية منذ فترات ما قبل التاريخ وحتى العصور الإسلامية المتأخرة ، وأظهرت لنا الكثير من الأطر العامة للثقافات القديمة ، بالإضافة إلى نواح أخرى مثل الأحوال التجارية والاجتماعية والدينية والسياسية .

ويمكن للمواطن والمقيم التنقل بين مناطق و مدن المملكة لمشاهدة مواقع الآثار المختلفة ،

التي هي أحد المعارف الثقافية التي تسهم في تنمية شعور الانتماء الوطني للمواطن والإبحار في عالم حضارات متنوعة المعالم والوجوه عكست دور الجزيرة العربية كمنطقة جذب حضاري ونشاط تجاري وتفاعل بشري مع الحضارات الأخرى التي قامت في دول الجوار .

كما يمكنه التعرف على هذا المعطيات الثقافية من خلال المتاحف الوطنية والإقليمية والمحلية ، التي تظهر بوضوح مدى تمتع هذه البلاد بتراث ثري وعظيم ، استمد جذوره من مبادئ وقيم ديننا الحنيف الذي انطلق من هذه الأرض إلى كل أطراف الدنيا .

رابعاً: تجربة السعودية كناقل جوي في تنمية السياحة الداخلية في المملكة العربية السعودية والأهداف والمردودات التي تم تحقيقها :

تأكيداً لدور الخطوط الجوية العربية السعودية في المساهمة الجادة لتنمية السياحة الداخلية وزيادة الدخل القومي ، بدأت " السعودية " منذ عام ١٩٩٦م ، بتنظيم برامج تعريفية خاصة لمجموعات من مواطني اليابان ، وذلك للقيام بزيارات تعريفية لبعض مناطق المملكة ، وفق ضوابط ومعايير دقيقة لعينة العملاء المستهدفة ، وذلك لما يمثله وضع المملكة العربية السعودية من خصوصية في العالمين العربي والإسلامي ، واشتراط كون أفرادها من أحد المنسوبين لفئات المهن التالية :

- المحامين .
- الأطباء .
- أساتذة الجامعات .
- كبار رجال الأعمال والصناعيين .
- علماء الآثار والتاريخ والمهتمين بدراسة الشعوب والحضارات القديمة .

وذلك ضمن الضوابط والمعايير التالية لعينة العملاء المستهدفة :

١- أن يكون المشارك من ذوي الدخول العالية من فئة رجال الأعمال والصناعيين والمتقاعدين ، لضمان عدم تخلفهم في البلاد .

٢- أن تزيد أعمار المشاركين في هذه المجموعات عن ثلاثين عاماً للرجال ، وأربعين عاماً للنساء .

٣- التقيد بالعادات والتقاليد السائدة في المملكة العربية السعودية من ناحية السلوك والملبس والمأكل ، والتقيد بلبس العباءة بالنسبة للسيدات .

٤- التقيد بأنظمة الجمارك والجوازات والهيئات الرسمية الأخرى في المملكة العربية السعودية.

٥- التقيد بضرورة مرافقة المرأة لزوجها أو لأحد محارمها ، وعدم السماح بدخولها ، إذا كانت من فئة عمريه تقل عما نص عليه في رقم (٢) .

٦- إرسال بيانات كاملة عن كل مشارك قبل وصولهم بفترة لا تقل عن ثلاثة أسابيع إلى المملكة العربية السعودية وذلك للحصول على الأذونات اللازمة من كافة الجهات الرسمية ذات العلاقة في الدولة .

وذلك لتحقيق الأهداف التالية :

١- تعريف العالم الخارجي بشموخ إنجازات وعمق حضارة المملكة .

٢- تحقيق مردود جيد وإيجابي من عائدات المستثمرين على المنشآت الاقتصادية المحلية .

٣- تنمية الشباب السعودي وفتح آفاق وفرص عمل جديدة أمامهم .

٤- تقوية الصورة الذهنية للمملكة لدى الآخرين .

وفي العام الماضي ٩٨ م ، حظيت السعودية بموافقة مقام وزارة الداخلية على السماح بتنظيم برامج مماثلة لمجموعات من مواطني الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وبعض الدول الأوربية .

ولمعرفة متطلبات ورغبات عينة العملاء المستهدفة ، تمت دعوة عدد من أصحاب وخبراء وكالات السفر والسياحة المتخصصين في تسويق البرامج الخاصة من هذه الدول ، وذلك لزيارة المملكة والتعرف عن كثب على الإمكانيات السياحية والتاريخية في مناطق الجذب السياحي ، ومميزات وسمات كل منطقة من مناطق المملكة والتعرف على خياراتها ، حيث تم وضع برامج تعريفية دقيقة تناسب مختلف المجموعات ، لزيارة المدن الرئيسية والمدن الصناعية الحديثة في الجبيل وينبع أو للتمتع بزيارة منطقة عسير والباحة والطائف ، وأخيراً تم إضافة منطقة حائل إلى برامج مناطق الآثار مع العلا والجوف ونجران .

كما تم تأهيل عدد من وكالات السفر والسياحة المحلية ، لتقديم وتأمين خدمات الترتيبات الأرضية المتكاملة (من استقبال وتوديع ومرافقة وإرشاد سياحي) للمشاركين في هذا البرنامج ، وتحت إشراف ورقابة الخطوط الجوية العربية السعودية اللصيقة .

المردود الإعلامي :

كان لزيارة تلك المجموعات مردودا إعلامياً كبيراً لا يقدر بثمن ، ساهم في تقوية وصقل الصورة الذهنية لدى المجتمعات الغربية واليابانية عن المملكة العربية السعودية ، وذلك لما لمسوه من تطور وتكامل للبنية التحتية ، وشبكات الخدمات المتكاملة والمقومات السياحية ، وحجم وتعدد مناطق الآثار ، وقد ترجم ذلك من خلال التقارير والخطابات الكثيرة التي وردت إلينا من عدد من الأفراد والمشاركين الذين ضمن هذه المجموعات ، وكذلك من خلال المقالات التي تضمنتها العديد من كبريات المجالات والصحف الأمريكية والأوربية واليابانية ، بالإضافة إلى المواقع التي أُنشئت حديثاً على شبكة الإنترنت والتي خصص أغلبها للحديث عن السياحة في المملكة وعن المجتمع السعودي وما وصلت إليه المملكة من تقدم ورقي لمسه بوضوح أفراد تلك المجموعات ، وتواصل " السعودية " جهودها لتنمية هذا البرنامج وزيادة أعداد المشاركين فيه .

المردود المالي على المنشآت الاقتصادية المحلية التالية :

١- منشئات النقل البري ، والسكة الحديد .

٢- الفنادق والمنتجعات في كافة مناطق الزيارة .

٣- وكالات السفر المحلية التي تقدم الخدمات الأرضية .

٤- المطاعم المحلية في كافة مدن ومناطق الزيارة .

٥- المراكز التجارية والأسواق المحلية خصوصاً محلات المصنوعات اليدوية التراثية القديمة .

المردود على الخطوط الجوية العربية السعودية :

١- زيادة معدلات الحمولة على الرحلات وذلك بإشغال مقاعد شاغرة على القطاعات الدولية ، والتي تعاني عادة من ركود في غير فترات مواسم الذروة.

٢- توفير السيولة النقدية لصندوق المؤسسة ، حيث يتم استلام قيمة تكاليف برامج المجموعات

مقدما ، وقبل موعد وصولها إلى المملكة بفترة تزيد عن ثلاثة أسابيع .

المردود على السعودة :

المساهمة بإيجابية في فتح آفاق وفرص عمل جديدة أمام كوادر الشباب السعودي المؤهلة ، مما يحقق توجيهات أولى الأمر ومسؤولي الدولة - وفقهم الله - لسعودة الوظائف في شركات القطاع الأهلي ، وذلك عن طريق التالي :

١- اشتراط تأمين سائقي حافلات من السعوديين ، على شركات النقل البري التي تستخدمها الوكالات المشغلة لنقل أفراد المجموعات .

٢- اشتراط تأمين سائقي حافلات من السعوديين ، على شركات النقل البري التي تستخدمها الوكالات المشتغلة لنقل أفراد المجموعات .

٣- اشتراط التعاقد مع المؤهلين من الشباب السعودي ، لخدمة أفراد المجموعات على (كاونترات) استقبال الفنادق ، وذلك كأساس للتعامل معها لاستخدامها لإقامة أفراد المجموعات القادمة في برامجنا ، وكذلك اشتراط توفير المرافقين والمرشدين السياحيين السعوديين لمرافقة أفراد المجموعات من أبناء هذا الوطن .

خامساً: التوصـيات :

- الاستمرار في منح "السعودية " خصوصية التأشير لأفراد هذه المجموعات من قبل سفارات وممثليات المملكة العربية السعودية في الخارج ، حتى تنضج هذه التجربة تماماً ، ويتم استكمال تأهيل الكوادر الوطنية اللازمة وتثقفيهم بتاريخ المناطق والمواقع الأثرية وبكيفية مناولة المجموعات السياحية المختلفة ، كما أنه لابد من استكمال بعض الخطوات والاستعدادات لتهيئة المقومات السياحية وإعدادها بالشكل الصحيح والملائم ، لاستقبال النوعيات المختلفة من السياح ، حيث أن فتح الباب حاليا أمام الجهات الأخرى قد يساهم في جلب مجموعات سياحية قد لا تكون معاييرها ضمن معايير العينة المستهدفة ، التي وضعنا لها معايير دقيقة جداً .

- تصميم وعرض أفلام وكتيبات دعائية عن مناطق الجذب السياحي ومواقع الآثار في

المملكة العربية السعودية ، وذلك لعرضها في معارض السياحة الدولية ، وشراء فترات زمنية لتسويقها عبر القنوات الفضائية .

– فتح وتعبيد وصيانة الطرق البرية في بعض مناطق الآثار ومناطق الجذب السياحي .

تأهيل الكوادر والكفاءات الوطنية اللازمة من الشباب السعودي لتعيينهم كموظفين في :

* الفنادق .

* الإرشاد السياحي .

* مرافقين لأفراد المجموعات .

* قادة لأفراد المجموعات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ، ،



دور الحمـاية الأمنـية في المحافظـة عـلى الآثـار فـي المملكـة العربيـة السـعودية

أ. تركي بن كديميس العتيبي (*)

مقـدمـة :

تعتبر الآثار أحد المصادر الأساسية في معرفة التطور التاريخي والحضاري لأي أمة من الأمم ، ويعول عليها المؤرخون في إعطاء تفصيلات دقيقة عن حياة الأمم والشعوب ، وأنماط معيشتها ، وعاداتها ، وتقاليدها .

وتعتبر بلادنا إحدى الدول المهمة في هذا المجال لما تحويه من كثير من الآثار لأمم كثيرة ، ومتنوعة منذ فترة ما قبل التاريخ .

وقد نالت الآثار الكثير من الاهتمام والعناية نظراً لما تمثله من أهمية تاريخية ، وثقافية ، وإنسانية ، واقتصادية ، مما يدفع إلى المزيد والمزيد من الاهتمام ، والرعاية ، والحماية ، والحفاظ عليها كموروث ذي قيمة لا تقدر بثمن .

مشكلة الدراسـة :

تعتبر الآثار من أعظم الشواهد على حضارة الشعوب والبلدان ، ويحتل موضوع حمايتها ، والمحافظة عليها ، والاهتمام بها ، حيزاً كبيراً من اهتمامات الحكومات فهي تمثل دليلاً ثقافياً ، وإرثاً حضارياً ، يربط حاضر البلدان بماضيها ، ويؤكد عمقها التاريخي الأصيل .

وتقع الآثار في بلادنا في مناطق تتوزع في كافة الأنحاء ، والأرجاء ، وتنتشر في رقعة متباعدة ، تختلف في كل منطقة ظروفها المناخية وتضاريسها فهناك المناطق الزراعية التي توسعت رقعتها وهناك المناطق الصحراوية التي تعرضت للعوامل الجوية المختلفة ، وهناك المناطق الأخرى التي مرت بتحولات حضارية ساهم في نشوئها النهضة التنموية التي تعيشها

(*) إدارة المجاهدين – مكة المكرمة .

بلادنا في سائر المجالات التنموية مع ما صاحب تلك النهضة من زحف عمراني ، وصناعي طال بعض مواقعنا الأثرية الضاربة في القدم ، والمليئة بموروثنا الحضاري الزاخر بشتى الفنون ، والمعارف ربما عن جهل بقيمتها ، أو بمكانها .

ومع أهمية الآثار كشاهد واقعي على حضارة بلادنا ، خصوصاً مع ارتفاع الوعي الأثري لدى أفراد المجتمع ، وإحساسهم بمسئولياتهم تجاه المحافظة على الآثار وحمايتها ، وتنامي الحاجة إلى إدراك قيمة الآثار ، ومعرفة واقعها وتوفير الظروف الملائمة لحمايتها والحفاظ عليها تتضح مشكلة هذه الدراسة في التأكيد على قيمة الآثار والتعرف على واقعها ، وتحديد مسؤولية حمايتها ، والأساليب المستخدمة لذلك .

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله ، حيث تمثل الآثار جانباً هاماً في حياة الشعوب ، والأمم ، وموضوع حمايتها ، والمحافظة عليها ، يحتاج إلى المزيد من الاهتمام ، والعناية ، لما فيه من حماية ، وحفاظ على مكتسبات الأمة ، وتراثها .

وتتمثل أهمية الدراسة فيما يلي:

١- إلقاء الضوء على القيم العظيمة للآثار ، وأهميتها البالغة في حياة الأمم والشعوب .

٢- إيضاح أن الآثار تحتاج إلى الاهتمام ، والعناية .

٣- تحديد أساليب الحماية الأمنية التي تحقق للآثار الصون ، والحفظ .

٤- التعرف على واقع الآثار بالمملكة .

٥- تسليط الضوء على حاجة الآثار بالمملكة إلى توفير الحماية الأمنية التي تكفل الحفاظ عليها .

أهداف الدراسة :

بعد تحديد مشكلة الدراسة ، وتوضيح أهميتها ، تهدف الدراسة إلى تحقيق التالي :

١- التعرف على قيمة الآثار .

٢- التعرف على واقع الآثار بالمملكة .

٣- توضيح الجهة المسؤولة عن حماية الآثار .

٤- التعرف على أساليب الحماية الوقائية للآثار .

٥- التعرف على أساليب الحماية الأمنية للآثار .

أسئلة الدراسـة :

حدد الباحث السؤال الرئيس التالي الذي يصور مشكلة الدراسة كما يلي :

ما دور الحماية الأمنية في المحافظة على الآثار بالمملكة العربية السعودية وحمايتها ؟

ويتفرع من ذلك التساؤلات التالية :

س١: ما قيمة الآثار؟

س٢: ما الواقع الذي تعيشه الآثار بالمملكة العربية السعودية ؟

س٣: على من تقع مسئولية حماية الآثار بالمملكة العربية السعودية ؟

س٤: هل هناك أساليب للحماية الوقائية للآثار بالمملكة العربية السعودية تسهم في حمايتها ؟

س٥: هل تحقق أساليب الحماية الأمنية للآثار الحماية المثلى للآثار بالمملكة العربية السعودية ؟

مصطلحات الدراسـة :

الحماية الأمنية : هي توفير الإجراءات الأمنية ، والإمكانات التي تكفل الحماية المطلوبة للآثار وتهدف إلى الحفاظ عليها من الأخطار التي تحدق بها .

الآثار : هي مخلفات السلف المادية ، سواء أكانت ثابتة ، أو منقولة .

المنهج المتبع في الدراسـة :

سوف يتبع الباحث المنهج الوصفي في هذه الدراسة ، وهو المنهج الذي يقوم بوصف ما هو كائن ، وتفسيره .

أدوات البحـث :

سوف يستخدم الباحث الاستبيان كوسيلة للحصول على المعلومات ، التي تتعلق بدور الحماية في المحافظة على الآثار بالمملكة ، وحمايتها.

وسوف يوزع هذا الاستبيان على بعض المتخصصين ، والمهنيين ، والعاملين في بعض الجهات الأمنية ذات العلاقة ، الذين سيتم اختيارهم عن طريق العينة العشوائية.

الفصل الثاني

المخاطر التي تتعرض لها الآثار

تتعرض الآثار إلى العديد من المخاطر التي قد تهدد وجودها ، وهي إما أخطار عمدية كجرائم السرقة والسلب والنهب ، والحريق العمد ، وأعمال التخريب ، والحروب أو أخطار غير عمدية مثل الحرائق ، والتلفيات الناجمة عن الإهمال ، أو أخطار عائدة للعوامل الطبيعية مثل البراكين والزلازل ، والعواصف ، والأعاصير ، والسيول ، والفيضانات ، والحرائق الطبيعية ، والمياه الجوفية ، والتعرية ، بالإضافة إلى الأخطار الأخرى كالنباتات ، والحيوانات ، والحشرات ، والسياحة ، ومشروعات التنمية التي تتضمن الطرق ، والصرف الصحي ، والإنشاءات ، وهواة جمع الآثار ، وإهمال العاملين ، والجهل .

أولاً: الأخطار العمدية:

هناك أخطار عمدية قد تتعرض لها الآثار وتتمثل كما أشار (أمين ، ١٤٠٩هـ) في جريمة السرقة التي تتميز في مجال الآثار بوجود عناصر أجنبية تشترك في ارتكابها بدافع اقتناء الأعمال الفنية ذات القيمة العالمية ، وجريمة الحريق العمد الذي قد يحدث بقصد إخفاء عجز بالعهد ، أو للإضرار بأحد العاملين في مجال الآثار ، أو لإخفاء جريمة سرقة خارجية على أحد مخازن الآثار ، بالإضافة إلى أعمال التخريب مع تزايد الجرائم الإرهابية ، أو حدوث ذلك من بعض الأشخاص العاديين (ص ص١٤٥-١٤٦) .

ويذكر (مختار ، ١٩٧١م) بأن مشكلة سرقة الآثار ، وتهريبها تعد من أخطر المشاكل التي لازمت تاريخنا منذ أقدم العصور ، فالوطن العربي قد تعرض لألوان من الاستعمار عبثت بآثاره ، وعمد إلى نقلها خارج زمامه .

ويضيف (مختار ، ١٩٧١م) بأن هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى سرقة الآثار بجانب سوء الحراسة ومنها :

١- عدم توافر الاعتمادات لدى إدارات الآثار التي تسمح بحصر الآثار وتصويرها ، وتسمح للمفتشين ، والحراس بالانتقال للتفتيش ، والمراقبة ، بالإضافة إلى عدم توافر السيارات .

٢- تعدد مخازن الآثار ، وبعثرتها ، وعدم استيفائها الشروط التي تضمن بعدها عن أيدي اللصوص ، والمحافظة على ما بها .

٣- وجود ثغرات في التشريعات الخاصة بالاتجار في الآثار ، وفيما يتعلق بهواية جمع التحف مما يؤدي إلى انتشار الاتجار غير الشرعي في الآثار.

٤- تعدي سكان المناطق الأثرية وجيرانها على الآثار.

٥- تنفيذ مشروعات الإصلاح الزراعي ، وتعمير الصحاري ، والري ، والإسكان ، والأشغالات العسكرية في المناطق الأثرية دون السماح لإدارات الآثار باتخاذ الإجراءات الأثرية الضرورية .

٦- عدم اهتمام أجهزة الأمن بتعقب الجناة في سرقة الآثار ، ومراقبة المشتبه فيهم ، والكشف عن عصاباتهم ، أو إدراج المناطق الأثرية بخط سير دوريات الشرطة (ص ص ٩٨-١٠٠) .

ثانياً : الأخطار غير العمدية :

وتتضمن الحرائق ، والتلفيات الناجمة عن الإهمال . ويقول (أمين ، ١٤٠٩هـ) بأن هذه الأخطار قد تحدث نتيجة لإهمال ، أو خطأ في إجراءات التخزين ، أو عن طريق السهو مثل : الحرائق التي تحدث للتوابيت ، والتماثيل الخشبية ، والأقمشة الأثرية نتيجة لإلقاء عقب سيجارة ، أو تطاير شرارة لهب من نار مشتعلة بجوار الأثر ، أو بسبب وجود ماس كهربائي مرجعه لعدم العناية الدورية بالكابلات الموجودة في الموقع ، أو قد تحدث تلفيات ناجمة عن الإهمال في اتباع الأساليب العلمية السليمة لتخزين الأثر ، أو عدم اتخاذ الاحتياطات الواجبة أثناء إجراءات العرض ، أو النقل (ص١٤٧) .

ثالثاً : الأخطار العائدة للعوامل الطبيعية :

وتشمل البراكين ، والزلازل ، والعواصف ، والأعاصير ، والسيول ، والفيضانات ، والحرائق الطبيعية ، والمياه الجوفية ، والتعرية .

ولهذا يشير (الربيعان ، ١٤١٨هـ) إلى أنه وبالرغم من أن المملكة الغربية السعودية لا تدخل في دائرة المناطق التي تهددها البراكين الرئيسية ، فإنها شهدت في الماضي ، والحاضر نشاطات بركانية .

ويضيف بأن الجزيرة العربية قد سجلت ١٣ حادثة ما بين بركان ، وهزه أرضية خلال الفترة من عام ٦٢٨م وحتى عام ١٩٩٥م وقد تعرضت قلعة تبوك الأثرية لسقوط جزء منها من جراء الزلزال الذي ضرب مناطق شمال المملكة عام ١٩٩٥م .

ويمضي يقول بأن الجزيرة العربية لا تخلو من تهديد ظاهرة الأعاصير على المواقع الأثرية بها فيما ينتج عنها من آثار جانبية كزحف الرمال الذي يؤدي إلى طمر المواقع ، وما تسببه من تعرية قد تهدد المواقع الشاخصة .

ويشير إلى أن بعض المواقع الأثرية بالمملكة قد تعرضت لخطر السيول مثل موقع سدوس الإسلامي غرب مدينة الرياض ، كما تهدد السيول برك المياه في طرق الحج .

ويذكر (الربيعان ، ١٤١٨هـ) بأن من الأخطار العائدة للعوامل الطبيعية الحرائق الطبيعية التي قد تنتج غالباً عن البرق والصواعق .

ويضيف بأن المياه الجوفية تعتبر من الأخطار التي تهدد الآثار بشكل مباشر خاصة تلك التي تقع فيَ مناطق منخفضة .

ويؤكد (الربيعان ، ١٤١٨هـ) بأن عوامل هبوب الرياح ، وزحف الرمال ، والحرارة ، والأمطار ، والأملاح ، والأحماض تساهم بشكل مباشر في عمليات التعرية التي تلحق بالآثار (ص ص١-١٢) .

رابعاً : الأخطار الأخرى :

هناك أخطار أخرى تهدد الآثار منها ما ذكره (الربيعان ، ١٤١٨هـ) وهي النباتات التي تنمو على المواقع الأثرية ، والحيوانات التي تحفر جحورها في تلك المواقع .

وتمثل السياحة أحد الأخطار التي تواجه الآثار بسبب غياب الوعي الكافي بضرورة المحافظة على الآثار ، كما أن مشروعات التنمية تؤثر سلباً على الآثار ما لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة .

كما أن هواة الآثار يمثلون خطراً من الأخطار التي تهدد الآثار بنبشهم المواقع الأثرية للحصول على المعثورات. (ص ص١٣-٢٦) .

الفصـل الثالث

عوامل نجاح السيطرة الأمنية على حماية الآثار

تقوم الأجهزة الأمنية بدور فاعل في ما يتعلق بحماية الأرواح ، والممتلكات ، وتعد الآثار من أهم ممتلكات أي وطن ، مما يعني أن حماية آثار البلد ، والمحافظة عليها من ضمن اهتمامات ، وأعمال الأجهزة الأمنية .

ووجود شرطة ، وقوة أمنية متخصصة لحماية الآثار كما يوضح (أمين ، ١٤٠٩هـ) سوف يحقق السيطرة الأمنية التي تهدف إلى المحافظة على الآثار ، وحمايتها ، والتي يرجعها إلى التالي :

أولاً : الحضور الشرطي :

والذي يتطلب وجود رجل الشرطة في أي موقع مما يكفل تحقيق الانضباط من خلال مباشرة مهامه لتنفيذ القانون ، والمواطن في أي دولة يعي تماماً أن عليه الالتزام في تنفيذ ما يصدر إليه من الدولة ممثلة في رجل الأمن من توجيهات ، أو تعليمات .

ثانياً : الإجراءات المانعة لارتكاب الجريمة :

وهي مرحلة تتبع الإجراءات الوقائية المتمثلة في توعية المواطنين بأهمية الآثار ، وحتمية الحفاظ عليها ، وتستلزم الحضور الشرطي المؤثر من خلال الدوريات المستمرة على مدار اليوم ، وفي أوقات مختلفة ، والتقسيم المحدد للموقع ، وتحديد المسؤوليات لأفراد الحراسة ، وكذا الحملات التفتيشية والمكامن للمواقع التي تحتاج إلى التعزيزات الأمنية .

ثالثاً : الأساليب العلمية :

لا يتأتى الاستقرار الأمني من خلال الانتشار والسيطرة فحسب ، ولكنه نتاج عوامل متعددة ، وتفاعل مؤثرات كثيرة نستثمر إيجابياتها ، ونواجه سلبياتها بعد أن يقودنا الأسلوب العلمي الصحيح إلى التعرف عليها والإحاطة بها .

رابعاً : تعاون الأجهزة الشرطية :

حتى يتحقق مستوى أداء متميز يتعين أن يتم التعاون بين كافة الأجهزة التي تعمل في نطاق الدولة من خلال تبادل المعلومات ، واستمرار قنوات الاتصال بين الأجهزة المعنية .

خامساً : التخطيط العلمي :

يحقق التخطيط العلمي السليم النجاح في مواجهة المشكلات التي تواجه أي مجتمعات وفقاً لما يرد للأجهزة المتخصصة من معلومات تتم دراستها وتقويمها ، ويقتضي ذلك أن يكون واضعي الخطة على دراية كاملة بجزئيات العمل ، ولديهم الخبرة المناسبة في هذا المجال .

سادساً : تنظيم المعلومات :

نظراً لأن التخطيط العلمي يحتاج إلى المعلومات الصحيحة ، فيتعين إعداد الأجهزة المتخصصة لمتابعة الأحداث ، وانتقاء المعلومات بدءًا من إجراءات الفحص عن مدى صحة المعلومات ، ثم إجراءات التسجيل ، والحفظ في أرشيف منظم ، ثم تبادل المعلومات مع كافة الأجهزة الأمنية ، وتقويم الموقف على ضوء ذلك .

سابعاً : وسائل الاتصال :

وذلك من خلال تغطية المناطق الأثرية بوسائل الاتصال اللازمة التي تكفل متابعة الحالة الأمنية بالشكل المطلوب .

ثامناً : المستويات الإشرافية :

إن وجود جهاز متخصص بكامل أجهزته الإشرافية سوف يكفل متابعة الأفراد ، والحراس من خلال الجولات المتعددة من كافة المستويات الإشرافية مما يساهم في استتباب الموقف الأمني .

تاسعاً : التعديات :

قد تحدث بعض التعديات المختلفة على المناطق الأثرية التي لم تكتشف بعد ، وهو أمر بالغ الخطورة يتعين مواجهته على وجه السرعة حتى لا تتمادى التعديات .

عاشراً : الإعلام والتوعية والعلاقات العامة :

لا ينكر أحد دور الإعلام ، وأثره الإيجابي في التأكيد على أهمية الآثار ، وضرورة التعاون لحمايتها ، والحفاظ عليها ، والتوعية بقوانينها ، مع إيجاد العلاقة مع كافة الأجهزة التي تعمل بالمناطق الأثرية لتحقيق أهداف الخطط الأمنية . (ص ص ١٥٢-١٥٩) .

الفصل الرابع

الوسائل الأمنية لحماية الآثار والأعمال الفنية

المبحث الأول : عناصر التأمين بالمناطق الأثرية والمنشآت الثقافية

يجب أن تشمل الإجراءات الأمنية كل المناطق الأثرية ، والمنشآت الثقافية التي تحتوي على القطع الأثرية ، أو الأعمال الفنية ، ويختلف الموقف الأمني بكل منها من حيث الأفراد ، والإمكانيات .

ويتناول (أمين ، ١٤٠٩هـ) عناصر التأمين في تلك المناطق ، والمنشآت بالشكل التالي :

أولاً : بالنسبة للمناطق الأثرية :

وتتحدد بالعناصر التالية :

(أ) الموقع الجغرافي :

وتتحدد وسائل التأمين في الموقع الجغرافي وفقاً لموقع المنطقة الأثرية ، وطبيعة المنطقة المحيطة بها ، فتختلف إجراءات التأمين في المناطق الصحراوية عنها في المناطق الزراعية أو المناطق السكنية أو المناطق الصناعية.

(ب) الكثافة البشرية :

ويستوجب الأمر إن كانت المنطقة الأثرية في منطقة مكتظة بالمواطنين أن تحاط بسور مناسب لحمايتها من العبث يراعي الرؤية الأثرية ، وتعزيز الحراسة على ما يوجد من ثغرات قد تسمح بالدخول بطريق غير مشروع للمنطقة.

(جـ) حجم المنطقة الأثرية :

كلما زاد حجم المنطقة الأثرية برزت صعوبة السيطرة عليها أمنياً ، واستوجبت تنوع إجراءات التأمين وتوعية الأفراد المكلفين بالحراسة.

(د) نوعية الآثار :

هناك مناطق أثرية بها مخازن أثرية قد تحتوي على العديد من التماثيل ، والأواني الأثرية

التي يسهل حمل بعضها ومثل هذه المناطق يتم تأمينها تأميناً مزدوجاً يشمل تأمين المنطقة الأثرية مع اتخاذ الاحتياطات الواجبة لتأمين المخازن الأثرية وفقاً لما هو متبع في المنشآت الثقافية لضمان عدم فقد أي أثر من محتويات تلك المخازن .

وبذلك يمكن تحديد الوسائل الأمنية المتعلقة بحماية المناطق الأثرية فيما يلي:

- معاينة الموقع ، وتحديد طبيعة المناطق المحيطة ، وحجم المنطقة الأثرية ، ومنافذ الدخول ، والخروج ، والطرق المؤدية إليها .
- نوعية الآثار الموجودة ، وحجمها ، ومدى أهميتها ، وقيمتها الأثرية .
- حالة الإضاءة بالموقع ، ونوعيتها .
- النظام الهندسي المحيط بالمنطقة .
- عدد العاملين بالموقع ، ومواعيد عملهم ، وسلوكهم .
- تحديد المسؤوليات لطبيعة العمل بالمنطقة ، وأماكن وجود قوات الحراسة .
- تقسيم المنطقة إلى قطاعات ، وتحديد مسؤوليات أفراد كل قطاع .
- إثبات كافة التحركات ، والملحوظات بدفتر خاص .
- تحديد وسائل الانتقال الواجب استعمالها .
- تحديد وسائل الاتصال بين قوات الحراسة .
- اختيار نوعية السلاح المناسب المتوافق مع طبيعة العمل .
- تدريب الأفراد ، ومداومة تلقينهم بواجباتهم .
- وضع خطة شاملة لضمان استمرار الجولات على كافة القوات ، والمواقع في مواعيد مختلفة.
- مباشرة جهاز البحث الجنائي لمهامه لمكافحة مجرمي الآثار وضبطهم .
- توعية المواطنين ، والزوار بالمناطق الأثرية من خلال اللوحات الإرشادية التي تدعو إلى عدم العبث بالآثار .
- حظر دخول المناطق الأثرية عقب غروب الشمس ماعدا أفراد قوة الحراسة .

ثانياً : بالنسـبة للمنشآت الثقافية :

ويتحدد بالعناصر التالية :

(أ) حجم المنشـأة :

يتم تقويم حجم المنشأة على ضوء الدراسة الميدانية التي تشمل المساحة ، وعدد الطوابق التي تتكون منها المنشأة ، والمباني الملحقة بها .

(ب) النظام الهندسي للمنشأة :

ويشمل عدد المنافذ المخصصة للدخول ، والخروج ، الداخلية ، والخارجية ، وصلاحيتها بالنسبة لإجراءات التأمين ، ومستوى المنافذ بالنسبة لسطح الأرض ، ونوعية البناء المستعمل في المبنى ، والأسوار المحيطة به ، ونوعيتها من الحديد ، أو الطوب ، ومدى ارتفاعها ، وتأثيرها بالنسبة لمستوى الرؤية .

(جـ) طبيعة المنطقة :

وتتوقف إجراءات التأمين وفقاً لطبيعة المنطقة على ضوء المعاينة الميدانية بما يكفل مواجهة المواقف ، والسيطرة عليها .

(د) فحص العاملين :

الذي يتم وفقاً للأساليب العلمية المتبعة حيث يتم تنظيم وتحديد العاملين بالمنشأة ، وإصدار بطاقات تعارف لكل منهم ، وتحديد مواقع عملهم للحفاظ على محتويات المنشأة ، مع تحديد منفذ لهم للدخول ، أو الخروج .

(هـ) تنظيم دخول الزائرين للمنشأة :

يتم تحديد أحد المنافذ لدخول الزائرين ، مع مراعاة تفتيش الحقائب الصغيرة ، وعدم السماح بإدخال الحقائب الكبيرة التي تودع لدى قسم الأمانات ، ويحدد منفذ للخروج ، وتستمر الملاحظة ، وفحص حالات الاشتباه .

(و) وضع نظام محدد لدخول وخروج محتويات المنشأة :

ينبغي مراقبة وسائل النقل المتعلقة بالمنشأة ، والسيطرة على تحركاتها من خلال التفتيش الدقيق في أثناء الدخول ، والخروج ، ووضع نظام دفتري في حالة السماح لأي أثر من مقتنيات المتحف ، أو تحريكه لمكان آخر .

ويتعين كذلك توافر المعدات اللازمة للحماية من أخطار الحريق ، أو المتفجرات من خلال استخدام الأجهزة المناسبة للإنذار ، والإطفاء الآلي ، واستعمال مواد الإطفاء المناسبة ، ومتابعة صيانة مصادر المياه ، والحفاظ على مصادر التهوية الطبيعية ، ومراعاة الكشف الدوري على التوصيلات الكهربائية ، والتأكد من سلامتها ، أو قطع التيار الكهربائي عن المنشأة من الداخل تحسباً لأي موقف ، مع إبقاء مفاتيح الدخول مع أحد العاملين الموجودين من الخارج لاستعمالها في حالة الضرورة.

وبذلك تقتضي الإجراءات الأمنية بالنسبة لتأمين المنشآت الثقافية معاينة الموقع ، والمنطقة المحيطة بالمنشأة ، وتحديد منافذ الدخول ، والخروج للسيطرة عليها ، وفرض السيطرة الأمنية على المنطقة المحيطة بالمتحف ، والحرص على وجود حزام أمني على مسافة معينة من المنشأة ، وتأمين منافذ التهوية ، وسطح المنشأة ، وإعداد خطة أمنية لمواجهة أي عملية إرهابية يحتمل حدوثها ، وإصدار بطاقات تعريفية للعاملين ، وفرض السيطرة الأمنية على كافة جوانب المتحف من الداخل ، وتكثيف الحراسة على القطع الأثرية ، والمقتنيات التي يسهل حملها ، والاحتفاظ بوسيلة مناسبة للإضاءة تكفل إيضاح جميع أجزاء الموقع ، وتحديد التعليمات اللازمة لأسلوب فتح المتحف ، وغلقه . (ص ص١٦٠-١٧٠) .

المبحث الثاني : تأمين المنشآت الثقافية بالاستعانة بالوسائل الإلكترونية :

تقتضي ضرورة حماية المنشآت الثقافية الاستعانة بالأجهزة الفنية في مواجهة العديد من الأخطار التي تواجهها كأخطار السرقة ، وأخطار الإرهاب ، وأخطار الحريق .

ويمكن توضيح الإجراءات الأمنية الواجب اتباعها بالنسبة لتأمين المناطق على النحو التالي:

أولاً : إجراءات التأمين من الداخل :

تضم مقتنيات كل متحف اللوحات الفنية ، والقطع الفنية المعروضة والتماثيل ويتم تأمين كلٍّ منها كالتالي :

أ) تأمين اللوحات الفنية :

هناك إعتبارات يجب مراعاتها عند تأمين اللوحات الفنية يلخصها (أمين ، ١٤٠٩هـ) في التالي :

١- يجب أن يتم تركيب نظام الإنذار بصورة تحول دون سرقته ، أو تحطيمه.

٢- يجب إتاحة الفرصة للزوار بأن يشاهدوا اللوحات عن قرب دون أن يعمل الجهاز.

٣- يجب ألا يكون لنظام المراقبة أي تأثير ضار على اللوحات.

٤- يحب أن تكون هناك مرونة في نظام المراقبة يمكن أن يسمح بتعديل أوضاع اللوحات الفنية ، وإعادة ترتيبها في قاعة العرض دون الحاجة إلى تغييره .

٥- يجب أن يصمم نظام المراقبة بطريقة لا تؤثر على (الديكورات) في حجرة العرض.

٦- الأعمال الإنشائية التي يتطلبها نظام المراقبة يجب أن تكون في أضيق الحدود وبالذات في المباني القديمة (ص١٧٠-١٧١).

ب- تأمين القطع المعروضة :

يمكن تأمين ذلك بعدة طرق أشهرها كما يقول (أمين ، ١٤٠٩ هـ) حفظها داخل نوافذ عرض زجاجية (فتارين) تكون مجهزة بجهاز إنذار آلي .

ويمكن استخدام نظام مراقبة آخر دقيق وكاف على مسطحات الزجاج يسمي موصل الاهتزاز ، أو المنظم الإلكتروني لكشف كسر الزجاج (ص١٧١) .

ج - تأمين التماثيل المعروضة :

ويمكن مراقبة التماثيل المعروضة عن طريق موصل يتم تثبيته تحت التمثال ، بحيث يؤدي أي تحريك للتمثال عن موضعه إلى تشغيل جهاز الإنذار تشغيلاً آلياً .

ثانياً : إجـراءات التأمـين من الخـارج :

يعتبر (أمين ، ١٤٠٩ هـ) أن مراقبة المبني وهو مغلق نقطة أساسية في الخطة العامة لتأمين المبني ، ويتعين أن تشمل المراقبة الورش التي تصنع وتصان فيها الأعمال ، والمخازن التي تحفظ بها الكنوز ، والاستفادة من نظام المنظم الآلي لكشف كسر الزجاج مع الاستفادة من نظام الأشعة لتأمين الواجهات الزجاجية (ص ١٧٢) .

ويذكر (الربيعان ، ١٤١٨ هـ) بأن هناك حماية إدارية للآثار من خلال الدور الذي تلعبه مختلف أجهزة الدولة الإدارية في المحافظة على الآثار ، وصيانتها ، وحمايتها من

العبث ، والتلف وتشمل جوانب تلك الحماية مسح ، وتحديد المواقع الأثرية ، وتسويرها ، ونزع ملكية ما يقع منها في ملكية خاصة ، وحراسة المواقع الأثرية ، وتفتيشها ، وتجهيز وحدة إنقاذية لإجراء تنقيبات انقاذية للمواقع المهددة ، بالإضافة إلى الدور الذي تقوم به الإدارات لحكومية المختلفة في توفير الحماية الإدارية للآثار ضد أي تعديات عمرانية ، أو سكانية على حرم الآثار ، والمناطق المحيطة بها (ص ص ٢٦ – ٤٨) .

ويضيف (الربيعان ، ١٤١٨هـ) بأن هناك نوعين من الحماية الأمنية حماية داخلية تقوم بها أجهزة الأمن في كل بلد من خلال الشرطة ، والإجراءات الوقائية التحوطية ، والإجراءات الجنائية ، كما يقوم بها جهاز الجمارك بحكم وجوده على مداخل ، ومخارج البلاد الرسمية ، بالإضافة إلى الحماية الخارجية التي تتم عن طريق المنظمات الإقليمية والدولية كجامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية ، واليونسكو ، والانتربول (ص ص٦٧–٨٥). ويذكر (الربيعان ، ١٤١٨هـ) بأنه قد تمت الاستعانة والاستفادة من الاختراعات التقنية والإلكترونية الحديثة في مجال حماية الآثار التي يستعرضها في الآتي:

أولاً : بالنسبة للمواقع والمباني الأثرية :

نتيجة لتأثير التقلبات الطبيعية من ارتفاع وانخفاض في درجات الحرارة ، والرطوبة ، وعوامل التعرية ، وتراكم الأملاح ، وغير ذلك فإن الأمر يتطلب وضع أجهزة لمراقبة تلك التقلبات ومن تلك أجهزة قياس الرطوبة ، وأجهزة قياس الحرارة .

ثانياً : بالنسبة للمتاحف :

هناك وسائل تستخدم لحماية المتاحف ففي مجال مكافحة السرقة هناك أجهزة الإحساس بالتيار الكهربائي ، وأجهزة الإحساس الإشعاعي ، وأجهزة الإحساس الكهرومغناطيسي وأجهزة إحساس العازل الكهربائي ، وأجهزة الإحساس المغناطيسي ، وأجهزة الإحساس الاهتزازي ، وأجهزة الإحساس الصوتي ، وأجهزة الإحساس البصري .

وفي مجال مكافحة الحرائق هناك أجهزة الإحساس الحراري ، وأجهزة الإحساس الدخاني ، ونظام الرشاشات المائية ، ونظام الغازات ، ونظام الطفايات اليدوية . (ص ص٨٦– ٩٣) .

الفصل الخامس

إجراءات الدراســة :

قام الباحث بإعداد استبانة تناقش أسئلة الدراسة تتكون من (٤٥) مفردة ، توزعت على قياس قيمة الآثار ، وواقع الآثار ، ومسؤولية حماية الآثار ، وأساليب الحماية الوقائية للآثار ، وأساليب الحماية الأمنية للآثار ، ثم عرض تلك الاستبانة على عدد من أساتذة الجامعة المختصين ، والمهتمين بالآثار لاستطلاع آرائهم في الاستبانة ، والحكم على مدى نجاح مفرداتها للقياس . وبعد إقرار الاستبانة ، وإجراء التعديلات المطلوبة قام الباحث بتوزيعها على أفراد العينة ، ومن ثم استعادتها ، والقيام بتحليلها عن طريق قياس عدد التكرارات ، واستخراج النسبة المئوية لكل مفردة للخروج بنتائج وتوصيات الدراسة.

حيث قام الباحث باختبار العينة المشاركة في الدراسة من رجال الأمن بمكة المكرمة وجدة، ومن العاملين بالآثار ، ومن المهتمين بالآثار من مختلف مناطق المملكة وقد بلغ عدد أفراد العينة (١٤٤) فرداً منهم (٦١) فرداً من العاملين بالآثار يمثلون ما نسبته ٤٢,٣٦٪ من مجموع أفراد العينة ، و (٥٢) فرداً من رجال الأمن يمثلون ما نسبته ٣٦,١١٪ من مجموع أفراد العينة ، و (٣١) فرداً من المهتمين بالآثار يمثلون ما نسبته ٢١,٥٣٪ من مجموع أفراد العينة.

وقد بلغ عدد الحاصلين منهم على مؤهل فوق الجامعي (١٦) فرداً بنسبة ١١,١١٪ من مجموع أفراد العينة ، وبلغ عدد الحاصلين منهم على مؤهل جامعي (٩٨) فرداً بنسبة ٦٨,٠٦٪ من مجموع أفراد العينة ، فيما بلغ عدد الحاصلين منهم على مؤهل أقل من الجامعي (٣٠) فرداً بنسبة ٢٠,٨٣٪ من مجموع أفراد العينة .

الفصل السادس

تحليل المعلومات وتفسيرها

بعد أن قام الباحث بتوزيع الاستبانات على عينة البحث ، ومن ثم استعادتها بعد تعبئة حقولها من قبل أفراد العينة وتنظيم جداولها التي جاءت وفقاً للتالي :

م	قيمة الآثار	أوافق ع	أوافق ٪	لا أوافق ع	لا أوافق ٪
١	للآثار أهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب	١٤٢	٪ ٩٨,٦١	٢	٪ ١,٣٩
٢	الحفاظ على الآثار واجب قومي ووطني	١٤٣	٪ ٩٩,٣١	١	٪ ٠,٦٩
٣	للآثار قيمة دينية فمنها تؤخذ الدروس والعبر	١٣٩	٪ ٩٦,٥٣	٥	٪ ٣,٤٧
٤	للآثار قيمة اقتصادية	١٣٦	٪ ٩٤,٤٤	٨	٪ ٥,٥٦
٥	للآثار قيمة حضارية	١٤٤	٪ ١٠٠	–	–

م	واقع الآثار	أوافق ع	أوافق ٪	لا أوافق ع	لا أوافق ٪
٦	الآثار لا تحظى بالعناية المطلوبة	١١٦	٪ ٨٠,٥٦	٢٨	٪ ١٩,٤٤
٧	الآثار غير محددة وغير معروفة	٧٠	٪ ٤٨,٦١	٧٤	٪ ٥١,٣٩
٨	الآثار لم تكتشف الاكتشاف الكامل	١٢٦	٪ ٨٧,٥٠	١٨	٪ ١٢,٥٠
٩	الآثار لم تحظى بالدراسة والبحث	١٠٢	٪ ٧٠,٨٣	٤٢	٪ ٢٩,١٧
١٠	الآثار لم تبرز بالشكل المطلوب	١٢٣	٪ ٨٥,٤٢	٢١	٪ ١٤,٥٨
١١	هناك قصور في مجال التوعية بأهمية الآثار والمحافظة عليها .	١٢٥	٪ ٨٦,٨١	١٩	٪ ١٣,١٩
١٢	يقوم حراس الآثار الحالين بعملهم بشكل مرض .	٥٧	٪ ٣٩,٥٨	٨٧	٪ ٦٠,٤٢
١٣	هناك حاجة ماسة لتدعيم أعمال الحراسة القائمة حالياً .	١٣٢	٪ ٩١,٦٧	١٢	٪ ٨,٣٣
١٤	عدم تسوير بعض المواقع الأثرية يؤدي إلى العبث بها .	١٣٨	٪ ٩٥,٨٣	٦	٪ ٤,١٧
١٥	إغفال حراسة بعض المواقع الأثرية يكون مدعاة لفقدانها .	١٣٦	٪ ٩٤,٤٤	٨	٪ ٥,٥٦

م	واقع الآثـار	أوافـق		لا أوافـق	
		ع	٪	ع	٪
١٦	لا توجد تنظيمات محددة لعمل حراس الآثار	١٠٧	٪ ٧٤,٣١	٣٧	٪ ٢٥,٦٩
١٧	أغلب حراس الآثار غير مؤهلين أو مدربين للقيام بحراستها .	١٣٣	٪ ٩٢,٣٦	١١	٪ ٧,٦٤
١٨	تفتقر أغلب المواقع الأثرية لوسائل الحماية الحديثة .	١٣٦	٪ ٩٤,٤٤	٨	٪ ٥,٥٦
١٩	تحتاج القوانين الخاصة بحماية الآثار إلى مراجعة وتطوير .	١٣٣	٪ ٩٢,٣٦	١١	٪ ٧,٦٤
٢٠	تفتقر المواقع الأثرية إلى اللافتات التي تدعو لحمايتها .	١٠٥	٪ ٧٢,٩٢	٣٩	٪ ٢٧,٠٨
٢١	تعوق الأماكن القائمة أو المتداخلة مع الآثار عملية حفظها .	١١٦	٪ ٨٠,٥٦	٢٨	٪ ١٩,٤٤
٢٢	هناك قصور في عملية تنظيم زيارة ودخول المناطق الأثرية .	١١١	٪ ٧٧,٠٨	٣٣	٪ ٢٢,٩٢
٢٣	يغلب البطء في عملية الإبلاغ عن سرقة الآثار والعبث بها .	١١٧	٪ ٨١,٢٥	٢٧	٪ ١٨,٧٥
٢٤	تعتبر العقوبات المترتبة على العبث بالآثار وسرقتها كافية .	٥١	٪ ٣٥,٤٢	٩٣	٪ ٦٤,٥٨
٢٥	العقوبات المقررة على العابثين بالآثار معلومة للجميع .	٣٤	٪ ٢٣,٦١	١١٠	٪ ٧٦,٣٩
٢٦	تحتاج الآثار إلى وضع حراسة دائمة عليها	١٣٥	٪ ٩٣,٧٥	٩	٪ ٦,٢٥
٢٧	يقتضي الأمر إسناد حراسة الآثار لأحد القطاعات الأمنية .	١٠٦	٪ ٧٣,٦١	٣٨	٪ ٢٦,٣٩
٢٨	هناك حاجة ملحة لتشكيل جهاز أمني لحماية الآثار بالمملكة .	١٣٠	٪ ٩٠,٢٨	١٤	٪ ٩,٧٢

م	مسئولية حماية الآثـار	أوافـق		لا أوافـق	
		ع	٪	ع	٪
٢٩	وزارة الداخلية هي المسؤولة عن حماية الآثار	٧٩	٪ ٥٤,٨٦	٦٥	٪ ٤٥,١٤
٣٠	الجـهـات المخـتـصـة بالآثار هي المسـؤولة	١١٤	٪ ٧٩,١٧	٣٠	٪ ٢٠,٨٣
٣١	جميع فئات المجتمع مسؤولة عن حماية الآثار	١٣٣	٪ ٩٢,٣٦	١١	٪ ٧,٦٤

م	أساليب الحماية الوقائية للآثار	أوافـق		لا أوافـق	
		ع	٪	ع	٪
٣٢	تحقق الإجراءات الوقـائيـة نجاحـاً فـيـمـا يتعلق بحماية الآثار .	١١٦	٪ ٨٠,٥٦	٢٨	٪ ١٩,٤٤
٣٣	الحـفـاظ على سـرية مـواقع الآثار وعـدم حمايتها يساعد على حمايتها .	٤٤	٪ ٣٠,٥٦	١٠٠	٪ ٦٩,٤٤
٣٤	تطوير أسـاليب الكشف عن سـرقـة الآثار والعبث بها يسهم في حفظها .	١٣٣	٪ ٩٢,٣٦	١١	٪ ٧,٦٤
٣٥	يجب تفـعـيل الاتفـاقـيـات الدوليـة للحفاظ على الآثار .	١٤٢	٪ ٩٨,٣٦	٢	٪ ١,٣٩
٣٦	ضرورة التعاون مع الجهات الأمنية الدولية حفاظاً على الآثار .	١٣٦	٪ ٩٤,٤٤	٨	٪ ٥,٥٦
٣٧	تقديم مكافآت تشجيعية لمن يبلغ عن الآثار	١٤٢	٪ ٩٨,٦١	٢	٪ ١,٣٩
٣٨	تقـديم مكافـآت مـجـزية لمن لديه آثار يريد بيعها .	١٣٢	٪ ٩١,٦٧	١٢	٪ ٨,٣٣
٣٩	إصـدار صـورة فـتوغـرافيـة لجـمـيع الآثار	١٤٠	٪ ٩٧,٢٢	٤	٪ ٢,٧٨
٤٠	إعـداد مـتـخـصـصـين في دراسـة الآثار	١٤٢	٪ ٩٨,٦١	٢	٪ ١,٣٩
٤١	إصـدار فـتـاوى شـرعـيـة فـيـمـا يـتـعلق بحماية الآثار .	١١٦	٪ ٨٠,٥٦	٢٨	٪ ١٩,٤٤

م	أساليب الحماية الأمنية للآثار	أوافق		لا أوافق	
		ع	٪	ع	٪
٤٢	توفير الحماية الأمنية مطلب مهم في سبيل الحفاظ عليها .	١٤١	٪ ٩٧,٩٢	٣	٪ ٢,٠٨
٤٣	يساهم وجود الحماية الأمنية في متابعة الآثار والمحافظة عليها .	١٤٠	٪ ٩٧,٢٢	٤	٪ ٢,٧٨
٤٤	يوفر التواجد الأمني المؤثر الحماية اللازمة للآثار .	١٣٨	٪ ٩٥,٨٣	٦	٪ ٤,١٧
٤٥	وجود أعداد كافية من الحراس يحمي مواقع الآثار .	١٣٠	٪ ٩٠,٢٨	١٤	٪ ٩,٧٢

* والتي يتضح من تحليلها ما يلي :

أولاً : بالنسبة لقيمة الآثار :

ذكر معظم المشاركين في الدراسة (٩٨,٦١٪) بأن للآثار أهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب ، وأكدوا على أن الحفاظ على الآثار واجب قومي ، ووطني حيث أشار إلى ذلك ٩٩,٣١٪ من مجموع أفراد العينة ، وأكد ٩٦,٥٣٪ بأن للآثار قيمة دينية وذكر ٩٤,٤٤٪ بأن للآثار قيمة اقتصادية واتفق جميع أفراد العينة على أن للآثار قيمة حضارية .

ثانياً : بالنسبة لواقع الآثار :

أكد ما نسبته ٨٠,٥٦٪ من مجموع أفراد العينة بأن الآثار لا تحظى بالعناية المطلوبة ، وأعتبر ٨٧,٥٠٪ من أفراد العينة أن الآثار لم تكتشف الاكتشاف الكامل ، وذكر ٧٠,٨٣٪ من أفراد العينة بأن الآثار لم تحظ بالدراسة والبحث ، وأوضح ٨٥,٤٢٪ من مجموع أفراد العينة بأن الآثار لم تبرز بالشكل المطلوب ، وأشار ما نسبته ٨٦,٨١٪ من مجموع أفراد العينة بأن هناك قصوراً في مجال التوعية بأهمية الآثار والمحافظة عليها ، وأبدى ٦٠,٤٢٪ من أفراد العينة عدم رضاهم عن عمل حراس الآثار الحاليين ، وذكر ٥١,٣٩٪ من أفراد العينة بأن الآثار غير محددة وغير معروفة ، واتفق ما نسبته ٩١,٦٧٪ من مجموع أفراد العينة على أن هناك حاجة ماسة لتدعيم أعمال الحراسة القائمة حالياً ، وأشار ٩٥,٨٣٪ من مجموع أفراد العينة

إلى أن عدم تسوير بعض المواقع الأثرية يؤدي إلى العبث بها ، وذكر ما نسبته ٩٤,٤٤٪ من أفراد العينة أن إغفال حراسة بعض المواقع الأثرية يكون مدعاة لفقدانها ، وأشار ٧٤,٣١٪ من أفراد العينة بأنه لا توجد تنظيمات محددة لعمل حراس الآثار ، وأكد ٩٢,٣٦٪ من أفراد العينة بأن أغلب حراس الآثار غير مؤهلين أو مدربين للقيام بحراستها ، وأوضح ما نسبته ٩٤,٤٤٪ من مجموع أفراد العينة بأن أغلب المواقع الأثرية تفتقر لوسائل الحماية الحديثة ، وذكر ٩٢,٣٦٪ من أفراد العينة أن القوانين الخاصة بحماية الآثار تحتاج إلى مراجعة وتطوير ، وأشار ٧٢,٩٢٪ من أفراد العينة إلى افتقار المواقع الأثرية للافتات التي تدعو لحمايتها ، وذكر ٨٠,٥٦٪ من أفراد العينة بأن الأماكن القائمة أو المتداخلة مع الآثار تعوق عملية حفظها ، ولاحظ ٧٧,٠٨٪ من مجموع أفراد العينة أن هناك قصوراً في عملية تنظيم زيارة ودخول المناطق الأثرية ، وأشار ٨١,٢٥٪ من أفراد العينة إلى غلبة البطء في عملية الإبلاغ عن سرقة الآثار ، والعبث بها ، وأعتبر ٦٤,٥٨٪ من أفراد العينة العقوبات المرتبة على العبث بالآثار وسرقتها غير كافية ، وذكر ٧٦,٣٩٪ من مجموع أفراد العينة أن العقوبات المقررة على العابثين بالآثار غير معلومة للجميع ، وأشار ما نسبته ٩٣,٧٥٪ من أفراد العينة إلى ضرورة وضع حراسة دائمة على الآثار ، وأوضح ٧٣,٦١٪ من أفراد العينة بأن الأمر يقتضي إسناد حراسة الآثار لأحد القطاعات الأمنية ، فيما أكد ٩٠,٢٨٪ من مجموع أفراد العينة أن هناك حاجة ملحة لتشكيل جهاز أمني لحماية الآثار .

ثالثاً : بالنسبة لمسؤولية حماية الآثار :

أكد ما نسبته ٩٢,٣٦٪ من مجموع أفراد العينة على أن جميع فئات المجتمع مسؤولة عن حماية الآثار ، ورأى ٧٩,١٧٪ من أفراد العينة بأن الجهات المختصة بالآثار هي المسؤولة عن حماية الآثار ، فيما أسند ٥٤,٨٦٪ من مجموع أفراد العينة إلى وزارة الداخلية مسؤولية حماية الآثار.

رابعاً : بالنسبة لأساليب الحماية الوقائية للآثار :

أكد ما نسبته ٨٠,٥٦٪ من مجموع أفراد العينة على أن الإجراءات الوقائية تحقق نجاحاً فيما يتعلق بحماية الآثار ، وذكر ٦٩,٤٤٪ من أفراد العينة أن الحفاظ على سرية مواقع الآثار

وعدم حمايتها لا يساعد على حمايتها ، وأشار ٩٢,٣٦٪ من أفراد العينة إلى أن تطوير أساليب الكشف عن سرقة الآثار والعبث بها يسهم في حفظها ، ودعا ٩٨,٦١٪ من أفراد العينة إلى ضرورة تفعيل الاتفاقيات الدولية للحفاظ على الآثار ، وأكد ٩٤,٤٤٪ من أفراد العينة على ضرورة التعاون مع الجهات الأمنية الدولية حفاظاً على الآثار ، واقترح ما نسبته ٩٨,٦١٪ من مجموع أفراد العينة تقديم مكافآت تشجيعية لمن يبلغ عن الآثار ، وأوصى ٩١,٦٧٪ من أفراد العينة بتقديم مكافآت مجزية لمن لديه آثار يريد بيعها ، وحث ٩٧,٢٢٪ من مجموع أفراد العينة على إصدار صور فوتوغرافية لجميع الآثار ، ودعا ٩٨,٦١٪ من أفراد العينة إلى إعداد متخصصين في دراسة الآثار ، ووافق ما نسبته ٨٠,٥٦٪ من مجموع أفراد العينة على إصدار فتاوى شرعية فيما يتعلق بحماية الآثار.

خامساً : بالنسبة لأساليب الحماية الأمنية للآثار :

أكد ما نسبته ٩٧,٩٢٪ من مجموع أفراد العينة على أن توفير الحماية الأمنية هو مطلب مهم في سبيل الحفاظ على الآثار ، وأشار ٩٧,٢٢٪ من أفراد العينة إلى أن وجود الحماية الأمنية يساهم في متابعة الآثار والحفاظ عليها ، وذكر ٩٥,٨٣٪ من أفراد العينة أن التواجد الأمني المؤثر يوفر الحماية اللازمة للآثار ، فيما ذهب ٩٠,٢٨٪ من مجموع أفراد العينة إلى أن وجود الأعداد الكافية من الحراس سوف يحمي مواقع الآثار .

الفصل السابع

ملخص النتائج والتوصيات

من خلال تحليل وتفسير المعلومات التي استقاها الباحث من استبانة الدراسة فقد خرج الباحث بالنتائج التالية :

أ - قيمة الآثار:

١- للآثار أهمية بالغة في حياة الأمم ، والشعوب .

٢- الحفاظ على الآثار واجب قومي ، ووطني .

٣- للآثار قيمة دينية ، ومنها تؤخذ الدروس ، والعبر .

٤- للآثار قيمة اقتصادية .

٥- للآثار قيمة حضارية .

ب - واقع الآثار:

٦- آثار المملكة لا تحظى بالعناية المطلوبة .

٧- الآثار في المملكة محددة ومعروفة .

٨- الآثار في المملكة لم تكتشف الاكتشاف الكامل .

٩- الآثار في المملكة لم تحظ بالدراسة والبحث .

١٠- الآثار في المملكة لم تبرز بالشكل المطلوب .

١١- هناك قصور في مجال التوعية بأهمية الآثار في المملكة والمحافظة عليها .

١٢- يقوم حراس آثار المملكة بعملهم بشكل غير مرض .

١٣- هناك حاجة ماسة لتدعيم أعمال حراسة الآثار بالمملكة .

١٤- إن عدم تسوير بعض المواقع الأثرية بالمملكة يؤدي إلى العبث بها .

١٥- إن إغفال حراسة بعض المواقع الأثرية بالمملكة يكون مدعاة لفقدانها .

١٦- لا توجد تنظيمات محددة لعمل حراس الآثار بالمملكة .

١٧- أغلب حراس الآثار بالمملكة غير مؤهلين أو مدربين للقيام بحراستها .

١٨- تفتقر أغلب المواقع الأثرية بالمملكة لوسائل الحماية الحديثة .

١٩- تحتاج القوانين الخاصة بحماية الآثار بالمملكة إلى مراجعة وتطوير .

٢٠- تفتقر المواقع الأثرية بالمملكة إلى اللافتات التي تدعو لحمايتها .

٢١- تعوق الأماكن القائمة أو المتداخلة مع الآثار في المملكة عملية حفظها .

٢٢- هناك قصور في عملية تنظيم زيارة ودخول المناطق الأثرية بالمملكة .

٢٣- يغلب البطء على عملية الإبلاغ عن سرقة الآثار في المملكة والعبث بها .

٢٤- العقوبات المترتبة على العبث بالآثار بالمملكة وسرقتها غير كافية .

٢٥- العقوبات المقررة على العابثين بآثار المملكة غير معلومة للجميع .

٢٦- تحتاج آثار المملكة إلى وضع حراسة دائمة عليها .

٢٧- ضرورة إسناد حراسة آثار المملكة لأحد القطاعات الأمنية .

٢٨- هناك حاجة ملحة لتشكيل جهاز أمني لحماية الآثار بالمملكة .

ج - مسؤولية حماية الآثار :

٢٩- جميع فئات المجتمع مسؤولة عن حماية آثار المملكة .

٣٠- الجهات المختصة بالآثار بالمملكة مسؤولة عن حماية الآثار .

٣١- وزارة الداخلية مسؤولة عن حماية آثار المملكة .

د - أساليب الحماية الوقائية للآثار :

٣٢- تحقق الإجراءات الوقائية نجاحاً فيما يتعلق بحماية آثار المملكة .

٣٣- سرية مواقع الآثار بالمملكة وعدم حمايتها لا يساعد على حمايتها .

٣٤- تطوير أساليب الكشف عن سرقة الآثار بالمملكة والعبث بها يسهم في حفظها .

٣٥- ضرورة تفعيل الاتفاقيات الدولية للحفاظ على آثار المملكة .

٣٦- ضرورة التعاون مع الجهات الأمنية الدولية حفاظاً على آثار المملكة .

٣٧- أهمية تقديم مكافآت تشجيعية لمن يبلغ عن آثار للمملكة .

٣٨- ضرورة تقديم مكافآت مجزية لمن لديه آثار يريد بيعها .

٣٩- أهمية إصدار صور فوتوغرافية لجميع آثار المملكة .

٤٠- ضرورة إعداد متخصصين في دراسة آثار المملكة .

٤١- أهمية إصدار فتاوى شرعية لحماية آثار المملكة .

هـ - أساليب الحماية الأمنية للآثار:

٤٢- أهمية توفير الحماية الأمنية للحفاظ على آثار المملكة .

٤٣- وجود الحماية الأمنية يسهم في متابعة آثار المملكة ويحافظ عليها .

٤٤- التواجد الأمني المؤثر يوفر الحماية اللازمة لآثار المملكة .

٤٥- وجود الأعداد الكافية من الحراس يحمي مواقع الآثار بالمملكة .

التوصـيات

١- ضرورة تنفيذ مرئيات ، ومقترحات القائمين على الآثار .

٢- سرعة تكوين جهاز أمني لحماية الآثار .

٣- التوسع في إنشاء كليات ، أو معاهد متخصصة في دراسة علم الآثار .

٤- تشجيع القطاع الخاص في المشاركة بواجبه نحو الآثار .

٥- إعداد برامج إعلامية توعوية حول الآثار ، ومواقعها ، وقيمتها ، وسياسة الدولة تجاه حمايتها .

٦- إنشاء هيئة ملكية متخصصة في حماية الآثار تضم الجهات ذات الاختصاص وإسناد مسؤولية حماية الآثار لها بهدف تحديد المحميات الأثرية .

٧- وضع مخططات جوية للمواقع الأثرية وإسناد مهمة حمايتها إلى وزارة الشؤون البلدية والقروية .

٨- الاستفادة الاقتصادية من المواقع الأثرية عن طريق برامج التنشيط السياحي ، على أن يعود جزء من دخل الدولة لحماية وصيانة هذه الآثار .

٩- الاستعانة بالأجهزة الدولية والمنظمات الدولية ووسائل الحماية الحديثة في حماية الآثار بالمملكة ، واستعادة ما تسرب منها .

١٠- تشجيع الدراسات العلمية في مجال الآثار ، وحث الباحثين على الدراسات الأثرية ورصد الجوائز لأفضل البحوث في ذلك .

١١- تشجيع المواطنين المقتدرين على المساهمة في استعادة الآثار المتسربة أو رعاية الآثار المحلية الموجودة .

المراجــع

١- الربيعان ، أحمد علي : حماية الآثار في المملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرياض ، قسم الآثار والمتاحف ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٨هـ .

٢- أمين ، أحمد حلمي : الوسائل الأمنية لحماية الآثار والأعمال الفنية ، صنعاء - اليمن : المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب - الندوة العلمية الثانية ضمن الخطة الأمنية الوقائية العربية الثانيه ، ٢٣-٢٥ صفر ١٤٠٩هـ .

٣- مختار ، محمد جمال الدين ، حراسة الآثار والمحافظة عليها ، طرابلس - ليبيا : إدارة الثقافة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية ، ١٨- ١٩٧١/٩/٢٧م .

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

بعد أن من الله عليّ بإتمام هذه الدراسة ، أشكر المولى سبحانه وتعالى على نعمائه ، ثم أشكر وكالة الوزارة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف على إتاحة الفرحة لي للمشاركة في الندوة التي تنظمها بعنوان "الآثار في المملكة العربية السعودية ... حمايتها والمحافظة عليها".

ولا يفوتني أن أزجي الشكر لمقام وزارة الداخلية ممثلة في الإدارة العامة للمجاهدين وعلى رأسها سعادة مديرها العام **الأستاذ/ حمود بن إبراهيم الربيعان** الذي كان لدعمه ودعم سعادة مدير فرع الإدارة بمنطقة مكة المكرمة **الأستاذ/ عبيد الله بن محمد ربيقان** أكبر الأثر في تناول هذه الدراسة .

والشكر الخالص لأساتذتي الأفاضل **الدكتور/ جويبر ماطر الثبيتي ، والدكتور/ محمد أحمد المنشي والدكتور/ ناصر الحارثي** على ما قدموه للباحث من عون ومساندة .

ويشكر الباحث كل من ساعده وسانده وقدم له كل عون أو تشجيع ، وليعذرني من نسيت أن أذكره عن غير قصد .

فللجميع كل الشكر والتقدير والعرفان ، والله ولي التوفيق ،،،

نحو تشكيل جهاز أمني لحماية الآثار

نقيب : أحمد بن علي الربيعان (*)

إنه لمن دواعي سعادتنا جميعاً أن تكون حماية آثار المملكة هي محور هذا اللقاء الذي يشرفنا سيدي صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية بتبني فكرته ورعايته .

وإنه لفخر لي شخصياً أن يكون موضوع حماية آثار المملكة هو موضوع الرسالة التي تقدمت بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك سعود . ولقد وفقني الله ثم عون أساتذتي هناك في تناول مختلف جوانب الحماية الإدارية والقانونية والأمنية والتقنية والمعملية والإعلامية.

وسأتناول في هذا البحث أحد تلك الجوانب ، وهو الجانب الأمني الذي يلتقي فيه مجال دراستي (كآثاري) ومجال عملي (كرجل أمن) .

لم يعد هناك شك أن دراسة الآثار بحكم كونها المصدر الأساسي لمعرفة تاريخ الإنسان وكشف تجاربه ، خلافاً لكونها رابطاً لبناء البلد الواحد ومؤشراً للهوية الوطنية ومصدراً للدخل القومي ؛ أصبحت أحد بنود الاستراتيجية في خطط التنمية في بلدان العالم .

لذا اهتمت الدول والمنظمات المحلية والإقليمية والدولية بحمايتها والمحافظة عليها بمختلف الجوانب التي أشرت إليها أعلاه .

هنالك أخطار طبيعية وبشرية تهدد الآثار . تتمثل الأخطار الطبيعية في الهزات الأرضية والبراكين والسيول وزحف الرمال والحرائق وخلافها . أما البشرية فإنها تتمثل في الحروب والسرقة والنهب والتوسعة العمرانية ونحو ذلك . لقد شكلت هذه العوامل خطراً هدد الكثير من المواقع الأثرية والقطع الأثرية بالدمار أو الضياع .

إن الهدف الأساسي من وجود جهات أمنية ذات اختصاص هو حماية المصالح العليا

(*) وزارة الداخلية .

للوطن من الأخطار التي تتهدده . وتدخل في هذا الإطار – بطبيعة الحال- عمليات التعدي على المواقع والمتاحف بالتخريب والسرقات وتهريب الآثار . وتأخذ هذه العملية شكلاً منظماً أحياناً تقف خلفه عصابات منظمة وأفراد . ويتحول إلى تجارة محلية ودولية وكثيراً ما توجد قياداتها في دول بعيدة في الوقت الذي يوجد معظم أعضائها في الداخل ، وتصبح هذه الجرائم من الكثرة ومن استخدام الأساليب المخططة في أعمالها الإجرامية بحيث تهدد التراث القومي الوطني بالإقفار والضياع .

يقصد بالحماية الأمنية للآثار تلك الحماية التي تتم من خلال أجهزة الأمن المختلفة كالشرطة وسلطات الجمارك وسائر الأجهزة الأمنية وجهاز الأمن الدولي (الإنتربول) . وهناك نوعان من الحماية الأمنية . أولهما الحماية الأمنية الداخلية التي تتم بواسطة أجهزة الأمن المحلية والتي يقف حيز نفوذها عادة عند إطار حدود البلد . وثانيهما الحماية الأمنية الخارجية من إقليمية ودولية ، وهي تلك التي تتم من خلال المنظمات الإقليمية بين دول تربطها مواثيق . مثل دول مجلس التعاون الخليجي أو جامعة الدول العربية . أو من خلال المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والأجهزة التابعة لها ومن بينها جهاز الأمن الدولي (الإنتربول) . وسنعرض هنا لكل من هذه الجوانب .

١- الحماية الداخلية :

تتعدد أجهزة الأمن وتتباين من بلد إلى آخر ، فعادة ما يكون هناك جهاز للأمن مختص بالتعامل مع الأحداث اليومية التي تقع بين المواطنين أو بمعنى آخر مع التعديات والجرائم المعتادة ، وهو جهاز الشرطة . وهناك أجهزة أمنية أخرى مهمتها العمل والسهر على حماية المصالح العليا للبلاد سواء بالنسبة للأخطار التي تواجهها من الخارج أو من الداخل . وتحدد الأنظمة والقوانين المنشئة لأجهزة الأمن المختلفة دور هذه الأجهزة ونطاق عملها وطريقة عملها والقواعد المنظمة لها .

وتتفق هذه القوانين بوجه عام في أهدافها ، وتختلف في تفاصيلها باختلاف الأجهزة الأمنية والدور المناط بها. وكذلك الحال في ما يختص بحماية الآثار . فكما أن دور الشرطة يختلف عن دور الأجهزة الأمنية الأخرى ، كذلك يتباين دور هذه الأجهزة في أمر الحماية . ويمكن توضيح دور هذه الأجهزة في الحماية الأمنية الداخلية للآثار في الحالات التالية :

١-١-الشـرطـة :

بوجه عام تورد مواد الأنظمة و القوانين في كل دولة تفصيلات مهام الشرطة وكيفية تنفيذها والقواعد المنظمة لها . ومن ناحية الفقه القانوني فإن مهام الشرطة مهام عامة تمتد لمعالجة كافة الأخطار التي تهدد الأمن الداخلي بمفهومه الواسع ، وبالتالي فإنه من مهامها العمل على حماية الأرواح والممتلكات سواء كانت ممتلكات عامة أو خاصة (١) . وعليه نجد من بين المهام التي تقع على عاتق الشرطة من الناحيتين النظرية والعملية العمل على حماية الآثار والمناطق الأثرية بالوسائل والطرق والإجراءات القانونية ، وتبدو أهم معالم تلك الحماية في عدة أمور تتمثل في :

١-١-١-الإجراءات الوقائية (التحوطية) :

يقصد بالإجراءات الوقائية الخطوات التي تتخذ لتجنب وقوع الحدث (٢) . وتبدأ بورود معلومات عن التخطيط للجريمة . ومن ثم يتبع ذلك مرحلة التحري والمتابعة لتوجيه الضربات الإجهاضية للحدث الإجرامي الذي قد يتمثل في إلحاق الأذى بالأفراد أو الأضرار بالممتلكات الخاصة أو العامة ومن بينها الآثار والمناطق الأثرية ، سواء كانت الأضرار متعمدة كالسرقة أو النهب أو غير متعمدة كالتخريب أو الإتلاف وخلافه . وتقوم الشرطة بمتابعة مثل هذه الأخطار ووضعها تحت السيطرة وكشفها قبل أن تدخل حيز التنفيذ أو في لحظة دخولها ذلك الحيز على أسوأ تقدير (٣) . وبالنسبة للآثار فهناك إجراءات لابد وأن تتخذ تحوطاً لمنع وقوع الحدث أو التخطيط له وذلك بغرض حماية المناطق الأثرية والمتاحف .

لم يكن مستغرباً أن يولي صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أمر حماية التراث الحضاري اهتمامه واهتمام وزارته حرصاً من سموه على تراث هذا البلد الذي هو جزء من تاريخها وهويتها . فقد بادر سموه بتوجيه المسئولين بالوزارة بالتنسيق مع

(١) سرور ، أحمد فتحي ، ١٩٨١م ، ص ٤٥٦ .

(٢) سالم نبيل ، مذكرات غير منشورة أعدت للدارسين بدبلوم العلوم الشرطية بأكاديمية الشرطة ، القاهرة ، أمين ، أحمد حلمي ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٥٣ .

(٣) عبد الخالق ، حسن ، بحث غير منشور مقدم إلى الندوة الأمنية المنعقدة بأكاديمية الشرطة بالقاهرة ، بعنوان " دور الشرطة في منع حدوث الجرائم قبل وقوعها " .

وزارة المعارف لإيجاد آلية عمل فاعلة لحماية إرثنا الحضاري وذلك بوضع المواقع الأثرية في المملكة تحت المراقبة الفعلية للأجهزة الأمنية [1] . كذلك أهابت وزارة الداخلية عبر الأجهزة الإعلامية بالمواطنين التعاون مع السلطات بالإبلاغ عن أية آثار قبل التعرض لها بالنقل أو خلافه [2] . إن صدور هذه التوجيهات يخدم قضية الحماية الآثارية في جانبين هامين : الجانب الإعلامي بتوعية المواطنين بالتراث الحضاري وقيمته ، والجانب الأمني بأن الوزارة لن تتهاون مع من يعبث في الآثار .

إن الإجراءات الوقائية تتطلب وجود شرطة للآثار تقوم بحراسة المواقع والمتاحف ومنع الدخول إليها في أثناء فترات الإغلاق . وذلك بالتعاون مع خفر وحراس الوكالة العامة للآثار . كذلك تقوم الشرطة بالتعاون مع تلك الجهات في تأمين الزيارات السياحية للمواقع والمتاحف والتأكد من أن الزوار يحملون تراخيص بالزيارة أو العمل في المواقع والمتاحف . كذلك تقوم الشرطة بالتعاون مع الجهات المختصة بالتفتيش الدوري على المستودعات التي تحفظ بها الآثار للتأكد من سلامتها .

١-١-٢-الإجراءات الجنائية :

هي تلك الإجراءات التي تتخذ في حالة وقوع أي اعتداء على المناطق الأثرية أو القطع الأثرية أو على المتاحف الثابتة أو المتنقلة كسرقة إحدى القطع أو إخفائها أو عرضها للبيع أو إتلافها أو التعدي على الموقع الأثرى أو تخريبه أو الاستيلاء على المنطقة الأثرية بالقوة ونحو ذلك . ففي هذه الحالة تقوم شرطة الآثار بدورها في اتخاذ الإجراءات بالإبلاغ والبحث والتحري للقبض على الفاعل أو الفاعلين و إحالتهم إلى الجهات القضائية المختصة [3] .

إن جهاز الشرطة في المملكة العربية السعودية يساهم في حماية الآثار والمناطق الأثرية من خلال المهام العامة المناطة به وهي السهر على حفظ الأمن والنظام في ربوع المملكة ، إلا أن الأمر يتطلب إنشاء جهاز خاص بشرطة الآثار عارفاً بطبيعة الجريمة في مجال الآثار وأساليبها .

(١) صحيفة الجزيرة ، العدد ٨٨١٥ ، تاريخ ٥ / ٧ / ١٤١٧هـ .
(٢) صحيفة عكاظ ، العدد ١١٠٥٢ ، تاريخ ٤ / ٧ / ١٤١٧ هـ .
(٣) أمين ، أحمد حلمي ، ١٤١٢ هـ ، ص١٥٣ .

ولكي تتمكن شرطة الآثار من القيام بدورها في حماية الآثار على الوجه الأكمل لابد لوكالة الآثار من تسهيل المهمة ما أمكن ذلك بـ :

١- سرعة الإبلاغ عند كشف الجريمة حيث يلعب الوقت دوراً حاسماً في هذا الأمر ، وإن أي تأخير في البلاغ يمنح المجرمين فرصة أوسع في الهروب وإخفاء المسروقات والتصرف فيها .

٢- تقديم صور واضحة ووصف دقيق يمكّن الشرطة من متابعة المسروق والتعرف عليه .

٣- تقديم كل المعلومات المتعلقة بالمسروق والتي يمكن أن تساعد في الكشف عنه .

أما في حالات التعدي على المواقع بالتخريب أو الاستيلاء ونحو ذلك بغرض استغلال الأراضي للزراعة أو البناء أو خلافه ؛ فإن الأمر يتطلب سرعة الإجراء قبل أن يجرف الموقع .

١-٢-الجمارك :

تقع على إدارة الجمارك مسئولية كبيرة فيما يتعلق بالحماية الداخلية للآثار ، فبحكم كونها قابضة على المداخل والمخارج الرسمية البرية والبحرية والجوية ، فإن بمقدورها المراقبة والتحقق من كل ما يدخل ويخرج عبر تلك المنافذ . وتقع الآثار بالطبع ضمن تلك الأشياء التي تعبر من تلك الطرق إلى داخل البلاد وخارجها .

ويمنع نظام الآثار السعودي تصدير أي قطعة أثرية ينم مظهرها أو محتواها على كتابة أو نقوش صنعت قبل مائتي عام سواء كانت من المعدن أو الخشب أو الخزف أو غيره ، وسواء كانت تخص هيئة أو أفراداً . فمثل هذه يمنع تصديرها إلى خارج البلاد إلا بإذن خاص من وكالة الآثار (١) .

وترفض وكالة الآثار السماح بتصدير أي شيء من هذا النوع في الوقت الحاضر لما في ذلك من ضياع للتراث الأثري والفني للبلاد (٢) .

غير أننا نلاحظ هنا أيضاً أن المعثورات المصنوعة من المواد العضوية ليست من ضمن

(١) انظر المواد ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ من نظام الآثار السعودي ، الصادر وفق المرسوم الملكي رقم م / ٢٦ بتاريخ ٢٣ / ٦ / ١٣٩٢هـ والتعديلات اللاحقة .

(٢) اللائحة الصادرة من وكالة الآثار بأنواع المواد الممنوع تصديرها .

اللائحة الصادرة من وكالة الآثار ، ومن الجدير بالذكر أن كافة مطارات المملكة العربية السعودية وموانئها البرية والبحرية لديها أجهزة قادرة على كشف كل ما هو مشكوك فيه . إلا أن الأمر يحتم وجود مكتب لشرطة الآثار شبيه بمكتب الإعلام في المنافذ البرية والبحرية والجوية يناوب فيه أحد الأفراد على مدار الساعة لمساعدة رجال الشرطة والجمارك في كل ما يتعذر عليهم تحديده في شأن أي قطعة أثرية أو تراثية .

ويأتي دور الجمارك كذلك بمنع استيراد الآثار أو السماح بدخول أي ممتلكات ثقافية أو أثرية لبعض الجهات دون موافقة الوكالة العامة للآثار والمتاحف . ويطبق ذلك في جميع مراكز الحدود والموانئ والمطارات . وتحدد الوكالة العامة للآثار شروطاً للاستيراد هي (١) :

١- خطاب مصدق من الدولة الموردة بالموافقة على تصدير مثل هذه المواد وتصديقها من السفارة السعودية في البلد المصدر .

٢- صورة ملونة لكل قطعة على أن تكون مصدقة .

٣- نبذة عن كل قطعة يبين فيها مادتها ومكان صنعها وتاريخ الصنع ومقاساتها ووصف كامل للقطعة والغرض من استعمالها .

٤- الحصول على الموافقة المسبقة من وكالة الآثار باستيراد المواد المطلوبة .

والسؤال هنا هو من هي تلك الجهات التي يسمح لها باستيراد الآثار بخلاف وكالة الآثار؟ هل تدخل بينها المتاحف الخاصة وتجار الآثار والمؤسسات العلمية ؟ . كذلك لابد من أن تحدد الوكالة الأغراض التي تستورد الآثار بموجبها (عرض مؤقت ، تبادل ، دراسة ... إلخ) ، وعما إن كان سيعاد تصديرها إلى مصادرها . وبذلك تستطيع الجمارك تسليم الآثار إلى الجهات المعنية ومتابعتها .

٢- الحماية الخارجية :

لاشك أن عمليات سرقة وتهريب الآثار والتجارة غير المشروعة فيها لا تبوء بالفشل في

---

(١) التعميم رقم ٢٣٥ بتاريخ ١٣٩٩/١١/١٩هـ الصادر من مصلحة الجمارك استناداً إلى خطاب وكيل وزارة المعارف رقم ٣٦/١/١٥/٣٠٢٥ بتاريخ ١٣٩٩/١١/١ هـ بعد الموافقة السامية على انضمام المملكة إلى اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي .

كل الحالات . إذ كثيراً ما تتمكن بعض العصابات الدولية من تهريب بعض القطع الأثرية إلى خارج البلاد . وهنا بالطبع لا تستطيع أجهزة الشرطة والأجهزة الأمنية الأخرى تعقب هؤلاء إذ إن صلاحية هذه الأجهزة لا تتجاوز حدود البلد الجغرافية . ومتى ما تجاوزت الآثار حدود البلد الجوية أو أراضيه أو مياهه أصبحت تحت نفوذ دولة أخرى أو منطقة لا نفوذ . وهنا يأتي دور المنظمات الإقليمية والدولية .

٢ـ١ـ المنظمات الإقليميـة :

تقوم بعض الدول التي يجمع بينها إطار قومي مثل جامعة الدول العربية . أو إطار ديني مثل منظمة العالم الإسلامي ، أو إطار اقتصادي مثل منظمة الدول المصدرة للنفط ، أو كل أو بعض هذه الأمور مجتمعة مثل مجلس التعاون الخليجي ؛ بإبرام اتفاقيات تنظم العلاقة بينها ؛ ويجيء ضمن تلك الاتفاقيات أحيانا تبادل المجرمين .

٢ـ١ـ١ـ مجلس التعاون لدول الخليج العربية :

في إطار مجلس التعاون الخليجي دخلت المملكة في اتفاق مع الدول أعضاء المجلس في مجالات حماية الآثار وكشفها وصيانتها وترميمها والمحافظة عليها حيث تنص المادة الأولى على تعاون الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج الموقعة على هذه الاتفاقية في مجالات الآثار ، وعلى تبادل الخبراء الوطنيين والدراسات العلمية والتقنية والصيانة وكافة الأمور المتعلقة بهذا الاختصاص وكذا المشاركة في بعثات التنقيب (١) .

وتنص المادة التاسعة من الاتفاقية على أن تنشئ الدول الموقعة على هذه الاتفاقية لجنة خاصة بالتعاون في مجال حماية الآثار وكشفها وصيانتها والمحافظة عليها تسمى " اللجنة الدائمة للآثار في الدول الأعضاء بالمكتب " .

تقوم هذه اللجنة بدراسة إنشاء نظام موحد لتسجيل الآثار المنقولة وغير المنقولة لتسهيل تبادل المعلومات بين الدول الأعضاء . وتعمل اللجنة من خلال خطة تضعها وتوافق عليها الجهات المسئولة في الدول الأعضاء على استرجاع كافة آثارها الموجودة في دول العالم

(١) مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، الأمانة العامة : النموذج الموحد للتعامل بين الدول الأعضاء والهيئات الأجنبية العاملة في مجال الآثار ، ١٤١٠ هـ .

المختلفة على أن تسترشد اللجنة بتجارب الدول الأعضاء [١] . ويمكن أن يمتد هذا التعاون ليشمل دولاً أخرى في المنطقة .

ومن الأمثلة الجيدة التي يمكن الاستشهاد بها هنا هو ما قامت به دولة الإمارات العربية المتحدة حين أعادت سلطات إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ٦٠ قطعة أثرية إلى اليمن تسربت إلى الخارج خلال الحرب الأهلية الأخيرة في اليمن . وكانت سلطات الجمارك في إمارة الشارقة قد ضبطت هذه الآثار في أثناء محاولة تهريبها إلى أوروبا وقامت الإمارات بتسليمها إلى السفارة اليمنية لإعادتها إلى مصادرها [٢] .

٢ـ١ـ٢ـ جامعة الدول العربية :

إن المملكة العربية السعودية هي إحدى الدول الموقعة على ميثاق جامعة الدول العربية . وهي عضو في كل المنظمات التابعة لها ، ومن بينها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأسسكو) .

عقدت الأسسكو عدداً من المؤتمرات عن الآثار تجاوز العشرة ، وأصدرت الكثير من التوصيات وطرحت مشروعاً لقانون موحد للآثار واتخذت قرارات بينها قرارات أمنية تتعلق بالحماية ومنع التهريب واسترداد الآثار وخلافها . غير أن معظم تلك القرارات ظلت بعيدة عن التنفيذ .

ولابد من محاولة تفعيل جانب الحماية سواء على مستوى مجلس التعاون أو جامعة الدول العربية .

٢ـ٢ـ المنظمات الدولية :

على المستوى الدولي هناك منظمتان يقع أمر حماية التراث الحضاري وإعادة الممتلكات الثقافية ضمن دائرة اهتمامها وهما :

---

(١) مكتب التربية العربي لدول الخليج : اتفاقية التعاون في مجالات حماية الآثار وكشفها وصيانتها وترميمها والمحافظة عليها بين الدول الأعضاء .

(٢) صحيفة الشرق الأوسط ، العدد ٦٢٧١ ، تاريخ : ٥ / ٩ / ١٤١٦هـ .

١- منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) .

٢- الشرطة الدولية (الإنتربول) .

٢-٢-١-اليونسكو :

تعد منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) إحدى المنظمات العالمية التي تهتم بأمر التراث والآثار ، وتلعب دوراً على المستوى العالمي في صيانة وحفظ التراث . وقد دعت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم إلى التوقيع على عدة اتفاقيات لحماية الممتلكات الثقافية واستردادها . وقد انضمت المملكة لتلك الاتفاقيات . بل كانت من أوائل الدول الموقعة عليها (١) .

وفي الدورة اللاحقة (السابعة عشرة) أقرت اليونسكو اتفاقية لحماية التراث وليس فقط حظر استيراده وتصديره ، و ركزت الاتفاقية على ضرورة الحماية الوطنية والدولية للتراث ، وأقرت إنشاء لجنة دولية لحماية التراث تقدم الدعم اللازم لصيانة التراث . ودعت الاتفاقية إلى إنشاء صندوق تساهم فيه الدول الأعضاء لدعم تدريب العاملين في مجال حماية وصيانة التراث والصرف على الأعمال التي من شأنها حماية التراث . وتشكل المملكة العربية السعودية مصدراً أساسياً لدعم برامج اليونسكو من خلال حساب جار مفتوح وضعته المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين تحت تصرف اليونسكو ، وهذا ما جعل المنظمة أكثر فعالية وإسهاماً في إنجاز المهام الطارئة (٢) .

وكما يقع على الجهات الأمنية في كل بلد أمر متابعة الآثار المهربة ؛ فإن شرطة الآثار في المملكة بالتعاون مع الإنتربول عليها أيضاً متابعة الآثار التي تخص دولاً أخرى والتي تدخل إلى أراضي المملكة إما بطرق غير مشروعة أو عابرة إلى بلاد أخرى .

٢-٢-٢-الشرطة الدولية ((الإنتربول)) :

أنشئت الإنتربول وهي جهاز الشرطة الجنائي الدولي في عام ١٩٢٣م لتعقب المجرمين

(١) المرسوم الملكي رقم ٣٨ في تاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٣٧٧هـ .

(٢) اليونسكو : اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي أقرها المؤتمر العام في دورته السابعة عشرة في باريس ١٦١١/١٩٧٢م صحيفة الرياض العدد ١٠١٩٨ ، تاريخ ١٤١٧/١/٩هـ .

الذين يرتكبون جرائم في بلاد ما ويفرون إلى بلاد أخرى . ويقع ضمن مهامه تتبع المسروقات وإعادتها إلى أصحابها الأصليين .

وتتم المتابعة عادة من خلال التعاون بين جهاز الإنتربول وأجهزة الأمن في الدول المعينة . وتشارك الدول العربية جميعاً وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية في عضوية ذلك الجهاز العام ، ويحتفظ الإنتربول بمكتب محلي له في كل دولة عضو لتسهيل الاتصال والتنسيق مع رئاسة المنظمة .

يحكي تاريخ علم الآثار كيف أن الكثير من المعثورات الأثرية قد التفت إليها لصوص الآثار وتجار التحف منذ فترة طويلة . فالتحف الأثرية بحكم قيمتها الفنية أو قيمتها المادية أو حتى قيمتها التاريخية ، كانت محل اهتمام هواة جمع التحف والأثرياء وبالتالي أصبحت تجارة رائدة شكلت مصدراً للثراء السريع لدى البعض (١) . ورغم أن هذه الممارسة ظلت تهدد التراث الثقافي العالمي بشكل مباشر إلا أن الجهات ذات الاختصاص من إدارات الآثار والأمن قد عملت ولا تزال تعمل على وقف هذه الأعمال ، بيد أن القضاء عليها لم يتم بشكل نهائي . فلا تزال سرقات التحف مستمرة ليس فقط في المواقع الأثرية كما كان في السابق بل تعدى ذلك إلى المتاحف ، وبالتالي كان لابد للإنتربول ، وهي الجهة التي تعمل على ملاحقة الجريمة الدولية ومكافحتها ، أن تشمل باهتمامها أمر تهريب القطع الأثرية .

ومنذ عام ١٩٢٥م أي بعد عامين من تأسيسها باشرت منظمة الإنتربول نشاطها في هذا المجال حين نشرت صوراً لمنمنمات ومخطوطات مسروقة . غير أن تفاقم هذا النوع من الإجرام حث المنظمة على وضع نظام لمكافحة هذه الظاهرة ، فوضع نظام للتعاون مع الجهات الأمنية في البلدان الأعضاء (٢) . ويقترح هذا النظام في حالة وقوع سرقة لقطع أثرية مثلاً أن تبدأ دوائر الشرطة المحلية تحرياتها . وهنا يأتي دور شرطة الآثار بحكم أنها الأقدر على إجراء التحري بالشكل الأفضل . بعد ذلك تخطر المكتب المحلي للشرطة الدولية عن احتمال تهريب تلك القطع ، ويقوم الأخير بإخطار مركز الإنتربول وذلك بأسرع وسيلة اتصال ممكنة ، إذ إن عامل الزمن مهم في هذه الحالات . وحين وصول المعلومة إلى مركز الإنتربول يقوم بتوزيعها

(١) محمد علي ، عباس (ترجمة غير منشورة لكتاب ١٩٨١ ، . Daniel,G)

(٢) بو مدبين ، بورويه ، ١٩٨٦م ، ص٣٤ .

على مكاتبه في البلدان الأعضاء التي تخطر الجهات الأمنية لتقوم بمراقبة حركة المسروقات عبر موانئها البرية والبحرية والجوية .

ولسهولة متابعة المسروقات ، يجب أن تكون هناك صور للآثار المسروقة ، ويحسن أن تكون صوراً دقيقة ومفصلة وربما يكون من الأفضل أن تظهر اللون الطبيعي للمسروق . لكي تكون النشرة الدولية الخاصة بالمسروق أكثر تفصيلاً وتسهل من مهمة البحث . وفي الندوة الأخيرة التي عقدت في ١٩٩٦/٩/١٧م بمدينة ليون بفرنسا والخاصة بالتجارة في الأعمال الفنية ، قدمت الإنتربول استمارة خاصة لتوثيق المسروقات تلتزم بها الدول الأعضاء عند الإبلاغ عن أي مسروقات [١] ، وحين يتم العثور على المسروق ، يقوم المكتب المركزي للإنتربول بإخطار البلد الضحية كما يخطر مكاتبه في البلدان الأعضاء بالكف عن البحث .

لعل فعالية هذا النظام تكمن في السرعة التي يتم بها الإبلاغ ، إذ إن التباطؤ في وصول الخبر و إبلاغ البيانات يمكن أن يكون عاملاً حاسماً في ضياع المسروقات ، كما يمكن أن تكون السرعة عاملاً في ضبطها ، كذلك فإن المواصفات الدقيقة والصور الجيدة للقطع المسروقة تلعب دوراً رئيسياً في التحقق منها عند العثور عليها [٢] . يتطلب ذلك بالطبع أن تحتفظ الدول بسجل دقيق لمقتنياتها الأثرية وصورا لها . وسبق أن عقدت اليونسكو اتفاقاً بتاريخ ١٤ / ١١ / ١٩٧٠م يوجه الدول الأعضاء في ذلك الاتجاه .

إن الإنتربول بحكم تعاملها مع أجهزة الشرطة وموقعها المتميز من احترام دول العالم يعطيها مكانة خاصة ومتميزة في التعامل مع الجريمة وتقديم مقترحات للوقاية من وقوع السرقات ومحاولات التهريب . وقد قامت المنظمة في عام ١٩٥٩م بطلب من المجلس الدولي للمتاحف ، بدراسة مفصلة للوقاية من سرقات المتاحف واستعانت في ذلك بالمعلومات التي جمعت من الدول الأعضاء في هذا المجال . وتشمل التركيز على أساليب الحماية من أجهزة إنذار ومراقبة . وفي عام ١٩٧٢م أجيز هذا الطلب بواسطة الدول الأعضاء [٣] .

---

(١) المغنم ، علي ، تقرير عن مشاركة المملكة العربية السعودية في الندوة الثالثة بشأن الاتجار غير المشروع في الأعمال الفنية ، ليون ١٩٩٦م (غير منشور) .

(٢) بو مدين ، بورويه ، ١٩٨٦م ، ص٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص٣٦ .

كذلك عملت المنظمة على إشراك المواطن في محاربة هذه الجريمة بتكليف المراكز الأمنية في الدول الأعضاء بنشر المعلومات الخاصة بالقطع المسروقة على أوسع نطاق عبر وسائل الإعلام (الصحافة والإذاعة والتلفاز) . ومسايرةً للتطور التقني واستغلاله في مجال حفظ المعلومات ، أصدرت الإنتربول توجيها في عام ١٩٨٣م باستعمال الحاسب الآلي في تخزين المعلومات الخاصة بالثروات الثقافية وذلك لتسهيل تبادل تلك المعلومات والرجوع إليها (١) .

إن الآلية التي وضعت للتعامل مع سرقة الآثار والإجراءات التحوطية من قبل الإنتربول تبدو جيدة للغاية إلا أن هناك مصاعب عديدة من الناحية العملية نذكر منها :

أ ـ تباطؤ إبلاغ مراكز الإنتربول المحلية أو الإقليمية عن حقيقة السرقة . ويعود ذلك إلى أسباب كثيرة فالجهات المحلية ربما لا تعلم هي نفسها بالسرقة (في حالة نبش المواقع غير المحروسة أو المواقع في المناطق النائية أو في حالة الفوضى العامة مثل حالات الحروب وغيرها) إلا بعد وقوعها بفترة . كذلك فان صعوبة الاتصال بين مكاتب الإنتربول في بعض البلدان ومركز الإنتربول الرئيسي قد تكون عاملاً في التأخير وهذا مما يحتم وجود شرطة للآثار .

ب ـ غياب المعلومات الدقيقة والصور للقطع المسروقة . وهذه سمة قد تلازم القطع الأثرية في كثير من بلدان العالم حيث يغيب السجل الدقيق والمفصل عن القطع الأثرية وتغيب الصور أو الرسومات الخاصة بتلك القطع . خلافاً لكون بعض تلك القطع ليس لها سجل أصلاً لكونها أخذت من مواقع لم تنقب بعد . ولابد لإدارة التسجيل في الوكالة من تغطية هذا الجانب .

ج ـ في بعض الحالات التي يتم فيها العثور على المسروقات ، لا يتمكن الإنتربول من إكمال المهمة وإعادة المسروقات إلى بلدانها بحكم أن الجهات الأمنية في البلد الذي عثر فيه على المسروقات تدخل في مغالطات قضائية تتعلق بالقانون المدني في البلد المعني ، وتعريف وتحديد حقوق مالك القطعة الأثرية والكيفية التي وصلت عبرها القطعة ونحو ذلك ، وهذا يحتم معالجة الغموض في نظام وكالة الآثار .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٧ .

د - تأتي بعد ذلك ضرورة الحصول على معلومات دقيقة عن من قاموا بالسرقة والتهريب وملاحقتهم بتسليمهم أو تحديد مكان محاكمتهم وبأي قانون ، وهذا يتطلب تعاوناً بين شرطة الآثار والجهات الأمنية .

هـ - عدم الإبلاغ عن سرقات القطع الأثرية التي وصلت إلى أصحابها بطرق غير مشروعة بحكم أن ذلك يعرضهم هم أنفسهم للمساءلة ، وهذا أمر يتطلب المزيد من الوعي الآثاري بين المواطنين .

وكمثال ، تشير إحصائيات الإنتربول إلى أنه خلال الأعوام ١٩٧٨ - ١٩٨٤م تم الإبلاغ عن ١٤٥١ حالة سرقة حوت ١١٦٠٠ أثراً . وقد سجل عام ١٩٨٤م وحده ٢٠٣ بلاغاً لسرقات تحف فنية (١) .

ولعل هذه الأرقام تشير إلى تدني نسبة السرقات من المتاحف ، إلا أن النتيجة في النهاية هي ضياع تراث حضاري أياً كان موضعه . ولعله من المؤسف أن الإحصائيات لا توضح نسبة المسروقات التي تمكن الإنتربول من استعادتها . غير أن المنظمة نجحت فعلياً في استعادة الكثير من المسروقات . ولعل آخر ما نجحت فيه هو تمكنها من استعادة ٥٧٥ قطعة من الآثار الفينيقية التي كانت قد سرقت من لبنان وهربت إلى سويسرا وألمانيا . وقد أعيدت إلى موطنها (٢) .

تبقى حقيقة أن سرقة وتهريب الآثار مشكلة لا يمكن علاجها باللجوء إلى الإنتربول وحده ، بل لابد من التركيز على وسائل الحماية قبل البحث عن العلاج . وحتى عند البحث عن العلاج لابد من وجود جهاز محلي قادر على حماية الآثار محلياً قبل أن تخرج من حدود البلد. وحتى عند خروجها نحتاج إلى جهاز قادر على التعاون الكامل مع الأجهزة الأمنية والإقليمية والدولية ليس فقط في إمداده بالمعلومات الضرورية بل وحتى في إعادة المسروقات إلى أوطانها.

لقد تم تعيين حراس على المواقع الأثرية التي لم يشملها التسوير مع تكليف مكاتب الآثار

(١) المرجع السابق ، ص٣١-٣٢ .

(٢) صحيفة الرياض ، العدد ١٠٣٠٥ ، تاريخ ١٤١٧/٤/٢٧هـ .

في المناطق بالقيام بجولات تفتيشية على المواقع وكتابة تقارير عنها [١] . كذلك طالبت وزارة المعارف بتقديم كل من يتجاوز أو يتطاول على الآثار إلى الجهات المختصة ، موضحاً أنه تمت إزالة عدة إحداثات عن طريق لجان شكلت لهذا الغرض وأن هناك غرامات وجزاءات تطبق بحق من يعتدي على الآثار [٢] .

وبما أن المملكة تزخر بالمواقع الأثرية فإنه يصعب السيطرة الكاملة على الاعتداء عليها. وعلى الرغم من عدم إدراك بعض المواطنين لأهمية المواقع الأثرية في بعض الحالات . إلا أن هناك تعاوناً وبلاغات عن العثور على الكثير من المواقع الأثرية من قبل المواطنين [٣] .

وعليه فإنه سواء كان الهدف هو الآثار أو الأرض التي تقوم عليها فإن التعدي على الإرث الحضاري بالسرقة أو النهب أو التهريب أو التخريب وخلافها أصبح واحداً من النشاطات الإجرامية . وهذه النشاطات تتعدى حدود البلد الواحد إلى البلدان المجاورة وإلى بلدان أخرى بعيدة . لذا لابد من تكاتف الجهود الأمنية المحلية والإقليمية والدولية لملاحقة هذا الخطر والحد من خطورته . ففي المجال المحلي تلعب الشرطة والجمارك الدور الأساسي في مجال الحماية. وفي المجال الإقليمي تحوي الاتفاقيات المبرمة بين الدول بنوداً في مجال صيانة الآثار وحمايتها وتبادل الخبراء وبعثات التنقيب ، كما تحوي اتفاقيات تبادل المجرمين . أما في المجال الدولي فإن المنظمات الدولية مثل اليونسكو و الإنتربول وضعت اتفاقيات ونظماً وقوانين لحماية الآثار بالمساهمة في أعمال المسح والتنقيب والصيانة والترميم إلى جانب المساهمة في استرداد الممتلكات الثقافية وتعقب الآثار المهربة عبر الحدود .

رغم كل ذلك فإن سرقة الآثار وتهريبها لا تزال أحد أبرز النشاطات في مجال التجارة غير المشروعة في داخل كل بلد وخارجه . مما يتطلب المزيد من التعاون بين الدول والمزيد من الحيطة من الأجهزة الأمنية . ورغم الاستقرار الأمني الذي تحظى به المملكة إلا أن الأمر يتطلب إنشاء جهاز أمن خاص بحماية الآثار والممتلكات الثقافية والتراثية للمملكة .

(١) صحيفة الجزيرة ، عدد ٨٥٩٢ ، تاريخ ١٤١٦/١١/١٩هـ .
(٢) صحيفة الجزيرة ، عدد ٨٢٣٠ ، تاريخ ١١ / ١١ / ١٤١٥هـ .
(٣) انظر صفحة آثار في أعداد صحيفة الرياض ، وكذلك سجلات الوكالة العامة للآثار والمتاحف .

٤- الجهـاز الأمنـي :

كان من بين التوصيات التي طرحتها في رسالة الماجستير عن حماية آثار المملكة ، توصية تقول : " لكي تتمكن الجهات الأمنية ، داخلية وخارجية ، من المساهمة في حماية الآثار لابد من تسهيل مهمتها بتوفير المعلومات الكافية عن كل أثر من صور ورسومات ومعلومات دقيقة تكفي للتعرف عليه في حالة فقدانه . ولابد من سرعة إبلاغ الجهات الأمنية الداخلية والخارجية عند وقوع السرقة أو التعدي كي لا يكون عامل الوقت في صالح المعتدي . وقد يتطلب ذلك وجود نظام معلومات متكامل على الحاسب الآلي لمحتويات المتحف ، وربما يتطلب الأمر كذلك إنشاء وحدة أمنية في وكالة الآثار تحوي أفراداً مدربين على التعامل مع الجانب الأمني للحماية من حراسة المتاحف وتعامل مع أجهزة الحراسة والمراقبة " (١) .

ليس هدفنا هو طرح تفاصيل ذلك الجهاز الأمني لحماية الآثار وإنما التركيز على الضرورة وعلى الفكرة ، تاركين التفاصيل لوزارة الداخلية ووكالة الآثار لبحثها .

غير أن ذلك الجهاز أصبح ضرورة ملحة لحماية المواقع والمتاحف ومتابعة حالات التعدي والسرقة والتزوير ومتابعة التهريب . وهو جهاز يتعامل مع الدوائر الحكومية المحلية بحكم تشعب عمله . كما يتعامل مع جهات إقليمية من منظمات وحكومات . ويتعامل مع منظمات دولية وأجهزة استخبارية .

لذا لابد أن يكون أفراده على قدر من الكفاءة وسعة الأفق وتوفر المقدرة . ولابد أن يكونوا مؤهلين أمنياً وعلمياً في مجالات الأمن والآثار والقانون .

وهم بالضرورة رجال أمن ينالون قدراً من التأهيل والتدريب بشكل دورات مكثفة في علم الآثار وكذلك دورات في قانون الآثار إلى جانب معرفتهم بجوانب القانون الجنائي والدولي والتجاري وخلافه .

وعلى مستوى قياداته يمكن أن يكونوا آثاريين يحملون درجة جامعية في الآثار ثم ينالون تدريباً أمنياً مكثفاً في الكليات الأمنية ويلحقون بدورات تخصصية في مجال عملهم ، أما الأفراد فهم رجال أمن ينالون دورات في علم الآثار والحماية الآثارية .

ويضم كل هؤلاء جهاز أمن تابع لوزارة الداخلية ، وملتزم بنظمها بحكم أن عمله وثيق الصلة بوحدات الوزارة .

---

(١) الربيعان ، أحمد علي ، « حماية الآثار في المملكة العربية السعودية » ، رسالة ماجستير ، قدمت استكمالا لمتطلبات الدرجة بقسم الآثار بجامعة الملك سعود ، ١٤١٨هـ ، ص ص ١٢٤ – ١٢٥ .

قائمة المراجـع

١ - أمين ، أحمد حلمي ١٤١٢هـ :

" الوسائل الأمنية لحماية الآثار والأعمال الفنية " (في) المركز العربي للدراسات الأمنية (إعداد) الرياض ، ص ص ١٣٧ - ١٧٤ ,

٢- بمدين ، بوروية ١٩٨٦ م :

" مساهمة المنظمة الدولية للشرطة الجنائية إنتربول في مكافحة سرقة التحف الفنية " ، المجلة الدولية للشرطة الجنائية (إنتربول) ، العدد ٣٩٥ ، ص ص٣٠-٣٧ ,

٣- الربيعان ، أحمد علي ١٤١٨هـ :

" حماية الآثار في المملكة العربية السعودية " ، رسالة ماجستير ، قدمت استكمالاً لمتطلبات الدرجة بقسم الآثار جامعة الملك سعود ، ص ص١٢٤-١٢٥ ,

٤- سالم نبيل :

" الضوابط التي تحكم عمل الشرطة في مصر " مذكرات عن دور الإنتربول في مكافحة الجريمة أعدت للدارسين بدبلوم العلوم الشرطية بأكاديمية الشرطة ، القاهرة (غير منشور) .

٥- سرور ، أحمد فتحي ١٩٨١ م :

قانون الإجراءات الجنائية ، الطبعة الرابعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

٦- عبد الخالق ، حسن :

" دور الشرطة في منع وقوع الجرائم قبل حدوثها " . بحث مقدم للندوة الأمنية المنعقدة بأكاديمية الشرطة القاهرة (غير منشور) .

٧- محمد علي ، عباس ١٤٠٧هـ :

" علم الآثار : المولد والمنشأ " ، المنهل ، عدد ٤٥٤ ، ص ص١٢-٢١ , " موجز تاريخ عن الآثار " ، ترجمة غير منشورة .

٨- **المغنم ، علي صالح ١٩٩٦ م :**

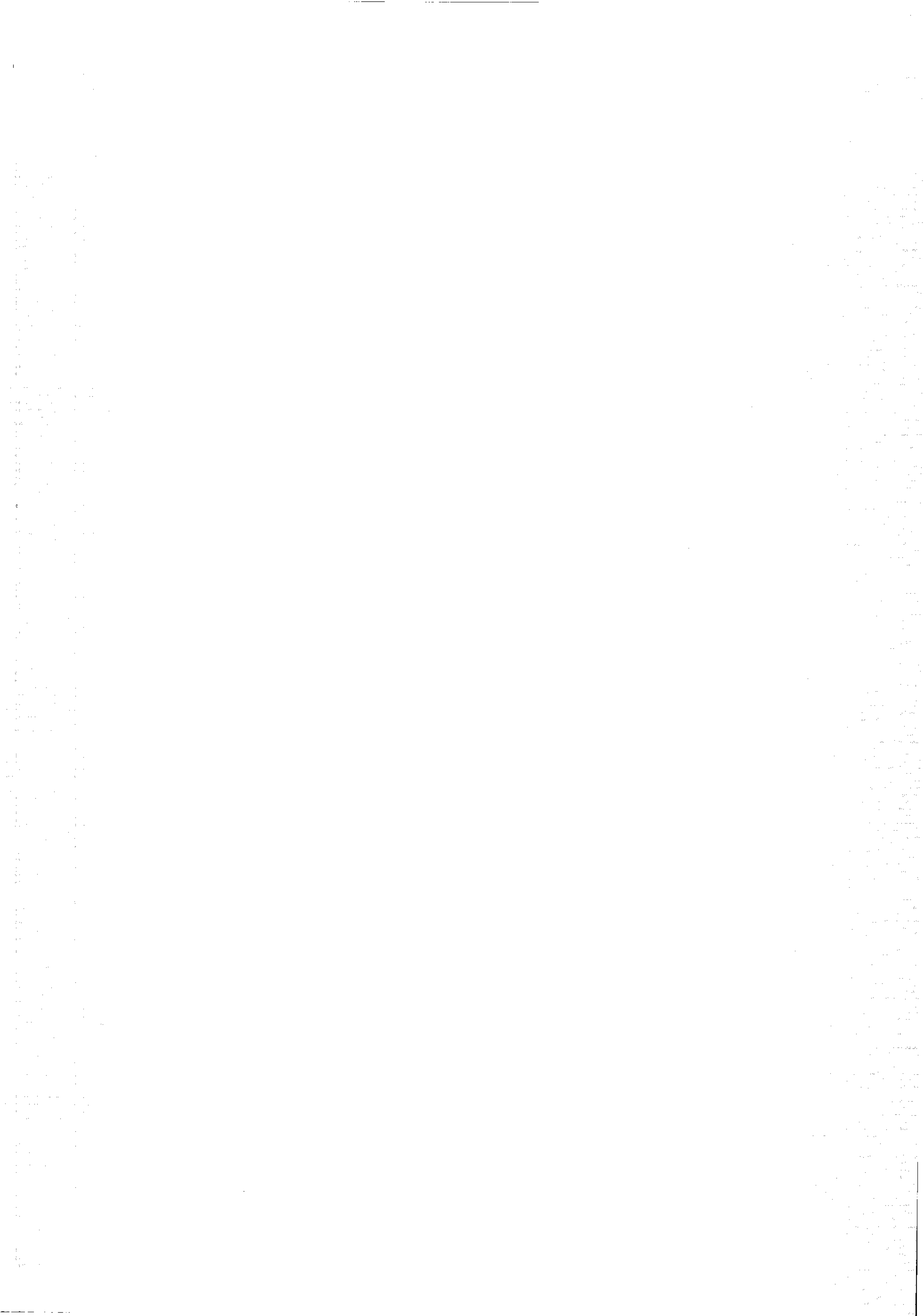
" تقرير عن مشاركة المملكة العربية السعودية في الندوة الثالثة بشأن الاتجار غير المشروع في الأعمال الفنية والتنقيب عن الممتلكات الثقافية وسرقتها ، المنعقدة بليون في فرنسا " (غير منشور) .

٩- **مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، الأمانة العامة ١٤١٠هـ :**

النموذج الموحد للتعامل بين الدول الأعضاء والهيئات الأجنبية العاملة في مجال الآثار . مطبعة الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ الرياض .

١٠- **مكتب التربية العربي لدول الخليج :**

" اتفاقية التعاون في مجالات حماية الآثار كشفها وصيانتها وترميمها والمحافظة عليها بين الدول الأعضاء " وملحق الاتفاقية (غير منشورة) .



آثار الملاحة الغارقة في الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية

أ. عبدالحميد بن محمد الحشاش [*]

ما قامت به وزارة المعارف ممثلة بوكالة الآثار والمتاحف من مجهودات واهتمام وتطوير للآثار في المملكة من حيث إنشاء المتاحف في مناطق المملكة ومن عمليات تسوير وترميم للمواقع والمباني التاريخية والأثرية ومن عملية حصر للمواقع عن طريق المسح الأثري لمناطق المملكة وغيرها من أعمال ، تشكر عليها ، إلا أن هذه الأعمال لم تكتمل بعد لغياب أعمال البحث عن الآثار الغارقة واعتقد أنه حان الوقت الآن للاهتمام بهذه الآثار التي لا تقل أهمية عن الآثار التي على اليابسة ، والذين يعملون على اليابسة غير محظوظين عموماً لأن أكثر المقتنيات القديمة على الأرض يمكن أن تسرق أو تخرب عن طريق العوامل الجوية أو بيد الإنسان نفسه ، بينما غالبية الآثار الغارقة تحت البحار تبقى محفوظة بها خاصة في المياه المالحة وبالذات تحت الطبقات الطينية ، ولقد وجدت في البحر المتوسط أوان داخل حطام سفينة من العالم القديم تعود إلى (١٥٠٠) سنة ميلادية ولازالت هذه الأواني محتفظة بسوائل لم تتغير طوال هذه السنين لأنها غمرت تحت طبقات طينية عزلتها عن الهواء ، وساعدت على احتفاظها بموادها .

الأهمية الاستراتيجية لسواحل الجزيرة العربية :

لقد كان الخليج العربي والبحر الأحمر منذ القدم يمثلان طريقين رئيسيين للتجارة العالمية والبحرية من الشرق إلى الغرب وتناوب كل منهما السيادة على طريق التجارة وقد كان تاريخهما مليئاً بالأحداث والمغامرات والمكتشفات الممتعة وأنشئت على سواحلهما كثير من الموانئ والمرافئ التي أدت دوراً كبيراً في الحركة الملاحية في كليهما على مر العصور منذ أكثر من أربعة آلاف سنة تقريباً فارتادت هذه الطرق حضارات مختلفة مثل الحضارة المصرية

(*) مدير متحف الدمام الإقليمي .

القديمة والحضارات الفينيقية والساسانية والدلمونية والسومرية واليونانية والرومانية وحضارات الممالك العربية في جنوب الجزيرة العربية وشرقها وغربها إضافة إلى الحضارة الإسلامية ، فازدهرت تلك الموانئ ونمت في عهودهم نتيجة التبادل التجاري بين مراكز الاستقرار التي قامت على شواطئهما وأصبحت هذه المراكز من أكبر الأسواق العالمية شهرة وتجارة وثراء ، مما حرك شهوات الطامعين وأثار ما بين المستعمرين دولاً كبرى وصغرى المنازعات والمنافسات منذ فجر التاريخ .

الأهمية الاستراتيجية لسواحل المملكة :

امتازت سواحل المملكة العربية السعودية على البحر الأحمر والخليج العربي على حد سواء بأهمية استراتيجية عظيمة .

فالبحر الأحمر يمتد ساحله من الشمال إلى الجنوب بطول (١٨٠٠كم) وبالرغم من تميز هذا الساحل بخصائصه الطبيعية من حيث كثرة الشعب المرجانية وكثرة المناطق الصخرية الانكسارية فإنه أنشئت على خلجانه وثغوره كثير من المرافئ والموانئ القديمة مثل إرجا وأميلوني ولوكي كوما والجار وعثر والشرجه وسهى ، كما نشأت على سواحله مرافئ طبيعية مثل ضبا والوجه وأملج ورابغ والليث والقنفذة ، وهناك موانئ رئيسية مهمة مثل ينبع وجازان إضافة إلى ميناء جدة وبعض الجزر مثل جزيرة فرسان الأثرية .

الساحل الشرقي للمملكة :

إن ساحل المملكة في المنطقة الشرقية الذي يمتد بطول ٦٠٠كم من الشمال عند رأس الخفجي إلى الجنوب عند دوحة سلوى تتميز بخصائص طبيعية من حيث انبساط سواحله وكثرة خلجانه ورؤوسه مما جعله بيئة صالحة لنمو محار اللؤلؤ إذ تعد سواحلها من أغنى سواحل العالم باللؤلؤ الطبيعي الذي شكل أهم منتج تجاري للتصدير للخارج امتازت به سواحل الخليج العربي منذ القدم .

ومن أهم الرؤوس البحرية على الساحل الشرقي رأس الخفجي - رأس مشعاب - رأس السفانية - رأس تناقيب - رأس الزور - رأس تنورة - رأس القرية (جنوب ميناء الخبر) ثم رأس صباح بالقرب من ميناء العقير- ورأس ملوح جنوبه بالإضافة إلى الخلجان التي أهمها

منيفة في الشمال وخليج وجزيرة تاروت ، وتشمل جزيرة دارين . كذلك خليج دوحة السيح (جنوب الخبر) وخليج دوحة سلوى ، إضافة إلى الجزر الكثيرة مثل جزيرة أبو علي والباطنية وجزيرة جنة والمسلمية (شمال ميناء الجبيل) وجزيرة الزخنونية عند مدخل خليج سلوى [١] .

ونرى لزاماً علينا أن نذكر بإيجاز أهم الحضارات التي أنشئت على هذا الساحل الشرقي لمعرفة عمق وعراقة الخليج على مر التاريخ وهي :

* حضارة العبيد التي تعود إلى أكثر من ٥٠٠٠ سنة ق . م .
* الحضارة الدلمونية التي تعود إلى الألف الثالث والثاني ق .م متمثلة في البحرين ومنطقة جنوب الظهران ومنطقة القطيف (تاروت) .
* حضارة بلاد الرافدين التي سيطرت على الساحل الشرقي للخليج في فترات زمنية مختلفة (مثل الدولة الأكاديمية والبابلية والآشورية) .
* الحضارة الفارسية التي امتدت من ٥٢٦ إلى ٣٢٢ ق . م .
* الحضارة الإغريقية التي امتدت من ٣٢٤ ق . م إلى ٤٠ م التي ذكرت المصادر الكلاسيكية كثيراً من المدن والموانئ القديمة التي أنشأتها على ساحل الخليج وخاصة مدينة الجرهاء في المنطقة الشرقية وميناءها بلبانا (بلعانا) تلك المدينة التي تميزت بالثراء والغنى واتساع المدنية والتي لازالت مجهولة لم يحدد موقعها بشكل دقيق في الشرقية .
* الحضارة الرومانية التي امتدت من ٤٦م إلى ٢٤٦م والتي بدورها أثرت على الساحل الشرقي للخليج بعد أن نقلت الحركة الملاحية منه إلى البحر الأحمر ثم اشتد الصراع بين الدولة البارثية والرومانية وانشغلت كل دولة بحروبها مع الأخرى فبدأت تظهر القبائل العربية على مسرح الأحداث في الخليج إلى أن ظهر الإسلام فبدأت الحضارة الإسلامية وبعدها بسطت الخلافة العثمانية سيطرتها على ساحل الخليج إلى أن أتى الاستعمار الغربي متمثلاً في البرتغال ثم بريطانيا التي سيطرت على بعض الأجزاء في منطقة الخليج إلى أن تخلصت منه شعوب تلك المناطق .

وعلى هذا فكل هذه المرافئ والموانئ والجزر أدت دوراً كبيراً على ساحل البحر الأحمر والخليج العربي على مختلف العصور وأسهمت إسهاماً واضحاً في الحياة التجارية والسياسية والاقتصادية للجزيرة العربية في الماضي والحاضر ، كما أن هذه السواحل المحيطة بالمملكة وما امتازت به من توافر للمياه الجوفية وخصوبة في الأراضي إضافة إلى اقتصادها البحري الحر ظلت منطقة جذب وظهور للتجمعات العمرانية والاستيطانية وخاصة عند السواحل وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي بين الحضارات القديمة مما أدى بدوره إلى قيام كثير من المراكز العالمية الملاحية والتجارية على شواطئها وبالتالي جعل هذه السواحل منذ فجر التاريخ في حركة دائمة ونشاط لا يفتر يربط بين الطرق البحرية والسبل البرية وأصبحت بذلك نقطة إشعاع حضاري وثقافي واقتصادي معروفة عبر التاريخ .

ولعل من أبرز الأمثلة على الآثار الغارقة ما كشف النقاب عنه عند ميناء فرضة العقير بالأحساء حيث تم الكشف عن الكثير من الأواني الفخارية قبالة الساحل من قبل بعثة الآثار عام ١٤١٣هـ بالتعاون مع بعض هواة الآثار الغارقة (معروضة بعض هذه الأواني في متحف الدمام) وعلى هذا فهذه البحار غنية بالآثار الغارقة وتنتظر من يكشف كنوزها المطمورة تحت قيعانها ويمكن أن نبدأ بالكشف عن هذه الآثار عند الموانئ والمرافئ القديمة التي مازالت تستخدم مثل دارين وتاروت والعقير والزخنونية في الشرقية ومثل الموانئ القديمة المذكورة آنفاً في البحر الأحمر .

ولما كانت أرقى الحضارات البشرية وأقدمها وجدت في الجزيرة وما حولها فمن البداهة أن تكون شواطئها غنية بالآثار الغارقة ، وبما أن البحر المتوسط كان محط أنظار المكتشفين في العالم منذ عام ١٩٠٠م فإن البحر الأحمر والخليج العربي في عام ٢٠٠٠م سوف يكونان محط أنظار العالم إذا ما سهلت واستمرت أمور الكشف فيهما .

تعريف الآثار الغارقة :

هناك كثير من الأسئلة التي تراود دائماً فكر الباحثين الأثريين حول الزخم الهائل من المياه المحيطة بالكرة الأرضية وما احتوته قيعانها من آثار مطمورة غامضة في كل من المحيطات والبحار والأنهار ، فهي تعد مناجم آثار عريقة راقدة في الأعماق ، فكم من سفينة

تحطمت وكم من مدينة غرقت ودفنت تحت قيعانها المظلمة منسية الوجود وغير معروفة ، وكم من أسرار حضارية وكنوز حجبت عن عيون الناس ، وأصبحت مثار أسئلة تبحث عن إجابة ، أعتقد أن هـذا هـو أهم الأسباب لنشـوء علم الآثار الغارقة الذي أخذ اسم (علم ما تحت البحار) .

فعلم الآثار الذي سبقه بأكثر من قرن من حيث هو علم يختص بالدراسة العلمية لموروثات الحضارات الإنسانية القديمة بجميع جوانبها سواء كانت أثرية أو تاريخية أو تجارية أو ثقافية الخ . عدا أن عالم الآثار الغارقة يعتمد أساساً على تقنيات حديثة كالآلات والمعدات الخاصة بالغطس ووسائل انتشال الآثار الغارقة ودراسة ما يعثر عليه بوسائل علمية حديثة للوصول إلى الكشف عن تاريخ وحضارة تلك الآثار وخاصة ما يتعلق منها بالتجارة والصناعة والنقل البحري وعلى هذا فهدف الأثريين ليس فقط جمع الكنوز الثمينة من تحت قاع البحر بل الهدف يتعدى هذا الأمر إلى النواحي العلمية والبحثية ومن هنا تظهر لنا أهمية الآثار البحرية بمايلي :

أهميـة الآثار البحـرية :

١- دراسة ومعرفة ونشر المكتشفات من الحضارات الإنسانية القديمة وتوثيقها والتعرف على علاقتها بالجزيرة العربية مما يسهم في حل حلقات مفقودة من تاريخ الجزيرة العربية .

٢- التعرف على مدى ما توصلت إليه هذه الشعوب القديمة من تقدم وازدهار بوصفها تراثاً للإنسانية جمعاء .

٣- العناية بالآثار البحرية مجال لحماية ثقافة الأمة من الضياع والنهب والسرقة حيث إن إهمال هذه الثروات الثقافية سوف يتيح الفرص للدول الأخرى للاستيلاء عليها واستغلالها.

٤- الاهتمام بالآثار البحرية يعد مصدراً من مصادر الثراء الاقتصادي للشعوب لكونها من أهم مصادر الجذب السياحي الحديث ، عند استغلالها بعمل متاحف بحرية مثلاً (٢) .

ما هي أنواع المكتشفات داخل قاع البحر :

في الغالب يجد الأثريون تحت قاع البحر نوعين من المقتنيات هما :

١- آثار ثابتة ومواقع أثرية مطمورة :

تمثل بقايا مدن وموانئ تعرضت لغمرها بالمياه نتيجة التغيرات الجيولوجية مثل الزلازل والبراكين أو تقدم ماء البحر على اليابسة فابتلعتها الأمواج .

٢- آثار منقولة :

وهي بقايا حطام السفن أو المراكب وما تحمله من آثار غرقت لأسباب سوء الملاحة والأحوال الجوية مثل الأعاصير أو الحرائق أو المعارك الحربية إلخ . .

وفي كثير من دول العالم مثل أمريكا وأوروبا والدول المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض الدول المطلة على البحر الأحمر مثل مصر والأردن والسودان تم القيام بعمليات للكشف عن آثار المدن والموانئ الغارقة وانتشال كثير من حطام السفن كما تم الكشف عن كنوز لا تقدر بثمن تمت صيانتها وعرضها في متاحفهم وأصبحت من أهم ما تتميز بها مؤسساتهم المتحفية ومن أهم سمات الحضارات الإنسانية لدى شعوبها .

وما تم انتشاله من آثار السفينة الأمريكية الغارقة جون باري JOHN BORRY عند خليج عمان مقابل ساحلها حيث غرقت على بعد بـ ١٨٠كم عام ١٩٤٣م في الحرب العالمية الثانية بواسطة الغواصة الألمانية وكانت تلك السفينة قادمة من أمريكا وعلى متنها ضمن بضائع أخرى شحنة مكونة من ثلاثة ملايين قطعة من العملة الفضية السعودية من فئة الريال الواحد التي تم سكها في فيلادلفيا بناء على طلب حكومة المملكة العربية السعودية ، وغرقت في هذه المنطقة منذ ذلك التاريخ ، ونجحت عملية الانتشال وتم رفع جزء من حطام السفينة وهي على عمق ٢٦٠٠م باستخدام أحدث التقنيات العلمية في تحديد موقع السفينة عن طريق الأقمار الصناعية والتصوير والإضاءة وطريقة انتشال الآثار الغارقة (٣) .

استراتيجية العمل للآثار الغارقة :

وعلى هذا فلا بد أن تضع وكالة الآثار والمتاحف من ضمن مشاريعها التنفيذية خطة للبدء بتنظيم عملية مسح المواقع الأثرية الغارقة في البحر الأحمر والخليج العربي ليشمل شواطئها وجزرها وأخوارها وسواحلها وداخل البحر وذلك لتحديد المواقع الأثرية الغارقة

كالموانئ والمرافئ والآثار الغارقة مثل بقايا حطام السفن المراكب وذلك بتثبيت إحداثياتها ليتم بعد ذلك مستقبلاً عملية رفع الأنقاض من تحت قاع البحر مع الاستعانة بذوي الخبرة في هذا المجال ، ويمكن أن يكون ذلك عن طريق منظمة اليونسكو لكونها إحدى المنظمات الثقافية التي أنجزت كثيراً من المشاريع البحرية للآثار الغارقة في كثير من الدول عن طريق تعاملها مع الشركات المتخصصة في هذا المضمار .

وقد أثرت يد الإنسان نوعاً ما ، على البيئة ومعالمها الأثرية ، وطال ذلك شواطئنا في الوقت الحاضر سواء في المنطقة الغربية في البحر الأحمر أو المنطقة الشرقية في الخليج العربي كما حدث في مدينة الدمام وأيضاً في جزيرة تاروت ودارين وربطهما باليابسة عن طريق الردم والدفن بهدف تجميل شواطئها وقد ساعد اتساع الحركة العمرانية على إخفاء كثير من معالمها كموانئ ومرافئ استخدمت قديماً كأكبر مراكز بحرية لرسو السفن والمراكب الكبيرة ، تلك الجزر التي أدت دوراً كبيراً في التجارة والملاحة في الخليج العربي وذلك لوقوعها على طرق الملاحة البحرية العالمية القديمة من الخليج العربي إلى الهند والصين على مر العصور .

ومن هنا لابد وأن نخرج ببعض المقترحات والتوصيات التي آمل أن يعمل على تفعيلها ووضعها في حيز التطبيق .

المقترحات والتوصيات :

١- قيام وكالة الآثار والمتاحف بعمل المسوحات الأثرية الملاحية الغارقة من قبل غواصين متدربين أو هواة بإشراف وكالة الآثار والمتاحف لكشف ما فيها من آثار غارقة لتحديد أماكنها والعمل على انتشالها .

٢- التأكيد على التعاون المثمر بين الجهات الحكومية ذات العلاقة كالبلديات وإدارات التخطيط وإدارة الآثار والمتاحف عند تنفيذ مشاريع على الشواطئ البحرية أو داخل البحر قبل الشروع في مرحلة العمل حتى لا تختفي المعالم الأثرية الساحلية ولا يؤثر العمل على الآثار الغارقة .

٣- تدريب الكوادر الفنية على الغوص عن طريق إعداد مجموعة من موظفي وكالة الآثار

الراغبين في التعاون مع أندية الغوص البحرية بالمملكة وابتعاثهم خارج المملكة للالتحاق بالمعاهد والجامعات المتخصصة بالآثار الغارقة ليكونوا مستقبلاً المشرفين على هذا العلم الأثري الجديد .

٤- التعاون مع الشركات المتخصصة للقيام بمسح المواقع الأثرية الغارقة على سواحل المملكة وإتاحة الفرصة لتدريب الكوادر الوطنية ، وقد كان لدولة الكويت تجربة في هذا المجال حيث قامت باستدعاء إحدى الشركات المتخصصة من جمهورية مصر العربية للكشف عن الآثار الغارقة وتدريب الكوادر الكويتية .

٥- وضع خطة للاستفادة من شركات القطاع الخاص لدعم مشروعات الآثار الغارقة فالتكلفة المالية الباهظة لانتشال الملاحة الغارقة قد تكون عائقاً نوعاً ما لوكالة الآثار والمتاحف فلابد من مساهمة القطاع الخاص لدعم مشاريع الوكالة المرتبطة بالآثار الغارقة والمتاحف البحرية لإبراز حضارة وتاريخ البلاد والاستثمار السياحي ، وخير مثال على هذا النوع من الدعم ما قدمته إحدى مؤسسات القطاع الخاص بأستراليا حيث تكفلت بتمويل مشروع إعادة سفينة (دوفكن) أول سفينة وصلت للسواحل الاسترالية الغربية عام ١٦٠٦م بمبلغ ثلاثة ملايين دولار أسترالي لصالح متحف غرب أستراليا البحري ، وهذا نموذج للإنجاز المفيد والمثمر للتعاون بين القطاع الخاص والعام (٤) .

٦- تعاون الدول المطلة على الخليج العربي فيما بينها بالمهارات والخبرات والكوادر الفنية لكشف وانتشال ما فيها من آثار وكنوز غارقة وذلك لتقليل التكاليف المادية وللتعرف على علاقاتها التاريخية والتجارية والثقافية القديمة بشكل أوضح وأشمل .

٧- دراسة وضع قانون لحماية الآثار الغارقة بالنسبة لنظام حماية الآثار في المملكة طبقاً للقوانين العالمية .

٨- لابد من اهتمام وكالة الآثار والمتاحف بالآثار الغارقة والمتاحف البحرية لكونها علوماً حديثة لا تقل أهميتها التاريخية والأثرية الثقافية عن آثار اليابسة .

٩- ضرورة إنشاء شعبة للآثار البحرية بمركز الأبحاث وإنشاء شعبة للمتاحف البحرية تابعة للإدارة العامة للمتاحف في وكالة الآثار والمتاحف .

١٠- حث قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود على وضع برنامج لتدريس الآثار والمتاحف البحرية لطلبة قسم الآثار وكذلك كلية علوم البحار بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة وفتح المجال للدراسات العليا لتناول مواضيع الآثار والمتاحف البحرية .

استخدام التقنيات في الكشف عن الآثار الغارقة :

للحصول على أفضل النتائج العلمية في مجال التنقيبات تحت البحر لابد من القيام ببعض الأعمال الميدانية الأولية وهي :

١- المعرفة الشاملة بالموقع المراد الكشف به جغرافياً وجيولوجياً .

٢- المعرفة بالناحية التاريخية للموقع قدر المستطاع .

٣- المسح الأثري للمنطقة وتحديدها كمنطقة عمل .

٤- توافر الكادر الفني المتخصص ذو المستوى العالي من الإعداد والتدريب في مجال الغطس والكفاءة في التعامل مع المعدات الخاصة بالغطس ، والخبرة في هذا المجال وخاصة بالأعمال الأثرية الغارقة .

كما أن هناك أدوات خاصة بالغواص نفسه لابد من توافرها وهي:

١- بدلة الغطس .
٢- أسطوانة الهواء .
٣- البوصلة .
٤- ساعة مؤقتة لحساب زمن الغطس .
٥- ساعة لقياس العمق .
٦- نظارة خاصة للغطس .
٧- ساعة لقياس كمية الهواء .

ومن أهم المعدات التقنية اللازمة والتي لابد أن تكون مصاحبة لعمليات الكشف عن الآثار تحت البحر ما يلي :

١- سفينة أو مركب كبير مزود بجميع الأجهزة والمعدات وفريق العمل .

٢- زوارق مطاطية معروفة باسم (Zodiac) مزودة بمحرك .

٣- (أستوديو) كامل للتصوير مجهز بآلات المراقبة والأسلاك الكهربائية وأسلاك الإنارة وآلات

التصوير والكرات العوامة (الطافية) التي تحدد مكان العمل .

٤- مضخة هواء واحدة على الأقل تستعمل لملء أسطوانات الهواء الخاصة بالغطاسين يومياً .

٥- الأكياس المعدة لحفظ المعثورات .

٦- رافعة لنقل الأشياء الثقيلة بواسطة أسلاك خاصة .

٧- غرابيل لمراقبة الرمال والطمي المنقولة بواسطة أنبوب الشفط الخاص .

٨- تجهيز الألواح والأقلام الخاصة بالكتابة تحت الماء .

٩- أنابيب بمقاييس مختلفة وخيوط ملونة لتحديد المربعات بها .

١٠- شواخص وشريط المتر وحبال وشبكة .

١١- آلة لشفط المياه والرمال من القاع مزودة بمصاصة خاصة .

١٢- بالون (طائرة مائية) خاص للنفخ يستخدم لاستخراج اللقى الأثرية .

١٣- سكاكين ومكاشط لإزالة العوالق والرواسب البحرية .

١٤- جهاز السونار (sonar) وهو جهاز قياس ارتداد صدى الصوت داخل الأعماق وهو مهم في الكشف والبحث داخل قاع البحر قبل الغوص (٥) .

١٥- غواصة صغيرة تسمى (The Submarine) تقاد بمراوح أو موجه ، تغوص إلى عمق ٢٠٠قدم تعمل بالبطارية وتستعمل للكشف داخل قاع البحر .

١٦- مقطورة الغواص (Towing) وهي طوافة خشبية مرتبطة مع حبل بالقارب في السطح وبها يدان يمسك بها الغاطس ويقودها ويرى فيها من سطح البحر القاع ويمكنه أن ينزل بها اسفل ليثبت الرؤية بشكل واضح في القاع .

١٧- بدل الطوافة الخشبية استحدثت قطعة أخرى من الألمنيوم بفتحة زجاجية تدعى (hydrodynamic) وهي تشبه المزلجة يمسك بها الغاطس باليدين ويحركها بأي اتجاه يريد بسهولة وتمتاز بسرعة الكشف والحركة .

١٨- جهاز آخر أكبر على شكل صندوق معاني يدعى (Towvane) وهو يحمل غواصين

اثنين ويمكن مشاهدة القاع من نافذة فيه وبه هاتف لمخاطبة القارب بالسطح ويكون استعماله أكثر عند وجود الأثر تحت قاع البحر .

١٩- هناك جهاز متطور يدعى (Side Scan Sonar) هذا الجهاز يمسح لمسافة ربع ميل عن موقع السفينة تحت قاع البحر وهو أكثر تعقيداً وعملاً لكنه أكثر فائدة ووضوحاً بالنسبة للأجهزة القديمة .

٢٠- (كاميرا) تلفزيون لموقع البحث (.Closed - Circuit - TV)

٢١- غواصة (Submarine Jet of Water) وهذه تلقط وتعالج الآثار الغارقة تحت الماء ولها قوة في الإضاءة والتصوير بالأبعاد الثلاثية Three Dimension Picture والاتصال مع السفينة الأم في داخل البحر خلال أقل من ساعة وبعضها لها مقطورة مقسمة إلى قسمين تحمل أربعة أشخاص يوزع العمل بينهم بالقيادة والكشف والدراسة والبحث .

٢٢- جهاز آخر يسمى Metal detector أي كاشف المعادن وهناك نوعان منه للأثريين واحد بسيط ويمكن من معرفة المعادن عن قرب ويحمل بيد الغواص والآخر يدعى Proton Magnetometer وهو يكشف القطع الصغيرة والبعيدة وهو كبير وثقيل ومعقد ولابد من وجوده في السفينة .

٢٣- للبحث في الأعماق السحيقة تستعمل غواصات خاصة من نوع (Nautile) مزودة بذراعين ولها غرفة قيادة يقوم من داخلها الباحث بجميع العمليات بطريقة إنارة المكان وتصوير والتقاط جميع الأشياء المشتبه بها على عمق ستة آلاف متر ويمكن لهذه الغواصة أن تنزل إلى القاع وتصعد في ظرف ٩٠ دقيقة ويمكنها أن تعمل لمدة عشر ساعات .

٢٤- تم استخدام أحدث التقنيات كذلك بطريقة تسمى فسيفساء الصور الفوتوغرافية (Photo Mosaic Picture) وهي تتلخص في إعداد صور متكاملة عن قاع البحر حيث يمكن مشاهدة المربعات عند تجميع الصور لعمل الفسيفساء [٦] .

خلاصة القول أن الطرق الحديثة في البحث الأثري في أعماق البحر هي نتيجة التطورات العلمية المكتشفة التي استغلت في أعمال أخرى كالعسكرية مثلاً أو لأغراض البحث عن المعادن والأسماك .

عملية التنقيب العلمي :

طريقة العمل في الحفريات البحرية لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها التي تقام على اليابسة من حيث :

١- تنظيف الموقع وتهيئته وذلك عن طريق إزالة الطبقة السطحية منه أي إزالة العوالق والرواسب مثل النباتات والأعشاب البحرية التي تغطي موقع العمل .

٢- تقسيم الموقع إلى مربعات كبرى بواسطة قضبان معدنية وتقسم المربعات الكبرى إلى مربعات صغيرة بواسطة الخيوط وترقم وبعدها يتم دراسة عمل كل مربع على حدة وتسجل نوع اللقى وحجمها .

٣- إتمام عملية التصوير بالفيديو وآلات التصوير المزودة بالإضاءة بواسطة الأسلاك الكهربائية والبطاريات وبعد الكشف عن اللقى والتصوير تنقل إلى سطح الماء بواسطة الأسلاك (الرافعة) .

٤- حمل اللقى على ظهر السفينة حيث تنظف وترمم وتسجل خصائصها على بطاقات تحمل أرقام المربع ورمز القسم وتاريخ الاكتشاف ونوع الزاوية البحرية العالقة بها ويثبت هذا بالدفتر اليومي وكذلك دفتر الكشوفات .

التعامل مع اللقى الأثرية المكتشفة في أعماق البحر :

هناك نوعان من الآثار الغارقة :

* العناصر المعمارية كالمدن والموانئ القديمة لا داعي لاستخراجها وذلك بسبب التكلفة لعملية استخراجها .

* الآثار المنقولة كاللقى الأثرية من تماثيل وأوانٍ فخارية وزجاجية ولقى معدنية وبقايا حطام السفن من أخشاب ومسامير وغيرها فلابد أن يتعامل معها بأسلوب علمي مدروس ومعد مسبقاً حسب حالة كل لقية أثرية قبل استخراجها ، لأن خروج أي قطعة وتركها عرضة للطبيعة سبب في تدميرها .

كيفية المحافظة على اللقى الأثرية المكتشفة في البحر :

تجب المحافظة على اللقى الأثرية كالفخار مثلا وذلك بأن يوضع فور استخراجه من البحر لمدة ١٢ ساعة في حوض به كمية من المياه العذبة والمقطرة ويلاحظ تغيير المياه كل ٤ ساعات وذلك من أجل تقليل أو إزالة نسبة الأملاح الزائدة التي تكون قد تشبعت بها اللقى الفخارية .

بعدها تتم إزالة العوالق البحرية عن سطحها الخارجي والداخلي بواسطة معدات خاصة مثل الفرشاة والمكاشط وأدوات التجفيف ثم دراستها وتصنيفها علمياً .

أما اللقى الأثرية الخشبية وخاصة الصغيرة مثل أدوات الزينة والأمشاط والدمى والمنحوتات فتحتاج إلى معالجة خاصة ، وتنقسم إلى قسمين ففي حالة عرض اللقى الخشبية في المتاحف يجب أن يلاحظ ترطيبها بالمياه العذبة من حين إلى آخر بغرض الحفاظ على مستوى الرطوبة فيها حتى لا تتحطم نتيجة للرطوبة الزائدة أو الجفاف وهذا يستدعي استخدام مقياس خاص بذلك .

والقسم الثاني وهو طريقة حديثة لمعالجة اللقى الأثرية من الخشب باستخدام مواد كيماوية وذلك باستخدام إشعاعات نووية تحولها إلى مادة متحجرة وهذه الطريقة تكلف أموالاً باهظة وهي تستخدم خاصة عند إعادة بناء المراكب لحالتها الطبيعية وعرضها بقاعات المتاحف.

هذه بعض المعلومات القيمة من حيث الأدوات الحديثة المستخدمة في كشف الآثار الغارقة من حيث عملية الكشف العلمي عليها وطرق معالجة وصيانة بعض اللقى الأثرية المكتشفة منها.

وبالرغم من أن العمل تحت البحر عمل شاق وممل ومتعب ومكلف وفيه خطورة فإنه يعد من أكثر الأعمال العلمية جاذبية وتشويقاً وسحراً وفي نفس الوقت وأغناها بمادتها الأثرية وكنوزها الثمينة .

الخاتمة

في الختام أتوجه بالشكر لوزارة المعارف على تنظيم هذا اللقاء العلمي المتميز ، كما أتوجه بالشكر لوكالة الآثار والمتاحف على مبادرتها في التخطيط لهذه الندوة المتخصصة لحماية تراثنا وآثارنا وطرحها العديد من الموضوعات التي سيكون لها دور بالغ في مجال البحث والحوار والتي تمثل بلا شك خطوة جدية ومنطلقاً صحيحاً نحو تطوير الفكر الثقافي الأثري لدى المسؤولين في الدولة والمواطنين في إطار المنهجية العلمية السليمة والاستفادة من التخصصات المختلفة والخبرات العلمية في جميع المجالات لتكون مندمجة في النهاية وتقدم نتائج مثمرة ومثيرة تخدم حقل علم الآثار والمتاحف .

المراجــــع

١- المنطقة الشرقية عراقة وحضارة ، الغرفة التجارية الصناعية بالدمام ، ص ص٣-٢٢ .

٢- تقرير حضور جلسات المؤتمر العالمي للمتاحف والآثار البحرية لدول المحيط الهندي المنعقد بمدينة فريمانتل بأستراليا في الفترة ما بين ١ - ١٣/٩/١٩٩٧م إعداد أ/ علي صالح المغنم ، د . إبراهيم بن محمد الرسيني .

٣- مجلة القافلة ، شوال العدد العاشر ، مجلد ٤٦ ، ص ٢٤ .

٤- أبحاث مؤتمر الآثار الرابع عشر بالشارقة من الفترة ٢١-٢٦/٢/١٩٩٨م وهي :

أ) استخدام التقنيات الحديثة في الكشف عن الآثار الغارقة .

للأستاذ/ محمد علي حسين (فكر ونص) ص ص ١١٩-١٢٦ .

ب) استخدام التقنيات الحديثة في البحث الأثري في أعماق البحار .

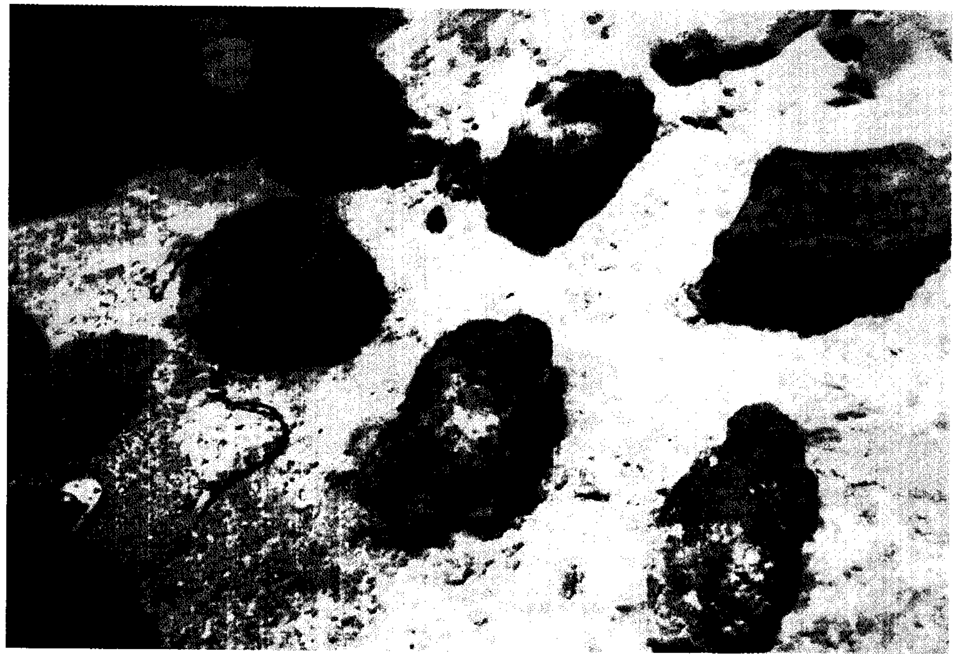
د . علي خلاصي ، ص ص ١٢٧-١٣٣ .

5- Introducing Underwater Archaeology By Elish Linder and Avner Raban .

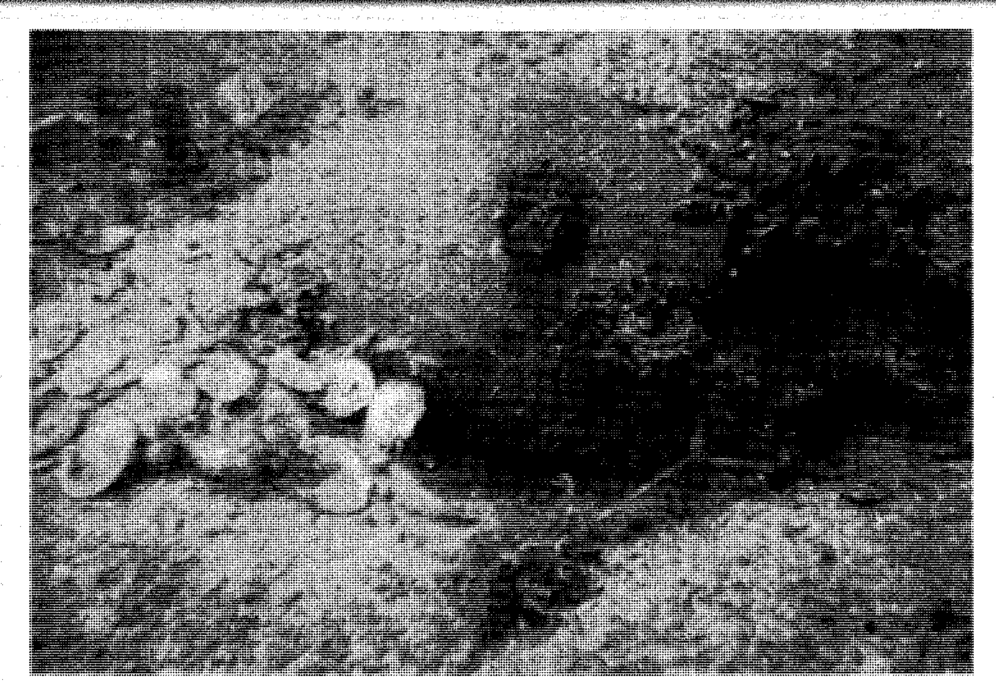
6- Underwater Archaeology by Jean - Yves blot .



شكل (١) : أحد الغواصين في البحر المقابل لميناء العقير



شكل (٢) : مجموعة من الأواني الفخارية المكتشفة من قاع البحر في العقير



شكل (٣) : أواني فخارية من قاع البحر في ميناء العقير



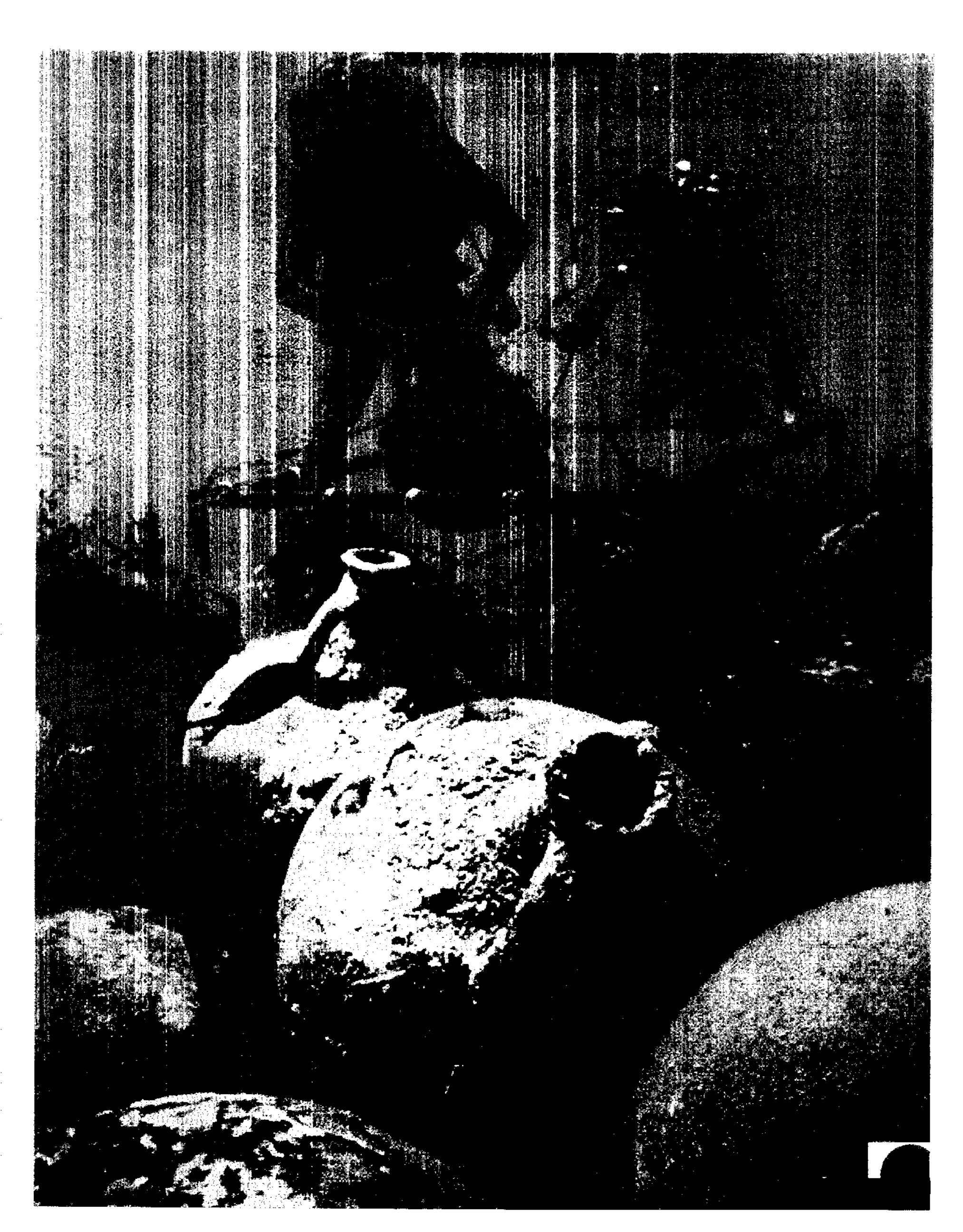
شكل (٤) : الغواص يخطط ويقيس موقع الآثار الغارقة



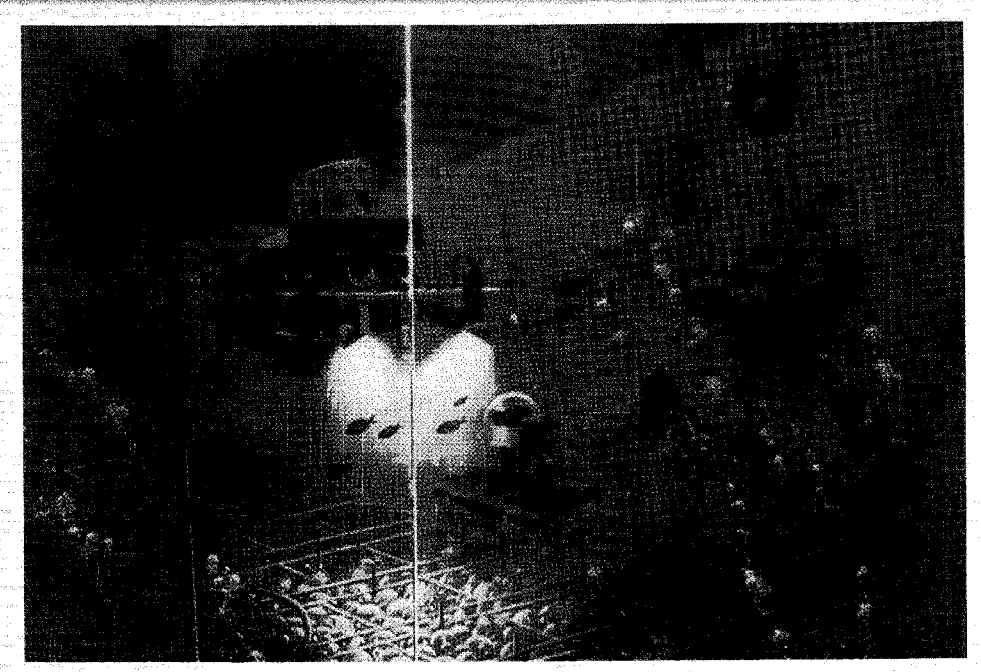
شكل (٥) : الغواص يسجل ويرقم بورق بلاستيك آثار بقايا تآكل قطعة خشبية من حطام السفينة



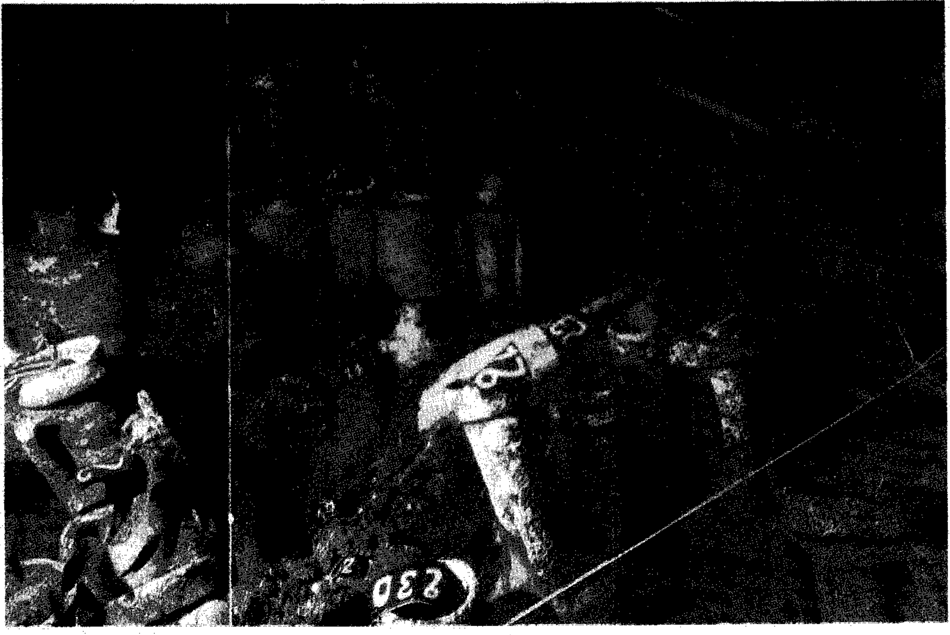
شكل (٦) : عملية تصوير حطام إحدى السفن في قاع البحر الأسود بكاميرا الأبعاد الثلاثية
Three Dimensional Picture



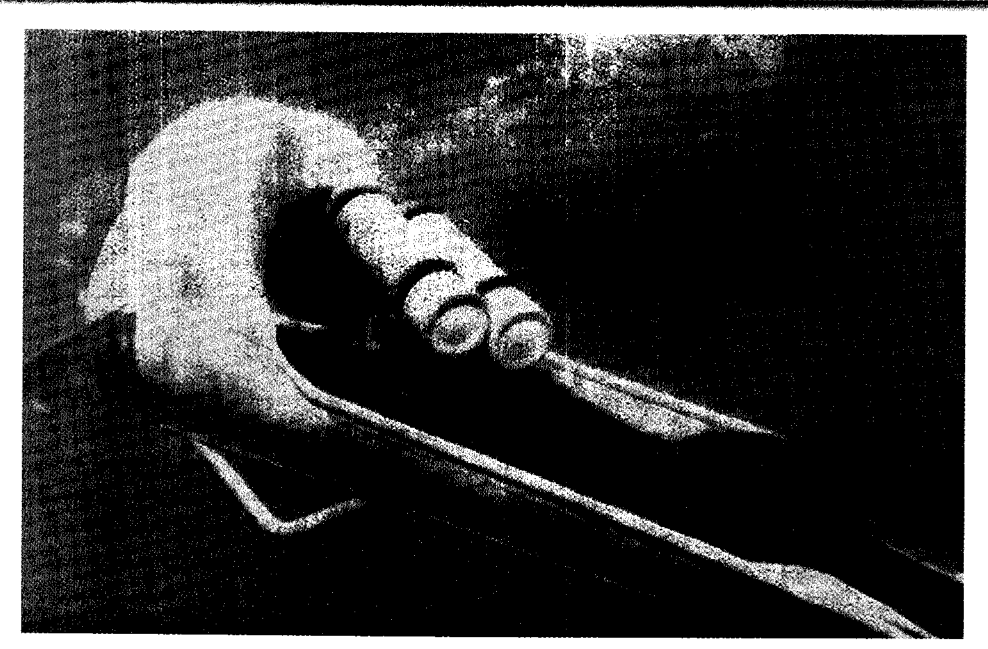
شكل (٧) : إحدى عمليات رفع الأواني الفخارية الغارقة بواسطة البالون البلاستيكي في (ياسي أدا) بتركيا



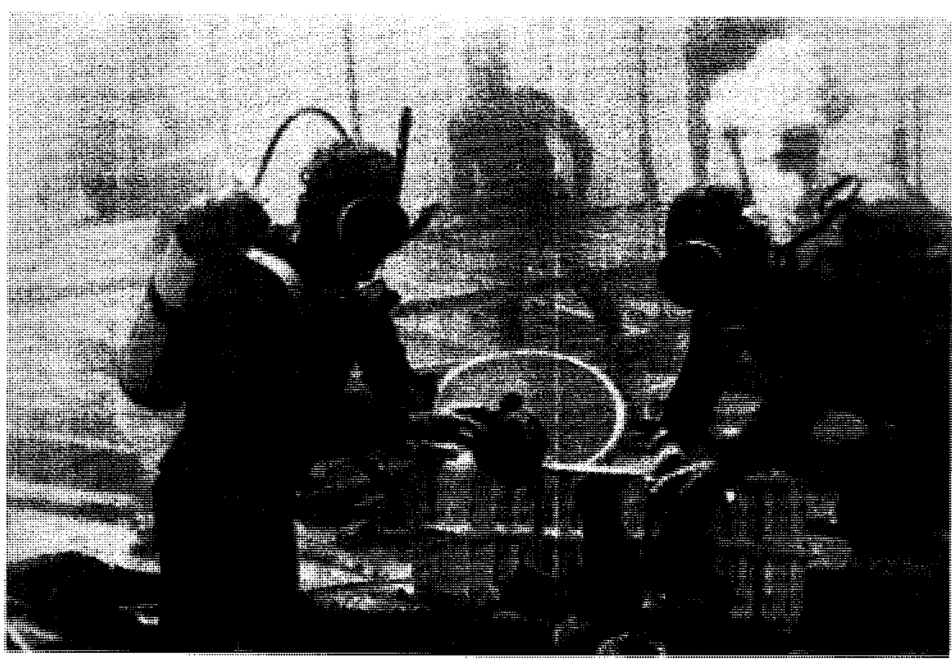
شكل (٨) : إحدى عمليات رفع المكتشفات الغارقة (الأنتورا) داخل شبكية الموقع بكامل المعدات الحديثة وفريق البحث من موقع (ياسي ادا) عام ١٩٦٠م في تركيا



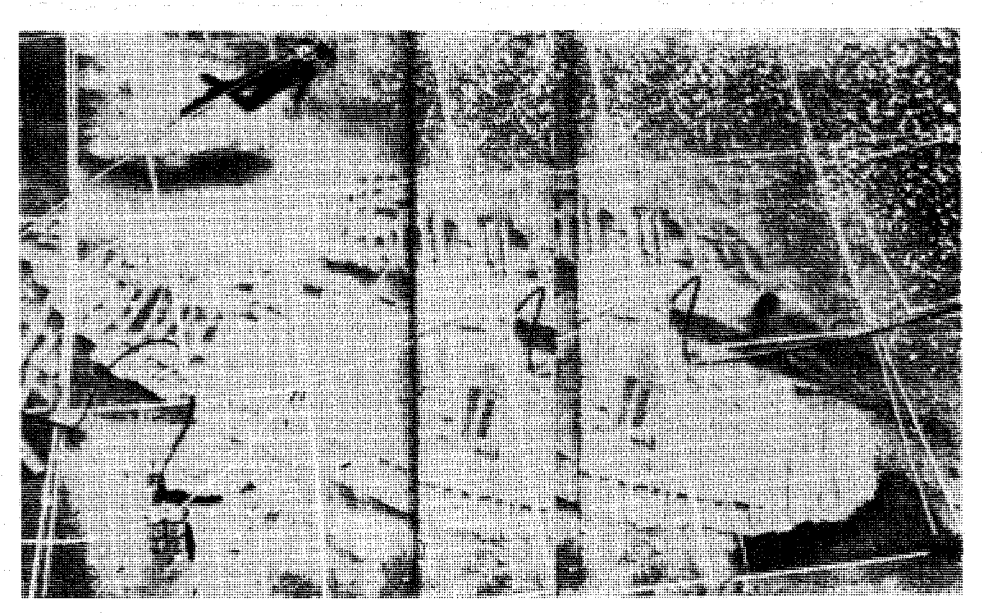
شكل (٩) : عملية ترقيم المكتشفات الغارقة باستخدام أحدث التقنيات التي تتم تحت قاع البحر



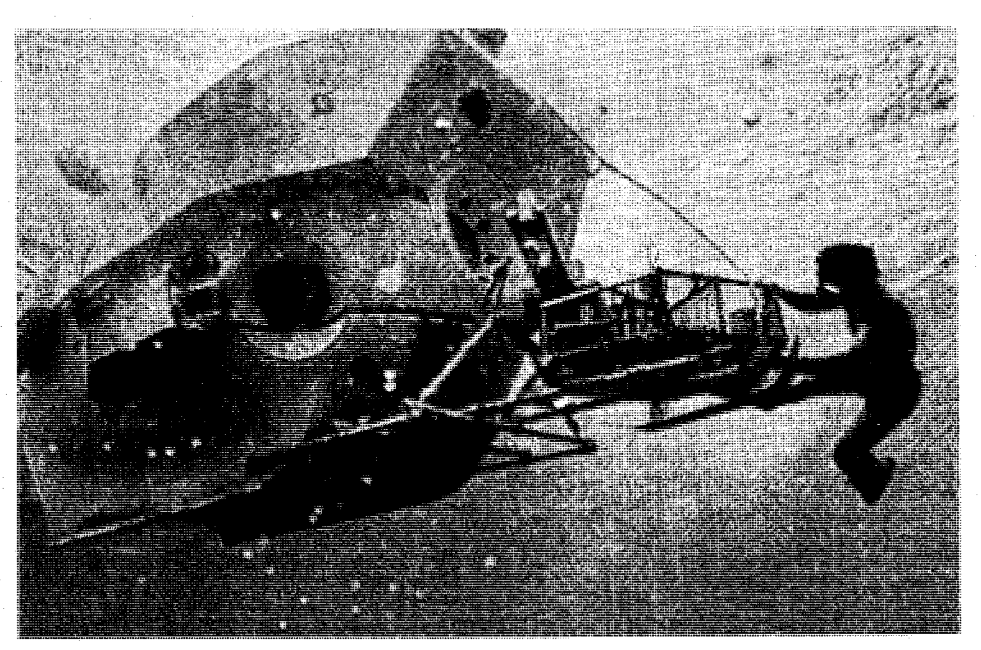
شكل (١٠) : استخدام أحد أجهزة المسح الأثري المسمى الطوافة الألمونيوم Hydnodynomic Cradle



شكل (١١) : مجموعة من الأواني الفخارية جمعت من حطام سفينة تركية في البحر الأحمر تعود إلى ٢٥٠ سنة سابقة



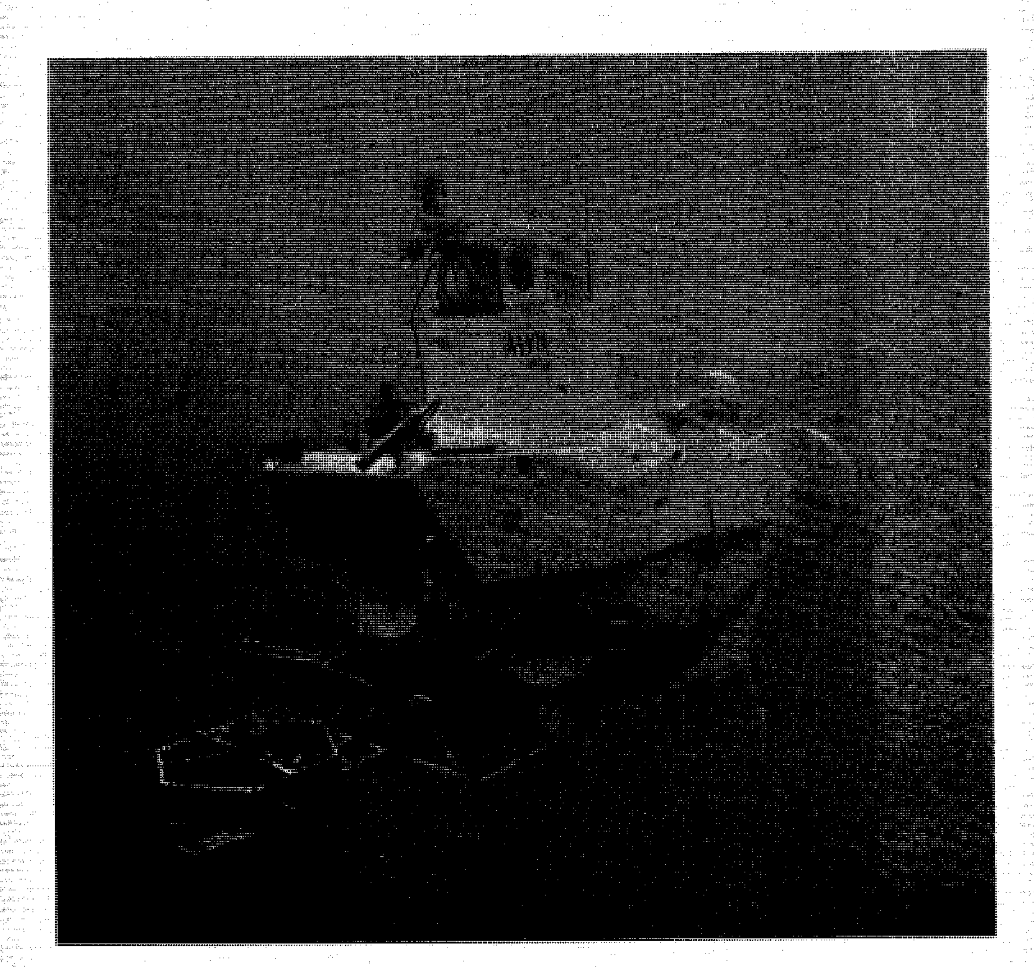
شكل (١٢) : إحدى السفن الغارقة (كارينا) في قبرص كشف جزء من مقدمتها ومؤخرتها على وضع على حطامها شبكة من الأنابيب المرقمة لتساعد في معرفة موقع المعثورات عند التسجيل والتصوير ويلاحظ أحد الغطاسين يستخدم هوز الشفط لإظهار معالم السفينة



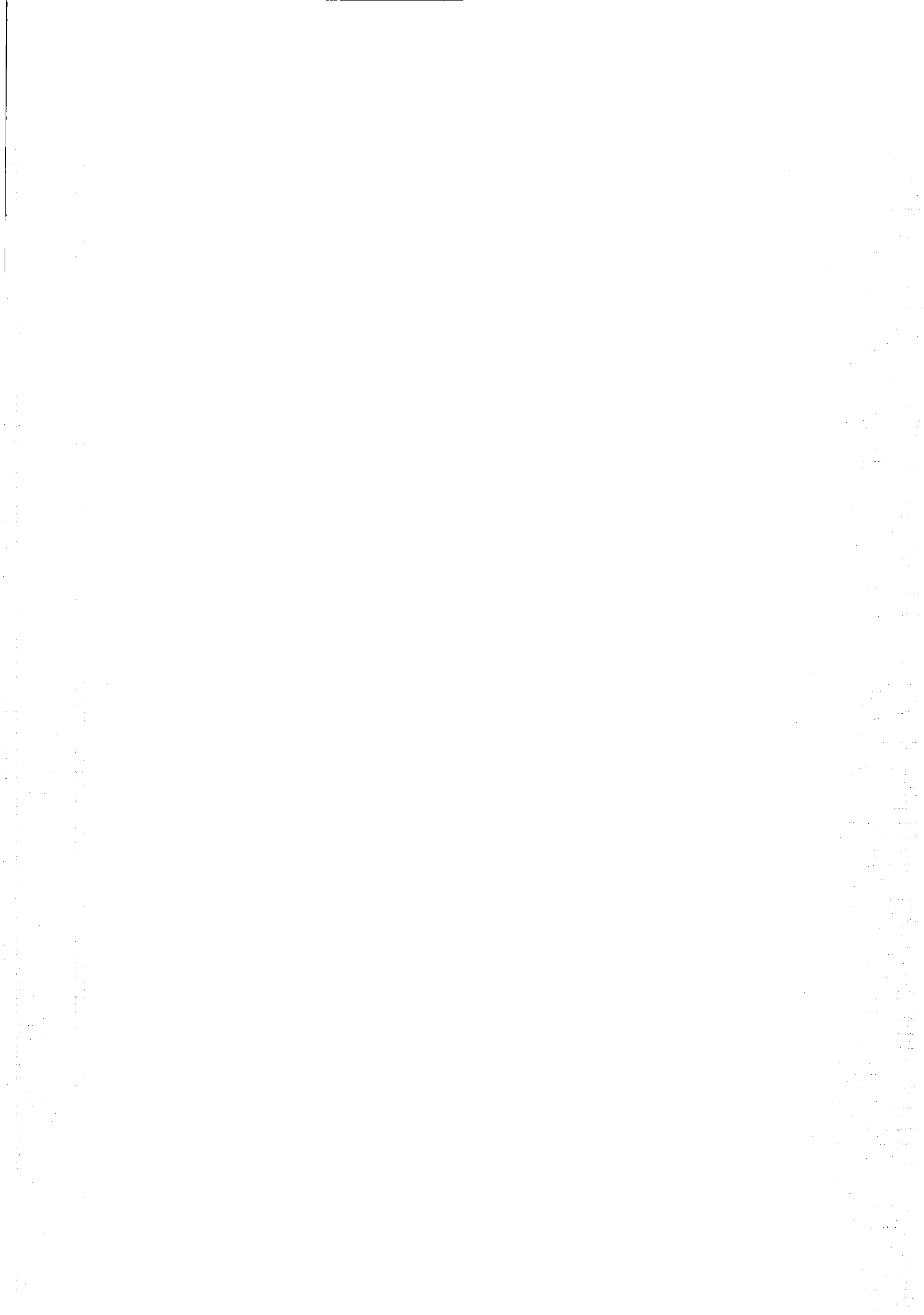
شكل (١٣) : أحد الغواصات التي تغوص إلى عمق ١٢٠٠ قدم لكشف قاع البحار مزودة بأحدث الآلات التقنية



شكل (١٤) : استخدام جهاز المؤشر المعدني لتحديد القطع الأثرية المكتشفة



شكل (١٥) : أحد الغواصات تغوص إلى عمق ١٢٠٠ قدم لكشف قاع البحار



آثـــار قـــريـة الـزيمـــة

أ. حسـين بن علي القنـاوي (*)

مقـدمـة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... وبعد.

تولي حكومتنا الرشيدة اهتماماً بقطاع الآثار والمتاحف لقناعتها بالدور الحضاري والفكري والإعلامي لهذا الجهاز .

وفي الوقت الحاضر توسع نشاط القطاع الذي تشرف عليه وزارة المعارف ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف التي يدير دفتها سعادة الأستاذ الدكتور/ سعد بن عبد العزيز الراشد ، فتكاد لا تخلو مدينة كبيرة كانت أو صغيرة من متحف أثري أو تراثي جهز بأحدث النظم يفد إليه المواطنون والمقيمون وطلبة المدارس والمعاهد والجامعات والوفود الأجنبية وكبار الزوار يتنفسون من خلاله عبق تاريخ وحضارة هذا البلد العزيز بحقبه التاريخية والحضارية القديمة مروراً بالعصور الإسلامية وحتى وقتنا الحاضر في العهد السعودي الزاهر .

ولم يقتصر اهتمام وكالة الآثار على إنشاء وتجهيز المتاحف فقط بل تعدى ذلك إلى الاهتمام بالمواقع الأثرية والتاريخية في أنحاء المملكة من حصون وأبراج وقلاع وتمثل ذلك في حمايتها وترميمها وتسويرها وإجراء مسح أثري شامل لمناطق المملكة والتنقيب في المواقع الأثرية العديدة ، إضافة إلى نشر المطبوعات والكتب التخصصية إلى جانب حولية الأطلال التي تشتمل على العديد من البحوث المحكمة ونشاطات المسح الأثري لوكالة الآثار والمتاحف . إضافة إلى المشاركات العديدة في الأنشطة والمهرجانات والمعارض الداخلية منها والخارجية ، ولعل المتابع للعمل الأثري حالياً يدرك أن الأيام القادمة سوف يتحقق فيها ما يطمح إليه كل مهتم بالآثار على أديم هذه الأرض الغالية .

(*) باحث آثار – متحف قصر خزام بجدة .

تمهيد :

قرية الزيمة إحدى ضواحي مكة المكرمة ، تقع بأسفل وادي نخلة ، جعل منها موقعها الجيد مركزاً للقرى المتاخمة لها . امتازت بوفرة محاصيلها الزراعية المختلفة فقد حباها الله شلال مياه عذبة (خيف) جعل منها منتجعاً لأهل مكة والطائف حيث تقع بينهما فهي على مسافة ٤٥ كيلاً شمال شرق مكة وعلى بعد ٧٠ كيلاً من الطائف ، وبينها وبين جدة حوالي ١٣٠كيلاً عبر الطريق القديم الذي يمر بقرى وادي فاطمة ، عدت المحطة الأولى في طريق القوافل القديمة بين مكة والطائف ونالت حظاً من الذكر في كتب الرحالة والمؤرخين العرب والأوروبيين وخلد ذكرها بعض الشعراء حيث وصفوا الموقع بالاعتدال والشراحة واللطافة ، ويقطن القرية في الوقت الحاضر جماع من الناس ، وامتهن أغلب أهلها الزراعة ، كانت ولا زالت واحة خضراء ودوحة غناء ، زادها وزاد أمراءاها الأشراف القناوية تشريفاً أن مكث المؤسس الباني – رحمه الله – بها لعدة ساعات كاستراحة دائمة في طريق سفر من وإلى مكة المكرمة . بني بها حصن عباسي كبير على أحد جبالها وشيدت بها قلعة سعودية فوق تل جبلي أغلب الظن أنها بنيت على أنقاض مبنى يعود إلى قدرة دولة المماليك البحرية .

المعنى اللغوي للزيمة :

الزيمة بكسر الزاء وآخرها تاء .

ذكر ابن المنظور في لسان العرب أن معنى الزيم أي المتفرق ومنزل زيم أي متفرق النبات ومررت بمنازل زيم أي متفرقة وزيم أي ضيق ، وتزيمت الإبل والدواب أي تفرقت فصارت زيماً ، والزيمة القطعة من الإبل أقلها بعيران وأكثرها خمسة عشر ونحوها .

وفي القاموس المحيط الفيروزآبادي قال : إن الزيمة بنخلة اليمانية والزيم المتفرق من اللحم والدواب ، وتزيم أي تفرق .

والذي يبدو هنا هو تطابق المعنى اللغوي لكلمة الزيمة مع موقعها الجغرافي الفريد بأسفل وادي نخلة حيث هي مفترق طرق فكان يتوسطها طريق القوافل القديمة بين مكة والطائف ، وحتى الطريق الحالي يمر بها ، كذلك يسير طريق الطائف جدة القديم بمحاذاتها عبر قرى وادي فاطمة .

الموضع في كتب المؤرخين والرحالة :

نالت الزيمة حظاً من الذكر في كتب المؤرخين والرحالة ، ويبدو أنها عمرت واستصلحت في العهد العباسي [1] ، وذكر الهمداني في كتاب الإكليل أن عبد الله بن عبيد الله هو صاحب حائط الزيمة بأسفل وادي نخلة ، ثم ذكر محقق الكتاب ابن الأكوع اسم هذا الرجل فقال هو عبدالله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس الذي ولاه الخليفة العباسي المأمون اليمن وجعل له ولاية كل بلد يدخله ، وهذا الرجل أمره المأمون الذي حكم من سنة ١٩٨هـ حتى ٢١٨هـ أن يحج بالناس سنة ٢١٦هـ [2] .

ويبدو أن هذا الرجل هو الذي لعلها أنبع عين مائها واستصلح أرضها وشق قنوات الري بها وبنى بها بركة مربعة باقية إلى يومنا هذا في الموقع بطول ٣٠ متراً وعرض ٣٠ متراً وبارتفاع متر تقريباً ، مبنية بالحجارة الجيدة مع الجص الأبيض المتماسك .

وفي كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ذكر مناهل طريق الحج وأورد بعض المواقع حتى ذكر ذات عرق ثم بطن نخلة ، ثم دار البرمكي ثم الزيمة .. فذكر محقق الكتاب ابن الأكوع أن الزيمة موقع ذات ينابيع وبساتين يقع بعد السيل الكبير شرقي مكة المكرمة إلى الطائف [3] .

ثم ذكرها الهمداني مرة أخرى في كتاب صفة جزيرة العرب عند إيراده لأرجوزة الشاعر الرداعي الذي ذكر فيها أماكن درب الحج ومناهله من صنعاء اليمن إلى مكة المكرمة : حيث قال الرداعي :

لضيعة الطلحي مستقيمة صادرة عنها تؤم الزيمة

فأوضح الهمداني أن الزيمة موضع فيه بستان عبد الله بن عبيد الله الهاشمي ، وكان في أيام المقتدر على غاية العمارة (حكم من سنة ٢٩٥هـ حتى ٣٢٠هـ) وكان يغل خمسة آلاف دينار مثقال ، وفيه حصن للمقاتلة مبني بالصخر ، يحميه بنو سعد من ساكنة عروان ، وعدد جذوعه ألوف ، وفيه غيل مستخرج من وادي نخلة غزير يفضي إلى فوارة في وسط الحائط

(١) ابن سرور ، محمد بن منصور ، (العيون في الحجاز) .
(٢) الهمداني ، الإكليل ، الجزء الأول ، ص ٣٧٣ .
(٣) الهمداني ، (صفة جزيرة العرب) ، ص ٢٨٦ .

تحت حنية إلى مأجل كبير وفيه الموز والحناء وأنواع من البقول [1] .

ويبدو أن المراد ببني سعد هنا بنو سعد بن بكر بن هوازن ، ولا يزالون معروفين في بلادهم القديمة بمحافظة الطائف [2] .

وقد روى الهمداني المعاصر لهذه الأحداث في صفة جزيرة العرب أن بني سعد استولوا على بلاد ومنازل قبيلة هذيل شمال مكة وجنوبها وأخرجوهم من ديارهم مثل عرنة وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورحيل وكبكب والبوباة وأوطاس وغزوان بمساعدة عج بن شاخ (عج بن حاج) والي الحرمين من قبل الدولة العباسية في أواخر القرن الثالث الهجري (تولي من سنة ٢٨١هـ حتى ٣٠٠هـ) [3] .

والغيل في اللغة يعني الماء الجاري على وجه الأرض أو كل واد فيه عيون تسيل . ويقصد بالفوارة نبع الماء ويقال نبع فوار ، والحائط يقصد به موضع الزيمة والحنية يعني البناء والمأجل هو كل ماء في أصل جبل أو وادٍ أو ما يشبه البركة مطوي بالحجارة والنورة وفيه عمق وسعة .

وفي كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ذكر أن الزيمة قرية بوادي نخلة من أرض مكة ، وأورد بيت شعر لشاعر مكي معاصر لياقوت الذي توفي سنة ٦٢٦هـ ، واسم الشاعر محمد بن قرية الذي قال :

مرتعي من بلاد نخلة في الصيف بأكناف سولة والزيمة

وفي كتاب نزهة الجليس للموسوي وصف الزيمة بالأرض اللطيفة الأنيسة ، وذكر بها الأشجار الفائحة والمياه السائحة وأنها غاية في الشراحة وذلك في القرن الحادي عشر الهجري [4] .

وكتب الرحالة الفرنسي موريس تاميزية عن الزيمة التي زارها سنة ١٢٤٩هـ ووصف القلعة السعودية الموجودة بها ، وذكر أن إبراهيم باشا قام بهدم قلعة الزيمة بعد عودته من الدرعية .

---

(١) الهمداني ، (صفة جزيرة العرب) ، ص ٤٤٠ .

(٢) أحمد بن فهد العريفي ، (مجلة العرب) ج ١١ ، ١٢ الجماديان سنة ١٤١٩هـ ، ص ٨٠٣ .

(٣) الهمداني ، (صفة جزيرة العرب) ، ص ٣٢٣ .

(٤) الموسوي المكي ، (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) ، ص ٤٠٩ .

وكذلك كتب عنها الشيخ يوسف ياسين الذي عمل وكيلاً لوزارة الخارجية في عهد المؤسس ألباني جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - حيث ذكر جلالته أن آباءه الأولين بنوا البيوت الخربة في سفح أحد جبال الزيمة عند دخولهم الحجاز في المدة السابقة .

وفي سنة ١٣١٧هـ - ١٩٥١م زار الرحالة المستكشفون الأوربيون . فليبي - ريكمان - لينبز " قرية الزيمة " بموافقة رسمية من المقام السامي من جلالة الملك عبدالعزيز ، الأمر الذي يؤكد إهتمامه رحمه الله بالعلم والبحث والاستكشاف لمناطق المملكة العربية السعودية .

وقد ألف فليب لينبز كتاب رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية " ترجمة الدكتور محمد الحناش وراجعه وحققه الدكتور فهد السماري وهو من مطبوعات الدارة المئوية ، وتحدث فيه ليبنز عن الزيمة وعن كرم ضيافة شريفها وأهلها [١] .

الحصون والقلاع : لمحة معمارية تاريخية :

خضعت الحصون والقلاع لموازين ثابتة ولهندسة دقيقة فكان لكل عنصر من عناصرها الدفاعية وظيفة . فأقيمت على تلال وهضاب مرتفعة لها مناعة طبيعية تسهل عملية الدفاع عنها ، وكانت أسوارها في البداية من الطوب ثم استخدم الحجر بالإضافة إلى الطوب ، وأصبحت أسوارها سميكة . وبنيت أسوار القلاع فوق منحدرات صخرية لمناعتها .

ثم دعمت هذه الأسوار بأبراج . واستخدم في بنائها الحجر الأملس ليصعب تسلقها وعملت بها فتحات للرمي بأشكال مختلفة . ونشير إلى أنه نظراً لارتفاع مواقع الحصون والقلاع عدت مسكناً صحياً جيداً لطيب هوائها وإشرافها على المناظر الجميلة التي تشرف عليها .

وقد استخدم المهندس المعماري الأبراج نصف المستدير لأنها تترك منطقة دفاعية ميتة قليلة جداً فتكون فرص المهاجمين في الاحتماء من مقذوفات المدافعين قليلة ولهذا استخدم هذا

---

(١) أمير الزيمة آنذاك سنة ١٣١٧هـ هو علي بن عبدالمحسن القناوي ، الذي تولى بعد أخويه أحمد ومحمد وقد أورد محقق الكتاب اسم علي لكنه ذكر لقباً لعائلة تقطن إحدي القرى القريبة من الزيمة ولكم إيضاح ذلك له فاستجاب مشكوراً لمزيد من الإيضاح بهذا الشأن . ينظر صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق إبن بلبيهد ومراجعة محمد بن حسين ص ٤٢٨ ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤١١ هـ ، وكذلك كتاب من شيم الملك عبدالعزيز لمؤلفه فهد المارك الجزء الثاني ص ٣٤ ، الطبعة الأولي ١٣٩٨ هـ .

النوع من الأبراج في نقاط الضعف في الأسوار ، وكذلك الحال بالنسبة للأبراج المضلعة ، فيما استخدمت الأبراج المربعة في المناطق الأقل تعرضاً للهجوم ، ويعد مصدر المياه من العناصر المهمة في أداء القلاع مهامها على أكمل وجه ، مثل الآبار والصهاريج التي تزود المدافعين بماء الشرب والوضوء ولتعبئة الخندق وقت الحصار. كذلك شيدت اسطبلات الخيول بالقرب من مداخل القلاع ، وغالباً ما بنيت مساكن الجند رامي السهام قرب الأبواب والأبراج ليؤدوا مهامهم الدفاعية في حالة الخطر المفاجئ ، وكانت القلاع مقراً للأمراء لطيب هوائها وبعدها عن صخب المدينة وشغب العامة ، وعدت القلاع بمثابة غرفة عمليات يصدر منها الأمير الأوامر للمدافعين في حالة الحصار ، وشيد المهندس المعماري المسلم مسجداً أو مساجد داخل القلاع لإقامة الشعائر وزودها بمآذن للأذان ولمراقبة العدو ، وعملت مستودعات ومخازن للمواد الغذائية لاستخدامها عند الحاجة ، حتى السجون شيدت داخل القلاع لوضع الأسرى من المهاجمين بها ، وهكذا كانت الحصون والقلاع تمثل في تصميمها مدينة كاملة مستقلة بذاتها فيها جميع مستلزمات الحياة من أسواق وقصور وحمامات وصهاريج وآبار ومساجد وسجون ومخازن وما شابه ذلك ، إضافة إلى الغرض الدفاعي التي شيدت من أجله . وبعد ظهور المدفعية والأسلحة الحديثة تلاشت أهمية القلاع والحصون من الناحية العسكرية (١) .

الحصن العباسي بالزيمة :

فوق تل جبلي شاهق الارتفاع وإلى الغرب من القلعة المملوكية السعودية وعلى يسار مباني قرية الزيمة يوجد حصن أثري قديم في موقع يشرف من جهة الغرب على أرض فسيحة يبدو أنها كانت يوماً من الأيام منطقة زراعية يتضح ذلك من خلال بركة ماء كبيرة وقنوات ري قديمة مطلية بمادة الجص الأبيض الجيدة .

ويبدو أن هذا الحصن هو الذي ورد ذكره في كتاب صفة جزيرة العرب ؛ حيث ذكر مؤلفه أن بالزيمة حصناً للمقاتلة مبنياً بالصحر وأن عدد جذوعه ألوف ويحميه بنو سعد من ساكنة عروان ، وأن الموضع كان غاية في العمارة أيام الخليفة العباسي المقتدر الذي حكم من سنة ٢٩٥هـ حتى سنة ٣٢٠هـ علماً بأن الموضوع ورد ذكره قبل ذلك في خلافة المأمون الذي حكم

(١) حجاجي ، إبراهيم محمد ، (القلاع وتطور الفكرة الهندسية) ، مجلة المنهل ، العدد ٤٥٤ ، رمضان وشوال ١٤٠٧هـ ، ص ٢٩٠ .

من سنة ١٩٨هـ حتى سنة ٢١٨هـ حيث جاء في الإكليل أن عبد الله بن عبيد الله العباسي هو صاحب حائط الزيمة بأسفل وادي نخلة ، وهذا الرجل ولاه المأمون إمارة الحج وذلك سنة ٢١٦هـ .

ولا نستطيع تحديد فترة بناء هذه الحصن أكانت في عهد المأمون أم المقتدر؟ ولكن يمكننا القول : إن الموضوع عمر واستصلح في عهد المأمون بواسطة عبد الله بن عبيد الله الذي يبدو أنه هو الذي أنبط عين مائها واستصلح أرضها وشق قنوات الري الماثلة إلى الآن وبنى بركة كبيرة بها باقية إلى الآن ، في حين أن الموضع نفسه كان غاية في حين أن الموضع نفسه كان غاية في العمارة أيام المقتدر العباسي الذي ذكر حصن الزيمة في عهده ، كما أورد صاحب صفة جزيرة العرب .

والمعاين للحصن حالياً يؤكد صحة ما رواه الهمداني أن عدد جذوعه ألوف ، فهو حسن كبير مساحته شاسعة ومترامي الأطراف طوله يقارب الثمانين متراً وعرضه أكثر من خمسين متراً مبني من الحجارة الكبيرة والصخر الجيد وعدد غرفه كثيرة جداً يتضح هذا من خلال الحوائط العديدة المنهارة للغرف داخل الحصن الذي يبدو أنه مع استخدامه للحماية استعمل أيضاً للسكن وربما للإدارة .

وعثر بالموقع على العديد من كسر الفخار السطحية الصغيرة والمتأثرة ذات ألوان متعددة مثل الأخضر والأزرق والبني وكذلك يوجد بالموقع مجموعة من حجر الخفاف البركاني ذي الفجوات والفراغات الكبيرة ، والحصن في مجمله متهدم ومنهارة أجزاؤه وأسواره بشكل كلي تقريباً نظراً لقدم عهده (أكثر من ألف ومائة سنة على وجه التقريب) وهو مبني من الحجارة الكبيرة فقط ويحتاج إلى الجهد الكبير عند محاولة تقويته وترميمه لوقوعه فوق تل جبل مرتفع يصعب الوصول إليه .

القلعة المملوكية السعودية :

قلعة أثرية استخدمت للحماية ، شيدت بإحكام فوق تل جبلي مرتفع بقرية الزيمة ذكرت المصادر التاريخية أنها بنيت في عهد الدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٩هـ في فترة حكم الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود – رحمه الله – وذلك بغرض تضييق الخناق

الاقتصادي والسياسي ورصد تحركات الشريف غالب ، وقد أوردت تلك المصادر أن القلعة بنيت في وادي فاطمة في حين أن موقع القلعة في قرية الزيمة بأسفل وادي نخلة ولعل لقرب وادي فاطمة من قرية الزيمة سبباً في ذلك الزعم .

ونشير إلى أن الرحالة الفرنسي موريس تاميزية (الذي رافق الحملة المصرية على عسير سنة ١٢٤٩هـ ومؤلف كتاب رحلة في بلاد العرب الذي ترجمه وعلق عليه محمد آل زلفة) زار موقع الزيمة وكتب عنها ووصف قلعة الزيمة بإسهاب وذكر أن إبراهيم باشا دمر قلعة الزيمة في طريق عودته من الدرعية .

وفي كتاب الرحالة الملكية للشيخ يوسف ياسين (عمل وكيلاً لوزارة الخارجية في عهد الملك عبد العزيز – يرحمه الله – ، ورافق جلالته في رحلته إلى مكة سنة ١٣٤٣هـ) ذكر أنه شاهد في سفح جبل بالزيمة بيوت خربة أخبره جلالة الملك عبد العزيز أن آباءه الأولين بنوها لما دخلوا الحجاز في المدة السابقة (١) .

والقلعة مستطيلة الشكل تقريباً بنيت بشكل جيد فوق تل جبلي ولها أربعة أبراج وفي موقع يشرف على كل المنطقة كلها بطول ٧٥متراً تقريباً وعرض الضلع الشرقي منها ٣٢متراً والغربي ٣٠ متراً تقريباً ، ومساحة استدارة كل برج ١٠ أمتار ، ويبدو عليها آثار التخريب والهدم الذي أحدثه إبراهيم باشا على الجزائين الشرقي والشمالي ، فيلاحظ العديد من الحجارة المنهارة من أجزاء السور الخارجي للقلعة ، ويتخذ السور الخارجي عند نهاية كل ضلع شكل نصف دائرة ، واستخدمت الحجارة الجيدة في بنائها وتماثل لون الجبال المحيطة بها ، ومزجت الحجارة بالطين الجيد ثم تعلو ذلك طبقة مرتفعة من الطين ، وتظهر العديد من فتحات الرمي (المزاغل) ويوجد صهريج مياه ملاصق للقلعة حالته جيدة ومبني من الحجارة الصغيرة والجص الأبيض المتماسك وطول الصهريج ثمانية أمتار وعرضه متران ونصف ، وبفتحة واحدة ومبطن من الداخل بالإسمنت الجيد . كما يوجد خزان وصهريج صغير داخل القلعة . وحول القلعة توجد أساسات مباني ومنشآت دائرية ومربعة ولعلها إشارة إلى قدم استيطان واستخدام هذا الموقع .

---

(١) يوسف ياسين ، (الرحلة الملكية) ، ص ٨٢ .

وعثر خارج السور الغربي لمبنى القلعة على أكثر من أربعين قطعة معدنية والعديد من الكسر الفخارية وسط انهيارات الحجارة العديدة خارج المبنى والتي بعد تنظيف عدد ثمان عشرة عملة منها من العوالق وصيانتها في قسم الترميم بمركز الفرز والتجميع بوكالة الآثار والمتاحف وإعادتها إلينا لدراستها اتضح أنها دراهم فضية إسلامية تعود لفترة المماليك البحرية حيث ظهر عليها أسماء اثنين من سلاطين المماليك البحرية هما السلطان الناصر ناصر الدين بن محمد (قلاوون) الذي تولى الحكم ثلاث فترات ما بين سنة ٦٩٣هـ حتى سنة ٧٤١هـ والسلطان الصالح عماد الدين إسماعيل الذي تولى الحكم من سنة ٧٤٣ حتى سنة ٧٤٦هـ ، وحالة معظم هذه العملات غير جيدة لم نتمكن من خلالها معرفة زمان ومكان الضرب أو نوع العملة لتآكل أجزائها وكتب على هذه العملات : (لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق) وهو طراز كتابة مملوكي سكت به عملاتها آنذاك .

ولعل المثير في الأمر هو العثور على عملتين فضيتين عليها كتابات أوروبية صليبية ، يظهر على إحداها رسمة أسد يعلوه رمز الصليب وبهامش العملة أحرف غير واضحة المعالم وعلى الوجه الآخر من العملة رسمة لرجل يمتطي صهوة جواد ويحمل ما يشبه الرمح أو الحربة . ولعل ما يفسر وجود هذه العملات بقلعة الزيمة هو ما كان لدولة المماليك من صلات تجارية واقتصادية مع العديد من الدويلات الأوروبية ؛ فظهرت في السوق الإسلامية العملات الصليبية مثل الدراهم اليافية التي كان تقليداً للنقود الإسلامية (١) .

وظهر درهم الدولة التابع لدولة البندقية حيث كان للمماليك علاقات تجارية واسعة مع الجمهوريات الإيطالية كالبندوقية وجنوة وبيزا (٢) .

ولعل لخضوع الحجاز كغيرها من الأقاليم والمناطق للنفوذ المملوكي سبباً في تواجد هذه العملات الأوروبية في هذا المكان .

وتميزت نقوش النصوص الكتابية على العملات المملوكية بالكتابة في سطور أفقيه سواءً على وجه العملة أو ظهرها مع إختفاء الهوامش الخارجية على العملة (٣) .

(١) النجيدي ، حمود بن محمد بن علي ، (النظام النقدي المملوكي) ، ص ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .
(٣) أحمد ، أحمد عبدالرازق ، (الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي) ، ص ١٦٩ .

وتجـدر الإشـارة إلى أن الوضـع النقدي لـدولة المماليك كـان قـوياً . حـيث بسطت العـملة المملوكيـة هيمنتـها علـى العمـلات المعاصـرة لهـا كامتداد للنفوذ الـــسياسي على العديد من المواقع (١) ، ففي مكة المكرمة كانت للمماليك اليد العليا في شؤون مكة وأمرائها لفترة طويلة يعينون ويعزلون من شاؤوا (٢) ، ولعل أصدق دليل على ذلك هو عدم وجود أسماء لأمراء مكة آنذاك بجـانب أسـمـاء السـلاطين المماليك على هذه العـمـلات التي وجـدت في الزيمة التي هي إحدى ضـواحي مكة ، وبالتـالي يعني هذا أن العملة المملوكية كانت هي المتداولة في الحجاز آنذاك ويوضـح هذا حـجـم التبادل التـجاري النشط لدولة المماليك في تلك الفترة وبالتـالي يعد ذلك دلالة واضحة على قدم الموقع أو القلعة التي عثر بها هذه العملات التي تعد وثائق تاريخية وأدلة مادية وشواهد صادقة على هذا الأثر .

(وتبدو أهمـيـة الآثار أنهـا تمدنا بكثـير من المعلومات التي قد لا نجـدها فـي كثـير من الأحيان في المصادر المكتوبة ، وتكاد الآثار المكتشفة تفوق في أهميتها إلى حد كبير ما سجلته لنا كتب التاريخ وغيرها من المصادر ، فهي تعبر عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية المكتوبة ، أو مكملة لما هو معروف ، وفي كثير من الأحيان تكون الآثار مناقضة لما بين أيدينا من مصادر تاريخية وجغرافية وأدبية أو مصححة لها) (٣) .

ويبرز هذا احتمال وارداً إلى حد بعيد وهو قيام الدولة السعودية الأولى ببناء القلعة أو القصر كما كان يسمى آنذاك في نفس موقع مبنى أو حصن يعود لفترة حكم المماليك البحرية أو على إطلاله وإنقاضـه وربما عملت بعض الحماية والتقوية والترميم لبعض الأجزاء المنهارة وإعادة بناء مـا سقط وتهدم لقدم عـهده ، ومن ثم أعـيد استـخدام هذه المبنى في عـهد الدولة السعودية الأولى التي هيمنت على العديد من المناطق – بتوفيق من الله – حيث ناصرت الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعملت على نشر مبادئ الدعوة السلفية الصحيحة الخالية من الشوائب والبدع والشركيات ونادت بإخلاص العبادة لله وحده واتباع سنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

(١) النجيدي ، حمود بن محمد بن علي ، (النظام النقدي المملوكي) ، ص ١٩٩ .

(٢) العبيكان ، طرفة بنت عبد العزيز ، (الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرن ا لسابع والثامن للهجرة) ، ص٤١ .

(٣) الراشد ، سعد بن عبد العزيز ، (الربذة تاريخاً وحضارة) ، مجلة المنهل ، العدد ٤٥٤ رمضان وشوال ، ص ٢٤٦ .

والقلعة تحتاج إلى حماية وتقوية وترميم للأجزاء المنهارة منها ومن ثم تسويرها ووضع لوحات تحذيرية وتعريفية بالموقع وتمهيد طريق أو درج موصل لقمة الجبل الموجود به المبنى .

وانطلاقاً من مسؤولية واهتمام وكالة الآثار والمتاحف بالمباني الأثرية والتاريخية فقد تم إدراج عملية تسوير موقع قلعة الزيمة ضمن المواقع الأثرية المزمع تسويرها في كافة أرجاء البلاد نظراً لأهمية وقدم الموقع حيث يعود لفترة المماليك البحرية حسب الشواهد الأثرية المادية ولارتباط الموقع تاريخياً من ناحية أخرى بأمجاد الدولة السعودية الأولى .

الخـــاتمـة

تولي الوكالة الموقرة للآثار والمتاحف اهتماماً كبيراً بالآثار بشكل عام ، وعلى وجه الخصوص الآثار الثابتة من قلاع وحصون وأبراج وقصور ومساجد وبرك وعيون وسدود وغيرها ، إدراكاً لأهميتها الأثرية والتاريخية لكونها شاهد مادي صادق للعصور التي شيدت فيها ، وتمثل هذه الاهتمام في المحافظة عليها ونزع ملكيتها والعمل على حمايتها وتسويرها ووضع لوحات إرشادية وتحذيرية بها وتقويتها وترميمها وإعادة بناء الأجزاء المنهارة منها على شكلها القديم إن أمكن باستخدام نفس المواد التي استعملت في بناء الأثر آنذاك ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

وهذه الدراسة هي دراسة مبدئية ليقيننا أته لازال هناك الشيء الكثير المكنون والمخبوء والذي ربما في قادم الأيام يكشف عنه .

وأتمنى في نهاية هذه الدراسة أن أكون قد وفقت في إيضاح بعض المعالم الأثرية والتاريخية والحضارية لموضع الزيمة تلك الضاحية الجميلة والعتيقة والتي جعل منها موقعها الجغرافي المتميز بعداً استراتيجياً وأمنياً هاماً .

والمؤكد في الختام أنني إن أصبت فيما سلف فبفضل من الله ومنته وتوفيقه . وإن كان ؟ غير ذلك فمن نفسي واستغفر الله لخطئي وعمدي .

والحمد لله الذي وسع كل شيء علماً ،،،

مصادر البحث

(١) الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الإكليل ، تحقيق ابن الأكوع .

(٢) الهمداني ، (صفة جزيرة العرب) ، تحقيق ابن الأكوع .

(٣) ابن سرور ، محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله ، (العيون في الحجاز وبعض من أوديته) ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

(٤) تاميزية ، موريس ، (رحلة في بلاد العرب) ، الحملة المصرية على عسير سنة ١٢٤٩هـ ، ترجمة وتعليق الدكتور/ محمد آل زلفة . فصول من الكتاب نشرت في جريدة البلاد العدد ١٥٢٣٢ .

(٥) ياسين ، الشيخ يوسف بن ياسين ، (الرحلة الملكية) ، جمع وتعليق : عبد الرحمن آل الشيخ ، الطبعةالأولى ، ١٤١٦هـ .

(٦) النجيدي ، حمود بن محمد بن علي ، (النظام النقدي المملوكي) ، ١٤١٤هـ .

(٧) العبيكان ، طرفة بنت عبد العزيز ، (الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرن السابع والثامن للهجرة) ، ١٤١٦هـ .

(٨) أحمد ، أحمد عبد الرزاق ، (الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى) ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ .

(٩) الراشد ، سعد بن عبد العزيز ، « الربذة تاريخاً وحضارة » ، مجلة المنهل العدد السنوي المتخصص في الأثر والآثار ، ٤٥٤ رمضان وشوال ١٤٠٧هـ .

(١٠) العريفي ، أحمد بن فهد ، « عج بن حاج والي الحرمين » ، مجلة العرب ج ١١ ، ١٢ ، سنة ٣٣ جمادى ، ١٤١٩هـ ، ص ٨٠٣ .

(١١) حجاجي ، إبراهيم محمد ، (القلاع وتطور الفكرة الهندسية) ، مجلة المنهل ، العدد ٤٥٤ رمضان وشوال ١٤٠٧هـ ، ص ٢٩ .

(١٢) ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الثاني عشر ، دار صادر بيروت .

(١٣) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط. ، دار الفكر بيروت ، ١٤١٥هـ .

(١٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الثالث ، دار صادر بيروت طبعة ١٩٩٥م .

(١٥) الموسوي المكي ، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس .

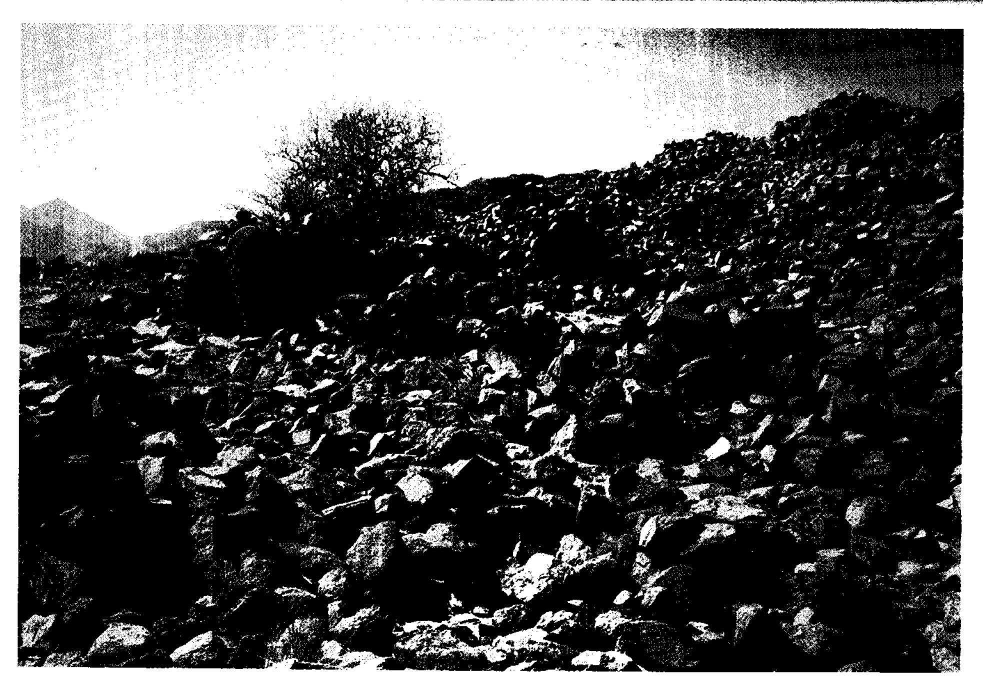
(١٦) فليب لينبز ، رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية ، ترجمة الدكتور : محمد الحناش ، ومراجعة وتحقيق الدكتور / فهد السماري ، مطبوعات الدارة المئوية ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هـ .



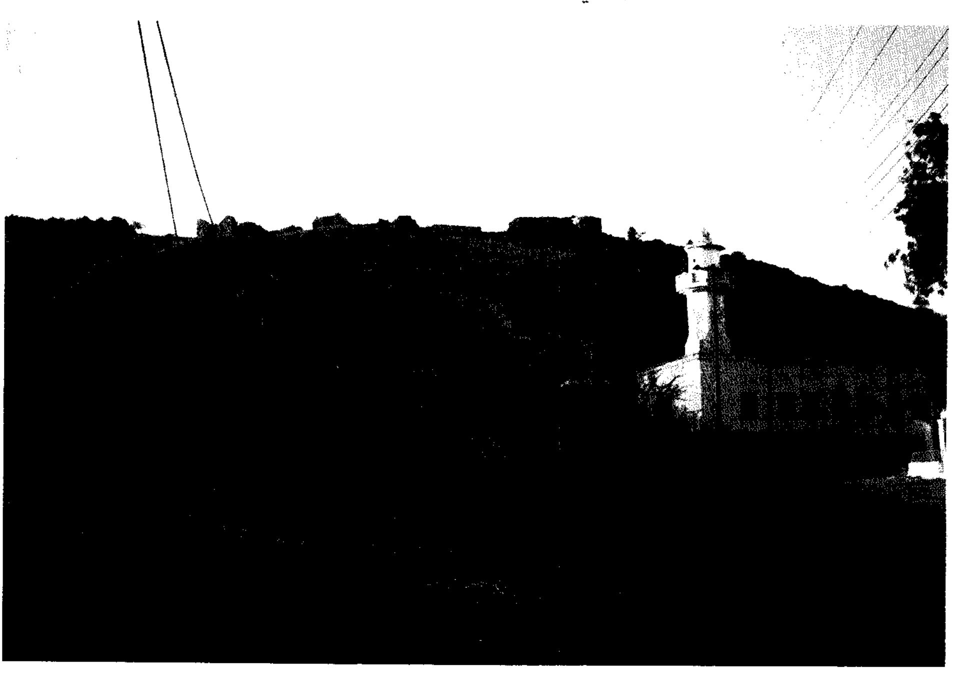
بوابة الحصن العباسي بالزيمة وتظهر مزارع ومباني القرية



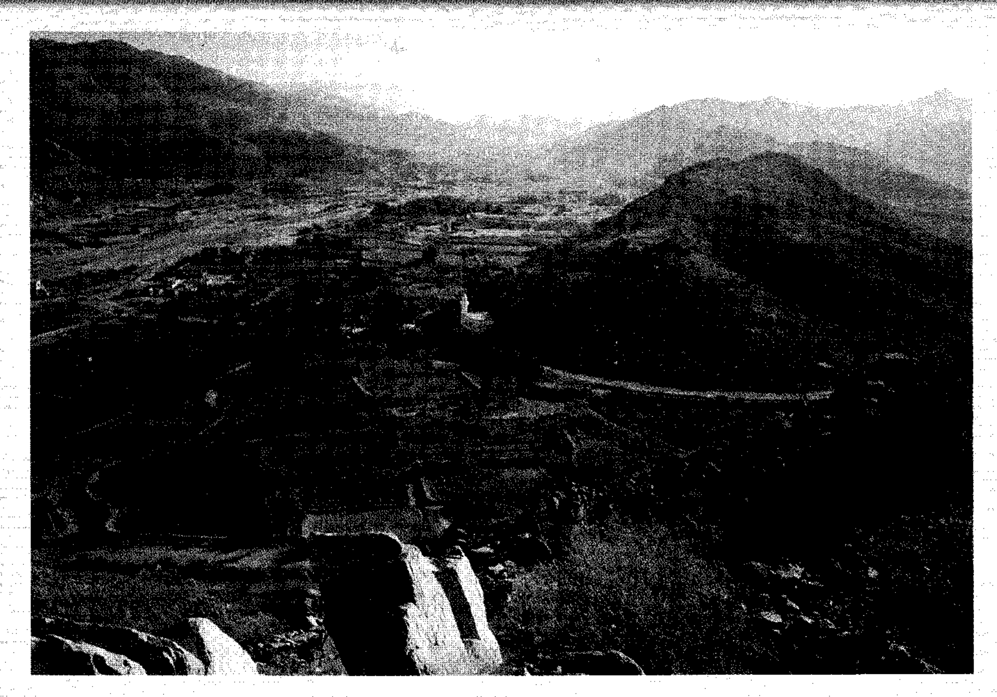
مباني الحصن المبنية من الحجارة فقط في حالة شبه انهيار



الحصن العباسي من الداخل وتظهر حوائط وغرف المبنى



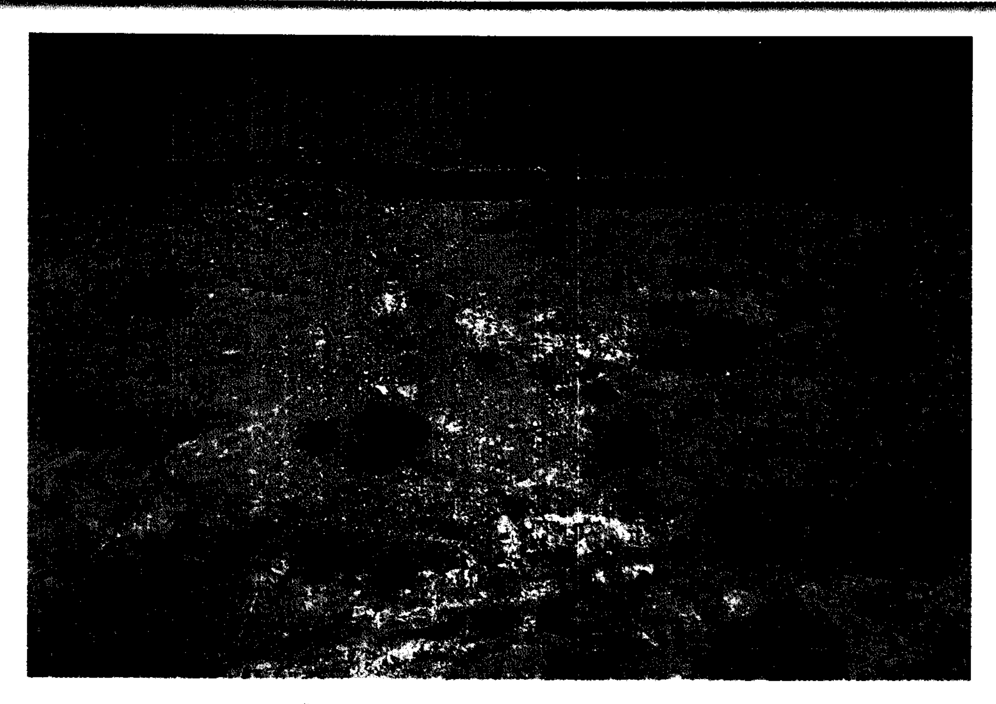
القلعة السعودية المطلة على المنطقة المحيطة



موقع قرية الزيمة من أعلى الجبل الموجود به الحصن العباسي



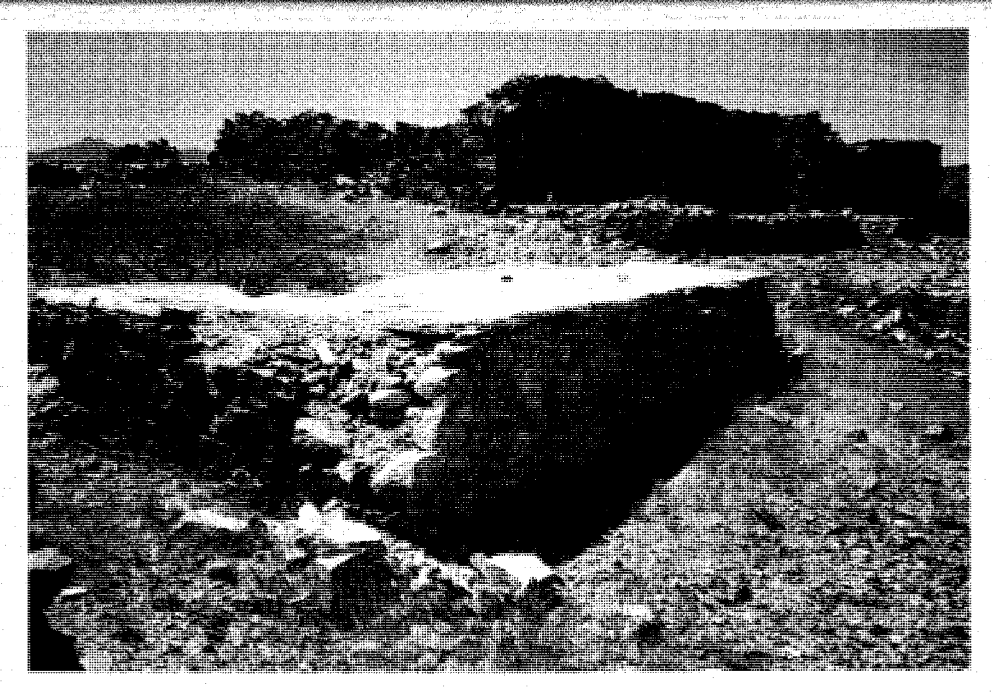
مجرى شلال عين الزيمة القديمة المستخرجة عبر الجبل الموجود أعلاه القلعة السعودية



الجزء الجنوبي من القلعة السعودية بالزيمة



أحد أبراج القلعة السعودية وتظهر فتحات الرمي من خلال الحجارة والطين



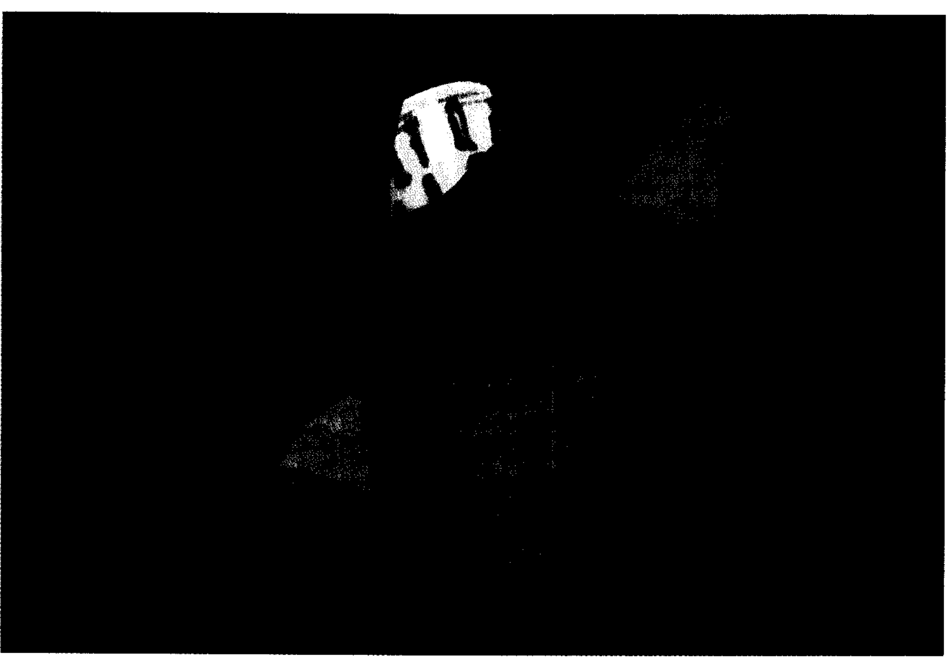
صهريج مياه القلعة السعودية بالزيمة وتبدو حوائط القلعة المطلة على مباني القرية



القلعة السعودية من الداخل وتبدو الحوائط المنهارة وفتحة خزان ماء مطلي بالجص



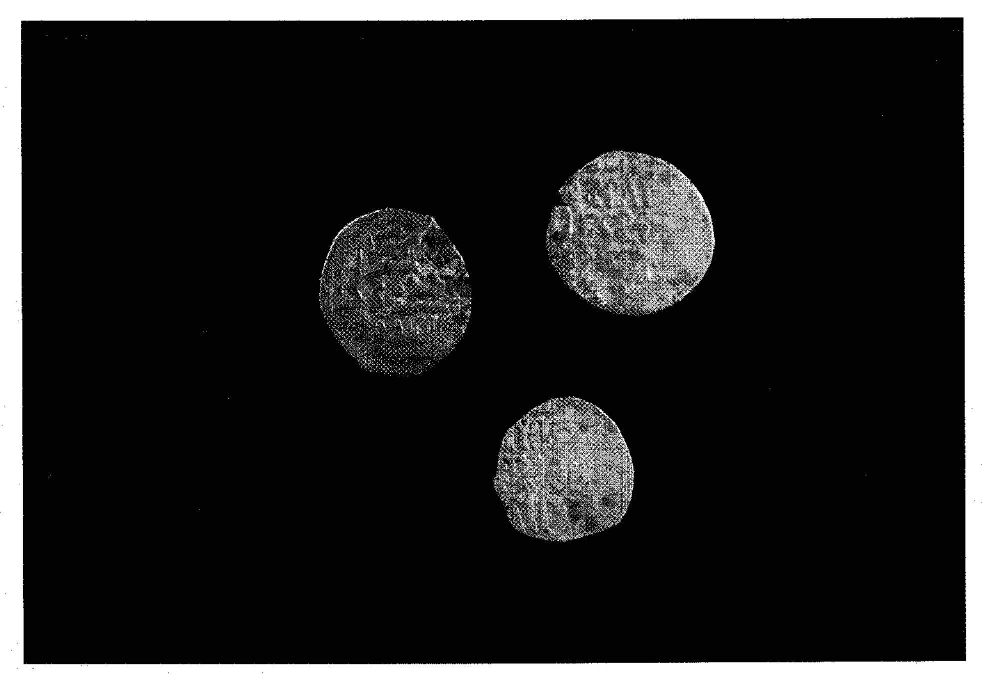
كسر فخارية عثر عليها بموقع الحصن العباسي بالزيمة



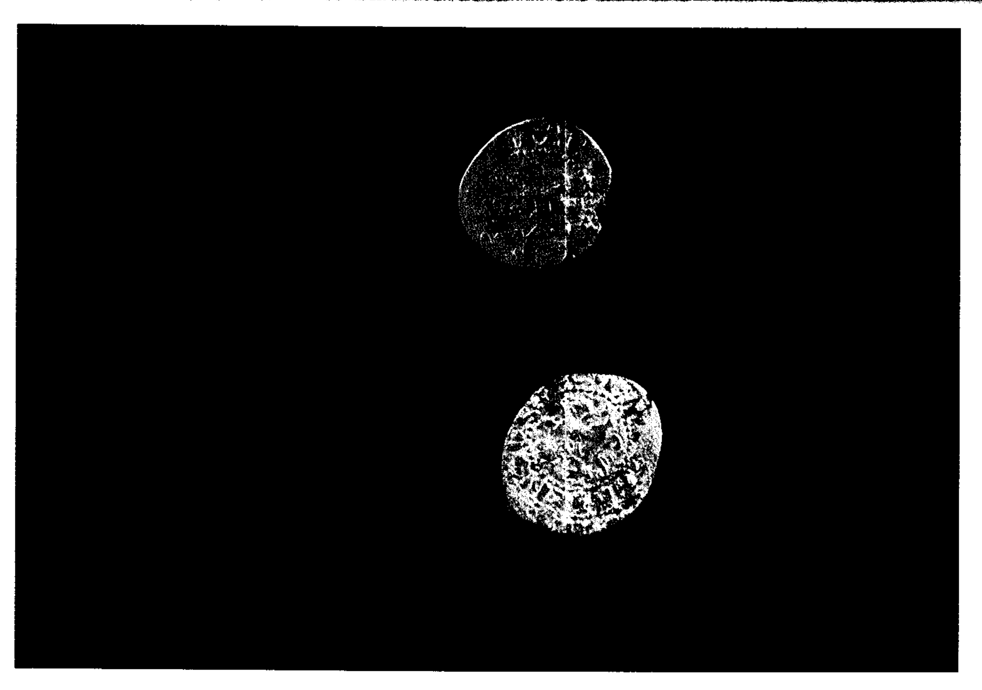
كسر فخارية وخزفية عثر عليها خارج القلعة السعودية بالزيمة



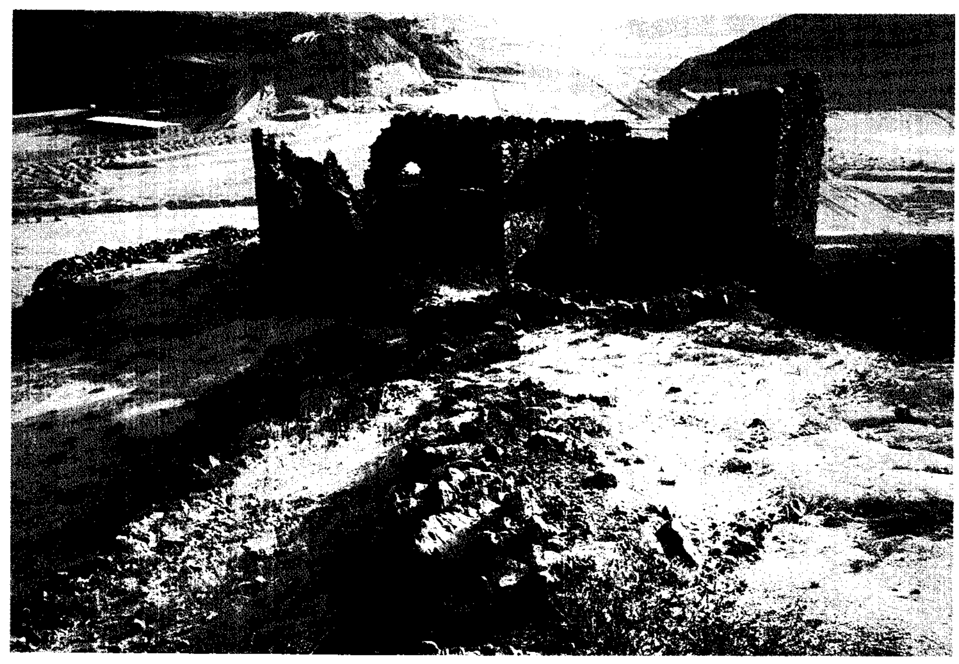
دراهم فضية مملوكية عثر عليها خارج أسوار القلعة السعودية بالزيمة



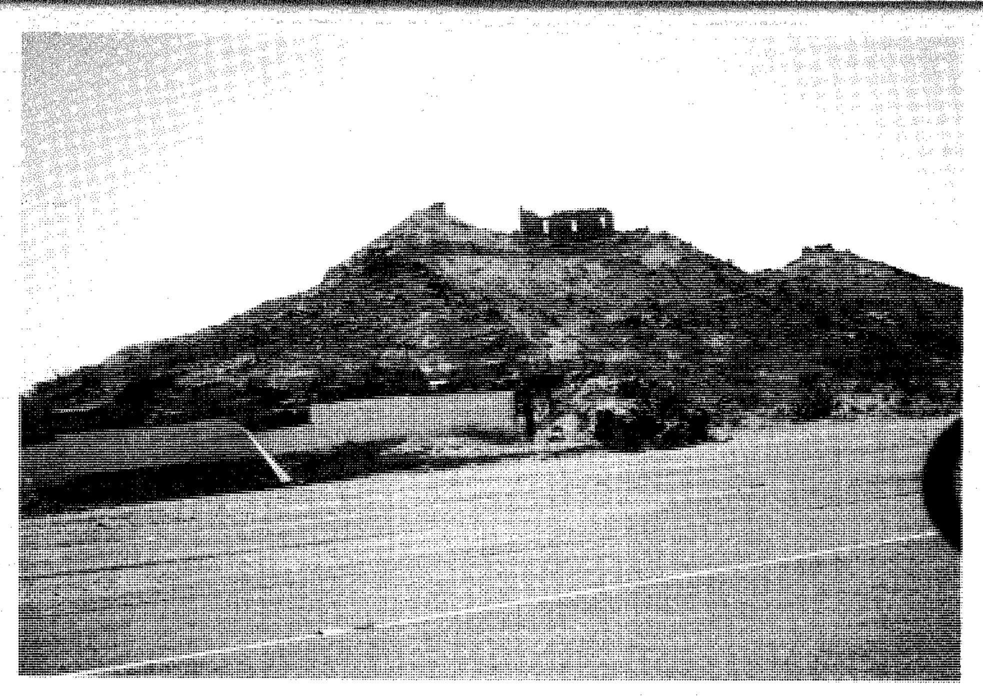
الوجه الآخر من العملات المملوكية



عملات فضية عثر عليها بموقع القلعة السعودية بالزيمـة



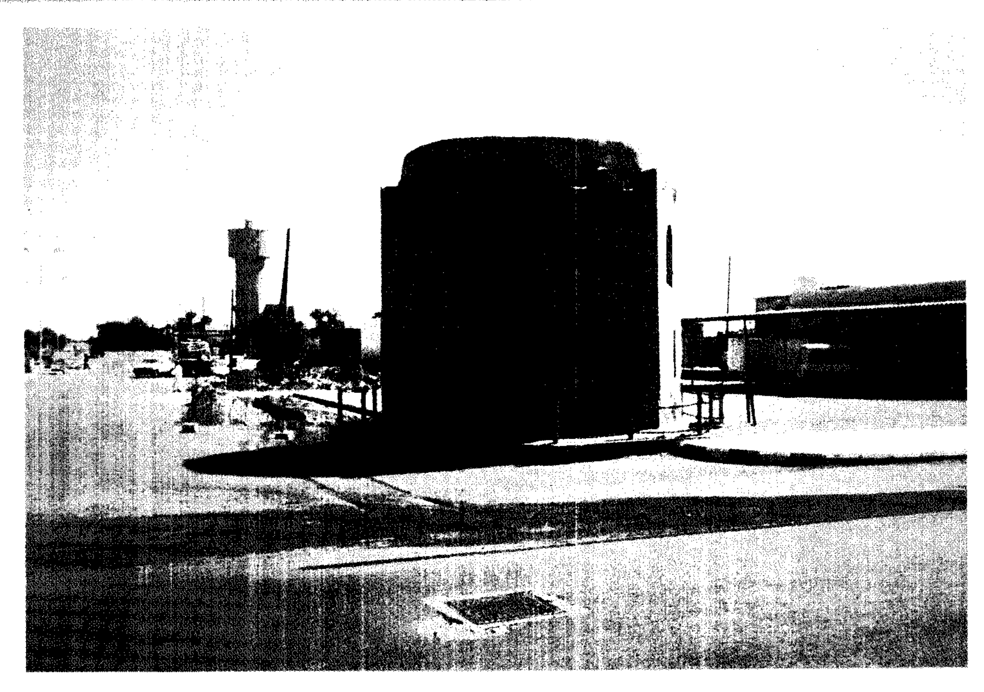
منظر عام لقلعة العبد بحي أم السلم بمحافظة جدة ، ويبدو خلفها الطريق القديم الذي يربط جدة بمكة المكرمة



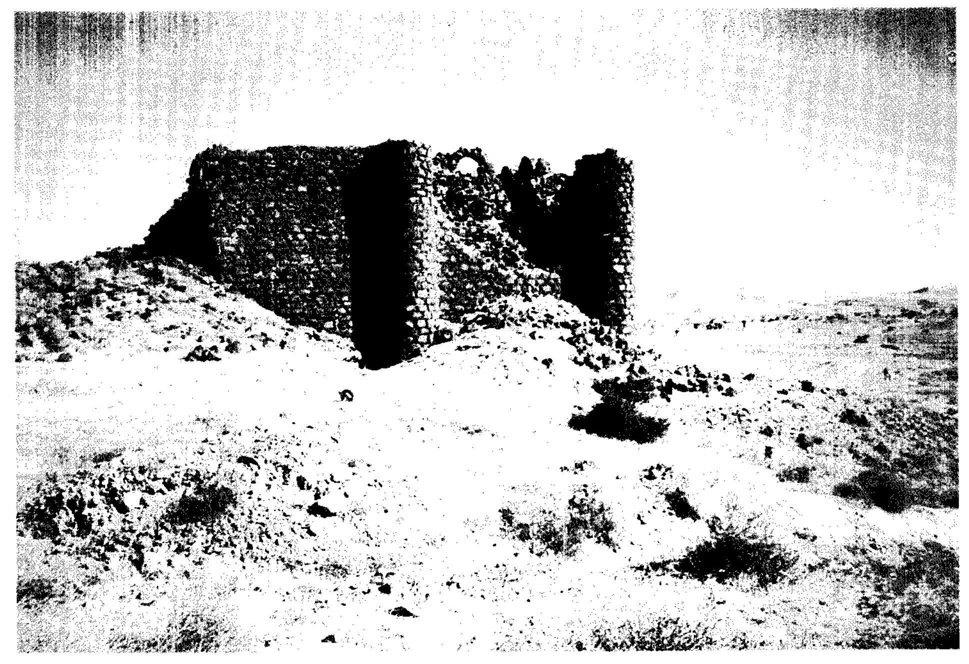
منظر لقلعة العبد الواقعة عند الكيلو الثالث والعشرين بطريق جدة مكة القديم



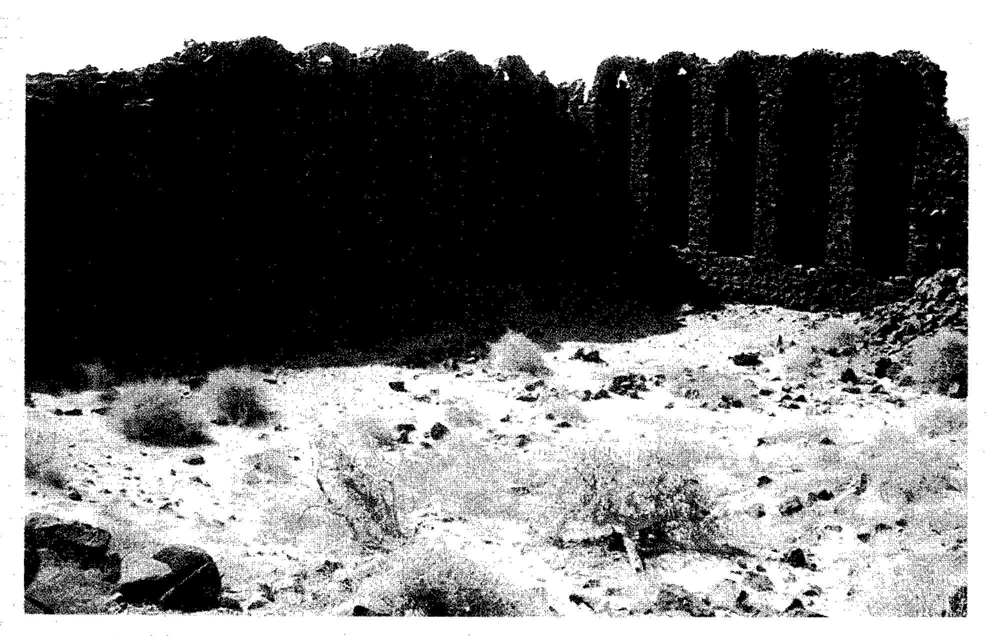
منظر الجزء الشرقي من قلعة العبد بمحافظة جدة



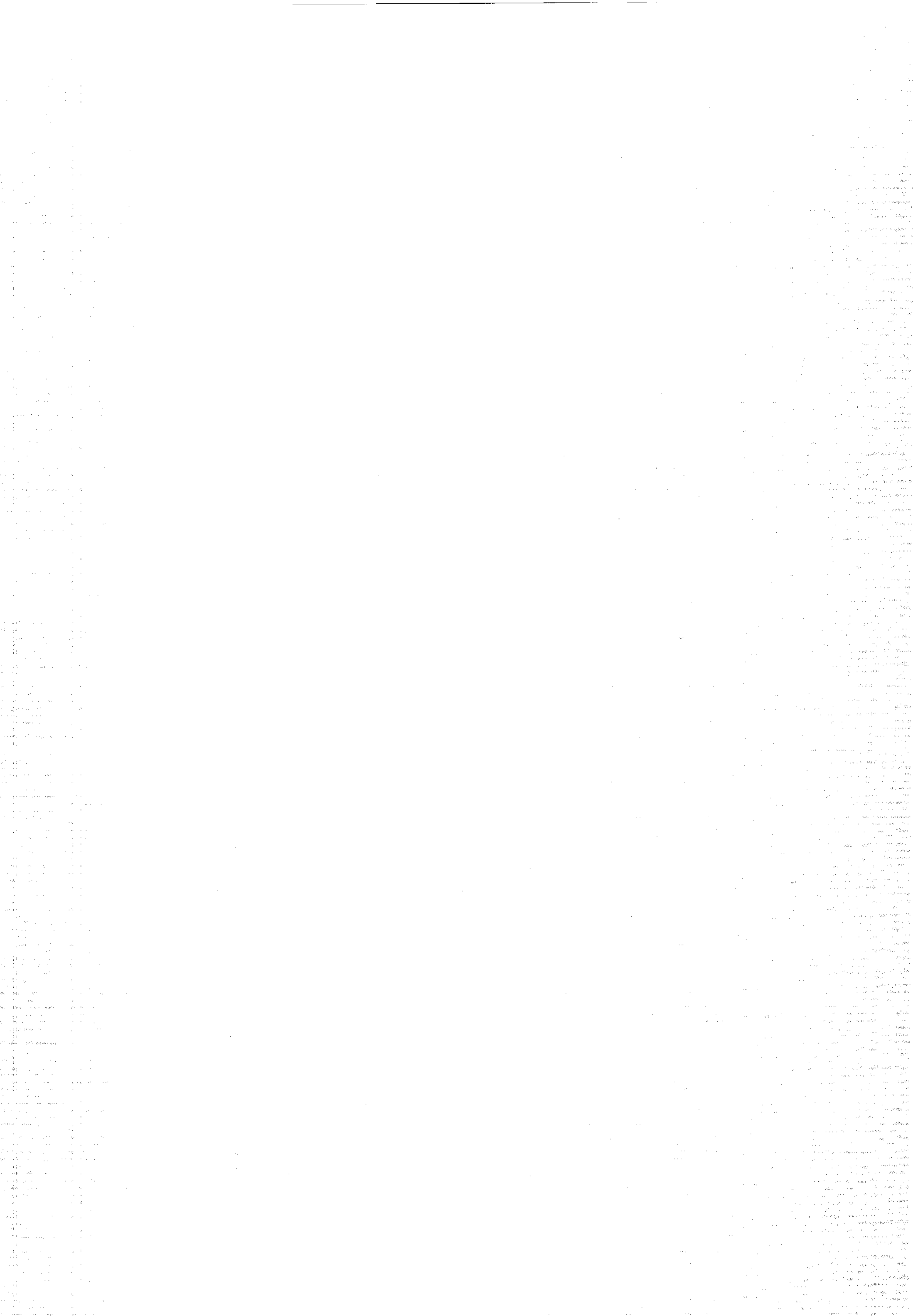
البرج المثمن الأضلاع المتبقي من القلعة القديمة بمحافظة رابغ



الجزء الجنوبي من قصر علياء بالجحفة برابغ (حصن الجحفا) يعود للفترة العباسية



قصر علياء وتبدو آثار حفريات العابثين داخل القصر وخارجه



لماذا لا يخدم التعليم الآثار

أ. أحمد بن عبدالرحمن الراجي (*)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فقد اخترت البحث في المحور الأول نظراً لتخصصي في مجال الآثار والمتاحف ولمهنتي كمعلم ، فقد أتاح لي هذا الارتباط بين المهنة والتخصص الكتابة عن المحور الأول في الندوة المنعقدة عن (الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها) حيث بذلت ما استطعت أن أبحثه في هذا المجال من خلال مفهومي عنه وما تمكنت من الاطلاع عليه في بعض الكتب ذات الاهتمام في هذا الجانب رغم ندرة ما توفر لي من مراجع في مجال هذا المحور .

وقد عنونت هذا البحث بسؤال وهو (لماذا لا يخدم التعليم الآثار؟) والقارئ له سوف يجد الإجابة عن هذا التساؤل من خلال ما عرضته من آراء وما طرحته من أفكار في هذا البحث الذي قسمته إلى أربعة أقسام وهي كما يلي :

أولاً - الآثار والتعليم .

ثانياً - الآثار والتربية الوطنية .

ثالثاً - الآثار وبرامج التعليم العام .

رابعاً - الآثار وبرامج التعليم العالي - تجربة جامعة الملك سعود .

وقد ركزت في هذا البحث على النشاط الذي يمارسه الطالب وكيف يمكن لهذا الجانب الفعال في التعليم العام أن يخدم الآثار ويساعد في حمايتها والمحافظة عليها ؟ .

وفي الختام آمل أن أكون قد أفدت بهذا الجهد المتواضع الذي قدمته .

والله ولي التوفيق

(*) تعليم الحدود الشمالية - عرعر .

القسـم الأول

الآثـــار والتعليـم

مما لا شك فيه أن الآثار عراقة الماضي وعبق التاريخ ، والآثار بالتأكيد قراءة ملامح زمن توهج بالشموخ حتى عانق السماء يوماً ، وما لبث أن توارى في ظل معطيات وتقدم العصور ، فلا تقل أهمية الآثار بالنسبة لنا في وقتنا الحاضر عن أهميتها لمن خلّفها وبذل من أجلها الشيء الكثير .

فمن خلالها تم التعرف على حضارات شعوب قديمة لم تكن تعرف إلا بأسمائها ، ومن خلال البحث فيها تم التعرف على هذه الشعوب وما بلغته من الحضارة .

ولا زالت هذه الأرض تحتفظ بالكثير من الحقائق التي قد تحدث شيئاً في التاريخ إذا ما تم الكشف عنها ودراستها والبحث فيها ، ونحن هنا بصدد حماية الآثار والاهتمام بها والمحافظة عليها ، فمن الأولى أن يبقى الأثر كما هو صغر أو كبر حتى يقدم عليه الباحث المتخصص فيكشف لنا عن هويته ومدلولاته ، فقد يمر المار على هذا الأثر ومن باب الفضول أو العبث يقوم بتحريكه أو نقله أو حتى إتلافه لعدم إدراكه وعلمه ومعرفته بهذا الشيء ، فهو بذلك قد يضيع على الباحث فرصه أكبر للكشف عن حقائق أخرى لا يمكن الاستدلال عليها إلا أن يكون الأثر في مكانه دون تحريك أو نقل أو إتلاف لارتباطه الوثيق بالموقع الذي وجد فيه ، فمن الضروري التبصير والتعريف بأهمية الآثار والمحافظة عليها من خلال التعليم بجميع مستوياته.

وهنا يتبادر إلى ذهني سؤال وهو (لماذا لا يخدم التعليم الآثار؟) .

جميعنا يعرف أن الآثار والتعليم العام في بلادنا يقعان تحت مظلة واحدة وهي وزارة المعارف ، فالمسؤولية لكلا الفرعين واحدة ومرتبطة ارتباطاً مباشراً بمسؤول واحد ، فهذا الارتباط الوثيق بين الفرعين يثير تساؤلاً وهو لماذا لا يخدم التعليم الآثار في اهتماماته وأهدافه التي يسعى لتحقيقها ، ويساعد في حماية هذا الموروث ويحافظ عليه ويفعله داخل أروقته ؟

فبما أن المسؤولية واحدة والهدف واضح فمن السهل إذن أن نسير في هذا الاتجاه ونبدأ

به حتى لو استغرق منا زمناً طويلاً ، فإن تحقق ما نسعى إليه فهذا ما نريد وإن لم يتحقق فقد حاولنا وجربنا واستفدنا ، فالتعليم مكان خصب للتعريف بالآثار وتفعيلها وتنشيط حركتها من خلال شريحة كبيرة من طلبة العلم والمتعلمين في بلادنا والمسؤولين عن التعليم في جميع مدارسنا وجميع من له احتكاك في التعليم العام .

فنشر الوعي الأثري في مدارسنا عبر المناهج المدرسية الواسعة وما ينطوي تحتها من أنشطة متنوعة ودروس ومقررات وتدريبات ورحلات هو مطلب أساسي للتعريف بالآثار وأهميتها حتى يمكننا أن ننمي لدى الطالب والمتعلم الشعور والإحساس بالانتماء لهذا التراث الحضاري العظيم وخاصة الإسلامي منه والذي خلّفه لنا أسلافنا عبر مئات السنين . فنحن المسؤولون في التعليم والآثار مطالبون بتوحيد الجهود والتنسيق والدعم المتواصل لبث الدعاية الكافية ونشر الوعي الأثري في مدارسنا من أجل غرس محبة هذا التراث الحضاري في نفوس أبنائنا الطلاب لحماية هذا الموروث العظيم وتربيتهم عليه ، ويمكن أن يتحقق لنا بعض ذلك من خلال ما يلي : -

١- تكليف القائمين على الآثار في الإدارات العامة للتعليم حصر المواقع الأثرية في المنطقة ، وإعطاء نبذة واضحة عن هذه المواقع ودورها الذي قامت به منذ فترة إنشائها ، مع عمل المخططات والصور التوضيحية لها وطباعتها في كتيبات وتزويد المكتبات المدرسية بها .

٢- التشجيع على عمل زيارات ميدانية لبعض المواقع الأثرية (ولتكن على شكل مجموعات طلابية تقوم بزيارات دورية يتم إختيارها من المدارس) للتعريف بأهميتها أسوة ببعض الزيارات التي تقوم بها المدارس لبعض الحدائق والمنشآت الحكومية الأخرى والمراكز المختلفة بالتنسيق مع المسؤولين عن الآثار في إدارات التعليم في كل منطقة ، وفق جداول زمنية محددة .

٣- القيام بتوزيع الأفلام الثقافية وأشرطة الفيديو والنشرات التي تعنى بالآثار وتوضح أهميتها وتوزيع الصور المكبرة لبعض المواقع الأثرية وإبرازها في مداخل المباني التعليمية ، بدلاً من انحسار مثل هذه الوسائل التعريفية في حدود إدارات الآثار ، والمتاحف العامة ، والجامعات .

٤- توصية الجهات المسؤولة في وزارة المعارف عن تصميم الأبنية المدرسية لإظهار طابع الطراز المعماري السعودي والعربي والإسلامي عند تصميم المباني المدرسية واحتوائها على بعض خصائص تلك الطرز ، ومحاولة استخلاص مبادئ وقيم معمارية من القديم وإدخالها في الجديد وإيجاد وخلق بيئة معمارية حديثة متكاملة منسجمة [١] مع الطراز المعماري السعودي القديم والطراز المعماري العربي والإسلامي من خلال التصميم المعماري الخارجي والداخلي للمباني التعليمية حتى يألف الناظر الفنون المعمارية التي تحويها هذه الأبنية التي أصبحت أشبه بالغريبة علينا لندرة ما نراها في مبانينا ومدننا فذلك بلا شك من المحافظة على تراثنا المعماري .

(١) أعمال وتوصيات وبحوث مؤتمر الحفاظ على التراث الحضاري المعماري الإسلامي في المدن- الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي، ٢٢ - ٢٦ أبريل ١٩٨٥م - اسطنبول / تركيا ص ١٢٢ .

القسم الثاني

الآثار والتربية الوطنية

مما لا شك فيه أن الآثار مرآة الماضي المشرقة التي تعكس أبهى صور الزمن القديم ، وما زالت النبع الذي ينهمر أصالة ليروي عطش الباحثين في هذا الوطن المعطاء .

وتظل الآثار أفقاً رحباً للمهتمين بموروثنا الزاهي بالأمجاد ، من هنا تتوجب علينا حتمية العناية بماضينا والاهتمام به والمحافظة عليه وعدم نسيانه لأنه ركيزة وأساس ما نحن به الآن ، كما يجب أن نذكر أبناءنا بهذا الموروث وتعريف النشء به فهو نتاج لمسات الأجداد ومؤسس هذا الوطن العظيم وباني هذا الكيان الشامخ وموحده الذي مهد له طريق التقدم والحضارة .

وللآثار دلالة واضحة على حضارة هذا الوطن وتاريخه الممتد من غابر الزمن وحتى اليوم ، وللتربويين دور بارز في تفعيل علاقة الفرد الحميمة بمعالم هذا الوطن الأثرية ، وهنا تكمن أهمية ربط الآثار ربطاً مباشراً بالتربية الوطنية التي تعتني بتوسيع مدارك التلاميذ في كل ما يمت للوطن بصلة ، وبالتالي وكي لا تتشتت الأفكار وجب أن نضع بعض المرئيات المرتبطة بالآثار التي من الممكن إدراجها في سياق البرنامج العام لمقررات التربية الوطنية للصفوف المتقدمة .

ومن أبرز المفردات التي وجب أن نذكرها بها ما يلي :

أولا : التعريف بالآثار وأهميتها :

توعية أبنائنا الطلاب بكيفية التعامل مع المواقع والقطع الأثرية التي قد يتسنى للطلاب المرور بها ، أو حين تقع إحدى القطع الأثرية بين أيديهم أثناء تجولهم حول بعض المواقع الأثرية ، وكيفية تسليمها للجهات المختصة وتشجيعهم على ذلك ، وغرس مفهوم أهمية هذه الآثار وملكيتها للدولة في نفوس أبنائنا الطلاب ، وما تعنيه من أهمية تاريخية وحضارية لبلادنا ، وأن العبث بها يضر بالمصلحة العامة .

ثانياً : تقديم كافة المعالم والمواقع الأثرية المختلفة في أرجاء الوطن بتجزئتها إلى عدة فئات :

١- المواقع الأثرية وتشمل المدن وأسوارها وما تحتويه من مساجد ومنازل وأسواق ومصانع وبرك وآبار ، وكذلك القلاع والحصون والقصور وبعض المنشآت الأخرى .

٢- النقوش والرسوم والكتابات المختلفة ، والمواد التي كتب عليها والأدوات المستخدمة في الكتابة ، وعرض نماذج منها .

٣- المخطوطات القديمة ، فمن خلال المحافظة عليها والاهتمام بها وما تحتويه من علوم تم مواصلة هذا التقدم الحضاري في شتى المجالات العلمية والأدبية التي نشهدها قائمة في عالمنا اليوم .

ثالثاً: مراحل تطور الحرمين الشريفين :

إن من أولى اهتمامات ولاة الأمر منذ تأسيس هذا الكيان الشامخ (المملكة العربية السعودية) الاهتمام بالحرمين الشريفين فلابد من عرض التدرج العام لبناء المسجد الحرام والمسجد النبوي منذ العهود التاريخية القديمة ، مروراً بالتطور المستمر الذي يواكب كل عصر ، حتى نصل مرحلة أكبر توسعة في التاريخ للحرمين الشريفين في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله .

رابعاً : الطـرق :

إعطاء صورة واضحة عن طريق الحج الكوفي المكي (درب زبيدة) حيث يعد هذا الطريق بهندسته العربية الإسلامية البارعة أكبر الإنجازات التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك في إنشاء الطرق والتعريف بالدور الذي لعبه هذا الطريق في تسهيل رحلة الـ (١٢٤٠) كم من الكوفة إلى مكة [١] ، وتكمن أهمية هذا الدرب بالنسبة لنا في التعليم كونه شاهداً حضارياً يمكن الاطلاع عليه ، حيث يمر بعدد من مناطق المملكة ابتداءً بمنطقة الحدود الشمالية حتى يصل إلى منطقة مكة المكرمة غرباً ، قاطعاً بذلك أربع مناطق إدارية من بلادنا ، (الحدود الشمالية - حائل - المدينة المنورة - مكة المكرمة) .

(١) الراشد ، سعد ، الربذة : صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨ .

خامساً : إعطاء نبذة عن الحضارات البائدة التي تركت آثارا ثابتة في بلادنا .

سادساً : تقديم عاصمتي الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة (مدينتي الدرعية والرياض) بصورة مبسطة بهدف التعريف بهاتين المدينتين وما تحويانه من آثار مهمة ودورهما التاريخي في مسيرة هذا الوطن ، وبعض المعالم التاريخية المنتشرة في مناطق المملكة .

سابعاً : تخصيص بعض الجزئيات الهامة عن بعض الآثار في مادة التربية الوطنية لتكليف الطلاب بعمل بعض البحوث عنها .

القسم الثالث

الآثار وبرامج التعليم العام

ترتبط الآثار ارتباطاً مباشراً بالتعليم العام ، ولو تأملنا قليلاً المفهوم العام للتعليم لتأكدنا من وجود علاقة قوية بين الآثار كعلم وبين التعليم كمصدر معرفي مهم ، فالآثار علم قائم بذاته يدرّس في الجامعات المختلفة بهدف تقديم كافة الموروثات الزمانية منها والمكانية والمرتبطة بحضارات متعددة ، وبالتأكيد إذا كان الشعر وسيلة لنقل التراث وسيرة الشعوب في سالف العصور فإن الآثار أيضاً رسالة تراثية كتبها الأجداد بسواعدهم ، وبذلوا عليها ومن أجلها الغالي والنفيس لتؤكد وبمواقع ملموسة وموجودة أن بصماتها لا زالت ظاهرة وثابتة رغم مرور العصور وتقدم السنين .

لذلك من الضروري علينا ربط الآثار بالتعليم العام عبر فرعين رئيسين يعتمد عليها اعتماداً أساسياً في إيصال المعلومة للطالب لتوعية أبنائنا الطلاب بأهمية الآثار وحمايتها :

المقررات المدرسية :

لابد لنا أن نربط الآثار بالمقررات الدراسية لأهميتها في تزويد الطالب بما يحتاجه من علوم ومعارف وإثراء حصيلته الثقافية عبر أسلوب تعليمي ميسر وسهل من خلال ما يلي :

١- تخصيص بعض الدروس عن الآثار وأهميتها في مادة الإنشاء (التعبير) .

٢- تخصيص دروس في كل صف من صفوف المراحل المتقدمة في مادة القراءة العربية عن أهم المواقع الأثرية ليتعرف أبناؤنا الطلاب على ما تحتويه بلادنا من آثار .

٣- بما أن الآثار الوجه الآخر للتاريخ وجب عرض بعض المواقع الأثرية وتحديد تواريخها ونشأتها وأسباب وجودها وإدراج ذلك في مادة التاريخ "تاريخ المملكة العربية السعودية" .

٤- إقامة معارض تهتم بالآثار والتراث الشعبي ضمن الأنشطة المدرسية على غرار (معرض التربية الفنية - معرض النشاط العلمي - معرض النشاط الاجتماعي) وتعكس هذه المعارض بعض الآثار الموجودة في بلادنا من خلال عرض الصور أو عمل المجسمات لبعض الحصون والقصور والبرك بالإضافة لعرض بعض قطع التراث الشعبي من أوان

ومنسوجات وأدوات للزينة .

٥- تخصيص مواضيع عن الآثار ضمن دروس مادة التربية الفنية كرسم بعض المواقع الأثرية والأدوات التي كانت تستخدم خلال العصور التاريخية المتعاقبة من أدوات للحرب وبعض الأسلحة والأواني والألبسة والمنسوجات كالسجاد وطرزه المتعددة وأدوات الكتابة وبعض القطع النقدية الإسلامية والأبواب والنوافذ وما تحويه من زخارف ونقوش ، ومحاكاة ذلك عملياً وإعداد نماذج منها في مادة الأشغال التي تعتبر الجزء العملي لمادة التربية الفنية وإدخال عناصر الفن الإسلامي كالنقوش والزخارف الهندسية والنباتية وبعض الزخارف والعناصر المعمارية التي ابتكرها المسلمون كالمقرنصات والعقود والأقواس التي تميز المباني الإسلامية ضمن الجزئيات التي تدرس في مادة التربية الفنية مما يجعل الطالب على صلة وثيقة بذلك الفن الذي برع به المسلمون ونحن بذلك نساعد النشء في معرفة تراثهم العربي الإسلامي ومزاولته والاحتفاظ به ، وإقامة مسابقات الرسم التشكيلي والأشغال بين الطلاب في هذا المجال ضمن الأنشطة الهادفة لمادة التربية الفنية ورصد الجوائز المناسبة لبعض الأعمال المميزة كحضور بعض المهرجانات والمعارض التي تعنى بالتراث والثقافة .

النشاط :

إن من أهم الجوانب التي قد تخدم الآثار في التعليم العام الأنشطة على اختلاف أنواعها المدرسية والكشفية وإن تشجيع الطلاب وحثهم على الاهتمام بالآثار والمحافظة عليها من خلال برامج الأنشطة أمر مهم وقد يكون مجدياً للغاية ، فالنشاط كما هو معروف لدي المهتمين بالتعليم جانب تربوي مهم ويعد جزءاً متمماً للعملية التعليمية ، ويمكن لنا أن نقسم النشاط في التعليم العام إلى قسمين مدرسي وكشفي ، أما النشاط المدرسي فهو ما يمارسه الطالب من أنشطة في محيط المدرسة وما حولها ، بينما النشاط الكشفي هو الذي يمارسه الطالب في المدرسة وخارجها ويشارك أفراد المجتمع في تأدية بعض الخدمات المنوطة به وسوف أتناول فيما يلي هذين القسمين لنرى كيف يمكن الاستفادة منهما في خدمة الآثار .

أولاً - النشاط المدرسي :

يمكن أن نعطي هنا تعريفاً مبسطاً للنشاط المدرسي ، فهو ذلك البرنامج الذي تنظمه المدرسة والذي يقبل عليه طلابها حسب رغباتهم وميولهم للاشتراك في جماعات معينة داخل المدرسة بحيث يتحقق للطالب من خلال تنمية ميوله في هذه الجماعات أهداف تربوية معينة داخل الفصل أو خارجه أو أثناء اليوم الدراسي أو بعد انتهاء الدراسة ، على أن يؤدي ذلك إلى نمو في خبرة الطالب وتنمية هواياته [1] في الاتجاهات التربوية والاجتماعية التي يرغبها ، وعند اختيار هذه الجماعات المنظمة داخل المدرسة لتلبية رغبات واهتمامات الطلاب روعي فيها أن تكون ذات علاقة بالمادة الدراسية والحياة العامة للطالب ، ومن خلال معرفتي بالمواد المدرسية في مراحل التعليم العام فهناك بعض الجزئيات التي تخص الآثار في بعض المواد مثل مادتي التربية الوطنية والتاريخ ، فالآثار ذات علاقة بالمادة الدراسية والحياة العامة للطالب فهي إذاً من اهتمامات الطلاب ورغباتهم ، وقد وضع للنشاط المدرسي أهداف عديدة يمكن ذكر بعض هذه الأهداف للتعريف بها ومنها :

١- بناء الشخصية .

٢- تنمية قدرات الطلاب .

٣- تفاعلهم مع البيئة المحيطة بهم .

٤- استثمار الوقت بما يعود عليهم بالنفع .

٥- احترام العمل .

٦- حب التعاون .

ومن أهم أهداف النشاط المدرسي أيضاً ارتباط الطالب الوثيق بتاريخ الأمة الإسلامية وحضارتها والاقتداء بسيرة السلف الصالح [2] وهذه من الأهداف العامة والمهمة للنشاط المدرسي الذي تشترك فيه جماعات النشاط المدرسي بشكل عام وهنا أتساءل لماذا لا يكون هذا الهدف هدفاً خاصاً بإحدى جماعات النشاط ؟ بالإضافة إلى عموميته ؛ فحبذا لو كان هناك

---

(١) وزارة المعارف ، الإدارة العامة للنشاط المدرسي ، دليل النشاط المدرسي ، ط ١٤٠٦هـ ، ص ٥ .

(٢) وزارة المعارف ، الإدارة العامة للنشاط المدرسي ، دليل النشاط المدرسي ، ط ١٤٠٦هـ ، ص ٦ .

ضمن جماعات النشاط المدرسي جماعة متخصصة تهتم بهذا الجانب للحضارة الإسلامية وتراثها وتطبق وتمارس نشاطها وتلبي رغبات الطلاب وميولهم ، ويمكن أن يكون ذلك من خلال إيجاد منظمة للآثار في المدرسة ويكون تنظيمها على النحو التالي :

جماعة الآثار والتراث :

إيجاد جماعة تهتم بالآثار والتراث يشرف عليها أحد معلمي المدرسة ذوي الاهتمام بالآثار والتراث أو أحد معلمي مادة التاريخ أو التربية الوطنية وتتكون هذه الجماعة من رئيس وأمين سر ومقرر وأعضاء يمارسون نشاطهم في المدرسة كواحدة من جماعات النشاط الاجتماعي المختلفة التي يمارسها الطلاب في مدارسهم ، وفق أهداف تخدم هذه الجماعة ، وتنمي ميول الطلاب ورغباتهم واهتماماتهم وتفاعلهم مع البيئة المحيطة بهم ، ولا بد من وجود أهداف خاصة حتى يمكن لجماعة الآثار والتراث القيام بممارسة أعمالها ونشاطها

أهداف الجماعة :

١- تعريف الطلاب بتراثنا الإسلامي والاعتزاز بالإسلام والافتخار بما قدمه لنا من حضارة وما صنعه السلف من أمجاد في جميع المجالات .

٢- المحافظة على تراثنا السعودي وما يحمله من ثقافة تنم عن حضارة هذا المجتمع والعناية بهذا التراث الذي خلفه لنا الآباء والأجداد.

٣- التعرف على الأدوات الأثرية والتراثية التي كانت تستخدم في الماضي ومسمياتها وكيفية استخداماتها .

٤- مساعدة الطلاب في زيادة معلوماتهم المتصلة بالمنهج المدرسي .

٥- تعويد الطلاب على القراءة والبحث والاطلاع .

٦- توجيه الطلاب إلى العناية بالآثار والتراث والمحافظة عليهما .

٧- تعويد الطلاب على تحمل المسؤولية والصبر والاعتماد على النفس وزرع الثقة الكاملة في نفوسهم .

٨- إبراز مكانة المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي وما تحويه من مقدسات ومواقع أثرية كان لها دور كبير في انتصار الإسلام وانتشاره .

ولا بد لهذه الأهداف من وسائل تساعد جماعة الآثار والتراث على تحقيق أهدافها كبقية الجماعات الأخرى ويمكن إدراج بعض هذه الوسائل التي تساهم في ذلك .

وسائل تحقيق الأهداف :

١- تعويد الطلاب على ارتياد المكتبة وكيفية الاستفادة منها وإرشادهم إلى اختيار الكتب التي تعنى بالآثار والحضارة والتراث وتجهيز مكتبة متخصصة للآثار والتراث .

٢- مساعدة الطلاب وتعريفهم كيفية تصنيف وعرض بعض القطع الأثرية أو المقتنيات القديمة بحيث تكون كل مجموعة متجانسة مع بعضها البعض .

٣- تشجيع الطلاب على الاحتفاظ بجميع الأدوات القديمة والاستفادة منها وصيانتها وحفظها وترميم التالف منها .

٤- إعداد الصحف الحائطية والنشرات الدورية وتتبع الصحف المحلية وما ينشر بها عن الآثار والتراث .

٥- إعداد البحوث التي تعنى بالآثار والمتاحف والتراث الشعبي .

٦- إقامة الندوات والمحاضرات المدرسية التي تهتم بما خلّفه السلف من حضارة وأمجاد .

٧- إقامة المتاحف المدرسية لعرض بعض القطع الأثرية أو صور عنها وأدوات التراث الشعبي وعمل المجسمات لبعض المواقع الأثرية المنتشرة في بلادنا .

ويمكن من خلال هذه الوسائل تشجيع الطلاب على تحقيق أهداف الجماعة ، وقد بنيت هذه الوسائل على غرار وسائل جماعات النشاط الأخرى التي تمارس أعمالها بالمدارس .

وهناك مجالات عمل يقوم بها أعضاء جماعة الآثار والتراث ؛ وهم بذلك يشكلون فرق عمل متخصصة في هذه المجالات ؛ وكل فريق يقوم بعمله لإضفاء جو من التنافس بين هذه الفرق داخل الجماعة .

مجالات عمل جماعة الآثار والتراث :

١- مجال الصحافة والنشر :

يهتم هذا المجال بإصدار الصحف الحائطية الشهرية والمطويات والنشرات المدرسية التي

تعنى بالآثار وتدعو للاهتمام بها والمحافظة عليها ، وإبراز أعمال المتخصصين في هذا المجال وجهودهم في الكشف عن المواقع والقطع الأثرية ، وجهود الجامعات والمعاهد المتخصصة في دراسة الآثار والاهتمام بها ، ونشر ما يستجد في علم الآثار وما يفتتح من متاحف والإشارة إلى ما يصدر من مؤلفات عن الآثار بشكل عام ، وتتبع ما ينشر في الصحافة المحلية من مقالات ، وذكر بعض الشخصيات المتخصصة في علم الآثار في بلادنا وما يصدر لهم من مؤلفات والتنويه بجهودهم الحثيثة في الكشف عن المواقع الأثرية في بلادنا واهتمامهم بإبراز الحضارة العربية والإسلامية ، والاقتداء بهم في خدمة البلاد وحفظ آثار السلف ، من خلال الكشف عنها وتدوينها في بطون الكتب .

٢ - مجال الندوات والمحاضرات :

يهتم هذا المجال بإقامة الندوات والمحاضرات المدرسية والتنسيق لها واختيار المواضيع التي ستطرح خلال هذه الندوات ودعوة المهتمين بالآثار من طلبة ومعلمين وبعض أفراد المجتمع لإقامة المحاضرات أثناء اليوم الدراسي لتوجيه الطلاب وإرشادهم للعناية بالآثار والاهتمام بها وحمايتها والمحافظة عليها ، ولإظهار ما تحويه بلادنا من آثار وتتبع ما يدور في المجتمع من إقامة لمثل هذه الندوات والمحاضرات وإعلانها في الإذاعة المدرسية وتوجيه الطلاب لحضور هذه الندوات وتشجيعهم على ذلك .

٣ - مجال البحوث والمسابقات :

يهتم هذا المجال بإجراء المسابقات المدرسية الثقافية التي تعنى بالآثار وما يحتويه المنهج المدرسي من معلومات عن الأدوات والمواقع الأثرية وإعداد البحوث وعمل لجان من أعضاء الجماعة لاختيار أفضلها وإبرازها من خلال الإذاعة المدرسية وإدراجها ضمن المكتبة المدرسية ورصد الجوائز المناسبة وتشجيع الطلاب على الاستمرار والبحث في هذا المجال وإيجاد جو من التنافس بينهم .

٤ - مجال الأفلام والتسجيلات :

يهتم هذا المجال بالأفلام الثقافية والتسجيلات الصوتية التي تتحدث عن الآثار وأهميتها وعن الجهد الذي يبذله باحث الآثار أو فريق عمل للكشف عن المواقع الأثرية التي غمرتها

الرمال منذ مئات السنين ، وتسجيل المحاضرات و الندوات التي تعقد في المدارس أو في بعض مؤسسات المجتمع وتتبع ما يبث في جهاز الإذاعة والتلفاز في هذا المجال وتسجيله وتجهيز مكتبة للأفلام المرئية والتسجيلات السمعية وعرضها على طلاب المدرسة بين فترة وأخرى وتشجيعهم على استعارتها والاستفادة منها وتداولها بين المدارس .

٥ - مجال المتاحف :

يهتم هذا المجال بتجهيز متحف مدرسي للآثار والتراث الشعبي حيث يقوم فريق العمل من أعضاء الجماعة بتنظيم هذا المتحف وتقسيمه إلى عدة أقسام يختص كل قسم منه بعرض أنواع متجانسة من أدوات التراث الشعبي وبعض المقتنيات الأثرية والأدوات القديمة وصيانة وترميم التالف منها ، وعمل المجسمات لبعض المواقع الأثرية المنتشرة في بلادنا وعرض الصور التوضيحية لها وتصوير بعض المواقع الأثرية الموجودة بالمنطقة وإعداد الكشوفات لتسجيل ما يحويه هذا المتحف من مقتنيات ، كذلك القيام بعمل الزيارات المتكررة لبعض المتاحف الأثرية ومتاحف التراث الشعبي الموجودة في بعض مناطق المملكة ، ومحاكاتها عند تنظيم المتاحف المدرسية .

ثانياً- النشاط الكشفي :

من المعروف أن البرامج الكشفية على اختلاف أنواعها تسير في خطاً حثيثة لخدمة المجتمع والتفاعل معه ، وفي النهاية تعود على الشباب بالنفع لما تقوم به هذه البرامج من تحقيق وبناء لقدراتهم البدنية والعقلية والاجتماعية كأفراد ومواطنين مسؤولين وكأعضاء فاعلين في خدمة مجتمعاتهم ورقيها.

فللكشاف السعودي دور كبير في خدمة مجتمعه وخير مثال على ذلك ما نشاهده من برامج التوعية والخدمة العامة الكشفية على مستوى مناطق المملكة وما تقوم به وزارة المعارف من خلال جمعية الكشافة العربية السعودية من إقامة المعسكرات والمخيمات الكشفية السنوية التي تتوافق مع بعض المناسبات الإسلامية والعربية والمحلية ، ولجمعية الكشافة السعودية برامج كثيرة في خدمة المجتمع على النطاق المحلي في بلادنا وسوف أورد فيما يلي بعض الأمثلة لتلك الأنشطة ، وهدفي من استعراضها توضيح تلك الإمكانات التي يملكها الكشاف

السعودي لخدمة مجتمعه وبلاده ، ومدى تسخير هذه الإمكانات وتوجيهها إلى جوانب واهتمامات أخرى في مجتمعه ، والاشتراك في المحافظة على تراث بلاده وحمايته مما يحيط به من عوامل هدم .

١- برامج التوعية وخدمة المجتمع :

تهتم جمعية الكشافة السعودية بإعداد بعض برامج التوعية ، فمثلاً توعية مرتادي الشواطئ [١] والهدف من هذا البرنامج تبصير أفراد المجتمع ومساعدتهم في طريقة المحافظة على البيئة ونظافتها والاهتمام بها للرقي بالمجتمع وجعله مجتمعاً متحضراً يعكس بيئة سليمة خالية من التلوث ، كما تهتم برامج التوعية الصحية بالتوعية ضد مرض معين وفي ذلك خدمة جليلة في جعل مجتمعنا صحيحاً سليماً خالياً من الأمراض ، وبالإضافة إلى ما ذكرته من برامج التوعية هناك برامج لخدمة المجتمع ويمكن تلخيص بعض نشاط الجمعية الكشفية السعودية وتوجيه برامجها في هذا المجال على النحو التالي : -

أ) المشاركة في مساعدة المعاقين .

ب) المشاركة في النظافة العامة للمدن .

ج) المشاركة في أسابيع المناسبات كأسبوع الشجرة وغيره من الأسابيع .

د) المشاركة في تطبيق برامج الإسعافات الأولية وخدمة المصابين .

هـ) المشاركة في تطبيق برامج التنشيط السياحي وخدمة المصطافين .

وفضلاً على ذلك هناك نشاط مميز تقوم به جمعية الكشافة السعودية ويتمثل ذلك النشاط في إقامة المعسكرات والمخيمات السنوية والفصلية في معظم مناطق المملكة وقد تصل مدة إقامة هذه المعسكرات والمخيمات قرابة الشهرين يقوم فيها أفراد الكشافة من خلال برنامج منظم ومدروس بواجباتهم جنباً إلى جنب مع بعض الجهات الحكومية في خدمة المجتمع ومن هذه المعسكرات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

---

(١) السارية – نشرة فصلية تصدرها اللجنة الإعلامية بجمعية الكشافة العربية السعودية – العدد الخامس عشر– ذو القعدة ١٤١٨هـ ، ص ٤ .

المعسكرات الكشفية خلال مواسم الحج :

تقوم جمعية الكشافة السعودية باستعدادات ضخمة في إقامة المعسكرات الكشفية خلال موسم الحج لخدمة ضيوف الرحمن من حجاج [1] ومعتمرين وتقديم كل التسهيلات الممكنة لقضاء مناسكهم بيسر وسهولة ، فجهود الكشافة السعودية بارزة في هذا المجال حيث نشاهد ذلك واضحاً خلال مواسم الحج في كل عام .

٢ - المعسكرات والمخيمات الخلوية :

إقامة المعسكرات والمخيمات الخلوية المتكاملة في بعض المحميات الطبيعية المنتشرة في مناطق المملكة والهدف منها المشاركة الفعالة في حماية الحياة الفطرية جنباً إلى جنب مع أفراد الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية [2] .

وقد تصل مدة هذه المخيمات قرابة الشهرين .

مشروع معسكر كشفي للتنقيب عن الآثار :

إن جميع ما أوردته من أمثلة لنشاط جمعية الكشافة العربية السعودية يعد شاهداً على نجاح برامج الكشافة المستمرة في كل عام .

فلماذا لا نخطو بنشاط جمعية الكشافة السعودية خطوة أخرى إلى الأمام بتوجيه هذه البرامج والمعسكرات لتقديم بعض الخدمات في المحافظة على الآثار وحمايتها وإبراز الحضارات والآثار التي تحتضنها بلادنا والتعريف بها ، ويمكن أن يكون ذلك من خلال إقامة معسكرات ومخيمات كشفية مصغرة تحاكي تلك المخيمات التي تقيمها جامعة الملك سعود لتدريب طلابها على عمليات البحث والتنقيب عن الآثار في كل عام ، بعد إجراء الدراسة اللازمة والتنسيق بين وكالة الوزارة للآثار والمتاحف بصفتها المسؤول الأول عن الآثار وجمعية الكشافة العربية السعودية لإقامة مثل تلك المعسكرات والمخيمات الخلوية بشكل دوري بالقرب من المواقع الأثرية خلال إجازات نصف العام الدراسي أو إجازات الصيف في بعض المناطق التي تكون فيها الأجواء مناسبة وتساعد على القيام بأعمال البحث والتنقيب عن الآثار فيها ؛

(١) رسالة المعارف - نشرة شهرية تصدر عن الإدارة العامة للإعلام التربوي بوزارة المعارف - العدد الخامس عشر ، صفر ١٤١٩هـ ، ص ٢١ .

(٢) السارية - المرجع السابق - ص ٤ .

بصحبة بعض المتخصصين في مجال التنقيب والعمل الأثري وبتوجيه وإرشاد منهم للتنقيب والكشف عن موقع أثري أو جزء منه بمساعدة أفراد الكشافة ، ومن أجل أن نكون واقعيين يمكنهم القيام بأعمال الصيانة كإزالة الأتربة التي تغطي بعض أجزاء المباني الأثرية القائمة أو القيام بتسوير بعض المواقع الأثرية ، وعمل اللوحات التحذيرية وتثبيتها حول هذه المواقع . ومما لا شك فيه أن لإقامة هذه المعسكرات الكشفية الأثرية فوائداً عديدة في المحافظة على الآثار وحمايتها ويمكن حصرها فيما يلي :

١- صيانة بعض المباني والمواقع الأثرية من العوامل الطبيعية المحيطة بها كزحف الرمال .

٢- ما لهذه المعسكرات من دور مهم في نشر الوعي الأثري لدى الشباب ، ودورهم في توعية طلاب المدارس وأفراد المجتمع في المحافظة على الآثار والاهتمام بها بعد انتهاء هذه المعسكرات .

٣- نظراً لبعد هذه المواقع الأثرية عن بعض المدن مما يجعل أمر حراستها فيه شيء من الصعوبة مما يجعلها عرضة لبعض العابثين ومن خلال إقامة المعسكرات الكشفية بجانب هذه المواقع بين فترة وأخرى ندعو هؤلاء العابثين إلى الابتعاد عن تلك المواقع نظراً لتردد بعض المسؤولين والمهتمين عليها بشكل دوري بدلاً من تركها عاماً أو أكثر دون المرور على الكثير منها مما يجعلها عرضة للعبث .

٤- التقاط المعثورات السطحية المتناثرة في بعض المواقع الأثرية وبعض الكتابات والنقوش التي يسهل حملها وتسجيلها من قبل المتخصصين في مجال الآثار وحفظها في متاحف أو مكاتب الآثار في الإدارات العامة للتعليم للرجوع إليها عند الحاجة بدلاً من أن تكون عرضة للالتقاط والعبث من بعض المارة .

٥- إبلاغ الجهات المسؤولة عن بعض محاولات النبش والحفر في بعض المواقع الأثرية إن لوحظ ذلك من قبل المسؤولين للحد من ذلك العبث في تلك المواقع .

٦- العمل على تأسيس نواة متحف للآثار في كل منطقة تعليمية في بلادنا من خلال ما يتم التقاطه من معثورات سطحية وما يسهل نقله من أدوات ونقوش في تلك المواقع الأثرية .

٧- تنشيط الآثار والاهتمام بها في جميع المناطق التعليمية التي تقام فيها تلك المعسكرات .

وخلاصة القول أنه لو تم توجيه برامج النشاط في التعليم العام على اختلاف أنواعه داخل المدرسة وخارجها للعناية بالآثار لحققنا ولو جزءاً مما نهدف إليه في هذه الندوة وهو حماية الآثار والمحافظة عليها خاصة وأن جميع جوانب النشاط الكشفي التي قدمتها الجمعية العربية السعودية كانت ناجحة ومؤدية للدور الذي أعدت وأقيمت من أجله .

القسم الرابع

الآثار والتعليم العالي - تجربة جامعة الملك سعود

مما لا شك فيه أن هناك حقيقية واضحة تؤكد مدى ارتباط التعليم بالآثار ، وبخاصة التعليم العالي الذي سعى حثيثاً لتكريس هذا الترابط بشكل علمي وميداني ، حيث احتوى بمفاهيمه الواسعة الآثار كقيمة موروثة هامة ليتناولها بجزئياتها المتعددة ، وبالتالي الخوض في غمار البحث المدعم بالحقائق والوقائع التي تبرهن مصداقية المسوح الشاملة للمواقع الأثرية في بلادنا .

ويعول على التعليم العالي آمالاً كبيرة في المحافظة على الآثار والاهتمام بها بشكل أوسع حيث يوجد في بلادنا الكثير من المواقع الأثرية التي نحن بحاجة ماسة لدراستها والتنقيب عنها وإظهارها للمجتمع والتعريف بها وبالحضارات التي قامت عليها ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تأهيل الكوادر الوطنية الشابة وتسليحها أكاديميا لجعلها متخصصة في مجال البحث والتنقيب الأثري للقيام بهذه المهام أمام هذا الكم الهائل من المواقع الأثرية ، لإظهار ما تكنه هذه الأرض من آثار ، فنحن نتطلع دائماً إلى الكشف عن جميع المواقع الأثرية التي تحتضنها بلادنا ، ويمكن أن يكون ذلك بتعميق دور التعليم العالي ومواصلة تكرار التجربة الرائدة لجامعة الملك سعود التي تبنت تأهيل الكوادر الوطنية المتخصصة في البحث عن الآثار بالطرق العلمية الحديثة في بلادنا ، وهي الوحيدة التي انفردت بذلك على مستوى التعليم العالي ، حيث إن هذه التجربة كشفت لنا الوجه الحقيقي لبعض موروثات الوطن الثمينة التي اندثرت ، فالمتتبع لأعمال قسم الآثار والمتاحف بالجامعة يدرك الدور الفعال والجهود الجبارة التي يقوم بها القسم في البحث والتنقيب الأثري للمواقع التي وصلت إليها يد الجامعة وبدأت التنقيب الأثري فيها ، فهذه قرية الفاو التي تقع على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي والتي تبعد حوالي سبعمائة كيلو متر جنوب غربي مدينة الرياض [(١)] كانت عبارة عن بعض التلال الرملية أصبحت الآن قرية متكاملة تحكي قصة حضارة أحد الشعوب ، فهذا الإنجاز الكبير الذي حققته جامعة الملك سعود في حفائر قرية الفاو وما تبعه من إنجاز آخر في حفائر الربذة

(١) إدارة الآثار والمتاحف – وزارة المعارف . مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، ط ٢، ١٣٩٧ هـ ، ص ١٨ .

إحدى محطات درب الحج الكوفي المكي (درب زبيدة) التي تعطينا دليلاً هاماً عن الجذور والأسس المبكرة للحضارة العربية الإسلامية [١] وهذه العطاءات المتواصلة التي تقدمها الجامعة وما يتبع ذلك من بحوث ودراسات ورسائل في هذا المجال ، وما تنشره من كتب ، وما تعقده من محاضرات وندوات وما زالت ، لإثراء هذا الجانب لهو دليل منقطع النظير على نجاح هذه التجربة ، وأنا هنا لست بصدد حصر ما تقوم به جامعة الملك سعود وما تقدمه في هذا المجال من أعمال ، وإنما قصدي الإشادة بهذه التجربة الرائدة واستعراضها والتي لو طبقت في بعض الجامعات الأخرى - وخاصة تلك التي تكون في إحدى المناطق التي تكثر بها المواقع الأثرية - لكان العمل أوسع وأشمل والكشف عما تحتضنه هذه الأرض في متناول الأيدي ، وأنا أتوجه بنظري إلى المنطقة الجنوبية وتلك الجامعة الفتية (جامعة الملك خالد) التي تأسست هذا العام والتي تحتضنها منطقة عسير وتتجه إليها الأنظار سياحياً مما يثري السياحة الأثرية ويدفع حركة السياحة المحلية في تلك المنطقة من خلال ما ينتظر أن تكشفه الجامعة من مواقع أثرية وما تقدمه من دراسات وبحوث في هذا المجال وليصبح الوعي الأثري لدى عامة الناس أكبر وليكون هذا العمل سبيلاً للمحافظة على هذا الموروث وحمايته والاهتمام به .

(١) الراشد ، سعد ، الربذة : صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨ .

الخـاتمـة

في الختام آمل أن أكون قد وفقت في طرح بعض الأفكار التي تساعد على الاستفادة واستغلال بعض برامج النشاط في التعليم العام في سبيل خدمة موروثنا الحضاري ونشر الوعي الأثري لدى النشء والشباب ، وأن نعطي صورة واضحة عن سابق أمجادنا وحضارة أمتنا العربية والإسلامية ودورنا في حماية آثارها الباقية والمحافظة على ما خلّفه لنا بناة هذه الحضارات العظيمة التي هي امتداد لما نحن به الآن . ومعرفة ما أمكن عن حياة الشعوب وتلك الحضارات التي سادت وبادت للاستفادة منها بطريقة محببة لدى طلابنا من خلال ذلك النشاط الذي يختاره الطالب ويتجه إليه بناءً على رغباته وميوله ويستوعب ما يلقى عليه من خلاله بيسر وسهولة فهو بلا شك استثمار مفيد للوطن وأبنائه .

ونحتاج أثناء ذلك كله من المربين الفاضلين في مراحل التعليم العام توجيه عقول النشء وصغار السن وتبصيرهم بطريقة مقنعة في أمور كانت وما زالت لا تعني بالنسبة لهم (وأعني بذلك الآثار) سوى أشياء قديمة لا تصلح للاستخدام ، ودائماً القديم المادي الملموس عند النشء وصغار السن ليس له أي قيمة فهو قديم وانتهى في حين تغيب عن ذهنه حقيقة واضحة وهي أن الجديد ما هو إلا تطوير وامتداد لذلك القديم ومن خلاله توصلنا إلى جديدنا الذي نتباهى به ، إذاً فالقيمة واحدة لكليهما فلا بد من التعامل مع عقلية النشء بحذر وتوجيههم إلى التفكير بالشكل الصحيح منذ الصغر لإقناعهم بواقع ملموس نعيشه .

وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة بلادنا ورفعة حضارتنا ورقيها .

المراجــع

١- دليل النشاط المدرسي للمواد الدراسية بالمرحلتين المتوسطة والثانوية - الإدارة العامة للنشاط المدرسي ١٤٠٦هـ .

٢- الراشد ، سعد بن عبدالعزيز ، الربذة ، (صور للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية) ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ.

٣- مقدمة عن أثار المملكة العربية السعودية - إدارة الآثار والمتاحف - وزارة المعارف - الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ .

٤- رسالة المعرفة - نشرة شهرية تصدر عن الإدارة العامة للإعلام التربوي - العدد (١٥) صفر ١٤١٩هـ .

٥- السارية - نشرة فصلية تصدرها اللجنة الإعلامية بجمعية الكشافة العربية السعودية - العدد (١٥) ذو القعدة ١٤١٨هـ .

سوق مَجنَّة في عصريه الجاهلي والإسلامي

أ. البدر بن ستير اللحياني (*)

مقدمة :

بعد زمن طويل من السبات التاريخي آن الأوان لكي نرى سوقاً من أسواق العرب طالما عرفناها من خلال كتب التراث التاريخية والأدبية ولكن من المؤسف أن معرفتنا بها لم تتجاوز الإدراك المجرد ، فنجدها مرسومة بين سطور كتب التراث وأسفار السيرة النبوية ، وبقي علمنا بها في أغلبه عند حدود الرسم الإملائي أو المجاورة مع الأسواق الأخرى ، وكأنها عاشت فقط لكي تبقى رسماً إملائياً على الرغم مما لها من أهمية تاريخية ودينية وأدبية كما سنعلم من خلال هذا البحث .

فهل ترضى هذه السوق أن تعيش رهينة كتب التراث ؟ .

وهل ترضى بتلك المجاملة اليسيرة عند اقترانها رسماً بأسواق العرب الأخرى ؟ لا نظن أبداً أن سوقنا هذه سترضى بهذا القدر اليسير... ولابد أن تزاحم الأسواق الأخرى لتنال قدرها المرموق ومكانها اللائق ، ولابد أن تحطم أسوار الإهمال لتتجاوز سنين التهميش وتزاحم الذاكرة العربية لتوشم تلك الذاكرة بما هي أهله .

لا نحتاج إلى كدٍ ذهني لنعرف تلك السوق إنها "مَجنَّة" بفتح الميم وتشديد النون .... فعلّنا نعيش بين جنباتها ونقرأ ملامحها وندرك رسمها الجغرافي لا الإملائي ونلمس دورها التاريخي لا التكميلي ومكانتها بين الأسواق لا المرادفة فقط ... وسنعلم أن سوقنا تلك لم تكن سوقاً تكميلية ذات يوم أو مرادفة لذكر الأسواق الأخرى فقط بل هي أشد عمقاً وأقوى تصوراً ، وتبقى مدينة بتجددها المستمر لبلالٍ بن رباح ، وأبي ذؤيب الهذلي... فلولا ما كان يتمثله بلال بن رباح من أبيات لاندثرت هذه السوق وجفت مياهها التي كان يتشوق إليها بقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة	بوادي وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه (مجنة)	وهل يبدونْ لي شامة وُطفيل

هكذا نجدها ماثلة بكل قوتها التاريخية عند بلال ....

(*) معلم – مدرسة حنين المتوسطة – مكة المكرمة .

فما مجنة تلك التي حفزت بلالاً وهو بالمدينة كي يرتوي من مائها العذب ويبل عطشه العاطفي بالعودة إلى صباه وارتياد هذه المياه ؟.

أما أبو ذؤيب فلنا معه وقفة في ثنايا البحث حين نعود للروايات التاريخية نجدها اكتفت بالتحليل البسيط والشرح الأدبي لمفردات البيتين... وأن لنا أن نعرف هذه السوق تاريخاً ومكانةً ورسماً من خلال بحثنا الميداني الذي أجريناه حول هذه السوق.

مسمى السوق :

لقد عرف العرب في الجاهلية والإسلام عدداً من الأسواق وقد ورد ذكر مسمى السوق في مواطن من القرآن الكريم.. كقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ** ﴾ (١) ، ويعرّف الدكتور جواد علي السوق (بالمحل الذي يتجر منه وهي إما ثابتة مع أيام السنة يبيع فيها الباعة ويقصدها المشترون للشراء وإما موسمية ، تقصد في مواسم فإذا انتهى الموسم رفعت ..) (٢) ويجمع الإخباريون على أن (مجنة) سوق كانت للعرب في الجاهلية والإسلام ، وهي من الأسواق الموسمية التي يزداد نشاطها في فترة معينة من السنة ، وتضبط بهذا الرسم (مجنّة) (بفتح أوله وثانية بعد نون مشددة) (٣) (ويقول الحموي) (ومجنّة اسم سوق للعرب كان في الجاهلية) (٤) ويقول الأزرقي (ومجنة سوق بأسفل مكة) (٥) .

وهي من أسواق مكة المجاورة (وكانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً لمكة في الجاهلية...) (٦) .

أما من حيث مدلول التسمية فيقول الحموي (مجنّة بالفتح وتشديد النون اسم لمكان من الجنة ، وهي السر والإخفاء ، ويقال به جنون وجنة ، وأرض مجنة كثيرة الجن..) (٧) . ويورد أبو الفتح تعليلاً مفيداً لهذه التسمية بقوله : (يحتمل أن تسمى مجنة ببساتين تتصل بها وهي الجنان ، وأن تكون فعلة من مجن يمجن سميت بذلك لأن ضرباً من المجون كان بها...) (٨) ونحن نرجح الاحتمال الأول عند أبي الفتح بمساندة الشاهد الجغرافي الملاحظ وسنشير إلى ذلك حينما نتطرق إلى موقع السوق .

بهذا تكون مجنة سوقاً من أسواق العرب .. ولكن أين تقع هذه السوق اليوم ؟ هذا ما سنعرفه من خلال عرضنا لموقعها .

أثريــة الموقــع :

من خـلال زيارتي المتكررة للموقع تبيّن لي وجود أساسـات حجرية وبنايات مندثرة تشير إلى موقع السـوق ويغلب عليـها عدم الانتظام بسـبب اقتـلاع بعض تلك الصـخـور بغرض البناء وما تزال البنايات المتهدمة واضـحة مع ملحقات صـغيرة لكن أغلبـها مندثر تحت الرمـال بسـبب تغـيـيـر جـزء من وادي (مـرٍّ) المعـروف نحـو الموقع السـوق أمـا (عين مـجنة) مـورد السـوق الطبيعي فما تزال ماثلة للعيان بشكل واضح بسبب اهتمام الناس بها .

والمحافظة على الموقع تعطي تفسيراً لطريقة البناء كما تعطى صورة متكاملة لحياة أسواق العرب المجاورة لمكة ، وتفسر هذه السوق التأثير الاقتصادي والسياسي والأدبي على مكة قبل الإسـلام وبعد الإسـلام لكونها أكبر سـوق مـجاورة لمكة استطاعت الصـمود حتى قبيل النصف الثاني من القرن الثاني الهجري كما أشار نص ابن الكلبي ووقوعها على الخط التجاري الكبير الذي يربط مـا بين ممالك الشـمـال وممالك الجنوب يلقي مـزيداً من الأضـواء على هـذا الخط وللسوق دور هام في كشف العلاقة القائمة بينها وبين الأسواق الأخرى المجاورة كعكاظ وذي المجاز باعتبارها تتوسط زمن انعقاد والسوقين ويمكن اعتبار الدور الأمني الذي شكلته مكة مع هذه السوق رمزاً لمتانة العلاقة ما بين مكة وأسواقها .

وربما اكتـشـفنا الكثـير من الأهـمـيـة الأثرية لو اسـتطعنا إجـراء تنقيب داخل أطلال هذه السوق والذي ما زال تحت الرمال .

ولنا في ذلك ترتيبات مع قسم المتاحف والآثار بمكة لإجراء تنقيب ودراسة .

مـا تزال أطلال هـذه السـوق قـائمـة حـتى الآن ، ولكن بشـكل مطـمـور وقـد اندثـر دورها التجاري والأدبي... تماماً منذ منتصف القرن الثاني الهجري بعد أن استبدل العرب سوق مكة في موسم الحج عوضاً عنها وعن بقية الأسواق الأخرى .

موقع السوق الجغـرافي :

ليس من السـهل الوقـوف على مكان السـوق وتحـديد مكانهـا إذ ليس بحـوزتنا إلا قـدر شحيح من النصوص والأخبار التاريخية كباقي أسواق العرب .

وماذا سنفعل هل نترك السوق تغرق في بحر التناسي بعد أن طواها التاريخ وحفظها لنا مسمى مرادفاً لأسواق العرب الأخرى كسوق عكاظ وذي المجاز؟ هل نتركها أم ننتشلها من هذا الإهمال ونعيدها إلى وجه التاريخ العربي والإسلامي لنعيش مستوى الإدراك والمسئولية نحو تراثنا وأعلامه ومواطنه وذلك بتحديد الموقع ورسم معالمه ؟

إن بلالاً وأبا ذؤيب رسّخا هذه السوق كشاهد مكان داخل الشعر من خلال أبيات بلال السابقة أو من خلال أبيات أبي ذؤيب الهذلي في قوله [٩] .

سلافة راح ضمنتها إدارة ... مغيرة ردف لمؤخرة الرحل

فوافي بها عسفان ثم أتي بها ... مجنة تصفو في القلال ولا تغلي

ولعل بلالاً وأبا ذويب خدما هذه السوق من حيث لا يعلمان بدفعهم للمؤرخين كي يباشروا هذا المكان (مجنة) ولو بروايات مختلفة أبقت جذوة السوق مضيئة خلف رماد التاريخ .

حينما نبدأ تقصي المكان لا نملك نصوصاً تشير إلى معالم جغرافية محددة ورسوم يمكن تتبعها كما في سوق عكاظ.. ولكن مجموعة من المعالم المتفرقة والمتناثرة تحتاج إلى ربط وجمع وموازنة للوصول إلى استنتاج علمي مقنع... ولابد من الوقوف وقفة نافذة كي نلملم جوانب النصوص حتى نتمكن من الوصول إلى طريق يوصلنا نحو هذا الموقع وقد تتلوى الطرق وتتعسى الدروب ونحن عازمون على سير هذه الطرق مستضيئين بما تيسر لنا من نصوص إخبارية أو شواهد شعرية وما تجود به تلك الاستطرادات بين سطور كتب التراث.

لقد أشار الأصمعي وأبوعبيدة وغيرهما لهذه السوق في إشارات متفرقة... يقول الأصمعي : (وكانت مجنة بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر ، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها...) [١٠] .

وإلى هذا يذهب أبو عبيدة (مجنة بالظهران إلى جبل يقال له الأصفر...) [١١] ويدعم ذلك في وضوح أبو اليد الأزرقي (ومجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها...) [١٢] .

ويجعل البكري المسافة يسيرة بين مجنة ومكة (مجنة على أميال يسيرة من مكة بناحية مر الظهران...) [١٣] .

وبهذا نكون قد اطمأننا إلى أن (مجنة) سوق بأسفل مكة أي باتجاه الشمال قرب جبل أصفر على مسافة بريد (أي ما يساوي اثني عشر ميلاً..) [١٤] ونحن مطمئنون إلى ثلاثة معطيات ستوصلنا إلى مكان السوق (جبل أصفر ، عين ماء ، ومسافة تقدر باثني عشر ميلاً نحو الشمال) ومن الضروري هنا استجلاء بعض المعطيات ولكن قبل الشروع إلى جغرافية السوق ، فبلال بن رباح تمنى ورود ماء مجنة كما يفيده نص البيت وما أشرنا إليه من نصوص يؤكد أنها "سوق".

فهل مجنة هذه سوق أم (عين) ؟

من الواضح أنه ليس هناك تضارب يثير الريبة بين الإشارتين إذ إنها من دون شك كانت في الأصل عيناً بالنظر لقدم النشأة الطبيعية ثم لما قامت السوق حولها اكتسبت هذا المسمى وغلب عليها ولا غرابة في ذلك فكثير من المواطن في الجزيرة العربية اكتسبت مسماها من مسمى عيونها. ومن المسلم به أنه من شروط قيام أي سوق أو حتى حاضرة بسيطة وجود الماء وهو ما توفر لهذه السوق فليس هناك تضارب بين كونها سوقاً أو عيناً.

نقف الآن على بعد اثني عشر ميلاً تقريباً إلى الشمال من مكة. وبالتحديد بوادي مر الظهران المعروف اليوم (بوادي فاطمة) وأصبح تحديد الجبل الأصفر أمراً لا مناص منه لأن السوق بجواره وهو الخيط الذي سيوصلنا إلى موقع السوق ، وقد كان لنا ذلك إذ لم نجد عناء في تحديد هذا الجبل فإذا هو بارز اللون بصفرته الواضحة وهو متوسط الحجم ذو امتداد طولي وحتماً سيكون ذلك الجبل إذ لم نجد جبلاً على قدر المسافة وبنفس الاتجاه إلا هذا الجبل (ذو اللون الأصفر) كما أشار المؤرخون . ولم أعثر على جبال بهذا اللون طوال بحثي حتى في مسافات أبعد من ذلك بكثير.

ولن تكتمل صورة المكان إلا بوجود "عين" تلك التي ذكرها بلال فيما كان يتمثل وكان ذلك أيضاً.. فملاحظة عين كان ممكناً بوجود آثار واسعة لمجرى عين غربي الجبل الأصفر وما حولها من أثر المزارع وجنان كانت متصلة ولعلها كانت من السعة بمكان وفي اللغة (ماء مجان كثير واسع) [١٥] ومما ساعدنا على ذلك رأي أبي الفتح في قوله (ويحتمل أن تسمى مجنة ببساتين تتصل بها وهي الجنان...) [١٦] وشاهد المكان يؤيد رأي أبي الفتح فهناك أثر

واضح لبساتين تحيط بالعين من جميع الاتجاهات وهذا يؤكد أن التسمية انطلقت أصلاً من سعة العين (مجان) وأما المنطقة بجبلها فتسمى (بالبرقة) والأصل مسمى الجبل (١٧) .

وبتحديدنا للمسافة ، والجبل الأصفر ، ومن ثم العين نكون قد وصلنا لموقع السوق ، فمن الطبيعي أن تكون السوق بقرب العين وعلى بسيط من الأرض يكون جلياً عند ملتقى القوافل (ولقد جرت العادة بأن يختار للسوق المشتركة بين القبائل مكان يمكن رؤيته من مسافة بعيدة ، عند ملتقى الطرق ، وفي أرض محايدة إن أمكن) (١٨) .

وهذا ما توفر لموقع السوق من شروط دفعتنا لتكريس البحث وفي أثناء البحث الميداني للجهات الأربع حول العين ظهر لي أن الجهة الشرقية من العين متصلة بالجبل الأصفر مع وجود منحدرات قوية وصخور ناتئة لا تسمح بوجود سوق وكذلك الجهة الشمالية لا توحي بانبساطها أما الجهة الجنوبية فقد تبين لي أنه مجرى "لوادي مر الظهران" بالنظر للتجويف الأرضي وانخفاضه الشديد وطبيعة الحصى الأملس ولذا نستبعد هذه الجهة .

وأقوى جهة مرشحة لقيام السوق هي الجهة الغربية من العين بسبب انبساط أرضها وسعتها ووضوح رؤيتها من جميع الاتجاهات بالإضافة لوقوعها مباشرة على خط التجارة الرابط بين مكة والشام وكلها عوامل تساهم في جدية الموقع .

إذا فالجهة الغربية من العين هي المكان المناسب لقيام السوق ولا تبعد كثيراً عن العين المذكورة .

تضاريس المكان :

من الضروري هنا التعرف على الطبيعية الجغرافية للمكان فموقع السوق الذي حددناه مكسو اليوم برمال متجمدة مع وجود أشجار صحراوية ، وكثبان رملية ويبدو لي أنها من صنع الإنسان .. وعموم المنطقة تظهر بها مبانٍ حجرية لا زالت واضحة المعالم . ويحاط الموقع اليوم بمناطق حاضرة السكان من أغلب الجهات ، بل لاحظت منازل بمحاذاة موقع السوق مباشرة وأخشى أن تطمر تحت الامتداد السكاني المتسارع وباستطاعة أي فرد أن يرى موقع السوق دون عناء فالصاعد إلى مدينة الطائف – طريق جدة – الجموم – يستطيع أن يشاهد الجبل الأصفر بعد الجموم مباشرة نحو الشرق حيث السوق المجاورة له . والخريطة توضح المكان بسهولة .

آراء أخـرى حول موقع السـوق :

هنا نتسـاءل... هل أجمع الرواة والمؤرخون كلهم على هذا التحديد الذي رسمناه ؟ الحق أنه ليس إجماعاً بل لابد من وجود اختلاف .

ومن أولئك الفاسي صاحب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام فبعد أن عرض لرأي القاضي عياض بقوله : (... فيكون مجنة من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي وهو نحو ثلاثين ميلاً وذلك بريدان أو أزيد .. والعيان يشهد بصحة ما ذكره القاضي في شامة وطفيل يكون الجبلان المعرفان عند الناس شامة وطفيل من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي...) [١٩] .

لعل الفاسي أراد مسمى آخر غير (سوق مجنة) ولو أن سياق النص لا يوحي بذلك لأنه لم يعترض على الأزرقي في كونها سوق ... ولكنه اعترض على المسافة الفاصلة بين مكة ومجنة .

أولاً : نقول : ليس بالإمكان أن تبعد سوق من أسواق مكة ثلاثين ميلاً أي مسيرة يومين . فمن أين يتوفر الوقت الكافي لإقامة السوق في العشرين من ذي القعدة بعد انصرافهم من عكاظ حتى يعودوا إلى ذي المجاز ومن ثم يتموا الحج .. لأن سوق مجنة كما نعلم تعقد بعد سوق عكاظ مباشرة في العشرين من ذي القعدة إلى هلال الحج .

ثانياً : وقع خلط عند الكثيرين "مجنة" " وشامة وطفيل " فالمسافة شاسعة "والواو" الواردة عند بلال في قوله :

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

لا تفيد الاقتران المكاني لجبلي شامة وطفيل بل هي مواطن بعيدة وشاهد العيان يؤكد ذلك أيضاً حتى شامة وطفيل ليست قريبة إلى هذا الحد الذي يربطهما ببعض. وقد وقع الفاسي في هذا الخلط .

ويضع الفاسي تبريراً غريباً للمسافة التي ذكرها الأزرقي بقوله : (ولعل الأزرقي أراد أن يكتب أن مجنة على بريدين من مكة فسها عن الياء والنون فكتب بريد...) [٢٠] حتى وإن

كانت بريدين فالمسافة : تتطابق تقريباً بدون لبس .

ثم إن اتهام الأزرقي بالسهو عن حرفين هو تحميل للنص أكثر مما ينبغي فليس من المتصور أن يحدث مثل ذلك ولماذا لم يسه غيره من المؤرخين عن الياء والنون كالأصمعي .

ثالثاً : من المعلوم أن أسفل مكة مما يلي التنعيم نحو الشمال وليس مما يلي الجنوب كما ذهب الفاسي ، فالنبي ﷺ كما في مسلم دخل مكة عام الفتح من أعلاها من جهة كدي وأعلاها نحو الجنوب وأسفلها مما يلي التنعيم .

أما قول : الدوادي (مجنة عند عرفة..) فقول لم يسنده نص ثم أن الداودي لم يحدد علماً بذاته أو مسافة ومثل هذا التعميم يحتاج إلى خصوصية تُقَويه .. وربما أراد أن السوق من مواسم الحج فهي لاتبعد كثيراً عن مواسم الحج المعروفة عند عرب الجاهلية. وقد اجتهد بعضهم في جعلها نحو بحرة وهذا محض اجتهاد أدبي لم يخضع لمعايير علمية واضحة أما من رأى مجنة جبلاً أو مكاناً أو موطن مياه فهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة فالإخباريون قديماً أجمعوا على أنها سوق ولم يجمعوا على خلاف ذلك ويمكن مناقشة ذلك في مجال بعيد يستثنى أن تكون سوقاً .

وما ذهب إليه محمد حسين هيكل بقوله: (ولكنه الراجح في شأن مجنة أنها كانت تقام بين الشرائع والجعرانة إلى شمالها...) [٢١] فهذا الرأي يحتاج إلى دقة أكثر في تحديد المكان . كما يحتاج إلى شواهد مكانية أو إخبارية تاريخية واضحة ، فلم يقدم هيكل من تلك الشواهد شيء ويمكن أن يندرج تحت العموم التاريخي دون أن يبعد كثيراً عن المكان الذي ذكرناه بهذا نكون قد اطمأننا إلى الموقع الذي أشرنا إليه وحددناه إذ لم نجد من يعترض على ما ذهبنا إليه ، والآراء التي اتخذت مساراً آخر لا يمكن أن تثبت أمام البراهين العلمية المحسوسة والاستنتاج العلمي المحض .. أما الافتراضات الأدبية فهي أقل بكثير من أن تصمد أمام الحجة العلمية والاستبصار الميداني المحسوس والشاهد المكاني الضارب بجذوره داخل التاريخ العربي .

زمن انعقاد السوق :

سوق مجنة من أسواق الموسم.. وعلاقتها بالحج علاقة مباشرة حيث ازدياد الحركة

التجارية وعدت الأسواق متجر العرب في الجاهلية (٢٢) ومن الطبيعي أن ترتبط بتاريخ محدد وزمن يكون معروفاً كي يتمكن الجميع من حضور السوق ... وبالتالي أداء مهامها التجارية وغير التجارية .. من شعر ونثر وعرض لفنون الأدب الجديدة . ومن الواضح أن دوراً تجارياً كانت تؤديه حتى بعد انفضاضها لأهمية موقعها التجاري .

وفي العشرين من ذي القعدة تبدأ فعاليات السوق كما يقول الأزرقي فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة ، فيقيمون به عشرين ليلة ، تقوم فيها أسواقهم بعكاظ .. فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة فأقاموا بها عشرا... (٢٣) .

ويؤكد الدكتور جواد ذلك (ويذهب الناس بعد سوق عكاظ إلى سوق أخرى هي سوق مجنة ، فيقيمون بها عشرة أيام فإذا رأوا هلال ذي الحجة في نهاية هذه الأيام العشرة قصدوا ذا المجاز ..) (٢٤) ومدة السوق عشرة أيام (وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرون منه قبلها سوق عكاظ ..) (٢٥) .

ولم يشذ عن ذلك التاريخ وزمن الانعقاد إلا أقوال ضعيفة لا تقوى على الصمود أمام ما ذكرناه من نصوص قاطعة وواضحة في تحديد زمن الانعقاد ومدته وهي عشرة أيام كانت كافية لإحداث تبادل تجاري وأدبي واجتماعي واسع كان لهذه السوق نصيب جيد ودور رئيس تلعبه مع مثيلاتها من الأسواق ، بهذا فالسوق تتمتع بجانب أمني كبير بالنظر لانعقادها في الأشهر الحرم وهذه ميزة جيدة مكنت السوق من أداء مهامها بيسر وسهولة . ولعل قربها من الحرم ساعدها كثيراً في استمرار أمنها ولم تذكر المصادر أي اختراقات أمنية كما حصل لعكاظ ، وقد كتب لها أن تعيش زمناً أطول من عكاظ كما سنعلم .

دورها التجـاري والأدبـي :

لا يمكن الفصل بين التجارة والأدب في أسواق العرب فقد تلازمت تلازماً واضحاً يصعّب عزلهما عن بعض ، وتقع سوقنا هذه في منطقة ذات أهمية تجارية وأدبية ودينية كبيرة لقربها من مكة ووقوعها مباشرة على الخط التجاري الكبير بين مكة والمدينة المدينتين المزدهرتين تجارياً وأدبياً ، وهذا الموقع مكّنها من خصوصية لم تتوفر لأسواق أخرى مجاورة ولهذا فهي تنفرد بأهمية الموقع ، ومما أقره القرآن رحلات قريش في الشتاء والصيف ورحلة

الصيف هذه كانت تحظى بأهمية كبيرة بالنسبة لسوق "مجنة" بسبب حتمية مرور هذه القوافل على السوق كمحطة للتزود واستيفاء متطلبات القوافل... لأن استمرار السوق كان طبيعياً طوال العام إذ ليس من المتصور أن يقتصر نشاطها على زمن انعقادها "عشرة أيام" فلابد أن تبقى السوق الأصلية الثانية تؤدي دورها.. أما زمن انعقادها فيشير إلى زيادة النشاط وكثافته لا إلى حصره فقط بهذه المدة الزمنية ولعل استراتيجية المكان فرضت نوعاً من الأهمية لهذه السوق انعكست بالتالي لصالح مكة وخاصة سوق "مجنّة" أكبر الأسواق القريبة من مكة .

(... وساعد موقع الحجاز بين الشام واليمن على طريق التجارة بين الشمال والجنوب على قيام مدن تجارية ينزلها التجار ويحطون بها للراحة ، فازدهرت مكة والطائف ويثرب . وهناك عامل آخر ساعد على ازدهار هذه المدن وهو قربها من الأسواق التجارية المشهورة التي كانت تعقد في الأشهر الحرم لتأمين الناس في أثناءها على أموالهم وأنفسهم مثل سوق عكاظ وسوق مجنة ...) [٢٦] .

ولعل للجانب الأمني بحكم انعقادها في الأشهر الحرم أكبر الأثر في نمو هذه السوق وازدهارها وهذا الجانب لم تتمتع به سوق عكاظ التي شهدت أربعة أيام من أيام العرب المشهورة .

وإلى الجانب التجاري الجانب الأدبي الذي كانت تشهده السوق لأنه ليس بالإمكان أن ينحصر دورها في البيع والشراء فلابد من أدبيات لازمت التجارة ويجب ألا ننظر إلى هذه الأسواق نظرتنا إلى السوق لمفهوم من اللفظة في الوقت الحاضر فقد كانت أسواق الجاهلية أوسع مجالاً من ذلك بكثير...) [٢٧] هذه الشمولية لا تعد أسواق العرب ومن بينها "مجنّة" سوق تجارة فقط بل إلى جانب التجارة الأدب الذي هو قرين المجامع دائماً .. ولم يسعفنا التراث بنصوص أدبية معينة شهدتها تلك الأسواق ولكنها دون شك (كانت مجامع لأهل اللسان من شعراء ومن خطباء..) [٢٨] ومع ذلك لم يحتفظ لنا التراث بقدر كاف من تلك الأنشطة الأدبية والمفاخرات بالأسواق حتى نستطيع الحكم بوضوح على مجريات الأنشطة الأدبية ، حتى نثرية قس بن ساعدة الأيادي التي قيل إنه ألقاها بعكاظ لم ترو بسند صحيح (وقد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة .. وطرقه كلها ضعيفة..) [٢٩] ومجنة جزء

من أسواق العرب شهدت ما شهدته أسواق العرب الأخرى من شعر ونثر وتفاخر ، وعدم وجود نص أدبي ورد فيها لا يقلل من شأنها الأدبي لأن الأخبار التي وردت حتى في أشهر سوق "كعكاظ" شحيحة وتحتاج إلى تدقيق .

سوق مجنة في الإسلام :

ثبت قطعاً أن الرسول ﷺ (قد شهد سوق مجنة قبل الهجرة وعرض رسالته الإسلامية في ذلك المجمع وغيره) ... فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : "مكث رسول الله ﷺ بمكة سبع سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم ..." (٣٠) .

وهكذا تتشرف مجنة بدعوة الرسول الكريم ﷺ وتشارك مشاركة مباركة في إرساء الدعوة النبوية ولولا أهمية التجمع الذي كانت تشهده لما وصل إليها الرسول ﷺ ودعا الناس فيها إلى اتباعه وهنا يجدر بنا أن نناقش رأياً لمحمد حسين هيكل أورده في كتابه "في منزل الوحي" يقول هيكل : (ثم إن مجنة لم تكن ذات أثر في الأدب العربي ولا في التاريخ العربي كما كانت عكاظ ، فهي لم تزد على أنها سوق في جوار مكة...) (٣١) .

إن سوقاً شهدت دعوة الرسول الكريم داعياً فيها إلى رسالته العالمية ويمكث بها العرب عشرة أيام من كل عام بقضهم وقضيضهم ومفاخراتهم لا يمكن أن تكون بهذه البساطة وضعف التأثير .. وهنا نورد ما ذكره الأفغاني عن سوق مجنة بقوله : (ويقصدها العرب بقضهم وقضيضهم بعد ان تنفض سوق عكاظ يتممون فيها ما قصدوا فيها من تجارة وفداء وتفاخر...) (٣٢) .

ثم يقول: (ومجنة وعكاظ وذو المجاز تستوي في نظر المحرمين من العرب وتتمتع منهم جميعاً باحترام واحد...) (٣٣)

ولو كانت محدودة الأثر لأغفلها التاريخ العربي والإسلامي ولأسقطها التراث ... وما حصل هو العكس فقد وردت في نصوص كثيرة وهذا خير دليل على قدرتها وتماسكها... وسنعرف أنها استطاعت البقاء أكثر من غيرها وتمكنت من الصمود أكثر من سوق عكاظ كما سنعلم بعد قليل . وظلت تجارتها قائمة في الإسلام بعد أن رفع الله الحرج التجاري في أثناء الحج كما في سورة البقرة ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ (٣٤) .

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كان متجر الناس في الجاهلية عكاظ ومجنة وذا المجاز فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت الآية القرآنية التي رفعت الحرج " . لقد رفع الله الحرج وبقيت هذه السوق تؤدي دورها كجزء من حركة الموسم بعد الإسلام .

استمرارها التاريخي :

استمرت هذه السوق تؤدي رسالتها وتقاوم الانقراض ، حتى كتب لها أن تعيش زمناً قياسياً بالمقارنة لما تعرضت له الجزيرة العربية بعد الإسلام من تغيرات عظيمة في كافة نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية واستمرت هذه السوق إلى ما بعد سنة مائة وتسع وعشرين كما يقول الكلبي :

(وكانت هذه السوق بعكاظ ومجنة ، وذي المجاز قائمةً في الإسلام حتى كان حديثاً من الدهر فأما عكاظ فإنما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الإباضي في سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن ، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة ..) (٣٥) . نص الكلبي يشير بوضوح إلى استمرارها التاريخي إلى ما بعد سوق عكاظ ولا نعرف الفترة ولكن استمرارها التاريخي بعد عكاظ كما يفيد الكلبي يعني أنها بقيت إلى ما بعد سوق عكاظ ، كما أثبتت تفوقها ، "الاستمراري" وكتب لها من البقاء ما يجعلها تتباهى على مثيلاتها وتفخر بصمودها أمام الرياح الشديدة التي عصفت بغيرها من الأسواق .

تواري (مجنة) :

مثل غيرها من أسواق العرب تأثرت تأثيراً كبيراً بالنقلة الحضارية الواسعة التي شهدها العرب بعد بعثة الرسول ﷺ ولن تبعد عن هذا التأثير الخطير ، بل مسّها مسّاً مباشراً ومن أسباب اندثار السوق وتواريها.. الاستتباب الأمني الذي شهدته الجزيرة العربية فأصبح تداول التجارة في كافة شهور السنة أمراً ميسوراً دون قيود أمنية إذ لم تعد الحاجة إلى الأشهر الحرم.. (بل صاروا يتجهون إلى المواقيت المعينة للحج رأساً ، فيتّجرون بمكة ويعودون إلى ديارهم . فقلّتْ بذلك أهمية تلك الأسواق حتى ماتت..) (٣٦) . كما كان للانتصارات الإسلامية الواسعة واتجاه العرب نحو هذه الفتوحات دور في فتور جذوة هذه الأسواق (ومن هنا قلّ

شأن هذه الأسواق شيئاً فشيئاً وعجّل بنهايتها انتصار الإسلام المبين) [٣٧] لهذا وجد العرب في الأمصار الجديدة ما يشغلهم عن هذه الأسواق من جهاد وإدارة عسكرية ومالية... ثم تنسحب هذه السوق في هدوء من مسرح الأحداث بعد حياة صاخبة.. وودنا لو عرفنا تاريخاً يضبط هذه النهاية إلا أن ذلك لم يتيسر بوضوح .

وما ذهب إليه الكلبي يمكن أن نستأنس به .

بهذا نكون قد استجلبنا صورة واضحة عن هذه السوق ومكانتها بين أسواق العرب... وهذا الاستجلاء جاء بعد زمن من الاندثار والتواري تحت قضبان التراث والانزواء في مظان الكتب نقرأها ولا نعرف عنها إلا مسماها... ولكن قوة العمق التاريخي وأصالتها جعلتها تتحدى كل تلك العوامل لتطل علينا علماً مكانياً يرفض النسيان ، ويتباهى بخصوصيته ويستشعر التاريخ بحساسية نافذة كي تفرض هذه السوق خصوصيتها على مسار الذهن العربي بنتوءات صلبة في حائط التراث .

آمل أن نكون قد عرفنا من خلال هذه العجالة سوقاً كنا نجهل الكثير عنها وإننا عازمون على سبر أغوار هذه السوق وإعداد بحث علمي متكامل متى ما تيسّر لنا الوقت الكا في .

والله الموفق ،،،

خلاصة البحث

وباستيضاح كل تلك المعطيات السابقة ، نكون قد توصلنا إلى النقاط التالية :

أولاً : مجنة سوق من أسواق العرب في الجاهلية والإسلام يقع بمر الظهران المعروف اليوم "بوادي فاطمة" وبمكان يسمى "البُرقة" بضم الباء إلى الشمال من مكة وعلى مسافة نصف ساعة بالسيارة والوصول إلى المكان اليوم ليس فيه مشقة .

ثانياً : إنه لا علاقة بين جبلي "شامة وطفيل" و "مجنة".

ثالثاً : تعقد هذه السوق في العشرين من ذي القعدة إلى رؤية هلال ذي الحجة ومدة السوق عشرة أيام .

رابعاً : إنها حظيت بتشريف الرسول ﷺ لها ودعوته للناس بها .

خامساً : جمعت بين التجارة والأدب كسائر أسواق العرب .

سادساً : أنها مع بقية الأسواق تستوي في نظر المحرمين العرب وتتمتع منهم جميعاً باحترام واحد .

سابعاً : إن انتصار الإسلام الواضح وانشغال العرب بالجهاد وفتح أسواق جديدة خارج الجزيرة العربية أدّى إلى اندثارها بعد حياة حافلة استمرت إلى ما بعد سنة ١٢٩هـ .

المصادر والمراجع

١- الفرقان - الآية ٧ .

٢- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ، ج ٧ ، ص ٣٦٥ .

٣- معجم ما استعجم للبكري ، ج ٢ ، ص ١١٨٧ .

٤- معجم البلدان للحموي ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

٥- أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي ،ج ٢ ، ص ١٩٠ .

٦- البكري ، ص ٩٥٩ .

٧- الحموي ، ص ٥٨ .

٨- البكري ، ص ١١٨٧ .

٩- شرح أشعار الهذليين - للسكري ، ج١ ، ص٩٤ .

١٠- الحموي ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

١١- البكري ، ص ١١٨٧ .

١٢- أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

١٣- البكري ، ص ١١٨٧ .

١٤- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

١٥- القاموس المحيط ، ص ١٥١١ .

١٦- البكري ، ج ٢ ، ص ١١٨٧ .

١٧- ومسمى البرقة مسمى حديث ولعل التسمية جاءت من تداخل الألوان واختلافها .

١٨- دائرة المعارف الإسلامية.. مادة سوق ص ٣٨٢ .

١٩- شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

٢٠- السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

٢١- في منزل الوحي - محمد حسين هيكل ، ص ٣١٨ .

٢٢- تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

٢٣- الأزرقي ، ج١ ، ص ١٨٨ .

٢٤- جواد علي ، ج ٧ ، ص ٣٨١ .

٢٥- الحموي ، ج ٥ ، ص٥٩ .

٢٦- تاريخ العرب في عصر الجاهلية - السيد عبد العزيز سالم ، ص٣٤٥ .

٢٧- جواد علي ، ج ٧ ، ص٣٨٣ .

٢٨- السابق ، ج٧ ، ص٣٨٣ .

٢٩- السيرة النبوية لابن كثير ، ج١ ، ص١٥٣ نقلاً عن ابن حجر العسقلاني .

٣٠- البكري ، ج ٢ ، ص٩٦٠ .

٣١- في منزل الوحي ، ص ٤٠٩ ,

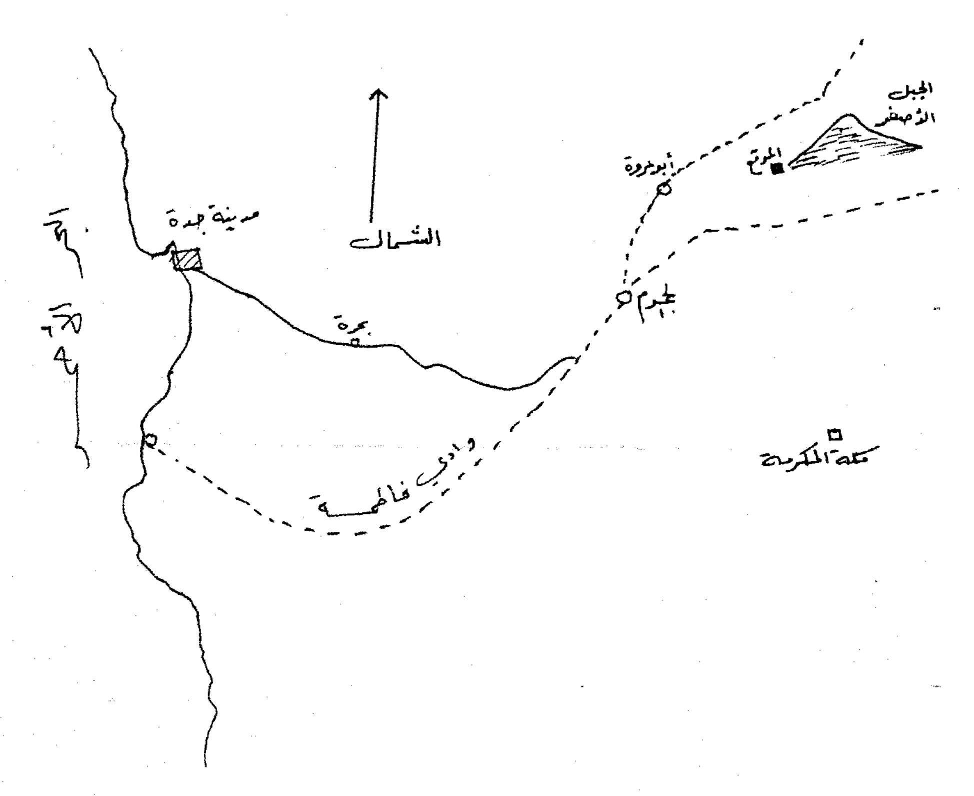
٣٢- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام - سعيد الأفغاني ، ص٣٤٥ .

٣٣- البقرة الآية ١٩٨ .

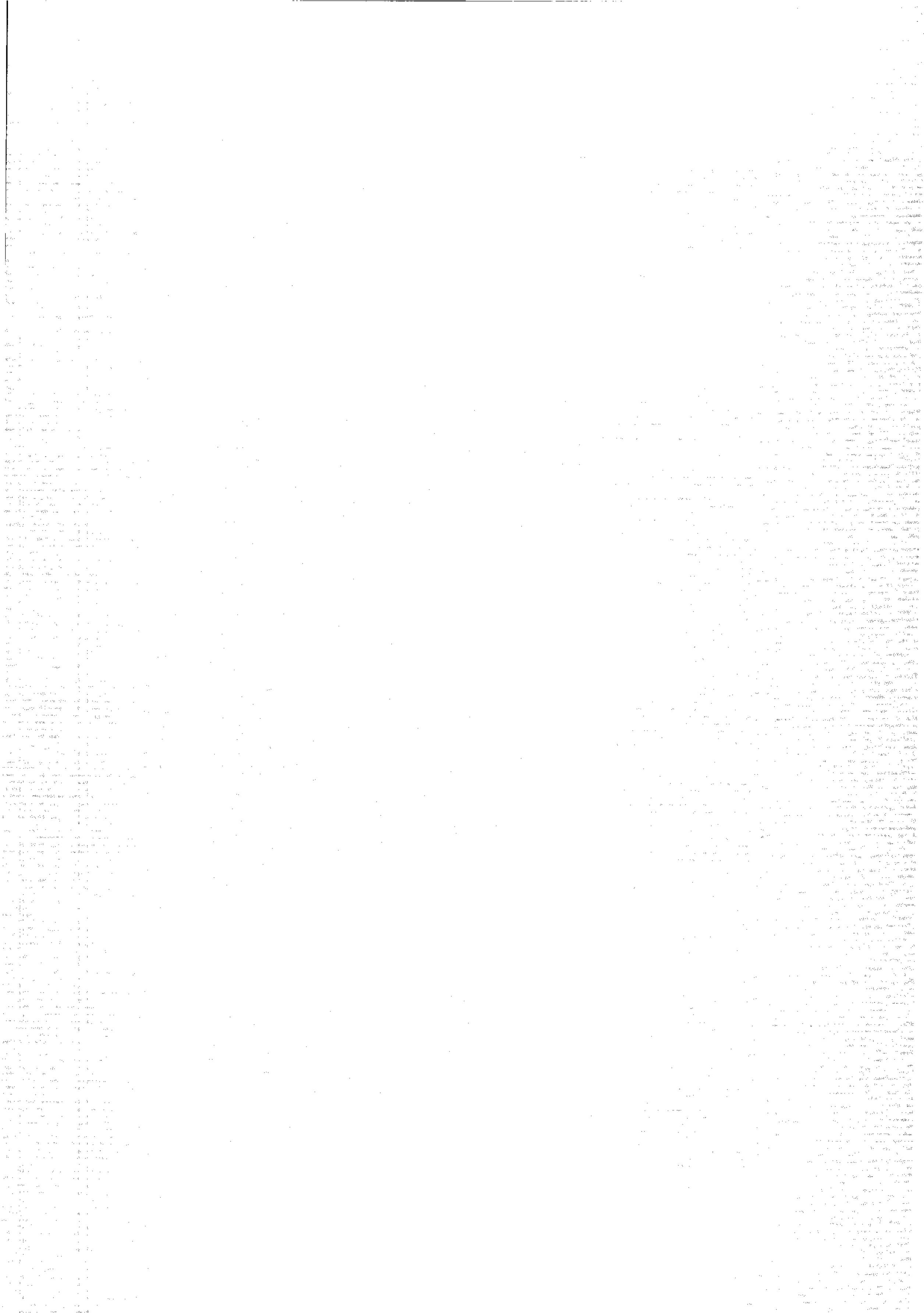
٣٤- البكري .

٣٥- الأزرقي ، ج ١ ، ص١٩٠ .

٣٦- جواد علي ج ٧ ، ص٣٨٥ .



خريطة توضيحية تشير إلى موقع السوق بالقرب من الجبل الأصفر



أمـن المتـاحـف السـعودية

لواء متقاعد : محمد بن إبراهيم الجنوبي (*)

مقـدمـة :

أمن المتاحف .. هاجس الجميع ، وقد اهتمت حكومة المملكة العربية السعودية بالآثار منذ مـدة طويلة وعـزز ذلك صـدور الأمـر السـامي الكريم ٧٢٧ وتاريخ ٨ / ١١ / ١٣٨٣هـ الذي يقضي بإنشاء إدارة للآثار بوزارة المعـارف ومن ثم صدور المرسـوم الملكي رقم ٢٦م وتاريخ ٢٣ / ٦ / ١٣٩٢هـ بالموافقة على نظام الآثار والمتاحف حيث تم تشكيل المجلس الأعلى للآثار لغرض تحديد ورسم الخطوط العريضة لنشاط إدارة الآثار والمتاحف والإشراف على منجزاتها وقد توجهت هذه المنجزات بإنشاء مركز الملك عبد العزيز التاريخي الذي يضم دارة الملك عبد العزيز وقصر المربع والمباني التراثية والمتحف الوطني ومنشآت أخري .

كما لم تعد المتاحف وسيلة أو مكان للتسلية والترفيه ولكنها سجل تاريخ وحضارات الشعـوب والأمم .. وأصبحت تصنف في المراتب الأولي بين المنشآت الحيوية الأخرى يمكن تعويض ما يفقد منها أو يتلف سواء كانت مستندات أو أجهزة أو حتى أوراق نقدية ، والمتاحف لا يمكن بأي حال أن يعوض ما يتلف أو يفقد منها على الإطلاق لأن كل قطعة أو وثيقة موجودة في المتحف تختلف عن مثيلاتها سواء كان ذلك في العمر الزمني ، أو الحجم ، أو الشكل أو حتى طريقة الصنع ، فهي إذاً واحدة فقط لا يوجد مثيل لها على وجه الأرض وبالتالي فإن تعويضها مستحيل .. ومن هنا تأتى الأهمية القصوى لتأمين حماية المتاحف وأمنها على أعلى درجة من الانضباط والسيطرة .. ودراسة كل شاردة وواردة تتعلق بهذا الأمر حتى لا يترك للظروف أو أن يأتي التحرك بعد فوات الأوان .

إن أمن المتاحف لم يعد أمراً عشوائياً خاضعاً للتقدير الشخصي أو العمل حسب مقتضيات الحال ، ولكنه أمر تستوجب دراسته ووضع الخطط اللازمة والكفيلة بحماية هذه المنشآت على مدار الساعة .. والمتاحف لم تعد فقط صالات للعرض ولكنها أصبحت تضم

(*) لواء متقاعد .

مختبرات للترميم والصيانة وأماكن للتخزين تحتوي في الغالب على أكبر قدر من العينات ربما أكثر من الصالات .. بالإضافة إلى الأرشيف وقاعة البحث وصالات العرض المؤقتة والمكتبات وأقسام الرسم والوسائل التعليمية .

ولكل ما تقدم فإن أمن المتاحف لابد أن يلقي من الاهتمام ما يتناسب وهذه المكانة الرفيعة التي تتجسد في سرد حضارة الأمة عبر السنوات وحفظها والدور العلمي العظيم الذي يتيح للدارسين والباحثين وكل مواطن المعلومات الجيدة موثوقة المصدر والمنشأ عن تاريخ وحضارة أمتهم .

ولقد اهتمت وزارة المعارف بالآثار منذ صدور التوجيهات السامية الكريمة وعملت على صيانة الآثار وحمايتها بالإضافة إلى تحويل بعض القصور والمباني إلى متاحف .. وينقسم أمن الآثار إلى قسمين هما :

١- أمن الآثار في مقرها الأصلي .		٢- أمن المتاحف حيث تعرض الآثار .

وكل قسم من هذه الأقسام إعداداً خاصاً وتنظيماً مستقلاً .

فالقسم الأول : يهدف إلى حماية الأثر في موقعه حيث يتم وضع السياجات اللازمة للموقع بعد أن تحدد المساحة من قبل ذوي الاختصاص من خبراء ومساحين ومن ثم ملاحظة موقع الأثر والإشراف على أوقات الزيارة المسموح بها وتحديد المناطق التي يمكن للسواح أو الزوار رؤيتها أو التحرك فيها بالإضافة إلى حماية الموقع من عبث العابثين وضعاف النفوس ووضع اللوحات الإرشادية الضرورية بالإضافة إلى معدات السلامة اللازمة والاهتمام بالنواحي الأمنية الضرورية في حالة نقل الآثار من مواقعها إلى المتاحف وكذلك الخطط الأمنية لزيارة كبار الشخصيات وما يتطلبه الأمر من توفير الأمن اللازم لهم .

أما القسم الثاني : فهو أمن المتاحف وهو أمر ليس بالهين فأمن المتاحف هو مسؤولية كبيرة وتحتاج إلي جهود كبيرة وملاحظة دقيقة من قبل الحراس والعاملين وهو مزيج من أمن المصارف والمنشآت الحيوية وهو ما سوف يتم التركيز عليه من خلال هذا البحث إن شاء الله .

والله الموفق

أهداف البحث :

هذا البحث ليس الأول ولن يكون الأخير في هذا المجال ولكن لمعايشتي للأمر عن قرب بعد أن توليت أمر الإشراف على أمن مركز الملك عبد العزيز التاريخي الذي يضم دارة الملك عبد العزيز وقصر المربع والمتحف الوطني ومنشآت أخري وأصبح جزءاً من أهم أولوياتي كعمل رسمي تقوم به شركتي (شركة الحراسات الأمنية وأنظمة السلامة المتطورة) لذا كان لابد من دراسة الوضع بصورة دقيقة وعمل الترتيبات اللازمة لحماية واحدة من أهم المنشآت الحيوية في بلادنا الغالية وزادي في ذلك خبرة طويلة في المجال العسكري بالإضافة إلى المشاهدات والقراءات التي رصدتها خلال سنين عملي وما بعدها .. وآثرت أن لا يكون آنياً ينتهي بدراسة الحالة الأمنية الراهنة ووضع الحلول المناسبة حسب ما يقتضيه الحال ، بل تجاوزته لوضع خطة شاملة تصلح بمشيئة المولى عز وجل لأن تكون مرجعاً وأساساً لأي خطة مستقبلية لكل المتاحف الموجودة وحتى بعض المنشآت الحيوية الأخرى .

إذا هذا البحث يهدف من ضمن ما يهدف إلى لقاء الضوء على بعض النقاط الهامة التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند مناقشة الأمور المتعلقة بالمتاحف بصورة عامة وأمنها بصورة خاصة ، فالمتاحف لم تعد مظهراً من مظاهر الترف الاجتماعي ولا الزينة المعمارية للبلاد ولكنها أصبحت صروحاً تعليمية وثقافية وتربوية بالإضافة إلى كونها محاضر تاريخ وحضارات أمم . ولابد من التمعن جيداً في أمور عدة عند التفكير في إنشاء المتاحف أو حمايتها .. والقصد هو إلقاء الضوء على النقاط الأساسية والهامة دون الفصل بينهما في البداية آخذاً في الاعتبار تفصيل النواحي الأمنية في جزء آخر منه .

الجزء الأول ((أمن المتاحف)) :

عند التفكير في إنشاء المتاحف يجب التمعن جيداً والتركيز على تأمين الموقع وحمايته ، ولقد أثبتت الدراسات التي تناولت أمن المتاحف أن أفراد الحراسة العاملين في أمن المتاحف يحتاجون إلى أجهزة ووسائل ومعدات تساعدهم على القيام بعملهم على أكمل وجه ومن هذه الأجهزة :

١- أنظمة المراقبة الداخلية عن طريق الدوائر المغلقة وكاميرات المراقبة والأجهزة الإلكترونية المساعدة .

٢- أنظمة الإنذار الأولية وبوابات التفتيش .

٣- أنظمة مكافحة الحريق وسلامة الموقع الأمنية .

٤- وضع خطط أمنية تغطي كافة المتطلبات الحيوية .

الجزء الثاني (الموقع) :

للموقع أهمية بارزة وهامة في عملية إنشاء المتاحف فلابد أن تتوافر فيه سمات أساسية سواء كان مبنى تاريخي قديم أو حديث يتم إنشاؤه للغرض نفسه وهذه السمات :

أ - سهولة الوصول إليه .

ب - يحتل مساحة كافية لإنشاء المرافق الأساسية ومرافق الخدمات المساندة .

ج - نوعية المباني المجاورة وتأثيرها على المرفق من كافة النواحي وخاصة الأمنية .

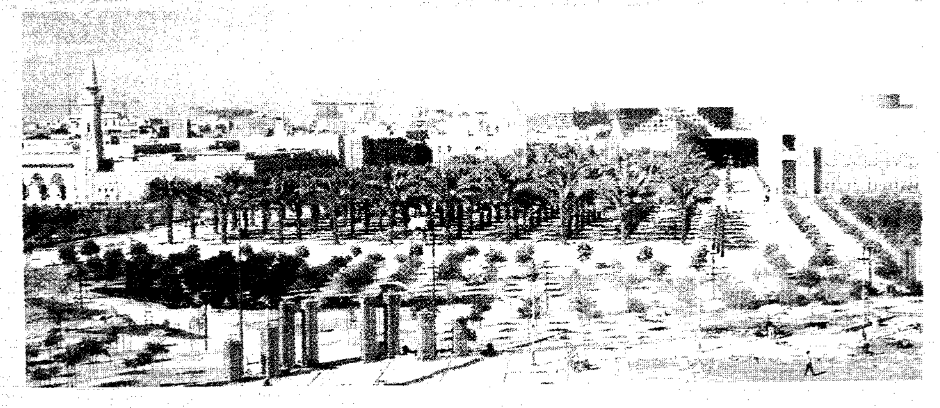
د - تأثير الأحوال الجوية على المباني عموماً وعلى المرفق بصورة خاصة .

هـ - رصد الأخطار المحتملة للموقع سواء كانت طبيعية أو غيرها .

و - دراسة المبنى إنشائياً ومدى إمكانية توافقه مع متطلبات إنشاء المتحف إذا كان المبنى من المباني القديمة مع الأخذ في الاعتبار الحفاظ على طابع البناء الخاص به وصيانته باستمرار .

ز - وضع الخريطة الأمنية وخارطة أجهزة الأمن والسلامة وأجهزة الإنذار عند بداية الأعمال الإنشائية مع وضع كل احتمالات الزيادة العددية أو النوعية أو التوسعات المحتملة .

ح - مراعاة حركة المرور المجاورة للموقع بوضع المداخل والمخارج في أماكن تجعل الحركة من وإلى الموقع انسيابية وفي نفس الوقت يمكن تقييدها وحصرها خلال زيارات كبار الشخصيات والوفود الرسمية دون أن يؤثر ذلك على حركة المرور حول الموقع .



مركز الملك عبدالعزيز التاريخي

الجزء الثالث (١- التشغيل) :

من المسلم به أن أي منشأة يراد لها النجاح لابد وأن تدار من قبل إدارة أو جهاز فني متمرس وله الدراية والخبرة الكافيتين لإنجاز العمل بصورة مرضية . ونسبة لأهمية المتاحف بصفة خاصة لابد من الاستعداد قبل فترة كافية بما يلي :

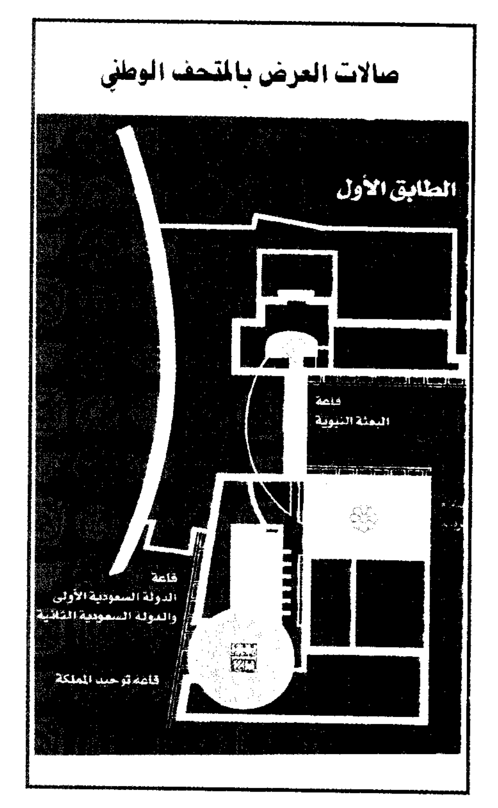
أ – هيكل إداري وتنظيمي يسهل كل الأعمال التي تدخل في نطاقه .

ب – تدريب العاملين تدريباً عالياً وتوفير الإمكانيات التي تساعدهم على أداء أعمالهم بسهولة ويسر .

ج – وضع الخطط اللازمة لجعل المتحف قادراً على النهوض بأعبائه وتصريف شئونه .

د – التنسيق التام مع الجهات الأمنية الرسمية .





الجزء الثالث (٢- الحماية الأمنية للمتحف) :

تعتبر الجهة الأمنية المكلفة هي عصب العمل داخل المتاحف وهي تضطلع بمهام كثيرة متداخلة مع بعضها البعض ومترابطة وتتطلب جهوداً كبيرة لإحكام السيطرة التامة على الموقف فهي بالإضافة لكونها حماية منشأة حيوية فهي أيضاً :

أ – حماية لكبار الزوار والشخصيات الهامة الزائرة .

ب – حماية الزوار العاديين .

ج – توعية وإرشاد الزوار وتوجيههم .

د – حماية الآثار من عبث بعض الزوار ، وهذا يتطلب تجهيزات إضافية لإبعاد الزوار عن الآثار قدر المستطاع .



معالي وزير المعارف خلال تفقده لمقر المتحف الوطني

الجزء الثالث (٣- شروط توظيف حراس الأمن) :

وللقيام بهذه المهام بصورة مرضية هناك ركيزة أساسية لابد من الاهتمام بها اهتماماً أساسياً وهي حارس الأمن .. إضافة إلى تدريب الحارس تدريباً جيداً وكافياً فإنه لابد من توافر شروط ومواصفات أساسية يجب التأكد منها ، قبل توظيفه وخلال فترة التدريب وهي :

١- الأمانة في أداء الواجب وفي الممتلكات التي في عهدته وحفظ الأسرار .

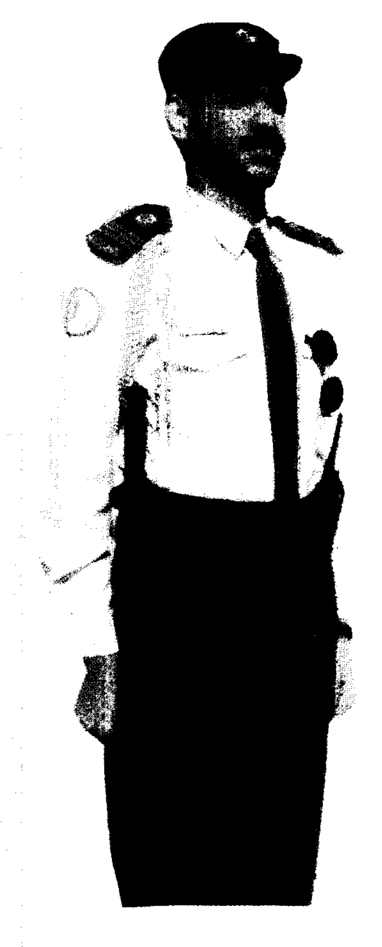
٢- الانضباط في جميع التصرفات والتقيد بالأنظمة .

٣- المهارة وسرعة التصرف خاصة في مجال السلامة .

٤- المعرفة بآخر التطورات في مجالي الأمن والسلامة وما يتبع ذلك من معرفة جيدة بجميع الأجهزة المستعملة في المجالين قديمها وحديثها .

٥- سعة الصدر وقوة الاحتمال .

٦- الحضور الدائم ومعايشة الأحداث .





٧- الإيجابية وبذل الجهد .

٨- القدرة على اكتساب الاحترام من الجميع .

٩- الحصافة وقوة الشخصية .

١٠- المقدرة على اتخاذ القرار والتصدي والسيطرة .

١١- الشجاعة .

١٢- قوة الملاحظة واليقظة والحذر .

١٣- القدرة على اكتشاف نقاط الضعف ومصادر الخطر ومقدمات الحوادث لتجنبها .

١٤- المقدرة على التحليل والتقييم الصحيح .

١٥- قابلية العمل الجماعي والقدرة على التنسيق .

كما أنه يجب مراعاة التعليمات الصادرة من وزارة الداخلية والخاصة بشروط تعيين حراس الأمن والتي تشمل خلو صحيفته من السوابق الجنائية والتعريف عليه من قبل جهات موثوق بها .

الجزء الثالث (٤- الأجهزة والمعدات) :

رغم أن العنصر البشري هو أهم أركان الناحية الأمنية وحجر الأساس الذي ترتكز عليه العملية بكاملها فإنه لابد من تزويده بالأجهزة والمعدات داخل وخارج المواقع حتى يتسنى لرجل الأمن القيام بواجبه بصورة جيدة تتناسب وأهمية الموقع على سبيل المثال :

(١) أجهزة الإنذار وهي نوعان :

أ - أجهزة الإنذار المرتبطة بمخارج الطوارئ والمرتبطة بكاسرات الزجاج وحالات الحريق

ب - أجهزة الإنذار المرتبطة بالمعروضات بواسطة حساسات .

(٢) كاميرات المراقبة :

على أن تقوم بتغطية كل المواقع الحساسة داخل وخارج المبنى والتي تحتاج لمراقبة دائمة

(٣) بوابات إلكترونية :

وتستخدم لكشف المعادن والأسلحة .

(٤) كشافات ضوئية يدوية :

على أن تكون بحوزة الحارس طوال الوقت لاستخدامها عند أي طوارئ .

(٥) أجهزة السلامة ومكافحة الحريق :

وتشمل الطفايات الثابتة والمتحركة بالأحجام المطلوبة بالإضافة إلى خراطيم المياه وكمامات الغاز .

(٦) صناديق الإسعافات الأولية :

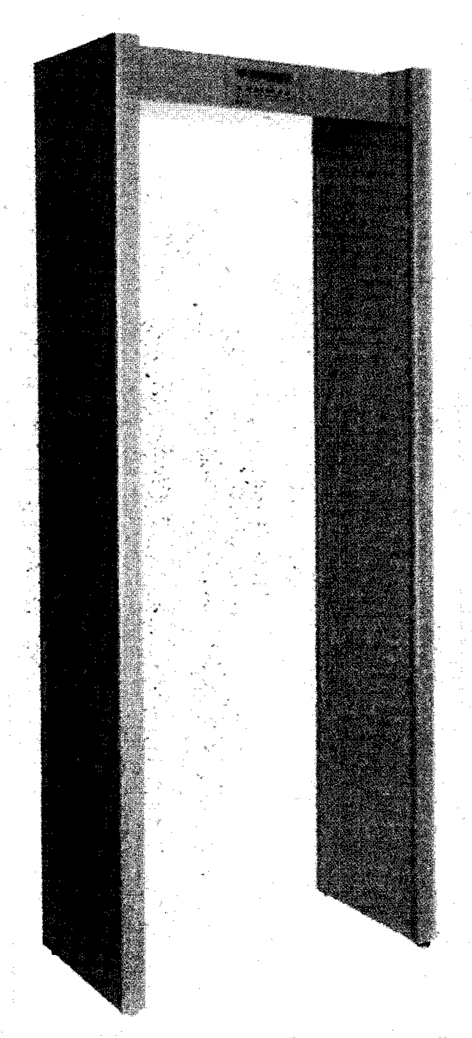
ويتم توزيعها داخل المبنى في مناطق مختلفة مع التركيز على المناطق الأكثر خطورة كالمعامل مثلاً وينبغي أن يزود الموقع بمولد كهربائي احتياطي مناسب لاستخدامه عند انقطاع التيار الكهربي العادي أو في الحالات الطارئة .

وهناك أنظمة حديثة يمكن وضعها في الاعتبار واستخدامها مستقبلاً لزيادة تأمين وحماية الموقع وهي على سبيل المثال :

أ – نظام الأشعة المنعكسة الموصولة بجهاز

نموذج للبوابات

المستخدمة فى كشف المعادن



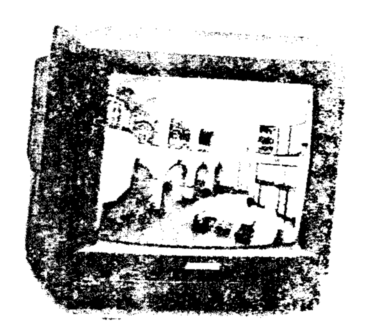


إنذار الذي يبـدأ فـي العـمـل بمجــرد قطعها عند مرور أي شخص .

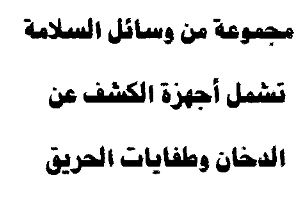
ب – المنظم الآلي لكشف كـسـر زجـاج النوافذ .

ج – اسـتـخـدام الفخ بواسـطة الأشـعـة في الممرات والسلالم .

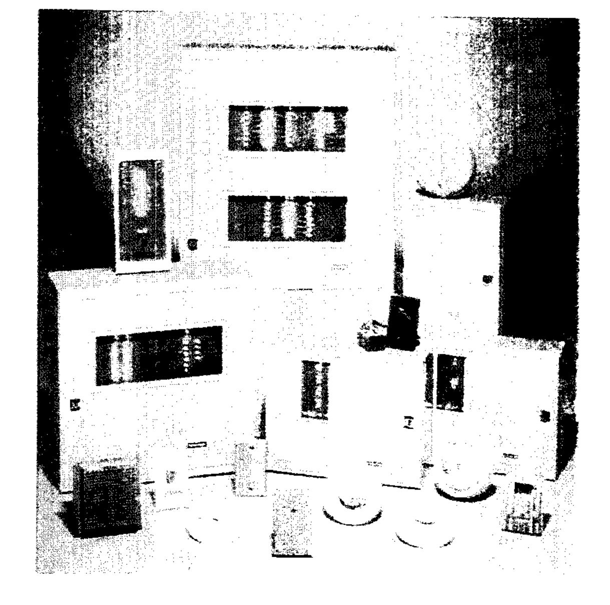
د – القـوة الحـرارية وهـي الحـرارة التي تنتج من جسم الإنسان .

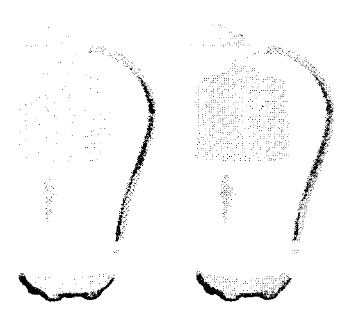


نموذج لكاميرات مراقبة حديثة



مجموعة من وسائل السلامة تشمل أجهزة الكشف عن الدخان وطفايات الحريق





الجزء الرابع (١- الخطط الأمنية) :



الخطط الأمنية يمكن تقسيمها إلى عدة أنواع وذلك حسب الموقع والظرف ولكن يهمنا هنا ثلاثة أنواع فقط وهي :

(أ) الخطة الأمنية لكبار الزوار والوفود الرسمية وفي هذه الخطة لابد أن يتم التنسيق الكامل مع الجهات المختصة وفيها يتم التنفيذ كما يلي :



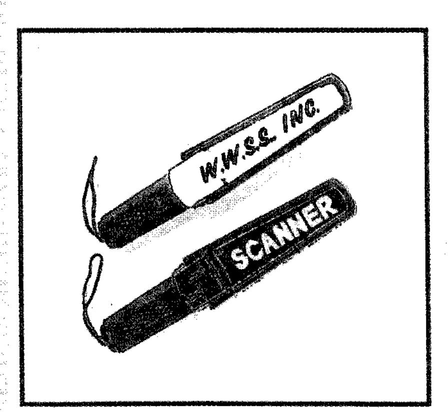
١- إقامة الحواجز أمام وحول المبنى وتنظيم حركة المرور .

٢- تأمين البوابات بالحراسة المشددة وعدم السماح بالدخول .

٣- التأكد من الهويات لجميع الموجودين قبل فترة كافية من موعد الزيارة .

٤- تأمين جميع المصاعد والسلالم العادية والكهربائية .

٥- تأمين مخارج الطوارئ من الداخل والخارج .



٦- عدم السماح بدخول أي شخص غير مصرح له .

٧- إجراء التفتيش اللازم على الأشخاص عند الدخول .

٨- تأمين القاعات وتفتيشها بدقة قبل فترة كافية من الزيارة والحرص على إبقائها مغلقة حتى موعد الزيارة مع إبقاء



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز والسفير الأمريكي أثناء افتتاح معرض هدية الصداقة

الحراسة عليها من الداخل والخارج .

٩- الربط والتنسيق بين المجموعات بواسطة أجهزة اللاسلكي والأفراد المتجولين .

١٠- التأكد من وجود جميع الفرق المساعدة من إطفاء وطوارئ وإسعافات في حالة استعداد قصوى .

وهناك إجراءات أخرى تتم قبل الزيارة بعدة أيام مثل مراقبة السيارات التي تتوقف لمدة أطول من المعتاد وسحبها من المنطقة بالإضافة إلى أي تحركات غير طبيعية حول الموقع ومراقبة المباني المجاورة إذا كانت تشكل خطراً .

وهذه الخطة هي نفسها التي تستخدم عن الافتتاح الرسمي للموقع مع إضافة الآتي :

١- تحديد مواقع المدعوين بالأسماء والأرقام .

٢- إقامة الاحتفال في مكان يبعد قليلاً عن المبنى الرئيسي .

٣- عدم إقامة الحفل في منطقة مكشوفة .

٤- عمل حزامين أمنيين من رجال الشرطة حول الموقع .

٥- عدم السماح للسيارات بالمرور بالقرب من موقع الاحتفال .

الجزء الرابع (٢- الخطة الأمنية للتشغيل التجريبي) :

وهي خطة مؤقتة الغرض منها تطبيق عدة أساليب أمنية في حماية وحراسة الموقع والخروج بنتائج واقعية تدون ليتم دراستها وتحليلها واستخدام نتائجها في وضع الخطة العامة ويجب أن تكون خطة التشغيل التجريبي خطة مرنة تعتمد على العناصر التالية :

أ - أن تكون الخطة المنية شاملة لكل الأخطار المتوقعة .

ب - أن تكون الخطة الأمنية مفصلة بحيث تستطيع تحديد مهام كل فرد على حده .

ج - أن تكون الخطة الأمنية سهلة بحيث يمكن فهمها .

د - أن يتم وضعها بعد عمل مسح شامل ودقيق للموقع .

هـ - أن يتم حصر وسائل الإنذار والمراقبة والإطفاء التي سوف يتم الاستعانة بها .

و- أن يتم عقد دورات تدريبية متخصصة للأفراد من وقت إلى آخر على الخطة الأمنية والوسائل .

وبعد تنفيذ الخطة الأمنية للتشغيل التجريبي .. يتم وضع الخطة الأمنية ومعالجة أي قصور أو نقاط ضعف أو حتى أخطاء يمكن أن تحدث من خلال الممارسة الفعلية للعمل ويمكن خلال تنفيذ الخطة التجريبية دراسة النقاط التالية :

١- عدد القوة العاملة وكفايتها وطريقة توزيعها .

٢- كفاءة الأجهزة الموجودة بالموقع والحاجة إلى زيادتها أو تحديثها .

٣- دراسة الحد الأقصى للزوار وإمكانية السيطرة عليهم .

٤- إمكانية استحداث أو إغلاق مخارج الطوارئ .

٥- إمكانية استحداث أو إغلاق البوابات .

٦- عملية دخول وخروج العاملين وكيفية ضبطها بالصورة المثلى .

٧- الزيارات التي تتم للعاملين سواء كانت خاصة أو زيارات عمل .

٨- تفتيش العاملين عند الدخول والخروج .

٩- تعامل الجمهور مع المعروضات والحاجة إلى زيادة تأمينها .

١٠- فترات الذروة في الزيارات والاستعداد الكافي لها .

الجزء الرابع (٣- الخطة الأمنية) :

سوف نذكر هنا العناوين الرئيسية للخطة الأمنية العامة للمتحف الوطني والدارة بمركز الملك عبد العزيز التاريخي بمدينة الرياض .. وقد قصدت من خلال عرض هذه العناوين أن يكون البحث مترابطاً حتى لا تضيع الفرصة على القارئ للتعرف على النتائج التي توصلنا إليها خلال فترة التشغيل التجريبي .

وتعتبر هذه العناوين بمثابة العناوين الرئيسية للجزء الثاني من هذا البحث والذي نخوض فيه في التفاصيل الدقيقة لما سوف تكون عليه الخطة الأمنية للمتحف والدارة مستقبلاً وكل ما آمله أن تعم الفائدة وتتاح الفرصة للآخرين للإدلاء بدلولهم وإبداء آرائهم حول موضوع هذا البحث .

المحتويات

٥- تعليمات الزيارات الخاصة (الجامعات - المدارس - الأطفال - كبار السن - المعاقين - النساء) .

٦- تعليمات الزيارات الرسمية (كبار الشخصيات - المسؤولين) .

خامساً : الخطة الأمنية (أنظمة السلامة) :

١- كتيبات أنظمة السلامة .

٢- نقاط توزيع طفايات الحريق وأنواعها .

٣- نقاط توزيع خراطيم الحريق .

٤- نقاط وجود مخارج الطوارئ .

٥- نقاط تجمع الجمهور في حالة الحريق .

٦- نقاط تجمع الجمهور في حالة الكوارث .

٧- التعامل مع الآثار في حالة وجود طارئ .

٨- سلامة المقتنيات وأمنها في القاعات والمختبرات .

٩- سلامة المعدات والتجهيزات في القاعات .

١٠- سلامة وأمن المختبرات .

١١- سلامة وأمن المستودعات .

١٢- الفحص الدوري لوسائل الأمن والسلامة .

سادساً : الخطة الأمنية (الإخلاء والطوارئ) :

١- مباشرة حالات الحريق .

٢- مباشرة الحوادث الجنائية .

٣- مباشرة الحوادث الطارئة .

٤- طرق استخدام أجهزة الإنذار ومدلولاتها .

٥- الإسعافات الأولية .

٦- الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية .

سابعاً : علاقات رجال الأمن والسلامة :

١- العلاقات مع الموظفين .

٢- العلاقات مع الزوار .

٣- العلاقات مع الجهات الأخرى .

ثامناً : أمن وسلامة المناسبات والمعارض :

١- التنسيق .

٢- الزيارات .

٣- أمن وسلامة المعروضات .

٤- أمن وسلامة موقع المعروضات .

تاسعاً : الإرشاد والتدريب :

١- إرشادات الجمهور وتوعيتهم .

٢- تدريب الأفراد وتوعيتهم .

٣- تدريب الموظفين .

عاشراً : لائحة المخالفات :

١- مخالفات الموظفين .

٢- مخالفات حراس الأمن .

٣- مخالفات العمالة .

٤- مخالفة الزوار .

٥- جدول الغرامات والجزاءات .

المراجع

١ ـ أحمد ، مشرف محمد ، حماية الآثار العربية ، مقتطفات من تاريخ دمشق ، ١٩٨٩م .

٢ ـ أمين ، أحمد حلمي ، الوسائل الأمنية لحماية الآثار والأعمال الفنية ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، الندوة العلمية الثانية ضمن الخطة الأمنية الوقائية العربية الثانية ، صنعاء ، اليمن ، ١٤٠٩هـ .

٣ ـ تقرير بشأن ما اتخذته إدارة المتاحف بالمملكة ، مجلة الآثار العربية في الوطن العربي ، مكتبة جامعة الملك سعود ، الرياض .

٤ ـ خطط وبرامج تأمين المتحف الوطني ، إدارة الأمن والسلامة ـ شركة الخدمات الأمنية ، أرشيف وكالة الآثار والمتاحف ، المتحف الوطني .

٥ ـ الراشد ، سعد عبدالعزيز ، آثارنا والوعي دور الدولة ودور المواطن ، مطابع الفرزدق ، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، الرياض .

٦ ـ السيد ، النعماني ، تأمين المتاحف ضد السطو والسرقة ، الأمن العام ، المجلة العربية لعلوم الشرطة ، العدد ٥٦ ، السنة ١٤ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م .

٧ ـ عبده ، محمد ماهر ، حراسة برج لندن الشهير ، المجلة العربية لعلوم الشرطة، العدد ٦٤ ، السنة ١٦ ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م .

٨ ـ فقي ، عادل محمد ، الحماية الجنائية للآثار ، المجلة العربية لعلوم الشرطة ، العدد ١٢٥ ، السنة ٣٢ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٩ ـ المعلومات العامة والخرائط ، أرشيف الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض .

١٠ ـ موسى ، محمد كامل ، التأمين النموذجي للمتاحف ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، مكافحة جرائم السياحة ، ١٤١٢هـ ، الرياض .

١١ ـ نص المرسوم الملكي رقم م/٢٦ في ١٣٩٢/٦/٢٦هـ ، وكالة الآثار والمتاحف ، (إدارة شؤون الآثار) .

التوصـيات

وفي نهاية هذا البحث أو الإشارة إلى أني قد خرجت بعدد من النقاط التي أرى أن تؤخذ بعين الاعتبار ويمكن طرحها علي شكل توصيات وهي :

١- تحديد الموعد الزمني لبداية العمل الفعلي بالخطة الأمنية لمركز الملك عبد العزيز التاريخي (دارة الملك عبد العزيز - قصر المربع - المتحف الوطني) .

٢- دراسة كافة الوقائع الأمنية التي حدثت في المتاحف للاستفادة منها .

٣- الاستفادة من تجارب الآخرين في مجال أمن المتاحف .

٤- عمل ندوات ومحاضرات عن أمن المتاحف والآثار .

٥- عمل دورات تدريبية تخرج حراس أمن متخصصون في مجال الآثار والمتاحف .

٦- القيام بعمل فحص دقيق للوسائل الأمنية الموجودة بالمتاحف السعودية والعمل على رفع كفاءتها .

٧- الحد من عرض الآثار بشكل مباشر على الجمهور .

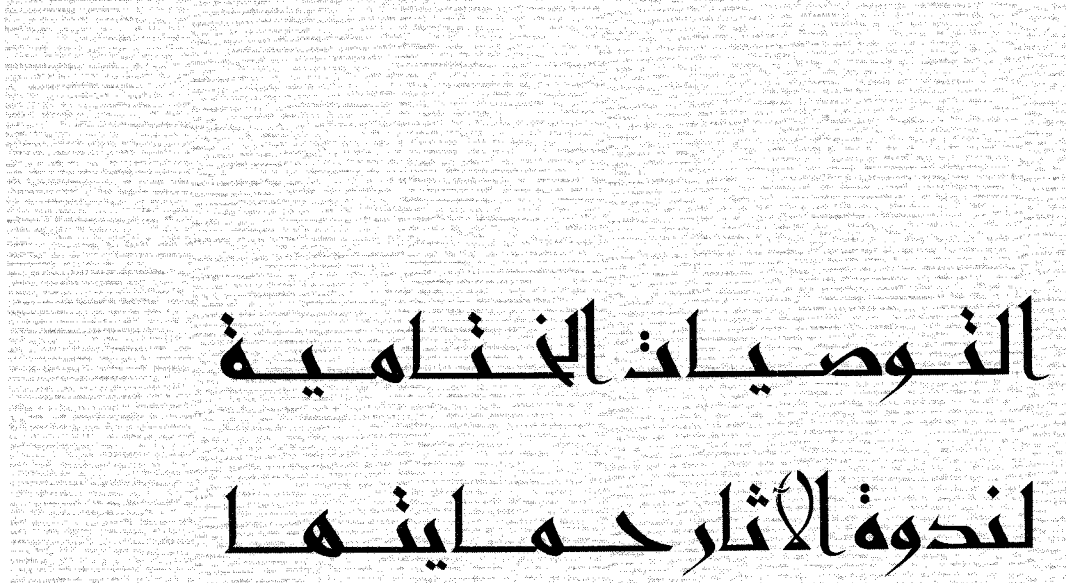
٨- الاعتماد بعد الله تعالى على أجهزة الإنذار الآلية لحماية الآثار .

٩- إجراء تقويم شامل للخطة كل ثلاثة أشهر للتعرف على المشكلات ومعالجتها .

١٠- إجراء تدريبات وهمية للإخلاء والطوارئ للوقوف على مستوى العمل بالخطط الأمنية .

وختاماً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم على بلادنا الغالية نعمة الأمن والأمان بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني والأسرة المالكة الكريمة وجميع العاملين المخلصين في حكومتنا الرشيدة .

والله الموفق



التوصيات الختامية لندوة الآثار حمايتها والمحافظة عليها

التـوصــيات

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإدراكاً من وزارة المعارف - ممثَّلة في وكالة الآثار والمتاحف - لأهمية الآثار بوصفها تراث الأجداد وموروثهم الحضاري إلى الأجيال المتعاقبة ، وبوصفها الأدلة الصادقة ، والحجج الدامغة ، والشواهد الحيّة على ما خلفته الإنسانية من صروح شامخة ، وكنوز مكنونة ، ومنجزات حضارية خالدة ، وبوصفها مصادر موثوقة يعوِّل عليها الدارسون والباحثون في تاريخ البشرية وحضارتها ، لكونها من أهمّ المصادر التاريخية التي لا يتطرق الشك إلى أصالتها والاعتماد عليها ، فضلاً عما في الآثار من عظة وعبرة وتفكر ؛ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ غافر : ٨٣ ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى ﴾ طه : ١٢٨ ، وقوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص : ٥٨ ، وقوله جلّت قدرته ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ العنكبوت : ٣٨ .

لذلك كله عرضت وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف على المجلس الأعلى للآثار في المملكة العربية السعودية منطلقاتها تلك نحو إقامة ندوة علمية برعاية حضرة صاحب السمّو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود وزير الداخلية بعنوان : (الآثار في المملكة العربية السعودية : حمايتها والمحافظة عليها) .

ومن أهدافها : نشر الوعي الأثاري بين المواطنين ، وتبصيرهم بأهمية الآثار والمحافظة عليها ، والحد من امتهانها ، و العبث بها ، وسوء استخدامها ، وإبراز الدور التاريخي والحضاري للآثار ، وأهميتها في كتابة تاريخ الأجداد ، وربط أبناء الوطن بماضيهم ، وإطْلاعهم على تراث بلادهم ، والاستفادة من الآثار في ترسيخ الحسّ الوطني لدى الناشئة ،

وتوظيف ذلك الحس في دروس التربية الوطنية ، والاهتمام بالتراث المحلّي وصيانته والمحافظة عليه ، والاستفادة من الدلالات الأثرية ، وتوظيفها في تفسير المظاهر الأثرية الداعية إلى تفسير ، وإبراز الدور التثقيفي والتعليمي للمتاحف ، ولفت الأنظار إلى الاهتمام بالآثار الغارقة ، وإشراك القطاعات الحكومية الأخرى في المحافظة على الآثار ، وبخاصّة وزارة الداخلية ، والبحث عن الوسائل والسبل الرامية إلى إيجاد جهاز أمني خاصّ بالآثار (شرطة الآثار) .

واشتملت الندوة على عدة محاور هي :

- المحور الأول : الآثار والتعليم .
- المحور الثاني : المتاحف واجهة حضارية .
- المحور الثالث : الآثار والحقوق الخاصّة والعامّة والدولية .
- المحور الرابع : الآثار والمخاطر المحلّية والدولية .
- المحور الخامس : الأمن والمحافظة على الآثار .
- المحور السادس : الآثار والقطاعات ذات العلاقة .
- المحور السابع : الآثار والتراث المادّي .

نالت الفكرة استحسان معالي وزير المعارف : رئيس المجلس الأعلى للآثار الذي تفضل مشكوراً بعرضها على المجلس الموقر فرحب بالفكرة في جلسته السابعة والأربعين التي انعقدت في الخامس من شهر ذي القعدة عام ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨/٣/٣م بالسير قُدماً نحو البدء في الخَطَوات التنفيذية لإقامة هذه الندوة ، فكُلِّلت الفكرة بالموافقة السامية الكريمة برقم ٧/ب/٦٤٢١ في ١٤١٩/٥/١١هـ ، وكذا بموافقة حضرة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية على رعايتها بموجب خطاب سموه رقم ٢٩٨/١/خ في ١٤١٩/٢/١٦هـ ثم بدأت أولى خطوات العمل في الندوة بتشكيل لجنة تنظيمية بقرار من معالي وزير المعارف رقم ١٦٧١ وتاريخ ١٤١٩/٦/٩هـ ، ومنها تفرّعت خمس لجان عمل هي :

اللجنة العلمية – اللجنة المالية – اللجنة الثقافية – اللجنة الإعلامية – لجنة العلاقات

العامة ؛ فأخذت هذه اللجان على عاتقها الإعداد لمرحلة انعقاد الندوة وتمت مخاطبة الوزارات ، والجامعات ، والمؤسّسات ، وإمارات المناطق ، ومديريات التعليم ، وأهل الاختصاص والمهتمّين . فلقيت الدعوة استجابات كثيرة ، وأخذت ملخّصات البحوث ، ثم البحوث نفسها تتوارد على اللجان المختصة . وبعد قراءة فاحصة ، تمّ اختيار (٣٤) بحثاً لموافقتها محاور الندوة وأهدافها (وفق القائمة المرفقة) .

وحينما تكاملت الاستعدادات لعقد الندوة تفضّل صاحب السمو الملكي الأمير / نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ، بافتتاحها في موعدها المحدد عصر يوم الأحد ١٤٢٠/٧/١٥هـ الموافق ١٩٩٩/١٠/٢٤م ، وهو ما كان مبعث سرور واعتزاز كل من شارك في ذلك الافتتاح الرائع الذي رعاه سموه الكريم ، ثم توالت جلسات الندوة في الأيام الثلاثة التالية بقاعة الملك عبدالعزيز بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي اعتباراً من صباح يوم الاثنين ١٤٢٠/٧/١٦هـ والموافق٢٥/١٠/ ١٩٩٩م إلى مساء يوم الأربعاء ١٤٢٠/٧/١٨هـ الموافق٢٧/ ١٠/١٩٩٩م ، وفيها قُدِّمت أربع وثلاثون ورقة عمل قدّمها علماء وباحثون من رجال الآثار ، وأساتذة الجامعات ، و رجالات التربية والتعليم ، والأمن ، والاقتصاد ، وحماية الحياة الفطرية .

وخلصت الندوة ، وما قُدِّم فيها من أوراق عمل وما دار خلالها من مناقشات إلى التوصيات الآتية :

أولاً : يعبّر المشاركون عن غبطتهم وسعادتهم للموافقة السامية الكريمة على إقامة هذه الندوة ، ويوصون برفع برقيات شكر وامتنان وعرفان إلى كلّ من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ، وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام . ثم برقية أخرى لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ، الذي أولى الندوة جل عنايته واهتمامه ، وتفضل سموه مشكوراً برعايتها ، وافتتاح المعرض الثقافي المصاحب لها ، وتركت كلماته وتوجيهاته أطيب الأثر في نفوس منظمي الندوة والمشاركين فيها ، ويوصون كذلك برفع برقية شكر وتقدير وامتنان إلى ذلك الرجل الذي يقف وراء نهضة

الرياض وتطورها ورقيها ، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ، أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ، على ما أولاه سموه الكريم من رعاية ودعم ومتابعة لهذا الصرح العظيم ، مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ، ومنه المتحف الوطني ، ومبنى وكالة الآثار والمتاحف .

ثانياً : يثمن المنتدون حرص صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية على رعاية هذه الندوة ، وتجشّمه عناء السفر في سبيل ذلك ، ويثنون على خطاب سموه ، ويوصون باعتباره وثيقة رسمية ، تنشر في صدر مداولات ندوتهم هذه .

ثالثاً : تهيئة الأوعية العلمية المحكمة المتخصصة التي يمكن من خلالها نشر أبحاث الدارسين والباحثين في مجال الآثار والدراسات الحضارية بصورة عامة ، ومنها مجلة (أطلال) التي تصدر عن وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف .

رابعاً : عقد ندوات ، ومؤتمرات ، ولقاءات علمية ، وورش عمل متخصّصة بصفة دورية كل سنتين أو ثلاث سنوات سواء بمقّر الوكالة نفسها ، أو في فروعها في مناطق المملكة ومحافظاتها بحيث يشارك فيها رجال الآثار ، وسواهم من أصحاب المهام والأعمال الأخرى المتصلة بالآثار والتراث الوطني المادّي .

خامساً : إبراز الأدوار التاريخية والحضارية للمواقع الأثرية والمعالم التاريخية في المملكة العربية السعودية ، وبذل عناية خاصة للإسلامية منها تبعاً لما تمثّله المملكة من كونها مهبط الوحي ، وقبلة المسلمين ، ومهوى أفئدتهم ، وما يخوّلها ذلك من الزعامة الروحية في العالم الإسلامي .

سادساً : إنتاج برامج توعوية وتثقيفية للتعريف بالمواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية ، وتشجيع الرحلات الطلابية إليها ، وإجراء مسابقات ثقافية تهدف إلى حماية الآثار والتعريف بها ، وأهمية المحافظة عليها وحمايتها ، وذلك بالتعاون مع الجهات ذات العلاقة .

سابعاً : التشديد على عدم المتاجرة بالآثار والتراث المادّي ، وتشجيع الهيئات والمؤسسات الوطنية ، وكذا الأفراد على عرض المجموعات الخاصة بهم في متاحف أهلية ، وغير أهلية ، وفتح أبوابها للزوار .

ثامناً : إشراك القطاع الخاص في تمويل الأعمال الأثرية من قبيل تمويل إجراء التنقيبات ، والإسهام في صيانة المواقع والمباني الأثرية ، وفي نشر أعمال الباحثين والدارسين ، وغير ذلك من مجالات تشجيع البحث الأثري والقائمين بالدراسات الآثارية .

تاسعاً : تشجيع المواطنين على تسجيل ما لديهم من آثار لدى وكالة الآثار والمتاحف وفروعها بمناطق المملكة العربية السعودية .

عاشراً : التوسع في حماية المواقع الأثرية بتسويرها ، وتعيين الحراس عليها وتنظيم دوريات لمراقبتها . وكذلك المحافظة على ما بقي من السدود القديمة ، وبرك المياه ، والآبار وقنوات المياه ، وترميم ما تهدّم منها ، واستثمارها سياحياً .

حادي عشر : اجتناب منح صكوك استحكام للأفراد والمؤسسات على الأراضي التي توجد بها آثار ، وكذا الامتناع عن منح صكوك تملّك أراضي الانهاءات عنها والتي يُظَنُّ أن بها آثاراً ، إلا بعد مخاطبة وكالة الآثار والمتاحف لإبداء معارضتها أو إذنها .

ثاني عشر : الطلب إلى البلديات بعدم الموافقة على المخططات السكنية التي بها مواقع أثرية إلا بعد سماح وكالة الآثار والمتاحف بذلك ، وكذلك اجتناب إنشاء حدائق ومتنزهات وما إليها في المواقع الأثرية ، أو بالقرب منها .

ثالث عشر : استخدام التقنيات الحديثة في التسجيل والتوثيق والعرض والمعالجة والصيانة ، والحفاظ على الآثار وإدخال تقنيات الحاسب الآلي والإنترنت في مجال تسجيل المواقع الأثرية وتوثيقها ، ومسحها ، وتهيئتها للتنقيب ، وتدريب العناصر الفنية المؤهلة (الكوادر) الوطنية اللازمة لذلك .

رابع عشر : إنشاء جهاز أمنى لحماية الآثار (شرطة الآثار) ، ووضع (الآليات) المختلفة لتوعيته وتدريبه على مهامه الجديدة في حماية الآثار والحفاظ عليها .

خامس عشر : إيجاد وسائل الأمن والسلامة في المواقع الأثرية والمتاحف – وفق تعليمات الدفاع المدني ، والأمن الصناعي ، والجهات الأمنية الأخرى – ، وتصميم برامج تدريبية لحماية الآثار في حالات السلم والطوارئ .

سادس عشر : تشجيع إعادة الحياة الفطرية القديمة في بيئاتها المختلفة سواء كانت حيوانية أم نباتية .

سابع عشر : حثّ المكاتب السياحية ، ومكاتب الطيران والنقل ، على إصدار نشرات "ومطويّات " عن الآثار في المملكة مزودة بالخرائط والصور ، ومعتمدة من الجهات الرسمية المختصة بالآثار .

ثامن عشر : البدء في خطوات عملية ترمي إلى استعادة الآثار التي يتوقع خروجها بطريقة غير مشروعة من المملكة العربية السعودية ، ووضع الحوافز والوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف .

تاسع عشر : الاهتمام بالآثار الغارقة في المياه السعودية سواء في البحر الأحمر ، أو الخليج العربي ومسحها ، وتشجيع التنقيب عنها ، والاستفادة من الخبرات الأجنبية في ذلك .

عشرون : التنسيق لمصلحة الآثار بواسطة (آلية) متفق عليه بين كل من الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية ، ووزارة البترول والثروة المعدنية ، ووكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف .

حادٍ وعشرون : الحفاظ على الآثار الطبيعية في المملكة العربية السعودية ، والتأكيد على الجهات المسؤولة في الدولة – وبخاصة إمارات المناطق – بالاهتمام والمحافظة على هذا الجانب .

ثانٍ وعشرون : يتطلع المنتدون إلى إنشاء هيئة عليا للآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية ذات شخصية اعتبارية .

ثالث وعشرون : يقدّر المشاركون الجهود الكبيرة التي بُذلت في إنشاء المتحف الوطني بالمملكة العربية السعودية ضمن منظومة مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ، وما بذل فيه من جهد على مختلف المجالات الهندسية والتصميمية والمعمارية والتجميلية . ويؤكّدون على ضرورة دعم المتحف الوطني مالياً وفنّياً وإدارياً وتخصيص اعتماد مالي له في الميزانية العامة للدولة لخصوصية نشاطاته من جهة ، ولكي يكون قادراً على التواصل مع المجتمع العربي السعودي ، والاضطلاع بدوره التربوي ، والتعليمي ، والثقافي ، محلياً وخارجياً من جهة أخرى .

رابع وعشرون : إدراكاً من المشاركين في الندوة للأهمية القصوى للمتاحف بوصفها واجهات حضارية ، ومرافق تعليمية لاغنى عنها ، وإدراكاً منهم بأن وجودها -والتوسع كذلك في إقامتها في أي دولة - من الدول إنما هو دلاله على رقي تلك الدولة ، وتحضر أهلها ، وتقدمهم . لذا يوصون بتطوير المتاحف الحالية في المملكة سواء من حيث المعروض فيها ، أو من حيث إضافة أقسام جديدة إليها ، أو من حيث تدعيمها بالعناصر الفنية (الكوادر) الوطنية المدربة . ويوصون كذلك بالتوسع في إنشاء متاحف جديدة في مختلف مناطق المملكة ومحافظاتها ، وتوفير الاعتمادات المالية اللازمة لسير العمل فيها بما في ذلك صيانتها ، وتجديد معروضاتها ، وتهيئتها لاستضافة مختلف الفعاليات ، ومنها المعارض الدائمة والمتنقلة.

خامس وعشرون : يعبر المشاركون في الندوة عن اقتناعهم بأهمية الاتصال الحضاري ، والانتقال المعرفي وتبادل الخبرات في مجال الآثار ، لذلك يوصون بأن يؤخذ بخطّة الاستفادة من خبرة البعثات الأثرية الأجنبية في حفظ الآثار وتوثيقها ، وحمايتها ، وكذلك في مجال التنقيب عن الآثار - مع اتخاذ الحذر والاحتياط - وأن يكون هناك تعاون بين وكالة الآثار وبعض من تلك البعثات المشهود لها بالموضوعية ، والحيادية ، والمصداقية ، والجِدّية من خلال إجراء تنقيبات مشتركة في بعض المواقع الأثرية بالمملكة ، أو تحت إشراف سعودي واعٍ مكثف.

سادس وعشرون : يثني المشاركون على (معرض الكتاب الأثري) واللوحات المستوحاة من التراث التقليدي للمملكة العربية السعودية ؛ فقد استرعاهم إعجاب صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز ، وزير الداخلية بالمعروضات ، وإطالته الوقوف عند بعضها ، وهو ما نرى أنه يشجع على الاستمرار في هذه التجربة ، وذلك بإقامة معارض للآثار في مقر وكالة الآثار والمتاحف ، أو في فروعها بمناطق المملكة وذلك بمعروضات أثرية ، أو بملصقات أو مصورات .

سابع وعشرون : عقد لقاء سنوي لمسؤولي الآثار بإدارات التعليم في المملكة لتقييم العمل الأثري في جهاتهم ، ومعالجة الجوانب السلبية التي تعترضه بجانب دراسة التواصل التربوي والتعليمي .

بكاء القرية القديمة

قصيدة للأستاذ / إسماعيل بن إبراهيم السماعيل (*)

هكذا . بكت القرية التي غادرناها . تاركين فيها كل شيء يذكّرنا بها . تركناها للزمن يعبث بها كيف يشاء . حتي ذابت منازلها وذكرياتها كقطعة ثلج في بحيرة الشمس .

ذات يوم نظرت في مرآتي ... خنجر الدهر عالقاً في الزناد

وخطوط الخريف تأكل وجهي ... دون خوف تجوس في الأكباد

وتداعت على المدى شرفاتي ... فأرتني العقوق في الأحفاد

طرقاتي تئن من قسوة البعد م ... تنادي فمن يجيب المنادي ؟

وعيون الرفاق أصلب عوداً ... ساعة الموت من عيون الأعادي

طلقوني ليسكنوا قلب أخرى ... وصحا الهجر بعد طول رقاد

ثم أهدوا للموت غصن شبابي ... وإلى الكون نائحات الحداد

والعصافير أينها ؟ لا أراها ... كل فجر في دوحها المياد

أخذوا من يدي الأساور والعطر م ... وباعوا خزانتي في المزاد

لم تسل دمعة ولم تسقِ أخرى ... خد ، باكٍ . كأنها من جماد

****

أي ذنب قد أسرفت فيه كفي ... ليكون الجفاء شربي وزادي

كنت أماً أضم تحت جناحي ... كل بيت فإنهم أولادي

ذات يوم كنت القلادة في الكون م ... جمالاً ودرة في البلاد

كانت السحب حين تغسل رأسي ... بنداها كفرحة الأعياد

آه يا ليل كم نشرت جناحيك م ... على النخل عابقاً بالوداد

آه يا شمس كم نثرت على القمح م ... عقوداً من لؤلؤ وقاد

(*) مدير عام الثقافة ـ وكالة الوزارة للشؤون الثقافية .

فلمـــاذا تركـــتم الهـــجـــر يمضي في ضلوعي كـــشـــفـــرة الجـــلاد ؟

ورحلتم وقـــــد تركـــــتم بقـــــايا من جـــراح وظلمـــــة من ســـــهــــاد

أنســـيـــتم مـــســـاجـــداً بهـــزيع الليل م تدعــــو لبـــيك رب العـــبـــــاد ؟

أنســـــيــــتم بأن كل تـراب فـــيــــه ذكـــرى من رحلة الأجـــداد ؟

أنســــيــــتم رباب راعٍ يغـني لـقطـيـع يـجـــــول بـين الـوهـاد ؟

فـــيـــه من رقـــة الربيع خـــزامى زرعــــتـــهـــــا المزون في كل وادي ؟

والكتـــاتيب هل نســـيـــتم سناها مــــشـــرق الثـــغـــر في دمـــوع المداد ؟

هل نســـيــتم مـــجــالس الحي ليــلاً ونـهــــــــــاراً تـضـج بـالـرواد ؟

هل نســــيـــــتم سنابلاً قـــد رواها الجـــهـــد نبـــعـــاً ومنجل الحـــصـــاد ؟

والســـواقي إذ قـــبّلت شـــفـــتــــاها هـالـة البـــــدر لحظة الميــــلاد

ذكـــريات كـــانت تعطر أمـــسـي هربت من أصـــابعي كـــالجـــراد

قـــمـــر الصـــيف أين أنت ؟ أجـــبني لـم تـعـــد ســـابحـــاً بليل فـــؤادي

****

هل يعــــود الصــــبـــا إلى أغنيـــاتي وابـتـــســــام الوجـــود في إنشـــادي ؟

وتعـــود الحــــيـــــاة تملأ بالدفء م شــــتــــاء يلفني بالســـــواد

****

من هنا ســارت الســيـوف جـمـيـعـاً وخـــيـــول قـــد أســـرجت للجـــهـــاد

فـــأعـــيـــدوا تاج الوفـــاء اعـــترافـــاً وافــــرشـــوا لي نفـــائس الســـجـــاد

أهـو وعـــــد ؟ فـــــإنني في انتظار م الشـمـس تأتي فـأخلصـوا مـيـعـادي

يفــــتح المجـــد بابه لخــــيـــولي مــــثلمـــــا كــــان طارق بن زياد

الأنشطة المصاحبة لندوة الآثار في المملكة العربية السعودية

« حمايتها والمحافظة عليها »

خلال الفترة ١٥ ـ ١٨ رجب ١٤٢٠هـ

١ ـ معرض الكتاب الآثاري .

٢ ـ معرض الصور الآثارية .

٣ ـ معرض البناء القديم في الفن التشكيلي .

٤ ـ معرض الطوابع التاريخية .

صاحب انعقاد ندوة الآثارة عدة فعاليات كان من أهمها

١ ـ معرض الكتاب الآثاري :

الذي عرض لنا مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع والدوريات المتخصصة في مجال الآثار والتاريخ والثقافة والمتصلة بالعمل الأثري ، وكان الهدف الأساسي من هذا المعرض هو لفت نظر الناس عامة إلى أن الآثار في مفهومها مادة علمية أصيلة تعنى بدراسة التاريخ والحضارة في مختلف فنون المعرفة .

إن حماية تلك الآثار والمحافظة عليها في مواطنها الأصلية أمر في غاية الأهمية ؛ فإزالتها وتشويهها أو تخريبها يؤدي إلى طمس للهوية التاريخية والحضارية لأي أمة ، وأن بقاءها يساعد على ربط الإنسان الحاضر بماضيه . كما أنها تعد مورداً من الموارد الاقتصادية وركيزة ثابتة للسياحة الثقافية .

وقد ضم المعرض مجموعة كبيرة من البحوث والإصدارات المتعلقة بالآثار والتاريخ ، وقد بلغ عددها (١٠٠٦) كتاب باللغتين العربية والإنجليزية .



٢ـ معرض الصور الآثارية :

احتوى معرض الصور الآثارية على مجموعة متنوعة من الصور الآثارية التي تمثل بقايا المدن القديمة والآثار المعمارية المتعددة مثل الحصون ، والقلاع ، والأسوار ، والأبراج ، والمساجد ، والمعالم التاريخية والمنشآت المائية من برك ، وسدود ، وقنوات ، وعيون وكذلك رسوم صخرية وكتابات ونقوش عربية قديمة وإسلامية وغير ذلك من الآثار الشاخصة والتراث العمراني والصناعات والحرف التقليدية .

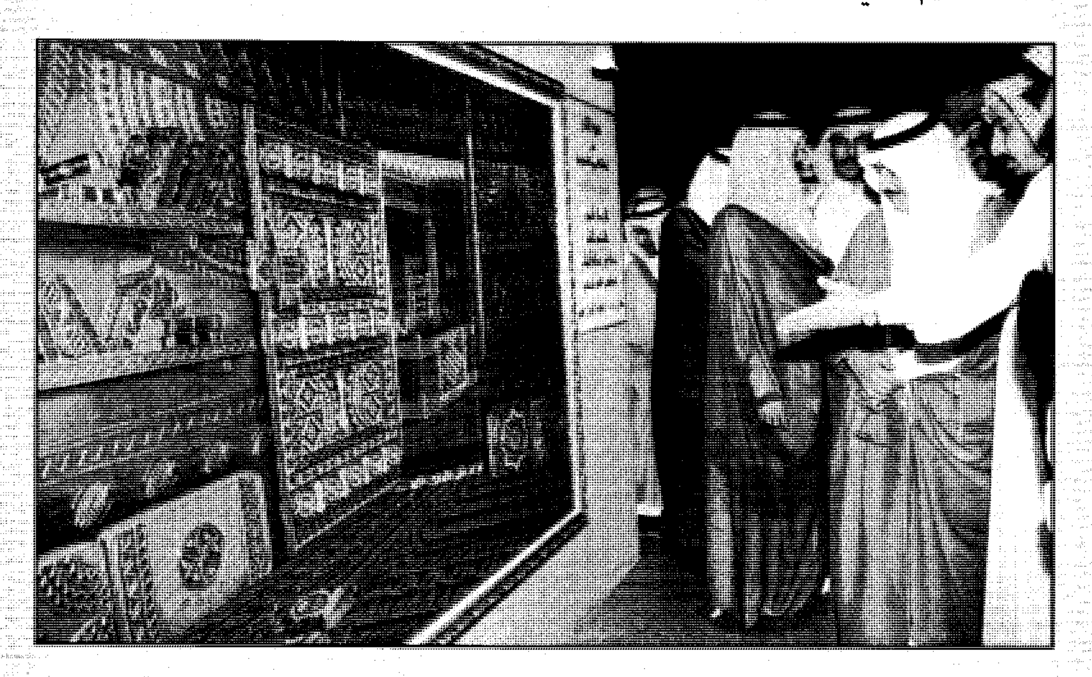
وتأتي أهمية هذا المعرض لما للآثار في المملكة العربية السعودية من مكانة متميزة اكتسبتها نظراً لمكانتها الاستراتيجية على مر العصور، الأمر الذي دعا بالدولة ـ حفظها الله ـ إلى الإهتمام والمحافظة على الآثار والتراث .

ومن أهم الدواعي التي دعت إلى إقامة هذا المعرض المصور هو إطلاع الزوار من المواطنين والمقيمين والمهتمين بالآثار من الدارسين والباحثين وكذلك نشر الوعي الأثري بين الناس للمحافظة على الإرث الحضاري .



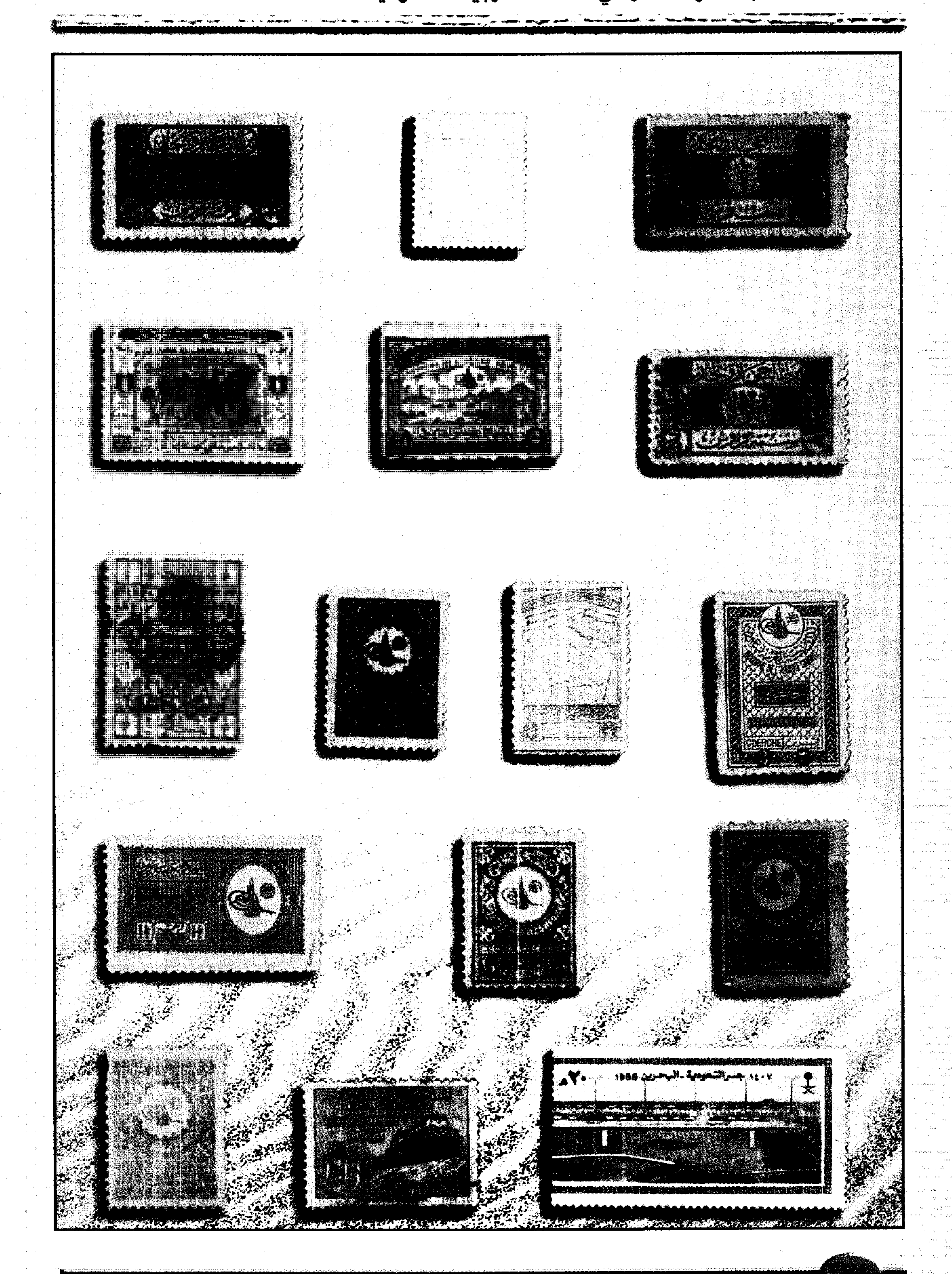
٣ـ معرض البناء القديم في الفن التشكيلي :

ضم هذا المعرض مجموعة من الفنون التشكيلية النابعة من الفكر الإنساني الخاص بالبناء القديم الذي عاصر بيئتنا الماضية .



٤ـ معرض الطوابع التاريخية :

ضم هذا المعرض مجموعة من الطوابع البريدية والتي تؤرخ لكثير من الأحداث والمناسبات الهامة لتاريخ المملكة العربية السعودية من عهد المؤسس جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله .


١٤٠٧ جسر السعودية - البحرين 1986
٢٠ هـ

خطابات تقدير لوزارة المعارف بنجاح ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية «حمايتها والمحافظة عليها»

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية

ديوان رئاسة مجلس الوزراء

برقيه

الرقم ١ص/ب/١٢٣٥٨
التاريخ ٦/٨/١٤٢٠هـ
المرفقات

معالي وزير المعـــارف

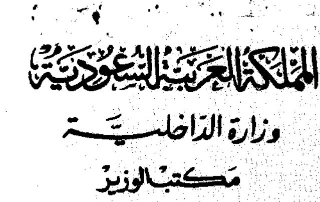
رئيس المجلس الأعلى للآثـــار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد: -

فقد وردنا كتابكم برقم ٢٧٨٧ وتاريخ ١٤٢٠/٧/١٩هـ وإننا لنشكركم وإخوانكم المشاركين في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية (حمايتها والمحافظة عليها) التي أقيمت في الرياض خلال المدة من ١٥ إلى ١٤٢٠/٧/١٨هـ على ماعبرتم عنه من المشاعر الطيبة سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يكتب الخير لأمتنا ووطننا وأن يوفقنا لما فيه عزها ورفعتها وإعلاء شأن الإسلام والمسلميـــن..،

فهد بن عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم



الرقم: ١/م/١/٧/١٢٩٠
التاريخ: ٨
التوابع:

معالي وزير المعارف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

اشارة الى خطابكم رقم ٣٧٥٦ في ١٤٢٠/٩/١١هـ والمرفق به التوصيات التي توصلتم اليها في ندوة (الاثار في المملكة العربية السعودية : حمايتها والمحافظة عليها) .

فأشكر لمعاليكم ماورد في خطابكم من عبارات قيمة ودلالات نبيلة.. مقدراً ماتوصلتم اليه من توصيات علمية لتعزيز وصيانة وخدمة الأثار في بلادنا الطاهرة.. ونتطلع الى ان تنتهي هذه التوصيات الى مرحلة التنفيذ الفعلي لمافيه مصلحة الوطن ..ولمعاليكم تحياتنا ،،،

نايف بن عبدالعزيز

وزير الداخلية

٣٥٦٨
١٤٢٠/١٠/٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة منطقة الرياض
المكتب الخاص

الرقم ٢/ج/١٢٥٥٥
التاريخ ٢٩/٧/١٤٢٠هـ
المشفوعات ....

معالي وزير المعارف رئيس المجلس الأعلى للآثار

الدكتور / محمد بن أحمد الرشيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ،

تلقيت خطابكم رقم ٢٧٨٨ وتاريخ ١٤٢٠/٧/١٩هـ المتضمن أن الوزارة قامت بعقد ندوة علمية في قاعة الملك عبدالعزيز للمحاضرات بعنوان (الآثار في المملكة العربية السعودية .. حمايتها والمحافظة عليها) وإشادتكم بأن المشاركين بهذه الندوة يقدمون شكرهم وعرفانهم لنا .

نشكر معاليكم على ذلك ونرغب منكم نقل شكرنا وتقديرنا للمشاركين بالندوة متمنيا للجميع التوفيق والنجاح .. ولمعاليكم تحياتنا ،،،

أمير منطقة الرياض
ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

سلمان بن عبدالعزيز

مطابع دار الهلال للأوفست

الرياض ـ هاتف : ٤٧٣١٥٤٥